بسم الله الرحمن الرحيم

باب

نجمع فيه طرائف من حَسَنِ الكلام،وجيد الشعر، وسائر الأمثـال ، ومـأثور الأخبـار، إن شاء الله .

قال أبو العباس : كان الحجاجُ يستثقل زياد بن عمـرو العتكي ، فلما أثنت الوفـود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك ، والحجاج حاضر ، قال زياد بن عمـرو : يـا أمير المؤمنين ، إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن أحدٌ بعد أخف على قلب الحجاج منه .

ولزياد يقول القائل ، وهو ابن الرقيات في معاتبته المهلب بن أبي صُفرة [(١)]:

أَبْلِغـا جَـارِيَ المُهَلَّـبَ عَنِّـي ... كُـلُّ جـارٍ مُفـارِقٌ لا مَحالَـهْ

إنَّ جَـارَاتِكَ اللَّوَاتِـي بتكْرِيـ ... ـتَ لِتَنْبِيـذِ رَحْلِهِـنَّ مَقَالَـهْ

لـو تَعَلَّقْـنَ مِـن زيَـادِ بـنِ عمـرٍو ... بِحِبَـالٍ لَمَـا ذَمَمْـنَ حِبَالَـهْ

عتكـيٌّ كأنـه ضـوء بـدرٍ ... يَحْمَـدُ النـاس قولـه وفعالـه

ولقـد غَـالَنِي يَزِيـدُ عليـهِ ... فِـي يزيـدِ خيانـةٌ ومَغَالَـهْ[(٢)]

[قال أبو الحسن ـ وزاد عن أبي العباس هذا البيت :

غَلَبَـتْ أُمُّـه أبـاهُ عليـه ... فهـو كالكـابُليِّ أشْـبَهَ خَالَـهْ

قال أبو العباس : كانت أمُّ يزيد من سَبْيِ كابُلَ] .

---

(١) الأبيات في ذيل ديوانه ١٨٧ - ١٨٨ .

(٢) هذه الأبيات غير مرتبة وصواب ترتيبها هكذا :

عتـكيّ كأنـه ضـوء بـدر ... يحمـد النـاس قولـه وفعالـه

ولقـد غـالنى يزيـد وكـانت ... فـى يـزيد خيانـة ومغـاله

غلبـت أمـه أبـاه علـيه ... فهـو كالكـابلى أشـبه خالـه

"المغالة " بالغين المعجمة " : الخيانة كالغول و(غلبت أمه إلخ) يريد أن شهوة أمه سبقت شـهوة أبيـه فسرت أعراقها فيه، فلم يشبه أباه فى صلابة عوده ، ونجابته . والكـابلى منسـوب إلى كـابل " بضـم الباء" وهو من ثغور طخارستان نسبة إلى العجم رغبة الآمل ٦٩/٧ .

قال أبو العباس : وقال أسماء بن خارجة الفزاري: لا أُشاتِمُ رجلاً ، ولا أَرُدُّ سائلاً، فإنما هو كريم أَسُدُّ خَلَّتَهُ ، أو لئيمٌ أَشتري عِرضي منه .

وقال سهل بن هارون : وجب على كل ذي مَقالةٍ أن يَبْدَأَ بحمد اللّهِ قبل اسْتِفْتاحِها ، كما بُدِئَ بالنِّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقاقِها .

وكان يقولُ عند التَّعْزِيةِ:التَّهْنِئةُ بآجلِ الثوابِ أَوْلَى من التَّعْزِيَةِ على عاجلِ المصيبة.

وأراد رجلٌ الحجَّ فأتى شُعبةَ بن الحجاج يُوَدِّعُهُ ، فقال له شعبة : أما إنك إنْ لم تَرَ الحِلْمَ ذُلاًّ ، والسَّفَه أنفًا سَلِمَ حَجُّكَ .

وقال أويس القرني : إن حقوق اللّهِ لم تَتْرُكْ عند مُسْلِمٍ درْهَمًا .

وقال الخزاعي يذم رجلاً ، وهو دِعْبِلٌ [1]:

رأيتُ أبا عِمْرَانَ يَبْذُلُ عِرْضَهُ ... وخُبْزُ أبي عمرانَ في أحْرَزِ الحِرْزِ
يَحِنُّ إلى جاراتِهِ بعد شِبْعِهِ ... وجاراتُهُ غَرْثَى تَحِنُّ إلى الخُبْزِ[2]

وقال الآخر [3]:

قَوْمٌ إذا أَكَلُوا أَخْفَوْا [4] كلامهمُ ... وَاسْتَوْثَقوا من رِتاجِ البابِ والدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِمُ ... ولا تَكُفُّ يَدٌ عن حُرْمةِ الجارِ[5]

---

(١) ديوانه ص ٩٣ .

(٢) (شبعه)" بكسر الشين وفتح الباء "أسكنها للوزن مصدر شبع"بالكسر ضد جاع فأما الشبع بكسر فسكون فاسم لما يكفيك من الطعام وغيره وغرثى جياع الواحدة غرثانة وتكون غرثى واحدة غراث وقد غرث كتعب جاع فهو غرثان من قوم غرثى وغراثي كصحارى.رغبة الآمل ٧٠/٧ .

(٣) والبيتان ينسبان لبعض آل المهلب،قال دعبل:هو عبد الله بن عبد الرحمن ولقبه أبو الأنواء، وينسبان لداود بن عيينة المنقري.انظر الحماسة البصرية ٢٥٦/٢،وذيل سمط اللآلي٣٥والتخريج فيهما.

(٤) نسب البيتين أبو تمام فى حماسته إلى دعبل وهذا غلط لأن قوله: حتى إذا البيت... فإنما هو للأخطل . ورواية ديوانه: "قوم إذا إلخ" وعن الأصمعى هذا البيت أهجى بيت قالته العرب لأنه جمع ضروباً من الهجاء . نسبهم إلى البخل يطفئون نارهم مخافة الضيفان وأنهم يبخلون بالماء فيعوضون عنه البول وأنهم يبخلون بالحطب فنارهم ضعيفة تطفئها بولة وأن تلك البولة بولة عجوز وهى أقل من بولة الشابة ووصفهم بامتهان أمهم وذلك للؤمهم وأنهم لاخدم لهم . رغبة الآمل ٧١/٧ .

(٥) بعده في هامش بعض النسخ : " أظن تمامه :

حتى إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النار
قامت بأحمرها تندي مشافره ... كأنه رئة في كف جزار ". اهـ

هذا البيت الأول حتى إذا ......إلخ للأخطل ، وروايته : قوم إذا .

وقال رجل من طيِّئ ، وكان رجلٌ منهم ، يقال له : زيدٌ ، من ولد عُروة بن زيد الخيل ، قتل رجلاً من بني أسد يقال له زيدٌ : ثم أُقِيدَ به بَعْدُ :

عَلا زَيْدُنا يومَ الحِمى رأسَ زَيْدِكمْ ... بأَبْيَضَ مَشْحُوذِ الغِرَارِ يَمانِ

فَإنْ تَقْتلُوا زَيْدًا بزيدٍ فَإنّما ... أَقادكُم السُّلْطانُ بعدَ زَمَانِ[1]

قال أبو الحسن : وأنشدنا غيره :

عَلا زيدُنا يومَ النَّقا رَأسَ زيدِكُمْ ... بأَبْيَضَ مِن ماءِ الحدِيدِ يَمانِ

وقال : كَلَّمَ شَمْعَلٌ [2] التَّغْلَبيُّ عبد الملك كلامًا لم يرضه ، فرماه عبد الملك بِجُرْزٍ[3] فَخَدَشَ وَهَشَمَ ، فقال شَمْعَلٌ :

أَمِنْ حِذْيَةٍ [4] بالرِّجْل مِنِّي تَباشَرَتْ ... عُدَاتِي فلا عَيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ

وإنَّ أميرَ المؤمنين وسَيْفَهُ ... لَكَالدَّهْر ، لا عارٌ بمَا فَعَلَ الدَّهْرُ[5]

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البَرَصِ على الجسد .

وقال زياد : كَفَى بالبخيل عارًا أن اسمه لم يقع في حمدٍ قطُّ ، وكفى بالجواد مجدًا أن اسمه لم يقع في ذمٍّ قطُّ .

وقال آخر :

أَلاَ تَريْنَ وَقَدْ قَطَّعْتِنِي عَذَلاً ... ماذا من الفَضْل بينَ البُخْل والجُودِ

---

(١) البيتان من الطويل ،والأول بلا نسبة فى لسان العرب (زيد) .

ورواية اللسان :

علا زيدُنا يوم النَّقا رأس زيدكم ... بأبيضَ من ماء الحديد يمانى

والبيتان في زهر الآداب ١٠٣٢ عن الكامل ، ولم يصرح بالنقل .

(٢) سماه ابن حبيب والآمدي والمعري والجرجاني : شمعلة .

(٣) الجرز : عمود من حديد .

(٤) الحِذْيَة من اللحم : ما قُطع منه طولاً ، وقيل القطعة الصغيرة منه .

(٥) البيتان لشمعل في زهر الآداب ١٠٣٢ ،والثاني له في رسالة الغفران ٤٢٧ ،والوساطة ٢٩٣ وهما له في خبر جرى له مع هشام بن عبد الملك فيما قال الآمدي في المؤتلف والمختلف١٤٠-١٤١، وروى الأصبهاني عن ابن حبيب نحو ما رواه الآمدي من خبره ولم يسم الخليفة ، والبيتان فيه لأعشى بني تغلب يقولهما في ذلك . انظر الأغاني ٢٨٢/١١ . وفي الرواية اختلاف .ونسب الثاني للأخطل وهمًا في المصون ٦٩ ، ٩٩ ، وأخبار أبي تمام ٢١ . ويروى : فإن أمير المؤمنين .

إلاَّ يَكُنْ وَرَقٌ يومًا أَرَاحُ بِهِ ... لِلْخَابطينَ فإني لَيِّنُ العُودِ

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ أَفْعَلُهُ ... إمَّا نَوالاً وإمَّا حُسْنَ مَرْدُود[1]

قوله : " إلا يَكُنْ وَرَقٌ " يريد المال ، وضَرَبه مثلاً ، ويقال : " أتى فلانٌ فلانًا يَخْتَبِطُ ما عندَه " و " الاخْتِبَاطُ " : ضربُ الشجر ليسقط الورقُ ؛ فجعل " الخَابطَ " الطالبَ الورقَ [2] ، كما قال زهير [3]:

وليس مَانِعَ ذِي قُرْبَى ولا نَسَبٍ ... يومًا ولا مُعْدِمًا مِن خَابطٍ وَرَقَا[4]

ويروى أن ضيفًا نزل بالحطيئة ، وهو يرعى غنمًا له ، وفي يده عصًا ، فقال له الضيف : يا راعى الغنم ! فأومأ إليه الحطيئة بعصاهُ ، وقال : عَجْرَاءُ من سَلَمٍ[5]! فقال له الرجل : إني ضيفٌ ، فقال الحطيئة : للضيفان أعددتُها !! .

وقال دعبلٌ :

وابنُ عِمْرَانَ يَبْتَغِي عَرَبِيًّا ... لَيس يَرْضَى البَنَاتِ للأَكْفَاء

إنْ بَدَتْ حاجةٌ لَهُ ذَكَرَ الضَّيْـ ... ـفَ ويَنْسَاه عندَ وقتِ الغَدَاء[6]

وقال أيضًا [7] :

وَضَيْفُ عَمْرو وَعَمْرٌو يَسْهَرَان معًا ... عَمْرٌو لِبطْنَته والضَّيفُ لِلْجُوع[8]

وقال دعبل [9]:

---

(١) الأبيات من البسيط ، لمحمد بن يسير ، والبيت الأخير فى الشعر والشعراء ص٨٨٤، وبلا نسبة فى لسان العرب (ردد).

(٢) بعض النسخ : " فجعل الخابط الطالب والورق المال " .

(٣) سلف البيت .

(٤) البيت من البسيط ، لزهير بن أبي سلمى فى ديوانه ص٥٣،ولسان العرب (خبط) ، وتاج العروس (خبط) ، وتهذيب اللغة ٢٥١/٢، ٢٥٠/٧ وجمهرة اللغة ص٢٩١، وأساس البلاغة خبط ، وبلا نسبة فى لسان العرب و(خبط)، (عدم) وتاج العروس (عدم) .

(٥) العجراء العصا التى فيها عقد ، والسلم شجر من العضاه .عن رغبة الآمل ٧٢/٧ .

(٦) ديوانه ص ١٢ ، عن هذا الكتاب " الكامل " .

(٧) ديوانه ـ المختلط من شعره ص ١٨٢ .

(٨) قبله في بعض النسخ :

أضياف سالم في خفض وفي دعة ... وفي شراب ولحم غير ممنوع

(٩) ديوانه ٤٨ .

- يَرْحَلُ الضيفُ عَنّي بعدَ تَكرمَةٍ إلاّ برفْدٍ وَتَشْييع وَمَعْذِرَةِ

وله [1] أيضًا :

لم يُطِيقُوا أن يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا فَصَبَرْنَا على رَحَى الأَسْنَان

صوتُ مَضْغ الضُّيوفِ أحسنُ عِندي مِن غِناء القِيَان بالعِيدَان

وقال آخر من بني أمية :

إذَا ما وُترنَا لم نَنَمْ عَنْ تِرَاتِنَا ولم نَكُ أَوْغَالاً نُقِيمُ الْبَواكِيَا[2]

ولكنّنا نُمْضِي الجيادَ شَوازبًا فَنَرْمِي بها نحوَ التِّرَاتِ المَرَامِيَا[3]

وقال جرير:

إنَّ الذي حَرَمَ [4] الخلافةَ تَغْلِبًا جَعَلَ النُّبُوَّةَ والخِلافَةَ فِينَا

مُضَرٌ أَبي وَأبو الملوكِ فهَلْ لكم يا خُزْرَ تَغْلِبَ مِن أبٍ كأَبينَا

هذا ابنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَليفةً لو شِئْتُ سَاقَكُمُ إلَيَّ قَطِينَا

إنَّ الفرزدقَ إذْ تَحَنَّفَ كارهًا أضْحَى لِتَغْلِبَ والصَّلِيبِ خَدِينَا

ولقد جَزِعْتَ إلى النَّصارَى بَعْدَما لَقِيَ الصَّلِيبُ مِن العذابِ مُهِينَا

هَلْ تَشْهَدُونَ من المشَاهِدِ مَشْعَرًا أو تَسْمعونَ من الأذان أَذِينَا[5]

قال أبو العباس : حدثني عُمارة بن عَقيل بن بلال ، قال : لما بلغ الوليد قول جرير :

هذا ابنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَليفةً لو شِئْتُ سَاقَكُمُ إلَيَّ قَطِينَا

---

(١) البيتان في ديوانه ص ١٦٠ ، عن هذا الكتاب " الكامل " .

(٢) وترنا : قتل منا قتيل . والترات جمع ترة وهي الذحل والثأر .والأوغال جمع وغل وهو من الرجال النذل الضعيف . عن رغبة الآمل ٧٣/٧.

(٣) الشوازب من الخيل : الضوامر.

(٤) (وقال جرير) : يهجو الأخطل وقومه بنى تغلب ، (خزر) : واحدهم أخزر من الخزر "بالتحريك" وهو ضيق الجفون يصفهم بالعداوة ينظرون بمآخير العيون و(القطين) الخدم والمماليك ويقال جاء القوم بقطينهم يراد بأجمعهم (تحنف) عمل عمل الدين الحنيف يريد تنسك بعد فجوره(هل تشهدون) هذا البيت فى رواية ابن حبيب بعد قوله: إن الذى حرم البيت و(الأذين) المؤذن ويقال أيضاً للأذان .

(٥) الأبيات من الكامل . وهى لجرير فى ديوانه ص ٣٨٧ ولسان العرب (أذن). والثالث فى اللمع ص١٤٦، والبيت الرابع ليس فى الديوان ، والبيت الأخير فى التنبيه والإيضاح ٢٠٢/٢ ، وتاج العروس (أذن).

قال الوليد : أما والله لو قال: " لـو شـاءَ سـاقكم " لفعلـتُ ذاك بـه ، ولكنـه قـال : " لو شئتُ " فجعلني شرطيًّا له .

ويروى أن بـلالاً قعـد يومًـا ينظـر بـين الخصـوم ، ورجـل منهـم ناحيـة يتمثـل قـول الأخطل[1] على غير معرفة :

وابـنُ المَراغَـةِ حـابسٌ أعْيَـارَهُ مَرْمَـى القَصِيَّـةِ مـا يَذُقْـنَ بـلالاَ [2]

فسمعه بلالٌ ، فلما تقدم إليه مع خصمه قال له بلالٌ : أعد عليَّ إنشادك فغمزه بعض الجلساء ، فقال : إني والله ما أدري من قاله ، ولا فيمن قيل ، فقال : أجل ! هو أَسْيَرُ من ذلك هَلُمَّا فاحْتَجَّا .

وقال جرير (٣) :

مَـرَرْتُ عَلَـى الدِّيـار فمـا رأَيْنَـا[4] كَـدَار بـين تَلْعـةَ والنَّظِيـم

---

(١) البيت من الكامل ، للأخطل فى ديوانه ص ٢٥٣ ، وتاج العروس (مرغ) ويروى : (ملالا) بدلا من : (بلالا) .

(٢) (بلالا) القاضى ابن أبي موسى الأشعرى (وللأخطل) يمـدح بنى دارم جـد الفـرزدق ويهجـو جريراً وقبله :

إن العـرارة والنبـح لـدارم والمسـتخف أخوهـم الأثقـال

المـانعين المـاء حتـى يشـربوا عفواتـه ويقسـموه سـجالا

وابن المراغة ......البيت .(والعرارة) :" بفتح العين" السؤدد والرفعة(والنبوح) :" بضم النون" الجماعة الكثيرة من الناس (عفواته) جمع عفوة" مثلث العين" : وهى صفوة كل شـيء مـن مـاء ومـال (وابن المراغة) : المراغة فى الأصل الموضع تتمرغ فيه الدواب وتقـال أيضـا للأتـان التى لا تمتنـع مـن الفحول يريد أن أمه يتمرغ عليها الرجال ويقال إن كليبا كانت أصحاب حُمر والأعيار جمع عير وهو الحمار ، والقصية والقصي: الموضع المتنحَّى البعيد والبلال :"بكسر الباء" ما بل الحلق مـن مـاء أو لـبن وغيره يريد ما يذقن شيئا .

(٣) ديوانه جـ ٢١٧/١ .

(٤) (مررت على) :رواية ابن حبيب وقفت على الديار وتلعة : اسم مـاء لبنـى سـليط بـن يربـوع قرب اليمامة، والنظيم : من قلات عارض اليمامة . والقلات جمع قلت " بفتح فسكون" نقرة فى جبل أو صخر أو أرض صلبة تمسك الماء ، وعن ابن شميل : النظيم شعب فيه غُدر وقلات متواصلة بعضها قريب من بعض وجمعه نظم "بضمتين": والمنتأى موضع النؤى من انتأى الجبل إذا حفـر نؤيـا حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يميناً وشمـالاً ، ومطايـا القـدر : أثافيهـا علـى سـبيل الاسـتعارة (كالحدأ الجثوم) جمع جاثمة علـى غـير قيـاس مـن جثـم الطـائر والأرنـب والخشـف والإنسـان يجثـم "بالكسر والضم"جثما وجثوما إذا تلبد بالأرض ولصق بها فلم يبرح رغبة الآمل ٧٥/٧.

عَرَفْـتُ المُنْتَـــأى وعرفـــتُ منهـــا   مَطايَـــا القِـــدْر كَـــالحِدَأِ الجُثُـــوم

وقال آخر :

لقـد تَبَلَـتْ[1] فُـؤَادَكَ يَـوْمَ وَلَّـتْ   ولم تَخْـــشَ العُقُوبـــةَ في التوَلِّـــي

عَرَفْـتُ الـدارَ يـومَ وَقَفْـتُ فِيهَـا   بريـــح المِسْـــكِ تَنْفَـــحُ في المَحَـــلِّ

* * *

(١) (تبلت فؤادك): أسقمته يقال: تبله الحب يتبله"بالضم" تبلا أو تبلـه: أسـقمه و أفسـده أو ذهـب بعقله.

باب من أخبار الخوارج

قال أبو العباس : ذكر أهل العلم من الصُّفْرِيَّة أن الخـوارج لما عزمـوا علـى البيعـة لعبد اللَّه بن وهب الراسبي من الأزد تَكَرَّهَ ذلك ، فأبوا مَن سواه ، ولم يريدوا غيره . فلمـا رأى ذلك منهم قال : يا قوم استَبِيتُوا الرأيَ ، أي : دعوه يَغِبُّ وكان يقـول : نعـوذُ باللّـه من الرأيِ الدَّبَرِيِّ .

قوله: "استبيتوا الرأي" يقول : دَعُوا رَأيكم تأتي عليـه ليلـةٌ ثـم تعقبـوه ، يقـال:" بَيَّـت فـلانٌ كـذا وكـذا " : إذا فعلـه ليـلاً وفي القـرآن : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُـونَ مـا لا يَرْضَـى مِـنَ الْقَوْلِ ﴾[1] أي: أَدَارُوا ذلك بينهم ليلاً ، وأنشد أبو عبيدة :

أَتَوْنِـي فلـم أَرْضَ مـا بَيَّتُـوا ... وكـانوا أَتَوْنـي بـأمْرٍ نُكُـرْ
لأُنْكِـحَ أَيِّمَهُـمْ مُنْـذِرًا ... وهـل يُنْكِـحُ العَبْدَ حُـرٌّ لِحُـرْ؟![2]

و " الرأي الدَّبَرِيُّ " : الذي يَعْرِضُ بعد وقوع الشيء ، كما قال جرير:

ولا يَعرفـونَ الشـرَّ حتـى يُصيبَهـم ... ولا يعرفـونَ الأَمْـرَ إلاَّ تَدَبُّـرا[3]

وكان عبد اللَّه بن وهب ذا رأي وفهم ، ولسان وشجاعة وإنما لجئوا إليه وخلعـوا معدان الإيادي لقول معدان[4]:

سـلامٌ علـى مَـنْ بـايَعَ اللَّـه شَـارِيًا ... وليـس علـى الحِـزْبِ المُقِيـم سَـلامُ

فبرئت منه الصفرية ، وقـالوا : خـالفتَ ؛ لأنـك برئـت مـن القعـد[5]. قـال أبـو العباس: والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ، ومن ذي المعصية الظاهرة .

* * *

---

(١) سورة النساء : ١٠٨ .

(٢) البيتان من المتقارب ،للأسود بن يعفر فى ديوانه ص٦٧ ، ولسان العرب (نكر)، والتنبيه والإيضاح ٢١٨/٢ ، وتاج العروس (نكر)، وبلا نسبة فى كتاب العين ١٣٧/٨، والمخصص ٢/١٧ ، وديوان الأدب ٢٦١/١ .

(٣) البيت من الطويل ، لجرير فى ديوانه ص٤٧٩، ولسان العرب (دبر). ويروى الشطر الأول :
ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ....

(٤) شعر الخوارج ص ٣١ .

(٥) القعد : القعد من الخوارج : الذين قعدوا عن الخروج على الناس .

وحُدِّثْتُ أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رُفقة ، فأحسوا الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقالوا : شأنك ، فخرج إليهم ،فقالوا :ما أنت وأصحابك ؟ فقال: مُشْرِكونَ مُسْتَجيرونَ ، ليسمعوا كلام اللّه ، ويفهموا حدوده ، فقالوا :قد أجرناكم!قال: فعلمونا ، فجعلوا يعلمونه أحكامهم، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي، قالوا: فامضوا مُصَاحَبِينَ ، فإنكم إخوانُنا ! قال : ليس ذلك لكم ، قال اللّه تبارك وتعالى:﴿**وإنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾[1] فأبلغونا مأمننا، فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم قالوا : ذاك لكم ، فساروا بجمعهم حتى بلغوهم المأمن .

* * *

وذكر أهلُ العلم من غير وجه أن عليًّا ـ رضي اللّه تعالى عنه ـ لما وجهَ إليهم عبد اللّه بن العباس ـ رحمة اللّه عليه ـ لِيُنَاظِرَهم ، قال لهم : ما الذي نَقِمْتُمْ[2] على أمير المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميرًا ، فلما حَكَّمَ في دين اللّه خَرجَ من الإيمان ، فليتب بعد إقراره بالكفر نَعُدْ لَهُ ! فقال ابن عباس : ما ينبغي لمؤمنٍ لم يَشُبْ إيمانَهُ شكٌّ أن يُقِرَّ على نفسه بالكفر.قالوا:إنه قد حَكَّمَ ، قال:إنَّ اللّه عَزَّ وجلَّ قد أَمَرَنَا بالتحكيم في قتل صَيدٍ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يَحْكُمُ به ذوا عَدْلٍ منكم**﴾[3] فكيف في إمامةٍ قد أَشْكَلتْ على المسلمين ؟! فقالوا : إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ . فقال : إنَّ الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان ، لما خالفا نُبذتْ أقاويلهما .فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريشٍ حُجَّةً عليكم!فإن هذا من القوم الذين قال اللّه عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[4] وقال عزَّ وجلّ :﴿**وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾[5].

* * *

---

(١)سورة التوبة : ٦ .

(٢) بهامش بعض النسخ : " ابن شاذان : يقال : نقمت على فلان كذا وكذا ونقمت وقد قرئ بهما جميعاً : ﴿ وما نقموا منهم ﴾. وفلان ناقم على فلان .

(٣) سورة المائدة : ٩٥ .

(٤) سورة الزخرف : ٥٨ .

(٥) سورة مريم : ٩٧ . وفي بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قال أبو عمر : اللَّدَدُ : شدة الخصومة ، والرجل ألدُّ ، والقوم لدٌّ ، وكذا فسر في القرآن " .

والشيء يُذكرُ بالشيء ، وجاء في الحديث أن رجلاً أعرابيًّا أَتى عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ فقال : إني أصبتُ ظبيًا وأنا مُحْـرِمٌ ؟ فـالتفتَ عمـرُ إلى عبـد الرحمـن بـن عوف ، فقال : قل ، فقال عبـد الرحمـن : يُهْـدِي شـاةً ، فقـال عمـرُ : أهْـدِ شـاةً ،فقـال الأعرابي : واللّهِ ما دَرَى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره ! فخفقه عمـرُ ـ رضـوان اللّهِ عليه ـ بالدرةِ ، وقال : أتقتُلُ في الحرم وتغمص[1] الفتيـا ؟! إن اللّـه عـزَّ وجـلَّ يقـول: ﴿يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾ فأنا عمر بن الخطاب ، وهذا عبد الرحمن بن عوف.

قال أبو العباس : وفي هذا الحديث ضروب من الفقـه : منهـا مـا ذكـروا أن عبـد الرحمن قال أولاً : ليكون قـولُ الإمـام حُكْمًـا قاطعًـا . ومنهـا : أنـه رأى أن الشـاة مثـل الظبية ، كما قال اللّه عزَّ وجلَّ : ﴿ فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾[2] . وأنه لم يسـأله : أقتلت صيدًا قبله وأنت محرم ؟ لأن قومًا يقولون : إذا أصاب ثانيةً لم يُحْكَمْ عليـه ، ولكنّـا نقول له : اذهب فاتقِ اللّه،لقوله تعالى:﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ منه﴾ [3].

* * *

قال أبو العباس : ومن طريف أخبار الخوارج قول قَطَرِيٍّ بن الفُجاءة المازني لأبـي خالد القناني [4] ، وكان من قَعَدِ الخَوارجِ :

أبـا خـالدٍ انْفِـرْ فَلَسْـتَ بخَـالدٍ ... َمَـا جَعَـلَ الرحمـنُ عـذْرًا لِقـاعدِ

أتَزْعُـمُ أنَّ الخـارجيَّ على الهُـدَى ... أنـت مُقيـمٌ بـين لِـصٍّ وجـاحِدِ[5]

فكتب إليه أبو خالد [6] :

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابـن شـاذان : يقـال : غمـص نعمـة الله يغمصهـا غمصـاً : إذا كفرها وغمصت الرجل : إذا طعنت فيه وغبته " .

(٢) سورة المائدة : ٩٥ . وجزاءٌ منونة مرفوعة ومثل مرفوع ، هي قراءة عاصم وحمـزة والكسـائي . وضبط في بعض النسخ : ﴿ فجزاءُ مثلِ ﴾ مضمومة مضافة ويخفض ، مثل وهي قراءة بـاقي السبعة . انظر السبعة لابن مجاهد ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) سورة المائدة : ٩٥ . بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : معنى قولهم : انتقـم الله منـه أي : عاقبه ، والنقم معروفة ، الواحدة نقمة " .

(٤) (القناني)" بفتح القاف" نسبة إلى قنان وهو جبل لبني أسد.

(٥) البيتان من الطويل ، لقطرى بن الفجاءة المازني فـى شـعراء الخـوارج ص٤١ ، ولسـان العـرب (كرم) ولعيسى الحبطي في الأغاني ١٨/١٢٠ .

(٦) انظر شعر الخوارج ص ٥٧ ـ ٥٨ . وتنسب الأبيات لعيسـى بـن فـاتك ، ولمحمـد بـن عبـد الله الأزدي ، ولسعيد ابن مسجوح (أو مسحوج) الشيباني ، ولغيرهم .انظر شرح أبيات مغني اللبيـب ٧/١٣٨ ـ ١٤٠ ، وشعر الخوارج .

وقال البغدادي : " وكتب الإمام "قطلوبغا" في هـامش " الكـامل " : وأنشـد أبو عبـد الله محمـد بـن المعلى الأزدي في كتاب " الترقيص " من تأليفه ، أنشدنا أبو رياش لمحمد بن عبد الله الأزدي :

لقد زاد الحياة إلي حبًا ....

لقـــد زادَ الحيـــاةَ إليَّ حُبـــا	بنـاتِي ، إنهـنَّ مـن الضِّعَـاف
أُحَـاذِرُ أنْ يَرَيْـنَ الفقْـرَ بَعْـدِي	وأن يَشْـرَبْنَ رَنْقًـابعدَ صَـاف[1]
وأنْ يَعْرَيْـنَ إنْ كُسِـيَ الجَـواري	فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَم عِجَـافِ[2]
ولـولا ذاكَ قـد سَـوَّمْتُ مُهْـري	وفي الرحمـن للضُّعَفـاء كـافِ
أبانَـا مَـنْ لنـا إنْ غِبْـتَ عنّـا	وصارَ الحيُّ بَعْدَكَ في اختلافِ[3]

* * *

وهذا خلافُ ما قال عمران بن حطان ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وكان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم ـ قال لما قُتِلَ أبو بلالٍ ـ مرداس بن أُدية ، وهي جدته ، وأبوه حدير، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ قال عمران[4]:

---

(١)(أحاذر أن يرين) أنشده ابن برى " مخافة أن يرين البؤس بعدى "و (الرنق) "بسكون النون" الماء الكدر يقال : رنق الماء "بالكسر" رنقا" بالتحريك " فهو رنق "بكسر النون وسكونها " كدر . بهامش بعض النسخ أن يذقن . وفيه أيضاً :" البؤس بعدي " وعليه "ع" يعنى رواية أبي علي .
وبهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : الرنق : الكدر ، ورنق يرنق ورنقا وهو ماء رنق ".
وزاد بعده في هامش بعضها بخط آخر :

وأن يضطرهـــن الدهـــر يومـــاً	إلى غمـــر غليـــظ القلـــب جـــافي

(٢) أنشد قوله: وأن يعرين إن كسى الجوارى "بفتح الكاف" شاهد أن يقال : كسى يكسى كرضى يرضى بمعنى اكتسى ، فأما كسوته ثوبا فإنما تعدى لاثنين لنقله من فعل" بالكسر"إلى فعل"بالفتح" مثل النقل بالهمزة وبالتضعيف يقولون: شترت عينه" بالكسر" وشترت أنت عينه" بالفتح" (عجاف): جمع عجفاء على غير قياس .
(٣) الأبيات من الوافر ، لأبى خالد القانى فى ديوان الخوارج ص٢١ ،ولسان العرب (كرم)، ولسعيد ابن مسجوج الشيبانى فى لسان العرب (كسا)، وتاج العروس (كسا)، ولعمران بن حطان أو لعيسى الحبطى فى الأغانى ١١٢/١٨ ،وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢٧٠/١،وإصلاح المنطق ص٦٠، ومغنى اللبيب ٥٢٧/٢،والممتع فى التصريف ٥٣٦/٢،والمنصف١١٥/٢ .
(٤) انظر شعر الخوارج ص ١٤٢ - ١٤٣ . وتنسب لسعيد بن مسجوح .

لقـــد زادَ الحيـــاةَ إليَّ بُغْضًـــا وحُبًّـــا للخُـــرُوج أبـــو بـــلال

أُحَـاذِرُ أنْ أمـوت علـى فِرَاشـي وأَرْجو المـوت تَحتَ ذُرَى العَوالِي[1]

فَمـنْ يَـكُ هَمُّـه الدنيـا فـإنّي لَهَـا واللّـه ربِّ البيـتِ قـالِي

وفيه يقول[2] :

يـا عَيْنُ بَكّي لِمِـرْدَاس ومَصْرَعِـهِ يـا رَبَّ مِـرْدَاس اجْعَلْنِي كمِـرْداس

تركْتَـني هائمًـا أبكـي لِمَرْزِئَتِـي في منزل مُوحـش مـن بَعْـدِ إينـاس

أنكرتُ بَعدَك مَـن قَـدْ كُنْتُ أعْرفُـه مـا النَّـاسُ بعـدَك يـا مِرْداسُ بالنـاس

إمَّـا شَـرِبْتَ بكـأس دَارَ أوَّلُهـا على القُـرون فذاقُـوا جُرْعَـةَ الكاس

فكـلُّ مَـنْ لم يَذُقْها شـاربٌ عَجـلاً منهـا بأنفـاس ورْدٍ بعـدَ أنْفَـاس

* * *

قال أبو العباس : وكان من حديث عمران بـن حطـان فيمـا حدثـني العبـاس بـن الفرج الرِّيَاشِيّ عن محمد بن سلام أنه لما أطرده الحجاج كان ينتقل في القبـائل ، فكـان إذا نزل في حي انتسب نسبًا يَقْرُبُ منه ، ففي ذلك يقول [3]:

نَزَلنـا في بَـني سَـعْدِ بـن زيـدٍ وفي عَـكٍّ وعـامِرِ عَوْثَبَـان[4]

وفي لَخْـم وفي أُدَدٍ بـن عَمـرو وفي بَكْـر وحَـيِّ بـني العَـدَان

---

(١) بعده في بعض النسخ :

ولـو أنـي علمـت بـأن حتفـي كحتـف أبـي بـلال لم أبـال

(٢) شعر الخوارج ص ١٤١ .

(٣) شعر الخوارج ص ١٦٥ .

(٤) في بعض النسخ : " عامر عوثبان : قبيلة من الأزد . والعدان من بني مـدلج مـن ولـد زاهـر بـن مراد . وقد قيل : هو عوثبان بن زاهر بن مراد بن يحابر ، وهو مراد .ويقال : عوبثـان ، بتقديـم البـاء فوعلان من عبث ولا ريب أنها زيادة من الرواة أو النساخ .وعوثبان بتقديم الثاء كذا وقـع أيضاً في أكثر أصول جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٠٧ ، واتهمه صاحب التاج (عثب) بأنـه مصحـف عن عوبثان بالباء والثاء . والعدان فيما قال صاحب الحاشية من بني مدلج من ولد زاهـر بـن مـراد، وفي هامش بعض النسخ : " بني مدلج " وفي اللسان والتاج أنها قبيلة من بني أسد ! .

ثم خرج حتى نزل عند رَوح بن زنْباع الجُذامي ، وكان روح يَقْرِي الأضيافَ ، وكان مسامرًا لعبد الملك بن مروان أثيرًا عنده ، وانتمى له من الأزد . وفي غير هذا الحديث أن عبد الملك ذكره فقال : من أُعْطِيَ ما أُعْطِيَ أبو زُرعة ؟ أعطي فقه أهل الحجاز، ودهاء أهل العراق ، وطاعة أهل الشأم .

رجع الحديث ، وكان روح بن زنباع لا يسمعُ شعرًا نادرًا ولا حديثًا غريبًا عند عبد الملك ، فيسأل عنه عمران بن حِطان إلا عرفه وزاد فيه ، فذكر ذلك لعبد الملك فقال: إن لي جارًا من الأزد ما أسمع من أمير المؤمنين خبرًا ولا شعرًا إلا عرفه وزاد فيه، فقال : خَبِّرني ببعض أخباره ، فخبَّره وأنشده ، فقال : إن اللغة عدنانية ، وإني لأحسبه عمران بن حطان ، حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان [1]:

يا ضَرْبةً مِنْ تَقيٍّ ما أرادَ بها ... إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْش رِضْوانا

إنِّي لأذْكُرُهُ حِينًا فَأحْسِبُهُ ... أوْفَى البَرِيَّةِ عندَ اللّهِ مِيزَانا[2]

فلم يدر عبد الملك لمن هو ، فرجع روح فسأل عمران بن حطان عنه ، فقال عمران : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب ، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : ضَيفُك عمران بن حطان، اذهب ، فجئني به ، فرجع إليه ، فقال : إن أميرَ المؤمنين قد أحب أن يراك ، قال عمرانُ: قد أردتُ أن أسألك ذلك فاستحييت منك ، فامض فإني بالأثر ! فرجع روحٌ إلى عبد

---

(١) بعده في بعض النسخ : يمدح ابن ملجم لعنه الله والبيتان في شعر الخوارج ص ١٤٧ .

(٢) بعده فى زيادات بعض النسخ: قلبه الفقيه الطبرى فقال :

يا ضربةً من شقى ما أراد بها ... إلا ليهدم من ذى العرش بنيانا

إنى لأذكرهُ يوماً فألعنهُ ... إيهًا وألعن عمران بن حطّانا

وبعده أيضًا من هامش بعض النسخ :

قال محمد بن أحمد الطيب يردّ على عمران بن حطان :

يا ضربةً من غدور صار ضاربها ... أشقى البرية عند الله إنساناً

(إذا تفكرتُ فيه ظلتُ ألعنُه ... وألعن الكلب عمران بن حِطّانا)

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح إلى عمران بن حطان فسأله عنه.

الملك فأخبره ، فقال له عبدُ الملك : أما إنك سترجع فلا تجده ! فرجع وعمرانُ قد ارتحل وخلف رقعة فيها :

يا رَوْحُ كَمْ مِنْ أخِي مَثْوًى نَزَلْتُ به ... قَدْ ظَنَّ ظَنَّكَ مِنْ لَخْمٍ وَغَسَّان

حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ مَنْزِلَهُ ... مِنْ بَعْدِ ما قيلَ : عمرانُ بنُ حِطَّان

قد كنتُ جارَكَ حَوْلاً ما تُرَوِّعُني ... فيه رَوائعُ مِنْ إنْس ومِنْ جان

حتى أردتَ بيَ العُظْمَى فأدركني ... ما أَدْرَكَ الناسَ مِنْ خَوْف ابن مَرْوَان

فاعْذِرْ أخاكَ ابنَ زنْباع فإنَّ له ... في النائباتِ خُطوبًا ذاتَ ألوان

يومًا يَمان إذا لاقيتُ ذا يَمَن ... وإنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنانِي

لو كُنْتُ مَسْتَغْفِرًا يومًا لطاغيةٍ ... كُنْتَ الْمُقَدَّمَ في سِرِّي وإعْلانِي

لكنْ أبَتْ لِيَ آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عِنْدَ الولايةِ في طَهَ وَعِمْران[1]

ثم ارتحل حتى نزل بزُفَرَ بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، فانتسب له أوزاعيًا ، وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلمان من بني عامر يضحكون منه ، فأتاه رجل يومًا ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه ، فدعاه زفر فقال : مَنْ هذا! فقال : رجلٌ من الأزد رأيته ضيفًا لروح بن زنباع ، فقال له زفر:يا هذا ! أأزديًّا مرةً وأوزاعيًّا أخرى ؟! إن كنت خائفًا آمناك وإن كنت فقيرًا جبرناك ، فلما أمسى هرب وخلف في منزله رقعةً فيها :

إنَّ التي أَصْبَحَتْ يَعْيَا بها زُفَرٌ ... أعْيَتْ عَياءً على رَوْح بن زنْباع

قال أبو العباس : أنشدني الرياشي[2]:

أَعْيَا عَيَاها على رَوْح بن زنْبَاع

وأنكره كما أنكرناه [3] لأنه قصر الممدود ، وذلك في الشعر جائزٌ ، ولا يجوز مد المقصور .

---

(١) الأبيات من البسيط ، لعمران بن حطان في ديوانه ٣٨٨/٤ والبيت الثالث في تاج العروس(نوبندج)،(نقن) . والسادس في خزانة الأدب ٣٥٧/٥، وشرح شافية ابن الحاجب ١٤/٢.

(٢) الأبيات في شعر الخوارج ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) الضمير في "أنكرناه" يعود على المصدر وهو " الإنكار " أي : كما أنكرنا إنكاره . وذلك أنَّ الرياشي أنكر قصر " عياها " وهو ممدود ، فأنكر المبرد إنكار الرياشي ذلك ؛ لأن قصر الممدود في الشعر جائز . أفاده محقق (س) عن شيخه أحمد النفاخ

مـا زَالَ يَســألُني حَـوْلاً لأُخْـبرَهُ | والنـاسُ مـن بـين مَخْـدوع وخَـدَّاع
حتـى إذا انقطعـتْ عـني وَسَـائِلُهُ | كَـفَّ السـؤالَ ولم يُولَـعْ بـإهْلاَعِي
فَاكْفُفْ كمـا كَـفَّ عَنّي إنّـي رَجُـلٌ | إمَّـا صَمِيـمٌ وإمَّـا فَقْعَـةُ القَـاع
واكْفُفْ لسانَكَ عن لَوْمـي ومَسْألتِي | مـاذا تُريـدُ إلى شَـيْخ لأَوْزَاع[1]
أما الصَّـلاةُ فـإنّي لَسْـتُ تاركَهـا | كُلُّ امْـرئٍ في الـذي يُعْنَـى بـه سـاعِي
أكْـرمْ بَـروْح بـن زنْبـاع وأُسْـرَتِه | قـومٌ دَعَـا أوَّلِيهـمْ لِلْعُلَـى دَاعـي
جـاوَرْتُهُمْ سـنَةً فيمـا أُسَـرُّ بـه | عِرْضـي صَحيـحٌ ونَوْمـي غـيرُ تَهْجـاع
فـاعْمَلْ فـإنَّكَ مَنْعِـيٌّ بواحـدةٍ | حَسْبُ اللَّبيبِ بهذا الشَّيْبِ مـن نـاعي

ثم ارتحل حتى أتى عمان ، فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال ويظهرونه،فأظهر أمره فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى أهل عمان فهرب عمران حتى أتـى قومًا مـن الأزد فلم يزل فيهم حتى مات . وفي نزوله بهم يقول :

نَزَلْنـا بحَمْـدِ اللّـهِ في خَـيْر مَـنْزل | نُسَـرُّ بمـا فيـهِ مِـنَ الأُنْـس والخَفَـرْ
نزَلْنـا بقَـوْم يَجْمَـعُ اللّـهُ شَـمْلَهُمْ | وليـس لهـم عُـودٌ سِوى المجْدِ يُعْتَصَـرْ
مِـن الأَزْدِ إنَّ الأَزْدَ أكْـرَمُ أُسْـرَةٍ | يَمانِيَـةٍ طـابُوا إذا نُسِـبَ البَشَـرْ
فـأَصْبَحْتُ فيهـم آمنًـا لا كَمَعْشَـر | أتَوْنِـي فقـالوا : مِـنْ رَبيعَـةَ أوْ مُضَـرْ
أَمِ الْحَيِّ قَحْطـان ؟ وتِلْكُـمْ سَـفاهةٌ | كمـا قـال لي رَوْحٌ وصاحِبُـهُ زُفَـرْ
وَمَـا مِنهمـا إلاَّ يُسَـرُّ بنُسـبةٍ | تُقَرِّبُنِـي مِنْـهُ وَإنْ كَـانَ ذَا نَفَـرْ
فَنَحْـنُ بَنُـو الإسْـلاَم واللّـهُ وَاحِـدٌ | وأَوْلَـى عبـادِ اللّهِ باللّهِ مَنْ شَكَرْ [2]

قوله : يا رَوْحُ كم مِن أخِي مَثْوًى نَزَلْتُ به

---

(١) اللام في " لأوزاع " هي لام النسب كما سماها الشيخ العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله. انظر طبقات فحول الشعراء ٦١٤ التعليق (١) .

(٢) الأبيات من الطويل ، لعمران بن حطان فى ديوانه ص١١١، وبلا نسبة فى الخصائص ٢/٢٨١ ومغنى اللبيب ٢/٥٦٩،٥٧٠ .

قد مر تفسيره ، يقال : " هذا أبـو مَثْـوَايَ " وللأُنثى " هـذه أم مثـواي " ومـنزل الإضافـة ومـا أشبهها " المَثْـوَى " ، وكذلـك قـال المفسـرون في قـول اللّـه عـز وجـل: ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾[1] أي إضافتـه ، ويقـال مـن هـذا : " ثَـوَى يَثْـوِي ثُوِيًّـا " كقولـك: "مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا" ، ويقال : " ثواءً " و " مَضاءً " ، كما قال [2]:

طَـالَ الثَّـوَاءُ علـى رَسْـمٍ بِيَمْئُـودِ   أَوْدَى وكـلُّ جَديـدٍ مَـرّة مُـودي

وقوله :

فِيهِ رَوَائِعُ مِن إنسٍ ومِن جَانِ

الواحدةُ " رَائِعة " يقال : رَاعَنِي يرُوعني رَوْعًا " أي : أَفْزَعَنِي ، ومـن ذلـك قولـه تعالى : ﴿ فلمَّا ذَهَبَ عن إبْراهِيمَ الرَّوْعُ ﴾[3] ويكونُ " الرائعُ " الجميلُ ، يقال: جَمَـالٌ رائعٌ ، يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما ، وأحسب الأصل فيهما واحدًا: أنه يُفْـرِطُ حتى يَروع ، كما قال اللّه جلَّ ثناؤُهُ : ﴿ يَكادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصـارِ ﴾[4] للإفـراط في ضيائه ، و"الرائع" مهموزٌ، وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينُه ياء أو واوٌ ، إذا كـانت معتلةً ساكنة ، تقول : " قال يقول " و " باع يبيع " و " خافَ يَخَافُ " و"هـاب يَهَـاب" يَعْتَلُّ اسمُ الفاعل فَيُهْمَزُ موضعُ العين ، نحو " قائل " و " بـائع "و" خـائفٍ " و " هـائبٍ". فإن صحتِ العينُ في الفعل صحتْ في اسم الفاعل، نحو:" عَوِرَ الرجلُ فهو عـاورٌ "و"صَيِـدَ فهو صايدٌ" ، و " الصَّيَـدُ " : داءٌ يـأخذُ في الـرأس والعينـين والشُّـؤُون ، وإنمـا صَحَّـتْ في "عَوِرَ" و " حَوِلَ " و " صَيِـدَ " لأنـه منقـولٌ مـن " احْـوَلَّ " و " اعْـوَرَّ " . وقـد أحكمنـا تفسيرَ هذا في الكتاب المُقْتَضَب [5].

وقوله :

يومًـا يَمـانٍ إذا لاقيـتُ ذا يَمَـنٍ   وإنْ لَقِيـتُ مَعَدِّيًّـا فَعَدْنـانِي

---

(١) سورة يوسف : ٢١ .

(٢) فى بعض النسخ : كما قال الشماخ . والبيت له ، ديوانه ، ق ٤/١ ص ١١١ .

(٣) سورة هود : ٧٤ .

(٤) سور النور : ٤٣ .

(٥) انظر المقتضب ٩٩/١ - ١٠٣ .

يُريد:أنا يوما يمان،ولو أن الشعر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا،على معنى:أتَنَقَّلُ،يومًا كذًا ويومًا كذا،والرفع حسنٌ جميلٌ،وهذا الشعر يُنشدُ نصبًا [1]:

أفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا [2] جَفَاءً وغِلْظَةً [3] وفي الحرب أمثالَ النساءِ العَوَارِكِ

وهن الحوائض . وكذلك :

أفي الوَلاَئِمِ أولادا لِوَاحِدَةٍ وفي المحافِلِ أولادا لِعَلاَّتِ [4]

قال : " العَلاَّتُ " سُمِّيتْ ؛ لأن الواحدة " تُعَلُّ " بعدَ صاحبتها ، وهو من " العَلَلِ " وهو الشرب الثاني ، أي : تتنقلون وتتحولون في هذه الحالات . ومن كلام العرب : أتميميًّا مرةً وقيسيًّا أخرى ؟ وكذلك إن لم تستفهم وأخبرت قلت : تميميًّا مرةً عَلِمَ اللّه وقيسيًّا أخرى ، أي : تتنقل . ومِنْ ثَمَّ قال له زُفَرُ بنُ الحارث : أأَزديًّا مرةً وأوْزاعيًّا أخرى ؟ والرفع على " أنتَ " جيدٌ بالغ .

وقوله :

لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيةٍ

يكون على وجهين : لنفسِ طاغيةٍ ، والآخرُ للمذكر ، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة ، كما يقال : رجل رَاويةٌ وعَلاَّمةٌ ونَسَّابةٌ ، وكلاهما وجْهٌ ، ويقال : جاءت طاغيةُ الرُّوم ، يرادُ الجماعة الطاغية ، كما قال رسول اللّه ﷺ : " **الفِئَةُ الباغِيَةُ** [5]" .

---

(١) بهامش نسخة مانصه : " هذا البيت لهند زوج أبي سفيان . وذلك أنها قالته حين نخس هبار ابن الأسود ناقة زينب بنت رسول الله ﷺ ،فسقطت وألقت ذا بطنها،فغضب لذلك أبو سفيان وقال: أبنت محمد تفعل ذلك لا أم لك ؟ فأسندت هند زوجه ظهرها للكعبة وقالت هذا البيت ، فلا يدرى أقالته أم تمثلت به ؟! اهـ. وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٣١١/٢.
والبيت من شواهد الكتاب ١٧٢/١ ، والمقتضب ٢٦٥/٣.

(٢) الأعيار : الحمير . واحدها عير .

(٣) (جفاء وغلظة)نصبا بطرح الخافض.تريد فى الجفاء والغلظة(العوارك)جمع العارك وهن الحوائض.

(٤) البيت من شواهد الكتاب ١٧٢/١ ، والمقتضب ٢٦٥/٣ .
وبهامش نسخة ما نصه :"بنو العلات أولاد لأمهات شتى . قال أبو علي : العلة : الضرة .وبنو العلات [بنو] الضرائر.

(٥) الحديث أصله فى الصحيحين ، أخرجه البخارى فى "الصلاة" باب :التعاون فى بناء المسجد (٦٤٤/١)،(ح٤٤٧)، وفي " الجهاد" باب: مسح الغبار عن الرأس فى سبيل الله ، (٣٦/٦)، (ح٢٨١٢) من حديث أبى سعيد الخدرى ، ومسلم فى " الفتن وأشراط الساعة ، باب :لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء،(ح٢٩١٥) من حديث أبي سعيد.، و(ح ٢٩١٦) من حديث أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ وانظر كثرة طرقه التى أوردها الحافظ فى الفتح (٦٤٦/١).

وقوله : " عندَ الولاية " إذا فتحتَ فهو مصدرُ " الوَلِيِّ " ، وفي القرآن : ﴿ مَا لَكُم مِنْ وَلاَيَتِهِم منْ شَيْءٍ ﴾[1] والولاية مكسورةٌ نحوُ : السياسة والرياضة والإيالة ، وهي الولاية ، وأصلهُ من الإصلاح ، يقال : " آلهُ يَؤُولُهُ أوْلاً " : إذا أصلحه ، قال عمر ابن الخطاب ﷺ : قد أُلْنا وَإيلَ علينَا . تأْويلُ ذلك : قد ولينا ووُلِيَ علينا . وهذه كلمةٌ جامعةٌ ، يقول : قد وَلينا فَعَلِمْنا ما يُصْلِحُ الوالِيَ ، ووُلِيَ علينا فَعَلِمْنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّة .

وقوله : **حتّى إذا انقطعت عنّي وسائلُه**

"الوسائل" واحدها " وسيلةٌ " وهي الذريعة والسبب ؛ يقال : تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رؤبة[2] بن العجاج :

والناسُ إنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصائِلا[3] ... كلٌّ إلينا يَبْتَغي الوَسائِلا

وقوله : " ولم يُولَعْ بإهْلاَعِي " أي : بإفزاعي وترويعي . والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاةِ الأقران ، يقال : نعوذ باللّه من الهَلَعِ . ويقال : رجلٌ هَلُوعٌ : إذَا كان لا يَصْبِرُ على خير ولا شَرٍّ ، حتى يفعل في كل واحدة منهما غيرَ الحَقِّ ، قال اللّه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[4] . وقال الشاعر :

وَلِي قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو[5] ... ونَفْسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاَعِ

وقوله : **إما صميم وإما فقعة القاعِ**

" الصَّميمُ " الخالصُ من كل شيء ، يقال : فلانٌ من صميم قومه ، أي : من خالصهم ، قال جرير لهشام بن عبد الملك :

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى ... شُؤونُ الرأس مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ

---

(١) سورة الأنفال : ٧٢ .

(٢) ديوانه ق ٤٥/٦٠ ، ٦١ ص ١٢٢ .

(٣) الفصائل جمع فصيلة ، وهي في الأصل القطعة من لحم الفخذ يراد بها أقرب العشيرة إلى الإنسان . يريد فرقتها فرقا(كل إلينا يبتغى الوسائلا) بعده :

قد حاربوا أخلاقنا الجلائلا ... ونتقوا أحلامنا الأثاقلا

فلم ير الناس لنا معادلا.

(٤) سورة المعارج : ١٩ - ٢٠ - ٢١ .

(٥) (الهلاع) "بالضم" كذلك الفزع.

وقوله : " وإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ " يقال لمن لا أصلَ له : هـو فَقْعَةٌ بِقَاعٍ ، وذلك لأنَّ الفقعةَ لا عُروقَ لها ولا أغصانَ ، والفَقْعةُ الكَمأةُ البيضاءُ ، ويقال : حَمَامٌ فِقِّيعٌ ، لِبَيَاضِه . ومن ذا قولُ الشاعر :

قومٌ إذا نُسِبُوا يَكونُ أبوهُمُ [1] **عند المَنَاسِبِ فَقْعَةً في قَرْقَرِ**

وقال بعض القُرَشِيين [2]:

إذا ما كنتَ مُتَّخِذًا خليلاً فلا تَجْعَلْ خليلَكَ من تميم

بَلَوْتُ صَمِيمَهُمْ والعبدَ منهم فما أَدْنَى العَبيدَ مِنَ الصَّميم

وقوله : **نُسَرُّ بما فِيهِ مِنَ الأُنْسِ والخَفَر**

فأصل " الخفر " شدة الحياء يقال : " امرأةٌ خَفِرَةٌ " : إذا كانت مستترةً لاستحيائها [3] ، قال ابن نُمير الثقفي :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ أن مشَتْ بِهِ زينبٌ في نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ

وقوله :" إنَّ الأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ " ، يقول : عصابةٍ وقبيلةٍ ، ويقالُ للرجل : من أي أُسرةٍ أنت ؟ وأصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقَتَبِ : " مأسُورٌ " وقد مضى تفسيره .

ويُنْشَدُ : **يَمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ**

يريد " قَرُبُوا " . وهذا جائز في كل شيء مضموم أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب ، تقول في الأسماء في " فَخِذٍ " " فَخْذٌ " وفي " عَضُدٍ " " عَضْدٌ " . وفي الأفعال تقول : " كَرْمَ عبدُ اللّه " أي: كَرُمَ ، و " قد عَلْمَ اللّه " أي: عَلِمَ اللّهُ ، قال الأخطل :

فإن أهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بازلٌ مِنَ الإبْلِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهِلُهْ [4]

---

(١) (المناسب) كأن واحده منسب كمقعد يريد عند التفاخر بالأنساب .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " هو الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب " اهـ والبيتان له من أبيات في أنساب الأشراف ٣/٣٠٠ ، ومعجم الشعراء ١٧٩.

(٣) بهامش الأصل ما نصه : " ليس هذا موضع الاستحياء ، وإنما الخفر في هذا الموضع الحفظ والرعي لأنه إنما يصف به جوار القوم " .

(٤) (قال الأخطل) : يهجو كعب بن جعيل" بالتصغير " من تغلب (من الإبل) أنشده الجوهرى من الأدم جمع آدم وأدماء . من الأدمة وهى فى الإبل البياض أو لون مشرب بياضا (دبرت)من الدبر " بالتحريك" وهو الجرح يكون فى ظهر الدابة من حمل أو قتب وصفحتاه جانباه والغارب ما بين السنام والعنق يقول: إن أهجه لحقه من الأذى مالحق بالبعير من الضجر والدبر .
كذا أنشده المبرد وفي المصنف ٢٠/١ ، و الإنصاف ١٢٣/١ : صفحتاه وغاربه "ونسبه الجوهري على هذه الرواية للأخطل ، و لم أجده في ديوان الأخطل على كلتا الروايتين.

وقال آخر [1]:

عَجِبْتُ لمولودٍ وليس لـه أبٌ[2]   وذي وَلَـدٍ لم يَلْـدَهُ أبَـوَانِ

ولا يجوزُ في " ضَرَبَ " ولا في " جَمَلٍ " أن يُسكَّنَ ، لخفة الفتحة .

وقوله: " أَتَوْني فقالوا : من ربيعةَ أو مُضَرْ " يقول : أمِنْ رَبيعةَ أم من مُضَر ؟

ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام،لأن " أم " التي جاءت بعدها تدل عليها، قال ابن أبي ربيعة :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وإنْ كُنتُ دَارِيا[3]   بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ[4]

---

(١) القائل رجل من أزد السراة . وقال العيني في المقاصد ٣٥٤/٣ : " وحكى أبو علي الفارسي أن قائله عمرو الجنبي ، وأنه لقي امرأ القيس في بعض المفاوز ، فسأله فقال له عمرو : عجبت لمولود البيت ، فأجابه امرؤ القيس : فذاك رسول الله عيسى بن مريم وآدم عليهما السلام ...."اهـ. وانظر حاشية الصبان علي الأشموني ٢٣٠/٢ . شاهد رقم (٤٢٩).

وذكر البغدادي في الخزانة مقالة أبي علي ، قال : " قال أبو علي الفارسي : إن عمرا الجنبي سأل امرأ القيس عن مراد الشاعر فأجابه بهذا الجواب " . اهـ . ومنه أخذ الشيخ خالد الأزهري في شرح التصريح ١٨/٢ .

وذكر السيوطي في شرح شواهد مغني اللبيب ١٣٦ أن البيت ينسب إلى رجل من أزد السراة وإلى عمرو الجنبي .

وإلى رجل من أزد السراة نسب في الكتاب ٣٤١/١ و ٢٥٨/٢ ، والأصول ٣٦٤/١ ، والمخصص ٢٢١/١٤ ، والصاهل والشاحج ٤٦٧ . وهو بلا نسبة في الخصائص ٣٣٣/٢ ، والإفصاح ٣٥٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٨/٤ و ١٢٣/٩ ، ١٢٦ ، وغيرها .

والبيت من شواهد الكتاب ٣٤١/١ و ٢٥٨/٢ ، والخزانة ٣٩٧/١ ، والمقاصد النحوية ٣٥٤/٣ .

(٢) أراد بالمولود عيسى ابن مريم وبذى ولد آدم عليهما السلام ويروى بعده :

وذي شامة سوداء فى حر وجهه   مخلدة لا تنقضى لأوان

ويكمل فى خمس وتسع شبابه   ويهرم فى سبع معا وثمان

يريد القمر يكمل فى الليلة الرابعة عشر وينقص نوره ليلة تسع وعشرين وأراد بالشامة الكلف الذي في وجهه وهو النقط الصغيرة السود.

(٣) قبله

فلما التقينا بالثنية سلمت   ونازعنى البغل اللعين عنانى

بدا لى منهما معصم حين جمرت   وكيف خضيب زينب ببنان

(٤) البيت من الطويل ،وهو لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه صـ٢٦٦،والأزهية صـ١٢٧،وخزانة الأدب ١٢٢/١،١٢٧،١٣٢،والدرر١٠٠/٦،وشرح أبيات سيبويه ١٥١/٢،شرح شواهد المغنى ٣١/١ ،وشرح المفصل ١٥٤/٨،والكتاب ١٧٥/٣ ،ومغنى اللبيب ١٤/١والمقاصد النحوية ١٤٢/٤،وبلا نسبة فى جواهر الأدب ص٣٥،والجنى الداني ص٢٣٥،ورصف المباني ص٤٥،وشرح ابن عقيل ص٤٩٦،وشرح عمدة الحافظ ص٦٢٠،والصاحبى فى فقه اللغة صـ١٨٤،والمحتسب ٥٠/١،والمقتضب ٢٩٤/٣،وهمع الهوامع ١٣٢/٢ .

يريدُ : أبسَبْعٍ ؟ وقال التميمي [1]:

لَعَمْرُكَ ما أَدِري وإنْ كنتُ داريًا[2] شُعَيْثُ ابنُ سَهْمٍ أم شُعَيْثُ ابنُ مِنْقَرِ[3]

الرواية على وجهين : أحدهما " من ربيعة أم مُضَرَ أمِ الحيِّ قَحْطان "

يريد : أذا أم ذا ؟ والأملَحُ في الرواية : "من ربيعةَ أو مضر أم الحيِّ قحطان" لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ ، فأراد من أحد هذين أم الحي قحطان ، لأنه إذا قال : أزيدٌ عندك أو عمرٌو ؟ فالجوابُ : نَعَمْ ، أو : لا ، لأن المعنى أأَحَدُ هذين عِندكَ ، ومعنى الأول : أيُّهما عندك .

وحدثني المازني أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل ، فقال لها : أين الزبير ؟ قالت : وما تريد إليه ؟ قال : أريد أن أباطشه ! فقالت : ها هو ذاك فصار إلى الزبير فباطشه ، فغلبه الزبيرُ ، فمر بها مَفْلُولاً ، فقالت [4]:

كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْرا

أَأَقِطًا أَوْ تَمْرا

أم قُرَشِيًّا صَقْرا[5]

لم تَشْكُكْ بينَ الأقط [6] والتمر فتقول : أيُّهما هو ؟ ولكنها أرادت : أرأيته طعامًا أم قرشيًّا صقرا ؟ أي : أأَحدَ هذين الوجهين رأيتَهُ أم صقْرًا ؟ ولو قالت : أأقطًا أم تمرًا لكان محالاً ، على هذا الوجه .

---

(١) سماه فيما سلف اللعين المنقري .

(٢) أنشده سيبويه للأسود بن يعفر و(شعيث) "مصغر آخره مثلثة" اسم رجل لا اسم حى و(سهم) ذكر السيرافى أنه حى من قيس و(منقر) بكسر الميم" ابن عبيد "بالتصغير" ابن مقاعس بن عمرة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) البيت من الطويل ،وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه صـ٣٧،وخزانة الأدب ١١/١٢٢،وشرح التصريح ٢ /١٤٣،وشرح شواهد المغنى صـ١٣٨،و الكتاب ٣/١٧٥،والمقاصد النحوية ٤/١٣٨، ولأوس بن حجر فى ديوانه ص٤٩ وخزانة الأدب ١١/١٢٨،وللأسود أوللعين المنقرى فى الدرر ٦/٩٨ وبلا نسبة فى أوضح المسالك ٣/٣٧٢،وشرح الأشمونى ٢/٤٢١، ولسان العرب ٢/١٦٢(شعث) والمحتسب ١/٥٠،ومغنى اللبيب ١/٤٢،والمقتضب ٣/٢٩٤،وهمع الهوامع ٢/١٣٢.

(٤) الأبيات في الكتاب ١/٤٨٨ ، والمقتضب ٣/٣٠٣ .

(٥) الرجز لصفية بنت عبد المطلب فى جمهرة اللغة صـ٧٠٨،والكتاب ٣/١٨٢،والمقتضب٣/٣٠٣، والأزهية صـ١٣٦.

(٦) الأقِطَ : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

وقوله : " وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ " معناه : وما منهما واحدٌ ، فحذف لعلم المخاطَب ، قال اللّه جلّ اسْمُه :﴿ وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[1] أي: وإنْ أَحَدٌ . ومعنى " إنْ " معنى " ما " قال الشاعرُ:

وما الدَّهْرُ إلاّ تَارَتَان فَمِنْهُما ... أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَح[2]

يريد : فمنهما تارةٌ .

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الإسْلاَمِ واللّهُ وَاحِدٌ ... وأَوْلَى عبادِ اللّهِ باللّهِ مَنْ شَكَرْ[3]

يقول : انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام ؛ لأن ولاية الإسلام قد قاربت بين الغرباء وقال اللّه عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّمَا المُؤْمِنُون إخْوَةٌ ﴾[4] وقال عزَّ وجلَّ فباعد به بين القرابة : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِك إنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[5] وقال نهار بن توسعة اليشكري :

دَعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ ... لِيُلْحِقَهُ بذِي النَّسَبِ الصَّمِيم[6]

---

(١) سورة النساء : ١٥٩ .

(٢) البيت من الطويل وهو لتميم بن مقبل فى ديوانه ص٢٤ وحماسة البحترى صـ١٢٣ والحيوان ٤٨/٣،وخزانة الأدب ٥٥/٥، والدرر١٨/٦ ،وشرح أبيات سيبويه ١١٤/٢،وشرح شواهد الإيضاح صـ ٦٣٤،والكتاب ٣٤٦/٢،ولسان العرب ٥٦٩/٢(كدح) ،ولعجيز السلولى فى سمط اللآلى ص٢٠٥، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ١٧٥/١٠ وشرح عمدة الحافظ ص٥٤٧،ولسان العرب ٩٧/٤ (ثور)،والمحتسب ١١٢/١،والمقتضب ١٣٨/٢،وهمع الهوامع ١٢٠/٢ .

(٣) البيت لابن مقبل فى ديوانه صـ٢٤ وهو من شواهد الكتاب ٣٧٦/١،و المقتضب ١٣٨/٢ .

(٤) سورة الحجرات : ١٠.

(٥) سورة هود : ٤٦.وقرأ الكسائي وحده من السبعة : (عملَ غيرَ) انظر السبعة لابن مجاهد ٣٣٤.

(٦) بهامش نسخة ما نصه : " نسب هذا الشعر المدائني إلى عيسى بن فاتك الخطي وأنشده : أبي الإسلام ....
وبعده :

بدعوى الجاهلية لم أجبهم ... ولا يدعو بها إلا أثيمُ

كلا الحيَّين ينصر مدعيه ... .البيت

وما حسبٌ ولو كرمت عروق ... ولكنّ التقي هو الكريمُ " اهـ.

ونسب لنهار في الشعر والشعراء ٥٣٧ ، و لعيسى بن فاتك في معجم الشعراء ٩٦ ، وانظر شعر الخوارج ص ٥٨.

أَبِـي الإِسـلامُ لا أَبَ لِـي سِـوَاهُ   إذا افتَخَـروا بقيـس أو تَمِيـم [1]

* * *

ويقال فيما يُرْوَى من الأخبار : إن أول من حكَّم عروة بن أُدَيَّةَ ، وأُدَيَّةُ جَـدَّةٌ لـه في الجاهلية ، وهو عروة بن حُدَير ، أحد بني ربيعة بن حنظلة .

وقال قوم : بل أولُ مَنْ حَكَّمَ رجلٌ يقال له : سعيدٌ من بني محاربِ بن خَصَفَةَ ابن قيس بن عيلان بن مضر .

و لم يختلفوا في إجماعهم على عبد اللّه بن وهب الراسبي ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ إلى غيره ، فلم يقنعوا إلا به ، فكان إمام القوم ، وكان يوصف برأْيٍ .

قال أبو العباس : فأما أول سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أُدَيَّةَ ، وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال : ما هذه الدنيئةُ يا أشعث ؟ وما هذا التحكيم ؟ أَشَرْطٌ أَوْثَقُ من شرط اللّهِ عزَّ وجلَّ ؟! ثم شهر عليه السيف والأشعث مُوَلٍّ ، فضرب به عجُزَ البغلة ، فَشبت البغلة فنفرت اليمانية ، وكانوا جل أصحاب علي ﷺ فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكي بن أعبد وشبث بن ربعي الرِّياحي إلى الأشعث ، فسألوه الصفح ، ففعل .

وكان عروة بن أُدية نجا من حرب النهروان ،فلم يزل باقيًا مدة خلافة معاوية، ثم أُتي به زياد ومعه مولى له ، فسأله عن أبي بكر وعمر ، فقال خيرًا ،ثم سأله فقال: ما تقول في أمير المؤمنين عثمان وأبي تراب ؟ فتولى عثمان ستَّ سنين من خلافته ، ثم شهد عليه بالكفر ! وفعل فى أمر عليٍّ مثل ذلك إلى أن حكَّم ، ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية ؟ فسبه سبًا قبيحًا ! ثم سأله عن نفسه ؟ فقال: أَوَّلُكَ لِزِنْيَةٍ وآخرُكَ لِدِعْوَةٍ ، وأنت بعد عاصٍ لربك ! ثم أمر به فضربت عنقه ، ثم دعا مولاه فقال : صِفْ لي أُمورَه ؟ فقال : أأطنب أم أختصر ؟ فقال : بل اختصر ، قال :ما أتيته بطعام بنهارٍ قط ، ولا فرشت له فراشًا بليل قط .

---

(١) الأبيات من الوافر ،وهو لنهار بن توسعة فى الدرر ٢١٨/٢،وشرح المفصل ١٠٤/٢،والكتاب ٢٨٢/٢، وبلا نسبة فى جواهر الأدب صـ٤٠٢ وهمع الهوامع ١٤٥/١ .

وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليًّا رضي الله عنه لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رضي الله عنه إياهم ، كان فيما قال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلتُ لكم: إن هذه مكيدة ووَهْنٌ ، وإنّهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم، أفعلِمْتُمْ أنه [ما] (١) كان منكم أحدٌ أكْرَهَ لذلك مني ؟ قالوا : اللهمَّ نَعَمْ .قال: فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه ، فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم اللّه عزَّ وجلَّ ، فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرَآءُ ، وأنتم تعلمون أنَّ حكم اللّهِ لا يَعْدُونِي ؟ قالوا : اللهم نعم - وفيهم في ذلك الوقت ابنُ الكَوَّاء (٢) - وهذا من قبل أن يذبحوا عبد اللّهِ بن خباب ، وإنما ذبحوه في الفرقة الثالثة بكَسْكَرَ(٣) - : فقالوا : حَكَّمْتَ في دين اللّه برأينا ، ونحن مُقرون بأنا قد كفرنا ، ونحن تائبون! فأقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك إلى الشأم!! فقال: أما تعلمون أن اللّه جلَّ ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجلٍ وامرأته ، فقال تبارك وتعالى: ﴿فابْعثُوا حَكمًا مِن أَهْلِهِ وحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾(٤) وفي صيدٍ أُصِيبَ في الحَرَمِ،كأرنب تساوى رُبْعَ درهم،فقال عزَّ وجلَّ : ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُم﴾(٥) ؟! فقالوا : إن عمرًا لَمَّا أَبَى عليك أن تقول في كتابك: "هذا ما كتبه عبدُ اللّهِ عليٌّ أميرُ المؤمنين" مَحَوْتَ اسمكَ من الخلافة،وكتبت"عليُّ بنُ أبي طالب " ، فقال لهم رضي الله عنه : لِي برسولِ اللّه ﷺ أسْوَةٌ حسنةٌ ، حيثُ أبى عليه سُهَيل بن عمرو أن يكتب " هذا كتابٌ كتبه محمدٌ رسولُ اللّه وسهيل بن عمرو " فقال : لو أقررتُ بأنكَ رسولُ اللّهِ ما خالَفْتُك ، ولكني أُقدمك لفضلك، فاكتب " محمدُ بن عبد اللّهِ " فقال لي : يا عليُّ ، امْحُ " رسولُ اللّهِ " فقلتُ : يا رسول اللّه ، لا تَسْخُو نفسي بِمَحْوِ اسمِك من النبوَّة ، قال رضي الله عنه :فقفني عليه ، فمحاه بيده ﷺ ، ثم قال: اكتُبْ "محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ" ثم تبسَّم إليَّ فقال:يا عليُّ ، أَمَا إنكَ سَتُسامُ مِثْلَها فَتُعْطِي(٦). فَرَجَعَ معه منهم ألفانِ من

---

(١) زيادة ("ما ") يقتضيها السياق . ورأى فليشر أيضاً وجوب زيادتها ، وانظر ما سيأتي .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن دريد [الجمهرة ١٨٧/١] : رجل كواء : خبيث اللسان شتّام للناس ".

(٣) كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط، القصبة التي بين الكوفة والبصرة .معجم البلدان ٦١/٤ .

(٤) سورة النساء : ٣٥ .

(٥) سورة المائدة : ٩٥ .

(٦) انظر أمر الهدنة في عمرة الحديبية في سيرة ابن هشام ٣ /٣٣١ - ٣٣٧ .وليس فيها ما قاله رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام .

حَرُوراَءَ [١]، وقد كانوا تَجَمَّعوا بها ، فقال لهم عليٌّ ﷺ: مَا نُسَمِّيكُمْ ؟ ثم قال : أنتم الحَرُورِيَّةُ ، لاجتماعِكم بحَرُوراَءَ .

والنسب إلى مثل " حروراء " : " حروراويٌّ " فاعلم ، وكذلك كل ما كان في آخره ألف التأنيث الممدودة ، ولكنه نُسِبَ إلى البلد بحذف الزوائد ، فقيل :"الحروري"

* * *

وقال الصَّلَتان العبدي [٢] في كلمة له :

أَرَى أُمَّـــةً شَـــهَرَتْ سَـــيْفَهَا ... وقـد زيـدَ في سَـوْطِها الأَصْبَحِـي

بَنَجْدِيَّـــــةٍ وحَرُورِيَّـــــــةٍ ... وأَزْرَقَ يَدْعُــــو إلى أزْرَقِــــي

فَمِلَّتُنَـــا أَنَّنَـــا المُسْـــلِمُونْ ... علــى دِيــن صِدِّيقِنَـــا والنَّبــي

وفي هذا الشعر مما يُستحسَنُ قوله :

أشــابَ الصَّغِــيرَ وأَفْنــى الكبــيرَ ... مَــرُّ الغَــداةِ وكَــرُّ العَشِــي

إذا لَيْلَـــةٌ هَرَّمَـــتْ يومَهـــا ... أَتَــى بعـــدَ ذلــك يـــومٌ فَتِــي

نَــروحُ ونَغْـــدُو لِحاجَاتِنَـــا ... وحاجــةُ مَــنْ عَــاشَ لاَ تَنْقَضِــي

تَمُــوتُ مــع المَــرْءِ حاجاتُــه ... وتَبْقَــى لــه حاجــةٌ مــا بَقِــي

قوله :

وقد زيدَ في سوطها الأَصْبَحِي

فإنه تُسمَّى هذه السياط الأصبحية ، يعني التي يُعاقبُ بها السلطانُ ، وتنسبُ إلى ذي أصبح الحميري ، وكان مَلِكا من ملوك حمير ، وهو أول من اتخذها ، وهو جد مالك ابن أنس الفقيه ﷺ .

" والنَّجْدية " تُنسَبُ إلى نَجْدَةَ بن عُوَيْمِرٍ ، وهو عـامرٌ الحنفي ، وكان رأسًا ذا مقالة مُفْردةٍ ، من مقالات الخوارج ، وقد بقى من أهلها قومٌ كثيرٌ . وكان نجدة يُصَلِّي

---

(١) قرية بظاهر الكوفة أو موضع على ميلين منها . معجم البلدان ٢/٢٤٥ .

(٢) الأبيات من كلمة له في الشعر والشعراء ١/٥٠٢ وعنه في الخزانة ١/٣٠٨ ، وعيون الأخبار ٣/١٣٢ ، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٣/١٢٠٩ ، والحيوان ٣/٤٧٧ ، إلا أن الجاحظ نسبها للصلتان السعدي . الأبيات من المتقارب وهي بلا نسبة فى لسان العرب ١٢/٦٠٧ (هرم).

بمكةَ بحذاءِ عبد اللهِ بن الزبير في جَمْعِهِ في كل جُمْعَةٍ وعبد اللّه يطلب الخلافة،فيُمْسِكان عن القتالِ من أجل الحرم،قال الراعي يخاطب عبد الملك :

إنِّـي حَلَفْـتُ علـى يَمِـينِ بَـرَّةٍ ... لا أَكْـذِبُ اليـومَ الخَليفـةَ قِيـلا

مـا إنْ أَتَيْـتُ أبـا خُبَيْـبٍ وافِـدًا ... يومًـا أُريـدُ بِبَيْعَتِـي تَبْديـلاَ

ولا أَتَيـتُ نُجَيْـدَةَ بـنَ عُوَيْمِـرٍ ... أَبْغِـي الهُـدَى فـيزِيدَني تَضْلِيـلا

مِن نِعْمةِ الرَّحْمنِ لا مِـن حِيلَـتي ... إنّـي أَعُـدُّ لَـهُ علـيَّ فُضـولاَ(١)

وفي هذه القصيدة :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعـوا حَيْزُومَـهُ (٢) ... بالأَصْبَحِيَّـةِ قائمًـا مَغْلُـولاَ

قوله :

وأَزْرَقَ يدعُو إلى أَزْرَقِي

يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكان نافع شجاعًا مُقَدَّمًا في فقه الخوارج . وله ولعبد اللّه بن عباس مسائل كثيرةٌ ، وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب إن شاء اللّه .

---

(١) الأبيات من الكامل وهى للراعى النميرى فى ديوانه صـ٢٣٣ ،ولسان العرب ٣٤٤/١،(خبب)،وتهذيب اللغة ١٧/٣ وتاج العروس ٣٣٣/٢(خبب) وإصلاح المنطق صـ٤٠١،وبلا نسبة فى المخصص ٢٢٨/١٣ .

(٢) قبله :

أخليفة الرحمن إنا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

عرب نرى لله فى أموالنا ... حق الزكاة منزلا تنزيلا

إن السعاة عصوك يوم أمرتهم ... وأتوا دواهى لو علمت وغولا

أخذوا العريف ..البيت، وبعده :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه ... لحما ولا لفؤاده معقولا

أخذوا حمولته وأصبح قاعدا ... لا يستطيع عن الديار حويلا

يدعوا أمير المؤمنين ودونه ... خرق تجريه الرياح ذيولا

والعريف القيّم بأمور القبيلة أو الجماعة يتعرف الأمير منه أحوالهم فهو فعيل بمعنى فاعل والجميع عرفاء وحيزومة صدره والحمولة :عن أبى الهيثم الإبل التى تحمل الأحمال " بفتح الحاء" والحمولة" بضمها " الأحمال التى تحمل عليها .

وقوله :

عَلَى دين صِدِّيقنا والنَّبي

فالعرب تفعل هذا ، وهو في الواو جائز ؛ أن تبدأ بالشيء والمُقَدَّمُ غيرُه ؛ قال اللّه عزَّ اسُمه ﴿ **واسْجُدِي وارْكِعي مَعَ الرَّاكِعينَ** ﴾ (١) وقال : ﴿**هـو الَّـذِي خَلَقَكـم فمنكم كافرٌ ومنكم مُؤْمِنٌ**﴾ (٢) وقال : ﴿ **يا مَعْشَرَ الجنِّ والإِنْسِ** ﴾(٣) وقال حسان بن ثابت :

بَهـالِيلُ منهـم جعفـرٌ وابـنُ أُمِّـهِ ... علـيٌّ ومنهـم أَحْمَـدُ المُتخَـيَّرُ(٤)

يعني : بني هاشم . ومن كلام العرب : رَبيعةُ ومُضَرُ وقَيْسٌ وخِنْدِفُ وسُلَيْمٌ وعامرٌ .

وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذوو الحَـدِّ والجِدِّ ، وهـم الذيـن أحـاطوا بـالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها ، وكان الباقون على الرحلة . فقلد المهلب حَرْبَهـم، فهزمهـم إلى الفرات ، ثم هزمهـم إلى الأهـواز ، ثـم أخرجهـم عنهـا إلى فـارس ، ثـم أخرجهـم إلى كِرمْان . وفي ذلك يقول شاعر منهم في هذه الحرب التي صاحِبُهَا صَاحِبُ الزِّنجِ بالبَصْرة ، يرثي البلد ، ويذكـر المَنْقبـة الـتي كـانت لهـم : [قـال الأخفـش : أنشـدنيه يزيـد المهلـبي لنفسه].

سَقَى اللّه مِصْرًا خَفَّ أَهْلُوهُ مِنْ مصـر ... وماذا الـذي يَبْقَـى على عُقَـبِ الدَّهْـرِ(٥)

ولـو كنـتُ فِيـهِ إذْ أُبيـحَ حَرِيمُـهُ ... لَمِـتُّ كَرِيمًـا أو صَـدَرْتُ علـى عُـذْرِ

أُبيـحَ فَلَـمْ أَمْلِـكْ لَـهُ غـيرَ عَـبْرَةٍ (٦) ... تُهيـبُ بهـا أَنْ حـارَدَتْ لَوْعةُ الصَّـدْرِ(٧)

ونحـن رَدَدْنـا أهلَهـا إذْ تَرَحَّلُـوا ... وقـد نُظِمَـتْ خَيْـلُ الأزارِقِ بالجِسْـرِ(٨)

---

(١) سورة آل عمران : ٤٣.
(٢) سورة التغابن : ٢ .
(٣) سورة الرحمن : ٣٣.
(٤) البيت من الطويل ،وهو لحسان بن ثابت فى ديوانه ص٢٢٤،وأساس البلاغة (بهل) .
(٥) (عقب الدهر) : نوائبه الواحدة عقبة كغرفة وغرف.
(٦) (العبرة):الدمعة(تهيب بها):من قولهم أهاب بالإبل وبالناس دعاها:أسنده الى اللوعةّ وهى حرقة فى القلب من حزن أو هوى مجازا وكذلك(حاردت):مستعارة من حاردت الناقة انقطع لبنها أو قل.
(٧) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابنُ شاذان : يقال : حاردتِ الناقة : إذا قلَّ لبنها جرادا .
(٨) (بالجسر)" بكسر الجيم وفتحها " وهـو القنطرة ونحوها مما يعبر النـاس عليه والجمع أجسر وجسور وقد ذكر ياقوت فى معجمه أنهم إذا أطلقوا الجسـر ولم يضيفوه إلى شيء فإنما يريدون به الجسر الذى كانت فيه الواقعة بين المسلمين والفرس قـرب الحيرةِ على الفرات وكان أهل الحيرة يعبرونه إلى ضياعهم .وبهامشِ بعضِ النسخ ما نصه : " المهلَّبي : الجسْر بفتح الجيـم ، وتسميه العامة جسْرا . قال : وجمع جسْر جسُور " اهـ . ونص ياقوت على أنه بكسر الجيم ، والجسر يقـال بفتح الجيم وكسرها .انظر معجم البلدان ٢/١٤٠ واللسان (جسر) .

ومَـن يَخْـشَ أَطْـرافَ المَنايــا فإنَّنَــا لَبِسْــنا لَهُــنَّ السَّــابغاتِ مِـنَ الصَّــبْرِ [(١)]
وإنَّ كَرِيــهَ المَــوْتِ عَــذْبٌ مَذَاقُــهُ إذا مــا مَزَجْنــاهُ بِطِيــبٍ مِـنَ الذِّكْــرِ
ومــا رُزِقَ الإنســانُ مثــلَ مَنِيَّــةٍ أَراحــتْ مِـنَ الدُّنْيـا ولم تُخْـزِ في القَـبْرِ

وفي هذا الشعر :

لِيَشْكُرْ بَنُو العَبَّـاسِ نُعْمَـى تَجَـدَّدَتْ فقـد وَعَـدَ اللّـه المَزِيـدَ على الشُّـكْرِ
لقـد حَبَّبَتْكُـمْ أُسْــرةٌ حَسَــدَتْكُمُ فَسَلَّتْ على الإسلام سَيْفًا من الكُفْـرِ
وقـد بَغَّضَتْهُـمْ جَوْلَـةٌ بعـدَ جَوْلَـةٍ يُبِيتـونَ فيهــا المسـلمينَ علـى وِتْـرِ

وقال عبد اللّه بن قيس الرُّقيات :

ألا طَرَقَتْ مِن أَهْلِ بَثْنَةَ طارِقَـهْ [(٢)] علـى أَنَّها مَعْشـوقةُ الـدَّالِّ عاشِـقَهْ
تَبِيـتُ وأرضُ السُّـوسِ بَيْنِـي وَبَينهـا وَسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْـهُ الأَزَارِقَـهْ [(٣)]
إذا نَحْــنُ شِـئْنا صادَفَتْنــا عِصابـةٌ حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِن الدِّين مارِقَـهْ [(٤)]

وكان مقدار من أصاب عليٌّ ﷺ منهم بالنهروان ألفين وثماني مائة ، في أصح الأقاويل ، وكان عددهم ستة آلاف ، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين ممن يُسِرُّ أمره ولم يشهد الحرب ، فخرج منهم رجلٌ بعد أن قال عليٌّ رضوان اللّه عليه : ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد اللّه بن خباب ، فقالوا : كلنا قتله وشَرِك في دمه ، ثم حمل منهم رجلٌ على صف عليٍّ ، وقد قال عليٌّ : لا تَبْدَءُوهم بقتالٍ ، فَقَتَلَ من أصحاب عليٍّ ثلاثةً وهو يقول:

---

(١) (السابغات من الصبر) : مستعار من الدروع السابغات من الحديد وهى التى طالت إلىالأرض واتسعت.

(٢) (بثنة) "بثاء ساكنة بين موحدتين مفتوحتين " ابن سفيان بن مجاشع و(طارقه)من الطروق وهو الإتيان ليلا و(السوس)"بضم السين" بلدة بخوزستان ذكر ياقوت فى معجمه أن بها قبر دانيال عليه السلام (وسولاف) قرية فى غربى دجيل من أرض خوزستان ودجيل "بالتصغير" نهر بالأهواز حفره أردشير اسم للسواد والقرى.

(٣) بهامش نسخة ما نصه : " وقع في شعره : ورستاق سولاف " . وهو كما قال في الديوان .

(٤) الأبيات من الطويل وهى لعبيد الله بن قيس الرقيات فى ديوانه ص١٦٢،ولسان العرب ١٦١/٩(سلف) ، ومعجم البلدان ٢٨٥/٣(سولاف)،وتاج العروس ٤٥٨/٢٣(سلف).

أَقْتُلُهُـــــمْ ولا أَرَى عَلِيَّـــا ولَـــو بَـــدَا أَوْجَرْتُـــهُ الخَطِّيَّـــا[1]

فخرج إليه عليٌّ ﷺ فقتله ، فلما خالطه السيف قـال : حبـذا الرَّوحـة إلى الجنـة، فقال عبد اللّه بن وهب : ما أدري أإِلَى الجنةِ أم إلى النار ؟ فقال رجل من بـني سـعد: إنما حَضَرْتُ اغْتِرارًا بهذا ، وأُراه قد شَكَّ !! فـانخزل بجماعـةٍ مـن أصحابـه ، ومـال ألـفٌ إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري ، وكان رحمه اللّه على مَيْمنِة علـيٍّ ، وجعـل النـاس يتسـللون، وقد قال عليٌّ ، وقيل له : إنهم يريدون الجسر ، فقال : لن يبلغوا النُّطْفَـة، وجعـل النـاسُ يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون ، ثم قالوا : قد رجعوا يـا أمـير المؤمنـين ، فقـال : واللّه ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ، ثم خرج إليهم في أصحابه ، وقد قال لهم : إنه واللّه ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ، ولا يُفْلِتُ منهم عشرةٌ ، فَقُتِلَ من أصحابه تسعةٌ ، وأفْلَتَ منهم ثمانيةٌ.

* * *

قال أبو العباس : وقيل : أول من حَكَّم ولفظ بالحكومة ولم يُشِدْ بها رجـلٌ مـن بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مُرٍّ ، من بني صَرِيم [2]، يقال لـه الحجـاج بـن عبـد اللّـه، ويُعْرَفُ بالبُرَكِ ، وهو الذي ضرب معاوية على أَلْيَتِهِ ، فإنه لما سمـع بذكـر الحَكَمَيْـنِ قـال: أَيُحَكَّمُ في دينِ اللّه ؟ لا حُكْمَ إلاَّ للّه ! فسمعه سامعٌ فقال : طَعَنَ واللّه فأنْفَذَ .

وأولُ من حَكَّمَ بين الصفين رجلٌ من بني يشكر بن بكر بن وائل ، فإنـه كـان في أصحاب عليٍّ ، فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ، ثم مـرق بـين الصفـين ، وحمـل علـى

---

(١) (أوجرته الخطيا) : طعنته بالرمح في فيه وأصله من الوجر كالوعد وهو أن تدخـل مـاء أو دواء فى حلق الصبى ، وقال الليث : أوجرت فلاناً بالرمح إذا طعنته فى صدره ولا يقال وجره بالرمح.

(٢) بهامش نسخة مانصه : " صريم هو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة ، والنسب إليه صريمـي ، وكان عامتهم خوارج . أنشد الجاحظ لرجل يهجوهم بهذا الرأي : [البيان والتبيين ٢/٢٠٦] .

أصلِّـــي حيـــث تحضرنـــي صلاتـــي وليـــس الديـــن ديـــن بـــني صريـــم

قيامـــا يطعنـــون علـــى معـــدّ وكلهـــم علـــى ديـــن الخطيـــم

والخطيم رجل باهلي ، وكان رأساً في الخوارج " اهـ .

صريم بفتح الصاد ، والنسبة إليه صريمي . ولا أعرف أحدًا نصَّ على أنه بضم الصاد وفتح الراء إلا صاحب اللباب ٢/٢٤٠ .

وقول صاحب الحاشية : " صريم هو ابن كعب بن سعد ...." كـذا الصـواب أنـه صريـم بـن مقاعس ـ واسمه الحارث ـ بن عمرو بن كعب بن سعد ....إلخ . انظر جمهرة أنساب العرب ٢١٦ .

أصحاب معاوية فكثروه ، فرجع إلى ناحية عليٍّ ، فخرج إليه رجل من همدان فقتله ، فقال شاعر همدان في ذلك :

ما كان أَغْنَى اليَشْكُرِيَّ عن الِتي تَصَلَّى بها جَمْرًا مِنَ النَّار حامِيَا

غَداةَ يُنَادِي والرِّماحُ تَنُوشُهُ [١] خَلَعْتُ عَليًّا بادِيًا ومُعاوِيَا

وجاء في الحديث أن عليًّا رضي الله عنه تُلِيَ بحضرته : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحياة الدُّنيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعًا** ﴾ [٢] فقال عليٌّ : أهلُ حروراء منهم .

وروي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه خرج في غداة يوقظ الناس للصلاة في المسجد ، فمر بجماعة تتحدث ، فسلم وسلموا عليه ، فقال وقبض على لحيته : ظننت أن فيكم أشقاها ، الذي يخضب هذه من هذه ، وأَوْمأَ بيده إلى هامته ولحيته .

ومن شعر علي بن أبي طالب، الذي لا اختلاف فيه ، أنه قاله وأنه كان يُردِّدُهُ : أنهم لما ساموهُ أن يُقرَّ بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشأم ، قال : أَبَعْدَ صُحْبَةِ رسول اللّه ﷺ والتَّفَقُّهِ في الدِّين أَرْجعُ كَافرًا ؟!

يا شاهِدَ اللّه عليَّ فاشْهَدِ أَنّي على دِينِ النبيِّ أَحْمَدِ

مَنْ شَكَّ في اللّه فإنّي مُهْتَدِي [٣]

ويُروى :

أَنّي تَوَلَّيْتُ وَلِيَّ أحمدِ

ويروى أن رجلاً أسودَ شديد بياض الثياب وقف على رسول اللّه ﷺ وهو يَقْسِمُ غنائم خيبر ، ولم تكن إلا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الأسود على رسول اللّه ﷺ ، فقال : ما عَدلت منذ اليوم ! فغضب رسولُ اللّه ﷺ حتى رُؤِي الغضبُ في وجهه. فقال عمرُ بن الخطاب: ألاَ أقتله يا رسولَ اللّه ؟ فقال :" إنّه سيكونُ لهذا ولأصحابِه نَبأٌ "[٤].

---

(١) (تنوشه) من ناشه نوشًا تناوله ، كتناوشه وعن ثعلب: التناوش الأخذ عن قرب والتناؤش "بالهمز" الأخذ من بعد .

(٢) سورة الكهف : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) الأبيات للإمام عليٍّ في ديوانه صـ٦٣.

(٤) انظر المصادر التي أحلنا عليها في تخريج الحديث التالي .

قال أبو العباس : وفي حديث آخر أن رسول اللّه ﷺ قال له : وَيْحكَ ! فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ ؟ ثم قال لأبي بكر : اقْتُلْه ، فمضَى ثم رجع ، فقال : يا رسول اللّه! رأيته راكعًا ، ثم قال لعمر:اقتله ، فمضى ثم رجع ، فقال : يا رسول اللّه ! رأيته ساجدًا، ثم قال لعليٍّ : اقْتُلْه ، فمضى ثم رجع ، فقال : يا رسول اللّه ! لم أَرَهُ ، فقال رسولُ اللّه ﷺ، لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنانِ في دين اللّه .

قال : وحدثني إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة في إسنادٍ ذكره أن عليًّا رضي الله عنه وَجَّهَ إلى رسول اللّه ﷺ بذَهَبَةٍ من اليمن ، فقَسَمها أرْبَاعًا ، فأعطى رُبْعًا للأقرع ابن حابس المُجاشعي ، وربعًا لزيد الخيل الطائي ، وربعًا لعلقمة بن عُلاَثَةَ الكلابي وربعًا لعيينة ابن حصن الفزاري . فقام إليه رجل مضطربُ الخَلقِ ، غائر العينين ، ناتئُ الجبهة ، فقال : لقد رأيت قسمة ما أُريدَ بها وجه اللّه !! فغضب رسولُ اللّه ﷺ حتى تورد خداه ، ثم قال : أَيَأْمَنُنِي اللّه عزَّ وجلَّ علي أهل الأرض ولا تأمنوني ؟! فقام إليه عمر فقال : ألا أقتله يا رسول اللّه ؟ فقال ﷺ : " **إنّه سيكونُ من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يمرُقُون من الدين كما يمرُقُ السهم من الرمية ، تنظر في النصل فلا ترى شيئًا وتنظر في الرصاف فلا ترى شيئًا وتتمارى في الفُوق** " [(1)] .

قوله ﷺ : " **من ضِئْضِئِ هذا** " أي : من جنس هذا . يقال : فلانٌ من ضِئْضِيءِ صدق ، وفي مَحْتِدِ صدق ، وفي مُرَكَّبِ صدق . وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو ابن عم الحجاج ، وكان عامله على البصرة :

أَقْبَلْنَ مِن ثَهْلاَنَ أو وَادِي خِيَمْ ... على قِلاَص مثل خِيطَان السَّلَمْ

إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ ... حتى أَنَخْناهَا إلى باب الحَكَمْ

خَليفةِ الحَجَّاج غير المتَّهَمْ ... في ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوح الكَرَمْ [(2)]

---

(1) الحديث بنحوه أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء برقم ٣٣٤٤ ، وكتاب المناقب برقم ٣٦١٠ وكتاب المغازي برقم ٤٣٥١ وكتاب التفسير برقم ٤٦٦٧ وكتاب فضائل القرآن برقم ٥٠٥٨ وكتاب الأدب برقم ٦١٦٣ و كتاب الاستتابة برقم ٦٩٣١ و ٦٩٣٣ وكتاب التوحيد برقم ٧٤٣٢ و ٧٥٦٢ ومسلم في كتاب الزكاة برقم ١٠٦٣ و ١٠٦٤ وأبو داود في كتاب السنة برقم ٤٧٦٤ – ٤٧٦٩ وانظر صحيح سننه (ح ١٩٨٦ - ٣٩٩١) ، وابن ماجه في المقدمة برقم ١٦٧ – ١٧٢ ، وانظر صحيح سننه (ح ١٣٧ - ح ١٤٢) . والترمذي في كتاب الفتن رقم ٢٢٩٧ ،والإمام أحمد في المسند ٨٨/١ ، ٩٢ ، ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٥١ ومواضع أخرى كثيرة .

(2) الأبيات لجرير فى مدح الحكم بن أيوب بن يحيي بن الحكم بن أبى عُقيل وهو خليفة للحجاج آنذاك .

ويقال : " مَرَقَ السهمُ من الرمية " : إذا نَفَـذَ منهـا ، وأكـثر مـا يكـون ذلـك ألاّ يعلق به من دمها شيء ، وأقطع ما يكون السـيف إذا سبق الـدم . قـال امرؤُ القيس بن عابس الكندي [1] :

وقـــــد أختَلِـــــسُ الضَّرْبَـــــــةَ لا يَدْمَـــى لهـــا نَصْلِـــي[2]

فأما ما وضعه الأصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلط وُضع : ذكر الأصمعـي أن الشعر لإسحاق بن سويد الفقيه [3]، وهو لأعرابي لا يعرف المقالات التي يميـل إليهـا أهـل الأهواء ، أنشد الأصمعي :

بَرِئْـتُ مـن الخَـوارج لَسْـتُ منهــم ... مِـنَ الغَـزَّال منهـم وابـن بَـاب[4]

---

(١) البيت من كلمة له وتروى للفند الزماني .انظر سمط اللآلي ٥٠٤ - ٥٠٥ وقصائد نادرة ٧٠ .

(٢) البيـت مـن الهـزج وهـو لامـرئ القيـس بـن عـابس الكنـدى فـى لسـان العـرب ٥٩٤/١(عرقب)،٨٥/٦،٨٥/١٥/١٦١ (فقا)،ولفند الزمانى فى تاج العروس ٨٠/١٦(دفنس)،وبلا نسبة فى أساس البلاغة (فلي) .) (وقد أختلس) قبله فى رواية أبى عمرو :

وقـــــد أســــبأ للندمـــــان ... بالناقـــــــة والرحـــــــل

وقـــــد أختلـــــس الضربــــة ... لا يدمـــــى لهـــــا نصلـــــى

وقـــــد أختلـــــس الطعنــــة ... تنفـــــى ســـــنن الرجـــــل

كجيـــــب الدفنـــــس الورهـــــا ... ء ريعـــــت وهـــــى تســـــتفلى

(أسبأ للندمان) من سبأ الخمرة اشتراها وتنفى سنن الرجل يريد أن ما سال من دمها يمنع القدم أن تطأ سنن الطريق ،والجيب مخرج الرأس من القميص والدفنس" بكسـر الـدال والنـون "المرأة الرعنـاء البلهاء يريد أن هيئة الطعنة ليست مستوية منتظمة كهيئة جيب هذه المرأة الموصوفة بما ذكره .

(٣) انظر البيان والتبيين ٢٣/١ .وحكى الجاحظ عن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان نسبة الأبيات لإسحاق .

(٤) بهامش نسخة ما نصه : " قال عبدُ الصمد بنُ عبد الوارث : سمعت أبي يحدث قال : أنشدني إسحاق بن سويد هذا الشعر وزعم أنه قال :

برئـــت مـــن الخـــوارج لســـت منهـــم ... مـــن الغـــزّال منهـــم وابـــن بـــاب

إذا اعـــتزلوا عـــن الإســـلام حقًّـــا ... حيـــارى محدثـــين مـــن الشـــباب

ومـــن قـــوم إذا ذكـــروا عليًّـــا ... يـــردون الســـلام علـــى الســـحاب

وممـــن دان ديـــن أبـــي بـــلال ... عصـــائب يفـــترون علـــى الكتـــاب

فكـــل لســـت منـــه وليـــس منـــى ... ســـيُفْصَل بيننـــا يـــوم الحســـاب

ولكـــني أحـــب بكـــل قلـــبي ... وأعلـــم أن ذاك مـــن الصـــواب

ومِـنْ قَـوْمٍ إذا ذَكَـروا عَلِيًّـا　　يَـرُدُّونَ السَّـلامَ علـى السَّـحابِ
ولكنّـي أُحِـبُّ بكـلِّ قلـبي　　وأَعْلَـمُ أنَّ ذاكَ مـن الصَّـوابِ
رسـولَ اللّـه والصِدِّيـقَ حُبًّـا　　بـه أرجُـو غـدًا حُسْنَ الثَّـوابِ(١)

فإنّ قوله :"من الغَزَّال منهم" يعني واصل بن عطاء ، وكان يُكْنَى أبا حذيفة وكان معتزليًّا،و لم يكن غَـزَّالاً ،ولكنه كـان يُلقَّبُ بذلـك ؛ لأنـه كـان يـلزم الغزَّالين ، ليعرف المُتعففاتِ من النساء ، فيجعل صدقته لهن، وكان طويل العُنُقِ. ويروى عن عمرو بن عُبيدٍ أنه نظر إليه من قبل أن يكلمه فقال : لا يُفْلِحُ هذا ما دامت عليه هذه العُنقُ !

وقال بشار بن بُرْدٍ (٢) يهجو واصلاً :

مـاذا مُنِيـتُ بغَـزَّالٍ لَـهُ عُنُـقٌ (٣)　　كِنِقْنِقِ الـدَّوِّ إنْ وَلَّـى وَإنْ مَثَـلاَ(٤)
عُنْـقَ الزَّرافـةِ مـا بَـالي وبـالُكُمُ　　تُكَفِّـرُونَ رجـالاً أَكْفَـرُوا رَجُـلاَ(٥)

رســـول الله والصديـــق حبًّـــا　　بـــه أرجـــو غـــدًا حســـن الثـــواب
وحـــب الطيـــب الفـــاروق عنـــدي　　كحـــب أخـــي الظمـــا بـــرد الشـــراب
وعثمـــان بـــن عفـــان شـــهيدًا　　نقيًّـــا لم يكـــن دنـــس الثيـــاب ". اهــــ

(١) الأبيات للأصمعى فى كتابه الاختيار وحكى الجاحظ عن الأصمعى عن المعتمر بن سليمان نسبه هذه الأبيات لإسحاق بن سويد .

(٢) البيان والتبيين ١٦/١ ، والأغاني ١٤٥/٣ .

(٣) (منيت): ابتليت يقال : مناه الله بكذا يمنيه ويمنوه منياً ومنوا ابتلاه، ونقنق" بفتح النونين وكسرهما " اسم للظليم أخذ من صوته وهو النقنقة يقال: نقّ الظليم ونقنق صوَّت (مثلا) "بضم الثاء وفتحها" يمثل "بالضم" مثولاً أقام (عنق الزرافة)بالنصب على النداء ،(تكفرون) يروى أتكفرون من أكفره ، نسبه إلى الكفر (ويروى لابل إلخ) هذه عبارة سخيفة يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره (ويروى لابل إلخ) هذه عبارة سخيفة يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبة الكفر إلى أصحابه إذ نسبوه إلى واصل وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار ويصوب رأى إبليس .

(٤) النقنق : الظليم ، والدو : الفلاة الواسعة .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " الزرافة : الجماعة . وإنما سميت به هذه". الأبيات من البسيط وهى لبشار بن برد فى البيان والتبيين ١٦/١ والأغاني ١٣٧/٣ ، ١٤٥/٣ وقد قالها فى هجاء واصل بن عطاء زعيم المعتزلة ولقبه الغزَّال .

ويروى ، لا بَلْ ـ كأنـه لا يَشُكُّ فيـه [1] ــ إن بشـارًا كـان يتعصـب للنـار علـى الأرض ، ويصوب رأي إبليس ـ لعنه اللّه ــ في امتناعـه مـن السـجود لآدم عليـه السـلام ، ويُروى له [2] :

الأَرضُ مُظْلِمــةٌ والنــارُ مُشْــرِقةٌ والنـارُ مَعْبـودةٌ مُذْ كـانتِ النـارُ[3]

فهذا ما يرويه المتكلمون :

وقتله أمير المؤمنين المهدي على الإلحاد . وقد روى قومٌ أن كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شيءٌ مما كان يُرْمَى به ،وأُصيبَ له كتابٌ فيه:إني أردتُ هِجاءَ آل سليمان بـن علـي، فذكرت قرابتهم من رسول اللّه ﷺ فأمسكتُ عنهم [4] .

وحدثني المازني قال : قال رجل لبشار : أتأكل اللحم وهو مُبـاين لديـانتك ؟! ــ يذهب به إلى أنه ثنوي ـ قال [5] : فقال بشار : ليسوا يدرون أن هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة .

وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب، وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللُّثْغَـةِ في الـراء، فكان يُخَلِّصُ كلامه من الراء ، ولا يُفْطَنُ لذلك ، لاقتـداره وسـهولة ألفاظـه. ففـي ذلـك يقول شاعر من المعتزلة ، يمدحه بإطالتـه الخطـب واجتنابـه الـراء ، علـى كـثرة ترددهـا في الكلام ، حتى كأنها ليست فيه :

عَلِيـمٌ بـإِبْدَال الحُــرُوفِ وقَــامِعٌ لِكُلِّ خَطِيبٍ يَغْلِبُ الحَقَّ بَاطِلُـهْ[6]

---

(١) كذا ، وأغلب الظن أن عبارة " كأنه لا يشك فيه " ليست من كلام المبرد .
(٢) البيان والتبيين ١٦/١ ، والأغاني ١٤٥/٣ .
(٣) البيت من البسيط وهو لبشار بن برد في الأغاني ١٣٧/٣.
(٤) بعده في زيادات بعض النسخ : " إلا أني قلت :

دينــار آل ســليمان ودرهمهــم كبــابليين حفّــا بالعفــاريت
لا يرجيــان ولا يرجــى نوالهمــا كمــا سمعــت بهــاروت ومــاروت "

وبهامش نسخة ما نصه : " روى بعضهم أنه قال : لكنني قلت فيهم :

دينــار آل ســليمان ودرهمهــم كبــابليين حفّــا بالعفــاريت
لا يســمعون ولا يــدرى مكانهمــا كمــا سمعــت بهــاروت ومــاروت".اهــ.

وانظر ديوانه ٥٦/٢ - ٥٧ ، والأغاني ٣ /٢٤٩ ، وسمط اللآلي ٧٦ .
(٥) الثنوية طائفة من المجوس تزعم أن الجوهر جنسان : نور وظلمة وأنهما متضادان ، انظر مقالات الإسلاميين ٣٠٨ ، وغيره .
(٦) الذي في البيان والتبيين ١٥/١ أن البيت لأبي الطّروق الضبي في محمد بن شبيب المتكلم، وكان ألثغ .

وقال آخر :

ويَجْعَلُ البُرَّ قَمْحًا [١] في تَصَرُّفِهِ [٢] وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ للشَّعَرِ
ولم يُطِقْ مَطَرًا والقولُ يُعْجِلُهُ فعاذَ بالغَيْثِ إشْفاقًا مِنَ المَطَرِ

ومما يحكى عنه قوله ـ وذكر بشارًا ـ أما لهذا الأعمى المُكْتَنِي بأبي معاذ من يقتله ؟! أما والله لولا أن الغيلة خُلُقٌ من أخلاق الغالية لبعثتُ إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ثم لا يكون إلا سَدُوسِيًّا أو عُقَيْلِيًّا .

فقال : " هذا الأعمى " ولم يقل بشارًا ، ولا ابن بُرْدٍ ، ولا الضرير ، وقال:"من أخلاق الغالية " لم يقل المغيرية ، ولا المنصورية . وقال:"لبعثتُ إليه" ولم يقل لأرسلت إليه . وقال:"على مضجعه" ولم يقل على فراشه ولا مَرْقَدِهِ . وقال " يَبْعَجُ " ولم يقل يَبْقُرُ . وذكر " بني عقيل ؛ لأن بشارًا كان يتوالى إليهم . وذكر " بني سدوس " لأنه كان نازلاً فيهم .

واجتناب الحروف شديد .

قال : ولما سقطت ثنايا عبد الملك في الطَّست قال : والله لولا الخُطْبَةُ والنساء ما حفلتُ بها .

وخطب الجُمَحِيُّ ، وكان منزوع إحدى الثنيتين ، وكان يَصْفِر إذا تكلم وأجاد الخُطْبَة ، وكانت لنكاح ، فرد عليه زيد بن علي بن الحسين كلامًا جيدًا، إلا أنه فضله بتمكين الحروف وحسن مخارج الكلام ، فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك [٣] :

صَحَّتْ مَخارجُها وتَمَّ حُرُوفُها فَلَهُ بذاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

" المزية " : الفضيلة .

قال : وأما قوله:"وابنُ باب" فهو عمرو بن عبيد بن باب،وهو مولى بني العدوية، من بني مالك بن حنظلة . فهذان معتزليَّان ، وليسا من الخوارج ؛ولكن قصد إسحاق [٤] بن سويد إلى أهل البدع والأهواء ، ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال :

---

(١) (ويجعل البر قمحًا) وهو تعلم أن البر لغة قريش وأن القمح لغة شامية.
(٢) البيتان في البيان والتبيين ١/٢١ - ٢٢ .
(٣) انظر شعر عبد الله بن معاوية ص ٤٦ .
(٤) سلف له قبل قليل أن أنكر نسبة الأبيات لإسحاق .

ومِــنْ قَـــوْمٍ إذا ذَكَـــرُوا عَلِيًّـــا   يَــرُدُّون السَّـــلامَ علـــى السَّـــحابِ

ويُرْوَى :

أشـــاروا بالسَّـــلام إلى السَّـــحابِ

* * *

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج .

قال أبو العباس : لما قَتَلَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ أهلَ النَّهْرَوَان ، كـان بالكوفـة زُهـاءُ ألفين من الخوارج ، ممنْ لم يَخرُجْ مع عبد الله بن وهبٍ ، وقومٌ ممَّن استَأْمَنَ إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ،فتجمعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيئ [1]، فوجهَ إليهم عليٌّ رضي الله عنه رجـلاً، وهم بالنُّخيلة ، فدعاهم ورفقَ بهم ، فـأبوا ، فَعَـاوَدَهُم فَـأَبَوْا ، فَقُتِلُـوا جميعًـا . فخرجـت طائفـة منهـم نحـو مكـة ، وقـد وجـه معاويـة مـن يُقيـمُ للنـاس حجهـم ، فناوشـه هـؤلاء الخوارج[2] ، فبلغ ذلك معاوية فوجه بُسْرَ بن أرْطاةَ ، أحد بني عـامر بـن لُـؤَيٍّ ، فتواقفـوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلي بالناس رجلٌ من بني شيبة ، لئلا يفوت الناسَ الحجُّ ، فلمـا انقضى نظرت الخوارج في أمرها ، فقالوا : إن عليًّا ومعاويةَ قد أفسدا أمرَ هذه الأُمةِ ، فلـو قتلناهما لعادَ الأمر إلى حقه ! وقال رجلٌ من أشجع : والله ما عَمرٌو دونهما ، وإنه لأَصْلُ هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أقتل عليًّا ، قـالوا: وكيـف لـك بـه ؟ قـال : أَغْتالُهُ . وقال الحجاج بن عبد الله الصَّريميُّ ، وهو البُرَكُ : أنا أقتلُ معاويةَ . وقـال زاذَوَيْـهِ مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم : أنا أقتل عمرًا . فأجمعَ رأيهـم علـى أن يكـون قتلهـم في ليلة واحدة ، فجعلوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان . فخرج كل واحدٍ منهم إلى ناحية ، فأتى ابن ملجم الكوفة ، فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قَطـامِ بنـتُ علقمة من تيم الرِّبـاب ، وكـانت تـرى رأي الخـوارج، والأحـاديث تختلـف ، وإنمـا يؤثـر

---

(١) قال الشيخ المرصفي:"خطأ في التاريخ فقد ذكر الطبري وابن الأثير وياقوت في معجمه عند ذكر النخيلة أن ذلك كان سنة إحدى وأربعين بعد مقتل علي وتسليم ابنه الحسين الأمر إلى معاوية." رغبة الآمل ٧/١٢٠ - ١٢١ .وانظر الكامل في التاريخ ٣/٤٠٩ - ٤١٠ وتاريخ الطبري ٥/١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) قال الشيخ المرصفي : " كذب محض . وقد علمت أن ابن شجرة[هو الذي وجهـه معاويـة إلى مكة سنة تسع وثلاثين ليقيم للناس الحج] قدم مكة قبل التروية بيومين وهو اليوم الثامن من عشر ذي الحجة ، فأي زمن يسع مناوشة الخوارج وإبلاغ خبرهم إلي معاوية وإرساله على ما زعم - من الشام - بسر بن أرطاة .على أن بسر بن أرطاة لم يذكر أحد من المؤرخين له حديثاً في هذه القصة وإنمـا بعثـه معاوية سنة أربعين إلى المدينة فمكة فاليمن رغبة الآمل ٧/١٢١ .وانظر الكامل في التاريخ ٣/٣٧٨ .

صحيحها . ويروى في بعض الأحاديثِ أنها قالت: لا أقنع منك إلا بصداق أسميه لك، وهو ثلاثة آلاف درهم ، وعبد وأمة ، وأن تقتل عليًّا! فقال لها : لك ما سألت ، وكيف لي به ؟ قالت تَرُوم ذلك غيلةً ، فإن سَلِمتَ أرحت الناس من شر ، وأقمت مع أهلِكَ ، وإن أُصِبتَ خرجت إلى الجنة ونعيم لا يزول ، فأنعم لها ؛ وفي ذلك يقول [1] :

ثلاثــةُ آلافٍ وعبــدٌ وَقَيْنَــةٌ [2] وَضَرْبُ عليٍّ بالحُسام المُصَمَّمِ [3]

فلا مَهْرَ أَغْلَى من عليٍّ وإنْ غَلاَ ولا فَتْكَ إلاّ دُون فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمِ [4]

وقد ذكروا أن القاصد إلى معاوية يزيد بن ملجم ، والقاصد إلى عمرو آخر من بني ملجم ، وأن أباهم نهاهم ، فلما عصوه قال : فاستعدوا للموتِ ، وأن أمَّهُمْ حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة .

فأما ابن مُلْجَم فيقال : إن قطام لامَتْهُ ،وقالت: ألا تمضي لما قصدت له ؟ لشد ما أحببتَ أهلكَ ! قال : إني قد وعدت صاحبيَّ وقتًا بعينه. وكان هنالك رجل من أشجع، يقال له شبيبٌ ، فواطأه عبدُ الرحمن .

ويروى أن الأشعث نظر إلى عبد الرحمن متقلدًا سيفًا في كندة ، فقال:يا عبد الرحمن،أرني سيفك، فأراه إياه ، فرأى سيفًا حديدًا ، فقال:ما تَقَلُّدُكَ السيفَ وليس بأوان حربٍ ؟ فقال:إني أردت أن أنحر به جزور القرية، فركب الأشعث بغلته وأتى عليًّا ﷺ فَخَبَّرَهُ ،وقال له:قد عرفتَ بَسَالَةَ ابن ملجم وفتكه، فقال عليٌّ:ما قَتلني بَعْدُ !!

ويروى أن عليًّا رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويُذكرُ أصحابه ، وابن ملجم تلقاء المنبر فسُمِعَ يقول : والله لأُرِحنهم منك ! فلما انصرف عليٌّ ﷺ إلى بيته أُتِيَ به مُلَبَّبًا ؛ فأشرفَ عليهم ، فقال : ما تريدون ؟ فخبروه بما سمعوا ، فقال:ما قتلني بَعْدُ ! فخلّوا عنه.

ويروى أن عليًّا كان يتمثل إذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب[5] في قيس بن مكشوح المُرادى [6]ـ والمكشوح هُبيرةُ ، وإنما سُمِّي بذلك؛ لأنه ضُرِبَ على كَشِحِهِ :

---

(١) قال المرصفي : "بل قائله ابن أبي مياس المرادي "رغبة الآمل ١٢٢/٧ .وانظر شعر الخوارج ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) قائله ابن أبى مياس المرادى (ثلاثة آلاف) قبله :

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : وقبل هذين البيتين :

فلا أر مهرا ساقه ذو حفيظة كمهر قطام من فصيح وأعجم

(٤) الأبيات من الطويل وهى لابن مياس المرادي فى تاريخ الطبرى ، حوادث سنة ٤٠ وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٤٧٢/٤ .

(٥) ص ٩٢ . والبيت من شواهد الكتاب ١٣٩/١ .

(٦) وقيل في المرادي . انظر شعر عمرو ص ٨٨- ٩٩ .

أُرِيـــدُ حِيَاتَـــهُ ويُرِيـــدُ قَتْلِـــي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِـكَ مِـن مُـرَادِ[1]

فينتفي من ذلك ، حتى أكثر عليه ، فقال له المرادي : إن قُضِيَ شَيْءٌ كانَ ، فقيل لعلي: كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك ، أفلا تقتله ؟ فقال: كيف أَقْتُلُ قاتلي؟!

فلما كان ليلة إحدى وعشرين خرج ابن ملجم وشبيب الأشجعي، فاعتوروا الباب الذي منه يدخل ، وكان عليٌّ يخرج مُغَلِّسًا ، ويُوقظُ الناسَ للصلاة ، فخرج كما كان يفعل ، فضربه شبيبٌ فأخطأه ، وأصاب سيفه الباب ، وضربه ابن مُلجم على صَلْعته، فقال عليٌّ : فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ! شأنكمْ بالرجل .

فيروى عن بعض من كان في المسجد من الأنصار قال : سمعتُ كلمة عليٍّ ورأيت بريق السيف . فأما ابن مُلْجَم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة ، فرمى بها عليه ، واحتمله فضرب به الأرض ، وكان المغيرة أَيِّدًا ، فقعد على صدره ، وأما شبيب فانتزع السيف منه رجلٌ من حضرموت، وصرعه وقعد على صدره . وكثر الناسُ ، فجعلوا يصيحون: عليكم صاحب السيف، فخاف الحضرمي أن يُكبوا عليه ولا يسمعوا عذره ، فرمى بالسيف، وانسل شبيب بين الناس . فدُخِلَ بابن مُلْجَمٍ على عليٍّ رضوان الله عليه،فأُمر فيه، فاختلف الناس في جوابه، فقال علي: إن أعش فالأمر لي ، وإن أُصب فالأمُر لكم؛ فإن آثرْتُمْ [2] أن تقتصوا فضربة بضربة ، وأن تعفوا أقربُ للتقوى . وقال قومٌ : بل قال : وإن أُصَبْ فاقتلوه بضربة في مقتله . فأقام عليٌّ يومين ، فسمع ابن مُلجم الرنة من الدار ، فقال له من حضره : أيْ عدو الله ! إنه لا بأس على أمير المؤمنين ، فقال : عَلَى مَنْ تَبْكِي أُمُّ كُلْثومٍ ؟ أَعَلَيٍّ ؟ أما والله لقد اشتريت سيفي بألفٍ وما زلتُ أَعْرِضُهُ،فما يَعِيبهُ أحدٌ إلا أَصْلَحْتُ ذلك العيبَ، ولقد أسْقَيْتُهُ السُّمَّ حتى لفظه ، ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق والمغرب

---

(١) البيت من الوافر ،وهو لعمرو بن معد يكرب فى ديوانه صـ١٠٧،والأغانى ٢٦/١٠ وحماسة البحترىصـ٧٤،والحماسة الشجرية١/٤٠،وخزانة الأدب ٣٦١/٦ ، ٢١٠/١٠ والدرر ٨/٣،وسمط اللآلي ص٦٣،١٣٨،وشرح أبيات سيبويه ٢٩٥/١،والكتاب ٢٧٩/١،وعجزه لعلى بن أبي طالب فى لسان العرب ٥٤٨/٤(عذر)،وبلا نسبة فى شرح المفصل ٢٦/٢،وهمع الهوامع ١٦٩/١.

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه :"قال الشيخ : أخبرني ابن شاذان عن أبي عُمَرَ عن ثعلب قال : يقال:أثِرتُ أن أفعل كذا أي : عزمت ، بكسر الثاء .وأخبرني ابن رباح عن ابن دريد قال:يقال: آثرت فلانا بكذا ، وكذا أوثره إيثاراً : إذا فضلته فأنا مُؤثِر وهو مؤثَر " اهـ . وانظر الجمهرة ٢١٨/٣ .

لأتت عليهم . ومات عليٌّ رضوان اللّه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث ، فدعا عبد الرحمن بالحسن ﷺ ، فقال : إن لك عندي سِرًّا فقال الحسن رضوان اللّه عليه : أتدرون ما يريد ؟ يريد أن يقرب من وجهي فَيَعَضَّ أذني فيقطعها ، فقال : أَمَا واللّه لو أَمْكَنَتني منها لأَقْتَلِعَنَّهَا من أصلها ، فقال الحسنُ : كلا واللّه ، لأضربنك ضربة تُؤَدِّيكَ إلى النار ، فقال : لو علمتُ أن هذا في يدك ما اتخذتُ إلهًا غيرك ، فقال عبدُ اللّه بن جعفر : يا أبا محمدٍ ، ادفعه إليَّ أَشْفِ نفسِي منه .

فاختلفوا في قتله ، قال قوم : أَحْمَى له ميلين وكحله بهما ، فجعل يقول : يا ابن أخي إنك لَتَكْحَلُ عمَّكَ بِمُلْمُولَيْنِ مَضَّاضَيْنِ [1] ، وقال قومٌ : بل قطع يديه ورجليه ، وقال قوم بل قطع رجليه ، وهو في ذلك يذكر اللّه عزَّ وجلَّ ، ثم عَمَدَ إلى لسانه ، فشق ذلك عليه فقيل له : لِمَ تَجْزَعْ من قَطْعِ يديك ورجليك ونراك قد جزعتَ من قطع لسانك ؟! فقال: أَحببتُ ألاَّ يزالَ فَمِي بذكر اللّه رَطْبًا ثم قَتَلَه .

ويروى أن عليًّا ﷺ أُتِيَ بابن مُلْجَمٍ وقيل له : إنا قد سمعنا من هذا كلامًا ولا نأمن قتله لك . فقال : ما أصنع به ؟ ثم قال عليٌّ رضوان اللّه عليه :

أُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ ... فإنَّ الموتَ لاقِيكَا [2]

ولا تَجْزَعْ من المَوْتِ ... إذا حَلَّ بوادِيكَا [3]

والشعر إنما يصح بأن تحذف " اشدُدْ " فتقول :

حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ ... فإنَّ الموتَ لاقِيكَا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى،ولا يَعْتَدُّونَ به في الوزن ، ويحذفون من الوزن ، علمًا بأن المخاطب يعلم ما يريدونه ، فهو إذا قال :" حيازيمك للموت " فقد أَضمر " أُشْدُدْ " فأَظْهَرَه ، ولم يَعْتَدَّ به .

قال : وحدثني أبو عثمان المازني قال : فصحاءُ العرب يُنشدون كثيرًا :

لَسَعْدُ بنُ الضِّبَابِ إذا غَدَا ... أَحَبُّ إلينا مِنْكَ فَا فَرَسٍ حَمِرْ [4]

---

(١) الملمول : ما يكحل به البصر .ومضاض أي حارّ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المُهَلبي : الحَيْزُومُ : ما اشْتَملَ عليه الصَّدْرُ ، وجمعه حَيَازِيمُ . ويقال للرجل : اشدُد حيازيمك لهذا الأمر أي: وَطِّنْ نفسك عليه " اهـ .

(٣) البيتان من مجزوء الهزج ،وهما للإمام علي فى ديوانه ص١٤٠ وبلا نسبة فى أساس البلاغه (حزم) . وانظر قافية " لاقيكا "، والبيتان في التعازي والمراثي ٢٢٣ .

(٤) البيت من الطويل وهو لامرئ القيس فى ديوانه ص١١٣،ولسان العرب ٢١٣/٤(حمر)،وتهذيب اللغة ٥٧/٥،وجمهرة اللغة ص٥٢٢،ومجمل اللغة٤٣/٢،وكتاب العين

وإنما الشعرُ لعمري لسعدُ بن الضباب إذا غدا

* * *

وأما الحجاج بن عبد اللّه الصَّريمـيُّ ـ وهـو البُرَكُ ـ فإنـه ضـرب معاويـة مُصليًـا فأصاب مَأْكِمَتَيْهِ[1]،وكان معاوية عظيم الأوراك،فقطع منه عرقًا يقـال:إنَّـه عـرقُ النكـاح، فلم يولد لمعاوية بعد ذلك،فلما أُخذ قال : الأمان والبشارة ، قُتِلَ علـيٌّ في هـذه الصبيحـة، فاستُونِيَ [2] به حتى جاء الخبر ، فقطع معاوية يده ورجله ، وأقام بالبصرة ، ثم بلـغ زيـادًا أنه قد ولد له ، فقال : أيولد له وأميرِ المؤمنين لا يولد له ، فقتله . هذا أحدُ الخبرين .

ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة [3] . فقيل لابـن عبـاس بعد ذلك : ما تأويل المقصورة ؟ فقال : يخافون أن يَبْهَظَهُمُ [4] الناسُ .

وأما زَاذَوَيْهِ فإنه أرْصَد لعمرٍو ، واشتكى عمرو بطنه ، فلم يخرج للصلاة، فخـرج خارجة ، وهو رجل من بني سهم بن عمرو بن هُصَيْصٍ،رهط عمـرو بـن العـاص، فضربـه زاذويه فقتله ، فلما دُخلَ به على عَمْرٍو ، فرآهم يخاطبونه بالإمرةِ قال : أَوَمَا قَتَلْتُ عَمْرًا ؟ قيل : لا : إنما قتلتَ خارجةَ ، فقال : أَردتُ عَمْرًا وأراد اللّهُ خارجة .

* * *

٢٢٧/٣،وتاج العروس ٨٥/١١ (حمر) وقوله :" فا فرس حمر " عيّر ببخر الفم ، لأن الفرس إذا حمر أنتن فوه ، فناداه بذلك وعيّره . عن الديوان .

(١) بهامش بعض النسخ مانصه:" قال المهلبيُّ : المأكِمتان : اللّحْمَتان اللتان علـى رؤوس الوَرِكَيْن، الواحدة : مأكمة . ويقال : رجل مُؤكَّم وامراة مؤكَّمة . عن ابن شاذان " اهـ .

(٢) بهامش بعض النسـخ مـا نصـه :" ابـن شـاذان : قولـه : اسـتوني ، مـن الأنـاة ، وهـو الانتظـار والتأخير، ممدود " . اهـ .

(٣) بهامش نسخة مانصه : " قال مالك : أول مـن اتخـذ المقصـورة مـروان بـن الحكـم حـين ضربـه اليماني " اهـ .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ابن شاذان:يقال:بهظهم الأمر يبهظهم بهظاً : إذا غلبهم" اهـ . وبهامش نسخة ما نصه:" البهظ بالظاء المعجمة:الإثقال،بهظ الحمل الدابة يبهظها بهظاً : إذا أثقلها . ويقال للرزيَّة باهظة كما يقال فادحة ، وأنشد :

فيـا واثقًـا بـالدهر كـن غـير واثـق ... لما تنضيه الباهظـات الفـوادح [كـذا]"

اهـ .

وقال أبو زُبيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

إنَّ الكِرامَ عَلَى ما كان من خُلُق ... رَهْطُ امْرِئٍ خارَهُ للدِّين مُختارُ

طَبٌّ بَصيرٌ بأَضْغَان الرِّجال ولَمْ ... يُعْدَلْ بحَبْرِ رسول اللّه أَحْبارُ

وَقَطْرَةٍ قطَرَتْ إذْ حانَ مَوْعِدُهَا ... وكلُّ شيءٍ لَهُ وَقْتٌ ومِقْدارُ

حتَّى تَنصَّلَها في مَسْجدٍ طُهُر ... على إمامِ هُدًى إنْ مَعْشَرٌ جارُوا

حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّاتِ أَبُو حَسَن ... وأُوجِبَتْ بعدَه للقاتل النارُ[1]

قوله: " خارَهُ " يعني : اختاره ، وهو " فَعَلَهُ " و " اختاره " " افْتَعَلَهُ " كما تقول: قَدَرَ عليه واقْتَدَرَ عليه .

وقوله " بصير بأضغان الرجال " فهي أسرارها ومُخبَّآتُها [2]، قال اللّه تعالى : ﴿ فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أَضْغَانَكم ﴾ [3] . و "الحَبْرُ" : العالِمُ . ويُروَى أن عليًّا رضوان اللّه عليه مَرَّ بيهوديٍّ يسأل مُسْلمًا عن شيءٍ من أمر الدِّين ، فقال له : اسألني ودَع الرجل ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أنت حَبْرٌ ، أي : عالِمٌ ، قال عليٌّ : أنْ تَسْأَلَ عالِمًا أَجْدَى عليك .

وقوله " حتى تَنَصَّلَهَا " يريدُ : استخرَجَها .

وقوله " حُمَّتْ " معناه : قُدِرَتْ .

قال الكُمَيْتُ [4] :

والوَصيُّ الذي أمالَ التَّجُوبيـ ... ـيُ بهِ عَرْشَ أُمَّةٍ لانْهِدَام

قَتَلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتَلُوه ... حَكَمًا لا كَغَابِر الحُكَّام

الإمامُ الزَّكِيُّ والفارسُ المُعْـ ... ـلَمُ تحتَ العَجَاج غيرُ الكَهَام

راعِيًا كان مُسْجِحًا ففقَدْنَا ... هُ وفَقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوَام[5]

---

(١) الأبيات من البسيط وهي لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص٦٤،ولسان العرب ٢٦٥/٤(خير)،وتاج العروس ٢٤١/١١(خير)،وأساس البلاغة (خير) .

(٢) الأضغان: الأحقاد، وتفسيره لها بالأسرار والمخبّات صحيح، لأن الأضغان مخبأة في القلوب.

(٣) سورة محمد : ٣٧ .

(٤) شرح الهاشميات ص ٢٩ - ٣١ .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : أَسْجَحَ الرجلُ إسجاحاً فهو مُسجِحٌ : سهلٌ " اهـ .

قوله :" الوَصِيُّ " ، فهذا شيءٌ كانوا يقولونه ويُكثرون فيه ، قال ابنُ قَيْسِ الرقيات [١] :

نحنُ منّا النبيُّ أحمدُ والصِّـ ... ـدِيقُ منّا التَّقِيُّ والحُكماءُ [٢]

وعليٌّ وجَعْفرٌ ذُو الجناحَيْـ ... ـنِ [٣] هُناكَ الوَصِيُّ والشُّهداءُ

وقال كُثَيِّرٌ [٤] لما حَبَسَ عبدُ اللّه بن الزُّبَيْرِ محمدَ بن الحنفية في خمسة عشر رجلاً من أهله في سجن عارمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أنّكَ عائِذٌ ... بَل العائِذُ المَحْبُوسُ في سِجْنِ عارم

وصِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عَمِّهِ ... وفَكَّاكُ أعناق [٥] وقاضِي مَغَارم [٦]

أرادَ : ابن وَصِيِّ النبيِّ ، والعرب تقيم المضاف إليه في هذا الباب مُقام المضاف، كما قال الآخر:

صَبَّحْنَ مِنْ كاظِمَةَ الخُصَّ الخَربْ ... يَحْمِلْنَ عَبَّاسَ بنَ عبدِ المطَّلِبْ [٧]

يريدُ : ابن عباس ﷺ ، وقال الفرزدق [٨] لسليمان بن عبد الملك :

ورِثْتُمْ ثِيابَ المَجدِ فهْيَ لَبُوسُكُمْ ... عن ابنَي مَنافٍ عبدِ شَمْس وهاشم

يريد : ابنَيْ عبد منافٍ .

وقال أبو الأسود [٩] :

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حبًّا شديدًا ... وعَبَّاسًا وحَمْزةَ والوَصِيَّا

---

(١) ديوانه ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) (الرواية : والخلفاء).

(٣) لقب به جعفر من قول النبى ﷺ وكان قد بعثه فى جيش عبد الله بن رواحة لغزاة مؤتة فقاتل حتى قطعت يداه ثم قتل . " إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء ".

(٤) ديوانه ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٥) بهامش بعض النسخ : أغلال ، وهي رواية الديوان .

(٦) البيتان من الطويل ،وهما لكثير فى ديوانه صـ٢٢٤،ولسان العرب ٣٩٨/١٢(عرم)،٥٤٢(لزم)، ٣٩٤/١٥(وصى) ، والعقد الفريد٤١٣/٤، وثمار القلوب ص٢٩٥، وتاج العروس(عرم)،(لزم)،(وصى).

(٧) الرجز بلا نسبة فى لسان العرب ٢٣٢/٦(نطس)٣٩٥/١٥٢(وصى) وجمهرة اللغة صـ١٣٢٨.

(٨) ديوانه ٣٠٩/٢ . ورواية صدره:

ورثتم قناة الملك غير كلالة

(٩) الأغاني ٣٢١/١٢ ، وانظر تخريجها في سمط اللآلي ٦٤٣ .

أُحِبُّهُــمُ لِحُــبِّ اللّــه حتـــى أَجِـيءَ إذا بُعِثْــتُ عَلَــى هَوَيَّــا[1]
هَــوًى أُعْطِيتُــهُ مُنْــذُ اسْــتدارَتْ رَحَـى الإسْـلام لم يَعْـدِلْ سَــوِيّا[2]
يقــول الأَرْذَلُــونَ بنــو قُشَــيْرٍ طَـوَالَ الدَّهْـرِ مــا تَنْسَــى عليًّــا
بنــو عَـــمِّ النَّبِــيِّ وأَقْرَبُــوهُ أَحَــبُّ النـــاسِ كلِّهِـــمُ إليَّـــا
فــإنْ يَـكُ حُبُّهُــمْ رُشْــدًا أُصِبْــهُ وليـس بِمُخْطِـئٍ إنْ كَــان غَيــا[3]

وكان بنو قُشَيرٍ عُثْمانِيةً ، وكان أبو الأسود نازلاً فيهم ، فكانوا يرمونه بـالليل ، فـإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاه مرة ، فقالوا له : ما نحنُ نرميك ، ولكن اللّـه يرمِـك ـ! فقـال: كَذَبْتم واللّه ، لو كان اللّه يرميني لما أَخْطأني .

قال : وكان نقشُ خاتمه :

يـا غَـالِبي حَسْـبُكَ مِــن غــالبِ ارْحَــمْ علــيَّ بــنَ أبــي طــالبِ

وقوله " غيرُ الكَهَـامِ " فالكهـامُ : الكليـلُ مـن الرجـال والسيوف ، يقـال سيفٌ كهامٌ .

وقوله :

راعيًــا كــان مُسْـجِحًا ففقدْنَــا[4] هُ وفَقْــدُ المُســيمِ هُلْــكُ السَّــوَامِ

فالمسيمُ :الذي يُسيمُ إبله أو غنمه ترعَى، وكذلك كل شـيء مـن الماشية، فجعـل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يسميها ويسوسها ويُصْلِحُهــا ، ومتـى لم يرجـع أمرُ الناس إلى واحدٍ فلا نظام لهم ، ولا اجتماع لأمورهم . قال ابن الرقيات [5] :

أيهــا المُشْــتَهِي فَنــاءَ قُرَيْــشٍ بيــدِ اللّــه عُمْرُهــا والفَنَــاءُ

---

(١) بهامش نسخة ما نصه : " قوله هَوَيَّا هي لغة ، تقلب الألـف إلى اليـاء ، في المقصـور في حـال الجر والنصب في الإضافة ، وليس يفعل ذلك في الرفع، وأكثر ما هـو فـى بنـات الثلاثـة مـن المقصـور ويجوز في سواها" اهـ .

(٢) بعده في زيادات بعض النسخ : " السَّويُّ والسَّواءُ : الذي قد سوّى ا لله خلقه لا زمانـة بـه ولا داء ، وفي القرآن : ﴿ بشرًا سويًّا ﴾ وتقول : ساويت ذاك بهذا الأمر ، أي: جعلته مِثْلاً له " اهـ .

(٣) الأبيات لأبى الأسود الدؤلي فى الأغانى ١٢/٣٧٢.

(٤) (مسْجحاً) من الإسجاح وهو الرفق والسهولة.

(٥) ديوانه ص ٨٨- ٨٩ .

إن تُـوَدِّعْ مــن البــلادِ قُرَيْـــشٌ لا يَكُـــنْ بَعْدَهــم لِحَـيٍّ بقَــاءُ

لــو تُقَفِّــي وتَــتْرُكُ النــاسَ كــانوا غَنَـمَ الذِّئْـبِ غـابَ عنهـا الرِّعَـاءُ[1]

وقال الحِمْيَرِيُّ [2] يعني عليًّا رضوانُ اللّه عليه :

كــان المُسِـيمُ ولم يكــن إلاّ لِمَــنْ لَــزِمَ الطَّرِيقَــةَ واسْـتقَامَ مُسِـيمَا

ولما سمع عليٌّ ﷺ نداءَهم " لا حُكْمَ إلاَّ للّه " قال : كلمةٌ عادِلَةٌ يُرادُ بها جَـوْرٌ ، إنما يقولون :لا إمَارة ، ولا بُدَّ من إمارةٍ ، بَرَّةٍ أو فاجرةٍ .

وَرَوَوْا أنَّ عليًّا ﷺ لَمَّا أوصى إلى الحسن في وَقْفِ أموالِه وأنْ يَجْعَلَ فيها ثلاثةً من مواليه وقف فيها عين أبي نَيْزَرَ والبُغَيْبِغَةَ . وهذا غلط ؛ لأن وقفه هذين الموضعـين لسنتين من خلافته .

حدثنا أبو مُحَلِّمٍ محمدُ بن هشامٍ في إسنادٍ ذكره آخره أبو نَيْزَرَ - وكـان أبـو نـيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم - قال : وصح عندي بعدُ أنَّه من ولـد النَّجاشـي ـ يعـني أبـا نيزر - فرغب في الإسلام صغيرًا ، فأتى رسولَ اللّه ﷺ فأسلم ، وكان معه في بُيُوتِهِ ، فلما تُوُفِّيَ رسولَ اللّه ﷺ صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام ؛ قال أبو نيزر : جـاءَني علـيُّ ابن أبي طالب أميرُ المؤمنين وأنا أقوم بالضيعتين : عين أبي نيزر والبغيبغة ، فقـال لي : هـل عندك من طعام ؟ فقلتُ : طعامٌ لا أرضاه لأمير المؤمـنين ، قـرع مـن قـرع الضيعـة صنعته بإهالة سنخةٍ [3] ، فقال : عَلَيَّ به ، فقام إلى الربيع - وهو جدول - فغسل يديه ، ثم أصاب من ذلك شيئًا ، ثم رجع إلى الربيع ، فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ، ثم ضم يديـه كـل واحدة منهما إلى أختها ، وشرب بها حُسًا من الربيع[4]، ثم قال : يا أبا نيزر، إن الأكُـفَّ أَنْظَفُ الآنية ، ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه ، وقال : من أدخلـه بطنـهُ النـار فـأبعدهُ اللّهُ ! ثم أخذ المِعْولَ وانحدر في العين ، فجعـل يضـرب ، وأبطـأ عليـه المـاء. فخـرج وقـد

---

(١) في بعض النسخ : ويُتْركُ الناس : وتقفي : تذهب .

(٢) هو السَّيد . قاله المرصفي ، رغبة الآمل ١٣٤/٧ .

(٣) الإهالة : هي ما أذيب من الشحم والألية أو هي كل دهن يؤتدم به . وسـنخة : متغـيرة . عـن رغبة الآمل ١٣٥/٧ .

(٤) الحسا : جمع حسوة وهي الشربة ملء الفم .

تفضج جبينه عرقًا ، فانتكف العرق عن جبينه[١]، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين ، فأقبل يضرب فيها ، وجعل يُهَمْهِمُ فانثالَتْ كأنها عُنُقُ جَزُورٍ[٢]، فخرج مُسرعًا، فقال : أُشهِدُ اللّه أنها صدقةٌ ، عليَّ بدواةٍ وصحيفةٍ ، قال : فَعَجَّلْتُ بهما إليه، فكتب :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا ما تصدق به عبد اللّه عليٌّ أميرُ المؤمنين ، تصدقَ بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغةِ ، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لِيَقِي اللّهُ بهما وجههُ حَرَّ النار يومَ القيامةِ ، لا تُباعَا ولا تُوهَبَا، حتى يَرِثَهُما اللّهُ وهُو خَيْرُ الوارثِينَ ، إلاّ أن يحتاجَ إليهما الحسنُ أو الحسينُ فهما طِلْقٌ[٣] لهما ، وليس لأحدٍ غيرهما.

قال محمد بن هشام : فركبَ الحسين ﷺ دَيْنٌ ، فحملَ إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينارٍ ، فأبى أن يبيع ، وقال إنما تصدق بها أَبِي لِيَقِي اللّه بها وجهه حَرَّ النار ، ولستُ بائِعَها بشيء .

وتحدث الزُّبَيْرِيُّون أنَّ معاويةَ كتب إلى مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة :

أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين أحب أن يَرُدَّ الأُلْفَةَ ، ويَسُلَّ السَّخيمةَ ، ويَصِلَ الرَّحِمَ، فإذا وَرَدَ عليك كتابي فاخطب إلى عبد اللّه بن جعفرٍ ابنته أُم كُلْثُومٍ عَلَى يزيد بن أمير المؤمنين ، وأرغب له في الصداق .

فوجَّه مروان إلى عبد اللّه بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية ، وأعلمه ما في ردِّ الألفة من صلاح ذات البين ، واجتماع الدعوة [٤] ، فقال عبدُ اللّه : إن خالها الحسينَ بينبعَ وليس ممن يُفتَاتُ عليه بأمرٍ ، فأنظرني إلى أن يقدم ، وكانت أمها زينب بنت علي

---

(١) بهامش نسخة ما نصه : " ابن شاذان : انْفَضَجَ الشيُء : إذا عرض ....لمنشدخ ، وتفضَّج بَدَنُ الناقة : إذا [تخدَّد] لحمها قال : قال ابن الأعرابي : النَّكْفُ : النَّكْفُ ، [يقال] : نكَفَ ا لله الغيث أي: قطعه .

المهلبيُّ : النَّكْفُ : مَحْيُتك الدموع عن خدّك بإصبعك " اهـ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : حدثني أبو عمرَ عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال : انثَالَ الرملُ انثيالاً : تبع بعضُه بعضًا مثل انْهَالَ وانْهَارَ وانكال " اهـ .

(٣) أي حلال .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " أخبرني أبو يعقوب بنُ خُرَّزَاذَ قال : أخبرني ابن رباح عن ابن دريد في كتاب الجمهرة ، قال : الدعوة : مصدر دعا يدعو دعوًا ودعاء ، واستجاب ا لله دعاءه ودعوته . والدعوة في النسب . قال : وأخبرني ابن شاذان عن أبي عمر عن ثعلب قال : الدعوة بكسر الدال في النسب ، والدعوة إلى الطعام وغيره بفتح الدال " اهـ . وانظر الجمهرة ٢/٢٨٣ .

بن أبي طالب ﷺ ، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبدُ الله بن جعفرٍ ، فقام من عنده فدخل إلى الجارية ، فقال : يا بُنَيَّةُ ! إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحقُّ بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصَّدَاق وقد نَحَلْتُكِ البُغَيْبِغَاتِ ، فلما حضر القومُ للإملاك * تكلم مروان ، فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحِم وجمع الكلمة ، فتكلم الحسينُ ﷺ فزوجها من القاسم بن محمدٍ ، فقال له مروان : أَغَدْرًا يا حُسَيْنُ ؟ ! قال : أنت بدأت ، خطبَ أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ ﷺ عائشة بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير ، فقال مروان : ما كان ذلك ، فالتفت الحسينُ إلى محمد بن حاطب فقال: أَنْشُدُكَ الله، أكان ذاك ؟ قال : اللهم نعم . فلم تزل هذه الضيعةُ في أيدي بني عبد الله بن جعفر، من ناحية أم كلثوم ، يتوارثونها ، حتى ملك أميرُ المؤمنين المأمون ، فذُكر ذلك له ، فقال: كَلاَّ ، هذا وقف عليٍّ بن أبي طالبٍ ﷺ، فانتزعها من أيديهم ،وعوضهم منها ،وردها إلى ما كانت عليه.

قال أبو العباس : رجع الحديث إلى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب .

قال:ويروى أن عليًا في أوَّل خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صُوحَان العبدي، وقد كان وجهه إليهم ، وزياد بن النضر الحارثي [1] مع عبد الله بن العباس ، فقال لصعصعة : بأي القوم رأيتهم أشدَّ إطافةً ؟ فقال : بيزيد بن قيس الأرحبي .

فركب عليٌّ إليهم إلى حروراءَ ، فجعل يتخللهم ، حتى صار إلى مضرب يزيد ابن قيس ، فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج فاتكأً على قوسه ، وأقبل على الناس ، ثم قال : هذا مقامٌ من فَلَجَ فيه فَلَجَ يومَ القيامة ، أَنْشُدُكُمُ الله [2] ، أعلمتمُ أحدًا منكم كان أكره للحكومة مني ؟ قالوا : اللهم لا ، قال أفعلمتم أنكم أكْرَهْتُمُوني حتى قبلتُها ؟ قالوا : اللهم نَعَمْ ، قال : فَعَلاَمَ خَالَفْتُمُوني ونَابَذْتُمُوني [3] ؟ قالوا : إنَّا أتينا ذَنْبًا عظيمًا ، فَتُبْنَا إلى اللهِ ، فَتُبْ إلى الله منه واستغفرهُ نَعُدْ لكَ ! فقال عليٌّ : إني أَسْتَغْفِرُ اللهَ من كل ذَنْبٍ، فرجعوا معه ، وهم ستة آلاف .

فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليًا رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما ينتظر أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكُرَاعُ ويُجْبَى المالُ فينهض إلى الشام .

فأتى الأشعثُ بن قيس عليًا ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامةَ عليها كفرًا !!

---

* الإملاك : هو التزويج .

(١) في سائر النسخ : ....ابن صوحان العبدي وقد كان وجه إليهم زياد بن النضر الحارثي .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه: "ابن شاذان :يقال : نشدتك الله فأنا أنشدك الله أي ذكرتك الله وعرفتك "اهـ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :"ابن شاذان :نبذت الشيء أنبذه نبذًا : ألقيته ، فهو نبيذ ومنبوذ، وبه سمي النبيذ لأن التمر كان يلقى في الجر وفي غيره " اهـ .

فخطب عليٌّ الناسَ فقال : من زعم أني رجعتُ عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالاً فهو أضل ، فخرجت الخوارج من المسجد ، فحكّمت ، فقيل لعلي : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أُقاتِلُهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون .

فوجَّه إليهم عبد الله بن العباس ، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباهًا قَرِحَةً [1] لطُول السجود ، وأيْدِيًا كثفنات الإبل [2] وعليهم قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ [3]، وهم مُشَمِّرونَ ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟ فقال : جئتكم من عند صهر رسول الله ﷺ وابن عَمِّه ، وأعلمِنا بربِّه وسُنَّةِ نَبيِّه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . قالوا : إنا أتينا ذنبًا عظيمًا حين حَكَّمْنا الرجالَ في دِينِ الله ، فإنْ تابَ كما تُبْنا ونَهَضَ لمجاهدةِ عَدُوِّنا رجَعنا .

فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا ما صَدَقْتم أنْفُسَكُم ! أما علمتم أنَّ الله أمَرَ بتحكيم الرجال في أرْنَبٍ تساوي رُبعَ درهم تُصادُ في الحرم ، وفي شقاق [4] رجلٍ وامرأتِه؟ فقالوا : اللهم نَعَمْ : قال : فأَنْشُدُكم اللهَ ، فهل عَلِمْتمْ أن رسول الله ﷺ أمْسَكَ عن القتال للهُدْنَةِ [5] بينه وبين أهل مكة بالحُدَيْبِيَةِ ؟ قالوا : نَعَمْ ، ولكن عليًّا مَحَا نفسَه من إمارة المسلمين .

قال ابنُ عباس رضي الله عنه :ليس ذلك بمُزيلها عنه،وقد محا رسولُ الله ﷺ اسمه من النُّبوَّةِ،وقد أخذ عليٌّ على الحكمين الا يَجُورَا،وإنْ لَمْ يَجُورا فعليٌّ أولَى من معاوية وغيره.

قالوا:إن معاوية يَدَّعِي مثل دعْوَى علي.قال:فأيهما رأيتموه أولى فولُّوه،قالوا: صدقتَ .

قال ابنُ عباس : ومتى جارَ الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما .

قال : فاتَّبَعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف ، فصلى بهم صلواتهم ابن الكوَّاء ، وقال : متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعيٍّ الرياحيُّ ، فلم يزالوا على ذلك يومين، حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبيِّ ، قال : ومضى القوم إلى النهروان، وكانوا أرادوا المُضِيَّ إلى المدائن . [قال الأخفش : كذا كان يقول المبرد " النَّهْرِوَانُ " بكسرِ النون والراءِ ، وإنما هو " النَّهْرَوَانُ " بالفتح [6]، وأنشدَ للطِّرِمَّاح [7]:

---

(١) من قرح جلده : إذا خرجت به قروح .

(٢) الثفنات : ما يصيب الأرض منها إذا بركت كالركبتين والمرفقين فغلظ من أثر البروك . عن رغبة الآمل ٧/١٤٠ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : رحضت الثوب أرحضه رحضًا : إذا غسلته ، وثوب رحيض ومرحوض . والمرحاض : خشبة يضرب بها الثوب فيغسل " اهـ .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان : الشِقاقُ : المُعاداةُ ، والمغالطةُ ، شاقَقْته مشاقَّة وشقاقا " اهـ .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الهدنة السكون ، هدنت الرجل تهدينا ،وهادنته مهادنة ، والاسم الهدنة " . اهـ .

(٦) اقتصر عليه البكريُّ وغيره ، وقال ياقوت : وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون . انظر معجم ما استعجم ١٣٣٦ ، ومعجم البلدان ٥/٣٢٤ ، واللسان (نهر) .

(٧) ديوانه ص ٢٦٢ . وعجزه :

قَلَّ في شَطِّ نَهْرَوَانَ اغْتِمَاضِي [١]

* * *

فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مُسْلِمًا ونصرانيًا ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني ، فقالوا : احفظوا ذمة نبيِّكم !!

ولقيهم عبدُ الله بنُ خبَّابٍ وفي عنقه مصحفٌ،ومعه امرأته وهي حاملٌ فقالوا له: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك! قال:ما أحيا القرآنُ فأحيوه ، وما أماته فأميتوه، فوثب رجل منهم على رُطبة فوضعها في فيه، فصاحوا به فلفظها تورُّعًا، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله ، فقالوا : هذا فسادٌ في الأرض !! فقال عبد الله بن خبَّاب : ما عليَّ منكم بأسٌ ، إني لَمُسْلِمٌ ، قالوا له : حدثنا عن أبيك ، قال: سمعتُ أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" **تكون فِتْنَةٌ يموتُ فيها قَلْبُ الرَّجُلِ كما يَمُوتُ بَدَنُه ، يُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافرًا ، فَكُنْ عبدَ الله المقتولَ ، ولا تكنِ القاتلَ**"[٢] .

---

(١) (قل فى شط نهروان) هذا جزء من بيت سقط من قلم الناسخ سائره وهو :

قــل فــى شــط نهــروان اغتمـــاضى ودعـــانى هـــوى العيـــون المـــراض

وهذا البيت مطلع كلمة له سلف ذكرها (فقتلوا المسلم) لكفره عندهم إذ خالف معتقدهم.

(٢) أخرج الإمام أحمد في المسند ٥/ ١١٠ من طريق أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال : " دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب ذعرًا يجر رداءه، فقالوا: لم تُرَع ، قال: والله لقد رعتموني ، قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال نعم ، قالوا : فهل سمعت من أبيك حديثًا يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟ قال : نعم، سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، قال: فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول ـ قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال : ولا تكن عبد الله القاتل ـ قالوا : أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذقرَّ ، وبقروا أم ولده عما في بطنها " .

وأخرج ابن ماجه في الفتن برقم ٣٩٦١ من حديث أبي موسى الأشعري قال :" قال رسول الله ﷺ: إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم . يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا . القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . فكسِّروا قسيّكم ، وقطِّعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة ، فإن دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم " . وأخرجه بنحوه الترمذي في الفتن برقم ٢١٩٥ من حديث أبي هريرة . وفي الباب أحاديث أخر .

قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيرًا ، فقالوا : فما تقول في عليٍّ قبل التحكيم ، وفي عثمان ست سنين ؟ فأثنى خيرًا ، قالوا:فما تقول في الحكومة والتحكيم؟ قال : أقول:إن عليًّا أَعْلَمُ بكتاب اللّه منكم ، وأشدُّ تَوَقِّيًا على دينه ، وأنفذ بصيرةً، قالوا: إنك لَسْتَ تتبعُ الهدَى ، إنما تتّبعُ الرجالَ على أسمائها ! ثم قربوه إلى شاطئ النهر،فذبحوه، فامْذَقَرَّ [(١)] دَمُهُ : أي : جَرَى مستطيلاً على دِقَّةٍ .

وساموا رجلاً نصرانيًّا على نخلة له،فقال:هي لكم،فقالوا:ما كنا لنأخذها إلا بثمن! قال : ما أعجب هذا ، تقتلون مثل عبد اللّه بنِ خبابٍ ولا تقبلون منا نخلة إلا بثمن ! ..

ومن طريف أخبارهم أن غيلانَ بن خَرَشَةَ الضبي سمر ليلة عند زيادٍ ومعه جماعة ، فَذُكر أمرُ الخوارج ، فأنحى عليهم غيلان ، ثم انصرف بعد ليلٍ إلى منزله، فلقيه أبو بلال مرداس بن أُدَيَّةَ ، فقال له : يا غيلان ، قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ، ما يُؤمِّنُكَ أن يلقاك رجلٌ منهم أحرص ـ واللّه ـ على الموت منك على الحياة ، فَيُنفِذَ حِضْنَيْك [(٢)] برُمحه ؟ فقال غيلان : لن يبلغك أنِّي ذكرتهم بعد الليلة .

ومرداس تنتحله جماعة من أهل الأهواء ، لِقَشَفِهِ ، وبصيرته ، وصحة عبادته ، وظهور بيانه .

تنتحله المعتزلة ، وتزعم أنه خرج منكرًا لِجَوْر السلطان ، داعيًا إلى الحق وتحتجُّ له بقوله لزياد حيث قال على المنبر : واللّه لآخذن المُحسن منكم بالمسيء،والحاضر بالغائب، والصحيح بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ؛ فقام إليه مرداس فقال : قد سمعنا ما قلت أيُّها الإنسان ، وما هكذا ذكر اللّه عزَّ وجلَّ عن نبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ يقولُ: **﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وأن لَيْسَ للإنْسَانِ إلاَّ ما سَعَى وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثم يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾** [(٣)] وأنت تزعم أنك تأخذُ المطيع بالعاصي، ثم خرج في عقب هذا اليوم [(٤)] .

---

(١) في بعض النسخ ما نصه : " رواه أبو عبيدة : فابذقر ، بالباء . قال الأصمعي : الامذقرار : أن يجتمع الدم ثم يتقطع قطعاً ولا يختلط بالماء " اهـ وبهامش بعض النسخ أيضًا ما نصه : " ابن شاذان : قال أبو عمر عن ثعلب : المبذقر والمذقر : المختلط . وقال ثعلب في حديث عبد الله بن خباب : فما امذقر دمه بالميم ، أي : فما اختلط بالماء " اهـ .
وانظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣٩٥/٤ ، والفائق ٣٥٤/٣ ، والنهاية ٣١١/٤ - ٣١٢ . والرواية عندهم " فسال دمه في الماء فما امذقر " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان : قال أبو عمر : الحضنان : ناحيتا الإنسان ، والجمع أحضان . ونواحي كل شيء أحضانه .ويقال : حضنت الدجاجة البيض وغيرها : إذا جعلتها تحت حضنها " اهـ.

(٣) سورة النجم : ٣٧ - ٤١ .وبهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : الوزر : الإثم " اهـ.

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :" إنما خرج مرداس في أيام عبيد الله بن زياد. وكذلك ذكر بعد"اهـ .

والشيع تنتحله ، وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي ﷺ : إني لستُ أرى رأي الخوارج ، وما أنا إلا على دين أبيك .

وهذا رأي قد استهوى جماعة من الأشراف . يُرْوَى أن المُنْذِرَ بن الجارود كان يرى رأي الخوارج . وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراهُ [1] . وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه . وكان عدة من الفقهاء ينسبون إليه ـ ولعل هذا يكون باطلاً ـ منهم عكرمة مولى ابن عباس . وكان يقال ذلك في مالك بن أنس [2].

ويروي الزبيريون أن مالكًا كان يذكر عثمان وعليًا وطلحة والزبيرَ ، فيقول :

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال الشيخ لم يكن يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج ، وإنما كان أخاه من الرضاعة وكاتبه ، وقتل بإفريقية " اهـ . قد نصوا على أنه مولاه، قلت: ولم أجد ما ذكره أنه أخوه من الرضاعة ، انظر وفيات الأعيان ٣٠٩/٦ ، والأعلام ١٨٢/٨ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه: " قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أن المذكور هنا مالك بن أنس الفقيه المدني المشهور صاحب المذهب ، وليس الأمر كذلك . وهذا تقصير أو قصور من أبي العباس حيث أبهم في موضع البيان ، لأن مالكا المذكور هنا هو مالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكري ثم البصري أحد رؤساء أهل البصرة ، وأعظم فقهائها في زمانه ، لشرف بيته وتقدمه في معرفة كل فن وشهرة زهده وكثرة تهجده ، لكنه كان متهما برأي الخوارج ، ولم يوقف لأمره على حقيقة ، الله أعلم أي ذلك كان .

وأما الإمام مالك بن أنس المدني ثم الأصبحي [في بعض النسخ : الأبطحي خطأ] الحميري فهو الذهب الإبريز صفاء والكبريت الأحمر عزة ، إذ هو الإمام الذي قال فيه سفيان بن عيينة وعبد الرزاق ومعمر ـ وناهيك بهم أئمة ـ كان من أدركناه من التابعين يقولون في قوله ﷺ :" يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة " : إنه مالك بن أنس، رواه أبو عمر بن عبد البر بإسناده عن سفيان بن عيينة من طريق أبي صالح السمان عن أبي هريرة ـ ورواه أيضا من طريق أبي موسى الأشعري ، ورواه أيضاً أبو عيسى الترمذي من عدة طرق واستحسنه . وعلى هذا أيضا يؤول هذا الحديث ابن مهدي وعبد الله بن جريج ووكيع وغيرهم ممن يطول تتبعه ، وهؤلاء أعلام التابعين .

وكان هذا الإمام ـ رحمه الله ـ منزها مبرًا من التهمة في دينه وعرضه حتى لقي الله بريئاً من أهل الأهواء والبدع هاديًا مهديًا لا تأخذه في الله لومة لائم.امتدحه سالم بن عبد الله المعروف بابن الخياط المدني،وكان مكانه من العلم والزهد والورع مشهوراً،فقال فيه ابن الخياط المدني مادحا له :

يأبى الجواب فما يكلم [هيبة] ... والناس منه نواكس الأذقان

هدْيُ التقاةِ وعزُّ سلطان النّهى ... فهو العزيز وليس ذا سلطان

بل مدحه من هو أوفى من ابن الخياط ميزانًا عند الله عز وجل وعند المسلمين ، وهو عبد الله بن المبارك إلا أنني لم أستحضر أبياته الآن .

وإنما كتبنا هذه الحروف هنا خوفاً من أن يقع هذا الكتاب لبعض القاصرين فيظن أنه الإمام فيقع في مهواةٍ عظيمة ومهلكة جسيمة نعوذ بالله من الكفر ومن زوال الإيمان ، فإن هذا الإمام الأعظم كان على الخوارج أشد من الموت الزؤام والداء العقام. وقد سئل رضي الله عنه عن أهل حروراء فقال: أحسب قول الله تعالى :﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [سورة الكهف : ١٠٤] فيهم نزلت . والخوارج إلى هذا التاريخ يبغضون المالكية أشد البغضاء لأن إمامهم كان يقول بكفرهم في بعض الروايات عنه . والله أعلم . من خط أبي حيان " اهـ .

والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر [1] !

فأما أبو سعيد الحسن البصري فإنه كان ينكر الحكومة ، ولا يرى رأيهم وكان إذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثًا ، ولعن قتلته ثلاثًا ، ويقول : لو لم نلعنهم لَلُعِنّا ، ثم يذكر عليًّا فيقول : لم يزل أمير المؤمنين عليٌّ رحمه الله يتعرف النصر، ويساعده الظَّفر ، حتى حَكَّمَ ، ولِمَ تُحَكِّمُ والحَقُّ معكَ ؟ ألاَ تمضى قُدُمًا ـ لا أبالك ـ وأنت على الحق ؟!

* * *

قال أبو العباس : وهذه كلمةٌ فيها جفاءٌ ، والعرب تستعملها عند الحث على أخذِ الحقِّ والإغْراء ، وربما استعملتها الجُفاةُ من الأعرابِ عند المسألة والطلب ، فيقول القائل للأمير والخليفة : اُنظر في أمر رعيتك لا أبالَكَ ! وسَمِعَ سليمانُ بنُ عبد الملكِ رجلاً من الأعراب في سنةٍ جدْبة يقول :

رب العباد مالنا ومالكا ... قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا [2]

فأخرجه سليمان أحسن مخرج ، فقال: أشهد أنه لا أَبَا له ولا وَلَدَ ولا صاحبة . وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه :

أَبَنِي عُقَيْلٍ لا أَبَا لأَبِيكُمُ ... أَيِّي وأيُّ بِنِي كِلابٍ أَكْرَم [3]

وقال رجل من طيئ ، أنشده أبو زيد الأنصاري [4]:

يا قُرْطُ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أَبَا لكُم [5] ... يا قُرْطُ إنّي عليكم خائفٌ حَذِرُ

وانظر أبيات ابن المبارك في مدح الإمام مالك في سير أعلام النبلاء ١١٩/٨ ـ ١٢١ . وبهامش الأصل حاشية نقلها من حاشية نسخة نقلها من خط أبي حيان ، وبهامش بعض النسخ أيضًا حاشية أفاد صاحبها من كلام أبي حيان ولم يصرح بالنقل .

(١) قال الشيخ المرصفي : " الثريد الأعفر : الأبيض ليس بالشديد البياض ، يريد الثريد الممتلئ بالإدام " رغبة الآمل ١٤٤/٧ .

(٢) الرجز بلا نسبة فى رصف المباني ص٢٤٥.

(٣) البيت مع آخر أنشدهما أبو زيد في النوادر ٢٤ لحيان بن قرط اليربوعي ، وروايته :

أبني سليط لا أبا لأبيكم ... أيي وأي بني صُبَيْرٍ أكرم

(٤) في النوادر ص ٦١.

(٥) (قرط)"بضم فسكون "ابن ابى حارثة بن (حيّ)"بالتصغير" من بنى ثعل بن عمرو بن الغوث ابن طيئ يريد يا بنى قرط .

أَأَنْ رَوَى مِرْقَسٌ [1] واصْطَافَ مِنَ التِّلاعِ التي قد جادَها المطرُ
قُلْتُمْ لَهُ اهْجُ تَمِيْمًا لا أَبَا لَكُمُ في كَفِّ عبدِكُم عَنْ ذاكُمُ قِصَرُ
فإنَّ بَيْتَ تَميمٍ ذُو سَمِعْتَ بِهِ فيه تَنَمَّتْ وأَرْسَتْ عِزَّها مُضَرُ

قوله " يا قرط قرط حُيَي " نَصبُهما معًا أكثرُ على ألسنة العرب ، وتأويله : أنهم أرادوا " يا قُرْطَ حُيَيٍّ " فأقحموا " قرطًا " الثاني توكيدًا ، وكذلك [2]:

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أَبَا لكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوْأَةٍ عُمَرُ [3]

ومثله [4] :

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ [5] تَطاوَلَ الليلُ عليكَ فانزل

فإن لم تُرد التوكيد والتكرير لم يجز إلا رفع الأول " يا زيد زيد اليعملات و"يا تيم تيم عدي " كما تقولُ :" يا زيدُ أخَا عمرو " على النعت . ومثل الأول في التوكيد "ويا بُؤْسَ للحربِ"[6] أراد : يا بؤسَ الحربِ ، فأَقْحَمَ اللامَ توكيدًا ؛ لأنها توجب الإضافة.

---

(١) في بعض النسخ : مرقش ، وهو تصحيف . ومرقس بكسر الميم وسكون الراء وفتح القاف كذا ضبط في النسخ والنوادر ، و هو وجه لم ينصوا عليه ، فقد نص الأمير على أنه بفتح الميم وسكون الراء وفتح القاف وتضم القاف ، شاعر طائي . انظر الإكمال ٢٣٧/٧ ، والتاج (رقس) .

(٢) البيت له ديوانه ق ٢٢/٢٧ جـ ٢١٢/١ ، والكتاب ٢٦/١ - ٣١٤ ، والمقتضب ٢٢٩/٤ . وسلفت الإشارة إليه .

(٣) البيت من البسيط وهو لجرير في ديوانه صـ ٢١٢ ،والأزهية صـ ٢٣٨،والأغاني ٣٤٩/٢١،وخزانة الأدب ٢٩٨/٢،٣٠١،٩٩/٤،١٠٧،والخصائص ٣٤٥/١،والدرر ٢٩/٦،وشرح أبيات سيبويه ١٤٢/١،وشرح شواهد المغنى٨٥٥/٢،وشرح المفصل ١٠/٢ ،والكتاب ٥٣/١ ،٢٠٥/٢،واللامات صـ١٠١،ولسان العرب ١١/١٤(أبى)والمقاصد النحوية ٢٤٠/٤٠،والمقتضب ٢٢٩/٤،ونوادر أبي زيد صـ١٣٩ وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٢٠٤/٤،وأمالى ابن الحاجب ٧٢٥/٢،وجواهر الأدب صـ١٩٩،٤٢١،وخزانة الأدب ٣٧٧/٨،١٩/١٠،ورصف المباني ص٢٤٥وشرح الأشمونى٤٥٤/٢،وشرح ابن عقيل صـ٥٢٢،وشرح المفصل ١٠٥/٢،٢١/٣،ومغنى اللبيب ٤٥٧/٢،وهمع الهوامع ١٢٢/١.

(٤) البيت لعبد الله بن رواحة كما في الخزانة ٣٦٢/١ ، والسيرة النبوية ١٩/٤ ، وهو من شواهد الكتاب ٣١٥/١، والمقتضب ٢٣٠/٤ .

(٥) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة السريعة ، والذبل : الضوامر . عن رغبة الآمل ١٤٦/٧ .

(٦) من قول سعد بن مالك :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

وهو من كلمة حماسية ، انظر ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٥٠٠ ، وقد استشهد سيبويه والمبرد ببعض البيت وهو " يا بؤس للحرب " ، انظر الكتاب ٣١٥/١ والمقتضب ٢٥٣/٤ ، وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٣١١/٤ .

وعلى هذا جاء " لا أَبَا لك " و " لا أبا لزيدٍ " ولولا الإضافة لم تَثْبُتِ الألفُ في الأب؛ لأنك تقول: رأيتُ أباك ، فإذا أفردت قلت : هذا أبٌ صالحٌ . وإنما كانت " لا أَبَاكَ" كما قال[1]:

أَبالْمَوْتِ الذي لا بُدَّ أنّي　　مُلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِي

وقال الآخر[2]:

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ　　وأيُّ كريمٍ لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ

وقوله : " أَأَنْ رَوَى مِرْقَسٌ " رجلٌ . و"رَوَى" : استقَى لأهله ، يقال : فلانٌ راويةُ أهلِهِ : إذا كان يستقي لأهله ، والتي على البعير والحمار المزادةُ ، فإن كَبُرَتْ وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهي المُثَلَّثَةُ ، وأصغرُ منها السطيحةُ ،وأصغرهن الطَّبْعُ .

وقوله: " واصطاف أعنزهُ " يريد : افتعلت ، من الصيف ، أي : أصابت البقل فيه.

و " التَّلْعَةُ " : ما ارتفع من الأرض في مُستقر المَسِيلِ إذا تجافى السيلُ عن متنه، وجمعه " تِلاَعٌ " .

وقوله : " ذو سمعَت به " يريد : الذي ، وكذلك تفعل طيىء ، تجعلُ "ذو"[3] في معنى " الذي " ، قال زيد الخيل لبني فزارة ، وذكر عامر بن الطفيل، فقال : إني أرى في عامر ذو ترون .

وقال عارقٌ الطائي[4]:

---

(١) وقد سلف البيت ، وهو لأبي حية النميري وينسب لغيره . ديوانه صـ١٧٧،وخزانة الأدب ٤/ ١٠٠،١٠٥،١٠٧،والدرر٢/ ٢١٩ ، وشرح شواهد الإيضاح صـ٢١١،ولسان العرب ٢١٠/١١، ١٢/١٤(أبي)١٥٠/١٦٣(فلا). وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ١٣٢/٣، والخصائص ٣٤٥/١،وشرح التصريح ٢٦/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى صـ٥٠١ وشرح شذور الذهب ص٤٢٤،وشرح المفصل٢/ ١٠٥،واللامات١٠٣، والمقتضب ٣٧٥/٤،والمقرب ١٩٧/١،والمنصف ٣٣٧/٢،وهمع الهوامع ٣٣٧/١ .

(٢) البيت لمسكين الدارمي ، وقد سلف ونبهنا ثمة على أن صواب روايته: لا أبالك يمنع . ديوانه صـ٣١،والكتاب ٢٧٩/٢، وبلا نسبة فى جواهر الأدب صـ٢٤٢ ، وشرح المفصل ١٥٠/٢ ، وكتاب اللامات صـ١٠٣،ولسان العرب ١٢/١٤(أبي)،والمقتضب ٣٧٥/٤ .

(٣) بهامش نسخة ما نصه:" قال أبو حاتم:"ذو"تقع بلفظ واحد للمؤنث والمذكر والمثنى والجمع".

(٤) النوادر ٦١ ، والنقائض ١٠٨٢ ، والأغاني ٢٢٨١٨٧ ، وألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات ٣٢٧/٢) . البيت من الطويل وهو فى شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص ١٧٤٦ ، ولسان العرب ١٠ / ٢٥٠ (عرف). وتاج العروس (عرف) ، وله أو لعمرو بن ملقط فى نوادر أبي زيد صـ٦١،وبلا نسبة فى خزانة الأدب ٤٣٨/٧،٣٣٩/١١،ورصف المباني صـ٢٤٣،وسر صناعة الإعراب ٣٩٧/١ وشرح المفصل ١٤٨/٣

فإن لم تُغَيِّرْ بَعْضَ مـا قَـدْ فَعَلْتُـمُ لأَنْتَحِيَـنْ لِلْعَظْـم ذُو أنَـا عارِقُـهْ

يريد : الذي .

ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتمادًا لإيثار لغة قومه ، قال الحسن بن هانئ الحَكَمِيُّ[١] :

حُبُّ المُدَامَـةِ ذُو سَـمِعْتَ بـهِ لم يُبْـقِ فيَّ لغَيْرِهـا فَضْـلاَ

وقال حبيب بن أوس الطائي :

أنا ذُو عَرَفْتِ فإنْ عَرَتْكِ جَهالةٌ فأنـا المقيـمُ قِيامـةَ العُـذَّال[٢]

وقال الحسن بن وهب الحارثي :

عَلِّلاَنِـي بذِكْرِهـا عَلِّلاَنِـي واسْقِيانِي أَوْ لا فَمنْ تَسْـقِيَان

أَنا ذُو لم يَزَلْ يَهُـونُ على النَّد مَـان إنْ عَـزَّ جـانبُ النَّدْمـانِ

ويكـونُ العزيـزَ في سـاعةِ الـرَّوْ ع بصَدْق الطِّعَان يـومَ الطِّعـان

* * *

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج .

قال أبو العباس : وكان في جملة الخوارج لَدَدٌ واحتجـاجٌ ، علـى كثـرة خطبـائهم وشعرائهم ، ونفاذ بصيرتهم ، وتوطين أنفسهم على المـوت ، فمنهـم الـذي طُعِـن فـأنفذهُ الرمحُ فجعل يسعى فيه إلى قاتله وهو يقول : ﴿ وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[٣].

ويُروَى عن النبي ﷺ أنه لما وصفهم قال : " **سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ ، يَقْرَءُونَ القُـرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم ، عَلاَمَتُهُمْ رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ**"[٤].وفي حديث عبد اللّـه بـن عمـرو[٥]: **رجلٌ يقَال له ذو الخُوَيْصِرَةِ ، أو الخُنَيْصِرةِ** " . ويروى عن النبي ﷺ : أنه نظـر إلى رجـل

---

(١) هو أبو نواس . ديوانه ص ٤٧٠ . وروايته :

ذو لهجت بها

(٢) البيت في الأغاني (١٦/رقم ٤٢٤).

(٣) سورة طه : ٨٤ .

(٤) أخرجاه بنحوه فى الصحيحين"أخرجه البخارى فى"التوحيد"،باب: قـراءة الفـاجر والمنـافق ..." (٤٥٤/١٣)، (ح٧٥٦٢)، ومسلم فى الزكاة " ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (ح١٠٦٤)، وكذا أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد .

وبهامش بعض النسخ ما نصه : "ابن شاذان : قوله عليه السلام :مخدج اليد" أي : ناقصها ، يقـال: أخدجت الناقة وغيرها : إذا ألقت ولدها ناقص الخلق فهي مُخدِج والولد مخدَج " اهـ .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ١٣٩/٤ .

ساجدٍ ، إلى أن صلى النبي ﷺ ، فقال : ألاَ رجلٌ يقتله ؟ فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال : أأقتلُ رجلاً يقولُ : لا إلـه إلاّ اللّه ؟ فقال النبي ﷺ : ألا رجلٌ يفعل ؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك ، فلما كان في الثالثة قَصَدَ له عليٌّ ﷺ فلم يَرَه ، فقال رسول اللّه ﷺ : " **لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنَةٍ وآخِرَها** " [1]

ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه ذكر المُخْدَجُ عن النبي ﷺ ، فقال أبو مريم : واللّه إن كان معنا لفي المسجد وكان فقيرًا ، وكان يَحْضُرُ طعام علي إذا وضعه للمسلمين ، ولقد كسوته بُرْنسًا لي ، فلما خرج القومُ إلى حروراءَ قلتُ : واللّه لأنظرنَّ إلى عسكرهم ، فجعلت أتخللهم حتى صرت إلى ابن الكوَّاء وشَبْثِ بنِ ربعِيّ ، ورسلُ عليٍّ تُناشِدُهم ، حتى وثب رجلٌ من الخوارج على رسولِ لعلي ، فضرب دابته بالسيف ، فحمل الرجل سرجه وهو يقول : إنا للّه وإنا إليه راجعونَ ! ثم انصرف القوم إلى الكوفة ، فجعلت أنظر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيدٍ، فرأيت المخدج، وكان مني قريبًا ، فقلتُ : أكنتَ مع القومِ ؟ فقال : أخذتُ سلاحِي أريدُهم فإذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي ! فلما كان يوم النهروان قال عليٌّ: اطلبوا المُخْدَج ، فطلبوه فلم يجدوه ، حتى ساء ذلك عليًّا ، وحتى قال رجلٌ : لا واللّه يا أمير المؤمنين ما هو فيهم ، فقال عليٌّ : واللّه ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ، فجاء رجلٌ فقال: قد أصبناه يا أمير المؤمنين ، فخرَّ عليٌّ ساجدًا ، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سَجَدَ، وقال : لو أَعْلَمُ شيئًا أفضلَ منه لفعلتُه ، ثم قال : سيماهُ أن يده كالثدي ، عليها شعرات كشارب السنور ، ايتوني بيده المخدجة ، فأتوه بها ، فنصبها .

قال أبو العباس : ويروى عن أبي الجَلْد أنه نظر إلى نافع بن الأزرق الحنفي وإلى نظره وتوغله وتعمقه ، فقال: إني لأجدُ لجهنم سبعة أبوابٍ ،وإن أشدها حرًّا للخوارج، فاحذر أن تكون منهم .

وقال : وكان نافعٌ ينتجع عبد اللّه بن العباس فيسأله ، وله عنه مسائلُ[2] من القرآن وغيره ، قد رجع إليه في تفسيرها ، فقبله وانتحله ، ثم غلبت عليه الشقوة، ونحن ذاكرون منها صدرًا إن شاء اللّه .

* * *

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) جمع أكثر هذه المسائل الإمام السيوطي في الإتقان ثم رتبها الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على حسب أوائل حروف المادة التي منها اللفظة الغريبة واكتفى بذكر معناها مع الشاهد الشعري وألحقها بكتابه معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري ص ٢٣٤ - ٢٩٢ .

وقد روى طائفة من هذه المسائل ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٦ - ١٠٠ .

حدث أبو عبيدة معمرُ بنُ المثنى التيمي النسابة عن أُسامة بن زيد عن عكرمة قال : رأيت ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ، ويطلبُ منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جلَّ ثناؤه ﴿ واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ [1] فقال ابن عباس : وما جَمَعَ ، فقال : أتعرفُ ذلك العربُ ؟ فقال ابن عباس : أَمَا سمعتَ قول الراجز [2]:

إنَّ لنا قَلاَئِصًا حَقَائِقَا مُسْتَوْسِقات لو يَجِدْنَ سائِقَا

هذا قول ابن عباس ، وهو الحقُّ الذي لا يقدح فيه قادحٌ ، ويعرض القول فيحتاج المبتدئُ إلى أن يزداد في التفسير .

قوله : " حَقَائِقا " إنما بَنى الحِقَّة من الإبل — وهي التي قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها - على "فَعيلَةٍ"مثلَ:" حقيقةٍ " ولذلك جمعها على " حَقَائِقَ " . ويقال : "اسْتَوْسَق" القومُ : إذا اجْتَمَعُوا .

وروى أبو عبيدة في هذا الإسناد - ورواه غيرهُ وسمعناه من غير وجهٍ - أنه سأله عن قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قد جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [3] فقال ابن عباسٍ : هو الجدول ، فسأله عن الشاهد فأنشده :

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهُ أَزْوَرَا [4] إذا يَعِجُ في السَّريِّ هَرْهَرَا[5]

" السَّلْمُ " : الدَّلْوُ الذي له عُرْوَةٌ واحدة ، وهو دلْوُ السَّقَّائِينَ ، وهو الذي ذكره طرفةُ فقال :

---

(١) سورة الانشقاق : ١٧ .

(٢) هو للعجاج أو طرفة . انظر ديوان العجاج — ملحقات مستقلة ٣٠٧/٢ ، وديوان طرفة ص ١٨٠ . والثاني بلا نسبة في مجاز القرآن ٢٩١/٢ ، وهما بلا نسبة في الفاضل ص ١٠ . وتاج العروس(وسق) : ولسان العرب ٣٨٠/١ (وسق) ؛ وبلا نسبة فى تهذيب اللغة ٢٣٥/٩ ؛ وديوان الأدب ٢٨٣/٣؛ولسان العرب ٣٨٠/١٠(وسق) .

(٣) سورة مريم : ٢٤ .

(٤) الرواية الصحيحة

سلما ترى الدالج منه أزورا إذا تَعِبُّ فى السرى هرهرا

وذلك أن السلم مذكر لا غير ، وجمعه أسلم وسِلام كأكلب وأما الدلو فتأنيثه أعلى ولا يقال: عجت الدلو وإنما يقال: عبت إذا غرفت الماء فصوتت ، وهرهر من الهرهرة : وهى حكاية صوت الماء الكثير عند جريه ، وكذلك اللبن عند الحلب والأزور المائل . رغبة الآمل ١٥٥/٧ .

(٥) بهامش نسخة ما نصه : وقال حميد بن ثور في السريّ أيضا :

ذكّرها الصيف سريا بارداً لمنحنى اللّصْبِ نهاه منعرجْ

اللصب : صدع في الجبل . ونهاه : حبسه " اهـ .

والرجز بلا نسبة فى لسان العرب (هرر) ، وكتاب العين ٣٥١/٣ ، ٢٦٥/٧ ، وتهذيب اللغة ٣٦١/٥ ، وتاج العروس ٤٢٣/١٤ (هرر) ، ومقاييس اللغة ٢٤/٤ ، والمخصص ٢٦/١٧ . ويروى "الدالى" بدلا من "الدالج" و"يَعُبُّ"بدلا من "يعج"

لَهَا مِرْفَقَانِ أفْتلاَنِ كأنَّما أمِرَّا بسَلْمَيْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ[1]

و " الدَّالِجُ " : الذي يمشي بالدلو بين البئر والحوض،وأصحاب الحديث يُنشدون: " تَرَى الدَّالِيَ منه أزْوَرَا " وهذا خطأٌ لا وجهَ له [2] .

وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعًا سأل ابن عباس عن قوله :﴿عُتُلٍّ بعدَ ذلِكَ زَنِيمٍ﴾[3] : ما الزنيمُ ؟ قال : هو الدَّعِيُّ المُلْزَقُ ، أما سمعتَ قولَ حسَّانَ بن ثابتٍ :

زَنيمٌ تَداعَاهُ الرجالُ زِيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأدِيمِ الأكَارِعُ[4]؟

ويزْعُمُ أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التي بحلق الشاة،كما يقولون:لمن دخل في قومٍ ليس منهم:زَعْنَفةٌ وللجمع " زَعانِفُ "، و" الزَّعْنَفَة ": الجَنَاحُ من أجنحة السَّمك.

[قال أبو الحسن الأخفش : كذا قال : " زَعْنَفَةٌ " والناسُ يقولون:" زِعْنِفَةٌ " بكسر الزاي وهو الوجه [5]] .

ورُوي عن غير أبي عبيدة أنه سأله عن قوله جلَّ اسمُه ﴿والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ﴾[6] قال : الشِّدَّةُ بالشدَّةِ ، فسأله عن الشاهد فأنشدَه :

---

(١) البيت من الطويل وهو لطرفة بن العبد فى ديوانه صـ٢٥؛ولسان العرب ٥١٥/١ (فتل)؛وتاج العروس (فتل) ؛ومقاييس اللغة ٤٧٢/٤؛ وبلا نسبة فى لسان العرب ٢٧٣/٢ (دلج)، وجمهرة اللغة ص٤٥٠؛ وتاج العروس ٥٧٣/٥(دلج).

(٢) قال علي بن حمزة في التنبيهات : " وبلي ! له وجه وأي وجه ! يقال : دلا دلوه يدلوها دلوا: إذا نزعها مملوءة وقد شرحنا دلا وأدلي فيما نبهنا علي أبي عمرو والأصمعي في صدر كتابنا هذا ولا معنى لإعادته ههنا ، ولا معنى لقوله أصحاب الحديث ، أنشده الأصمعي وغيره [كذلك] . ونقل العلامة الميمني في تعليقه عليه كلام ابن حمزة الذي أحال عليه وهو : " ومثله قول العجاج : يكشف عن جماته دلو الدال ...وإنما الدالي الذي ينزع الدلو من البئر مملوءة ...قال الراجز : دلوا تري الدالي منه أزورا . وأدلى دلوه ...أرسلها ليملأها . قال الله عز وجل : ﴿ فأرْسَلوا وَارِدَهُمْ فأدلَى دَلْوَه ﴾ أي : أرسلها ، وإنما يكشف عن الجمة دلو المدلي إذا أرسلها ثم يصل إلى الماء فيغرف ثم يدلوها بعد ذلك وقد ذهب ما كان على الجمة ، ولما كان المدلي إذا أدلى عاد فدلا قال العجاج : دلو الدال ....وقد غلط في تفسير بيت العجاج الرواة وآخرهم ثعلب ، وما علمت أن أحداً شرحه شرحنا " اهـ . ونقل هذا الكلام ابن بري في اللسان (دلا).

(٣) سورة القلم : ١٣ .

(٤) كذا !والبيت من الطويل وهو للخطيم التميمي ، فى لسان العرب ٢٢٧/١٢ انظر سيرة ابن هشام ٣٨٦/١ - ٣٨٧ ، واللسان (زنم) . أما بيت حسان فقد أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٦٥/٢ وهو :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ولحسان بن ثابت فى ديوانه؛ وتاج العروس(زنم)، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٢٩/٣؛ واساس البلاغة(زنم).

(٥) نبه على ذلك أيضاً ابن حمزة في التنبيهات ١٦٢ وقد ضبطته في المتن بالفتح لما نبه عليه أبو الحسن وابن حمزة .على أن الفتح والكسر قد حكيا في زعنفة . انظر اللسان والتاج (زعنف) .

(٦) سورة القيامة : ٢٩ .

أخُو الحَـرْبِ إنْ عَضّتْ بـهِ الحَـرْبُ   وإنْ شمّرتْ عن سَاقِهَا الحَرْبُ شَـمَّرَا[1]

قال أبو العباس : وقرأت على عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التي يهجو فيها آل المُهَلَّبِ بن أبي صفرة ، ويمدح هلال بن أحْوزَ المازني ويذكر الوقعة التي كانت لهم عليهم بالسِّنْدِ في سُلْطانِ يزيدَ بن عبد الملك ، بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه :

أقولُ لها مِن ليلةٍ ليس طُولُها   كطُول الليالي لَيْتَ صُبْحَكِ نَوَّرَا[2]

أخاف على نَفْس ابن أحْوَزَ إنّه   جَلاَ حُمما فوقَ الوُجُوهِ فأَسْفَرَا[3]

جَعَلت لِقَبْر لِلْخِيَار ومَالِكٍ[4]   وقبر عَدِيٍّ في المَقابر أَقْبُرَا[5]

وأَطفأْتَ نِيرانَ المَزُون[6] وأهلِها   وقَدْ حاولوها فِتْنةً أن تُسعَّرا

فلم تُبْق مِنْهُمْ رَايَةً يَرْفَعُونَهَا   ولم تُبْق من آل المُهَلَّبِ عَسْكَرَا

ألا رُبَّ سَامِي الطَّرْفِ من آل مازن   إذا شَمَّرَتْ عن ساقِها الحَرْبُ شَمَّرَا[7]

---

(١) البيت لحاتم الطائي ، ديوانه ص ٤٩ .

(٢) ديوانه ١/٤٦٩ - ٤٧٠ . وفي الرواية اختلاف .

(٣) بعده في زيادات بعض النسخ : " قال الشيخ أبو يعقوب : الذي رويت في شعر جرير :

حذاراً على نفس ابن أحوز إنه   جلا كل وجه من معد فأسفرا

وقوله : " عدي " يعني " عدي بن أرطاة الفزاري ، قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط ، وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله " .

وهذه الرواية التي ذكرها أبو يعقوب هي رواية النقائض ٩٩٢ . ورواية الديوان :

أخاف على نفسي ابن أحوز إذ شفى   وأبلى بلاء ذا حجول مشهّرًا

إلا أن روايته في الديوان ١/١٨٠ كما رواه المبرد . وانظر البيت ١٢ في الديوان فعجزه هو عجز البيت على رواية المبرد والديوان في الموضع الأول. (جلاحمما فوق الوجوه فأسفرا) هذه رواية منكرة أفرد فيها ضمير الوجوه وذلك لحن لا يحتمل والحمم جمع حُمة بالضم"وهى الفحم يكنى بها عن المخازى . رغبة الآمل ٧/١٥٨ .

(٤) وفي الديوان والنقائض : جعلت بقبر . فى بعض النسخ : ويروى للخيار وواسط إلخ هذه رواية منكرة كان الصواب إسقاطها وذلك لأمرين : أحدهما : أن أرباب المعاجم لم يذكروا أن (الخيار) موضع البتة ثانيهما :فساد التركيب على ما روى لأن ظاهره يدل على أن قبر عدى ليس بواسط لعطفه بالواو، وهويزعم أنه بواسط على أنه كان اللازم أن يقول: جعلت لقبر بالخيار وواسط على ما زعم وهذا كله غير صواب .

(٥) بعده في زيادات بعض النسخ:ويروي:للخيار وواسط.الخيار:موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعي ، وواسط:بها قبر عدي بن أرطاة الفزاري.وأنكر الشيخ المرصفي هذه الرواية.انظر. رغبة الآمل ٧/١٥٩ .

(٦) (المزون) ضبطه أبو منصور الجواليقى "بفتح الميم " قال : ولا تقل المزون بضمها .بعده فى زيادات بعض النسخ : " المزون : عمان ، بالفارسية " .

(٧) الأبيات فى ديوان جرير ١٨١.

فهذا نظير ذلك . و " المَزُونُ " : عُمانُ [1]؛ قال الكميت : [2]

فأمَّا الأَزْدُ أَزْدُ أبي سَعيدٍ [3] فأكْرَهُ أن أُسَمِّيَهَا المَزُونَا [4]

وقال الآخر يعني الحرب :

فإنْ شَمَّرتْ لكَ عَنْ ساقِها [5] فَوَيْهًا حُذَيْفَ ولا تَسْأَم [6]

---

(١)بهامش نسخة ما نصه : " سمتها بذلك المجوس ، ثم سميت الأزد لأنها دارهم " .
(٢) شعره ـ القسم الأول ص ١١٧ .
(٣) هو المهلب بن أبي صفرة ، وعن أبي عبيدة : كان أردشير بن بابك جعل الأزد بشحر عمان قبل الإسلام بستمائة سنة (وقال آخر) : هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي .
(٤) البيت من الوافر ،وهو للكميت في ديوانه ٢/١١٧،ولسان العرب ٤٠٧/١٣(مزن)وتهذيب اللغة ٢٣٢/١٣، وتاج العروس (مزن)؛ومعجم ما استعجم صـ١٢٢٢(مزون) .
(٥) (فويها حذيف) هذا غلط ،وإنما الرواية :فويها ربيع ولا تسأم وهذا البيت من أبيات قالها قيس ي شحناء كانت بينه وبين الربيع بن زياد العبسي، وذلك أن الربيع كان ساوم قيسا في درع له فأخذها وهو راكب فوضعها بين يديه ثم ركض بها و لم يردها على قيس فأغار قيس على إبل له فأطردها ، وقال :

إن تك حربٌ فلم أجنها جنتها خيارهم أوهمُ

حذار الردى إذ رأوا خيلنا مقدمها سابح أدهم

عليه كميّ وسرباله مضاعفة نسجها محكمُ

فإن شمرت لك عن ساقها فويها ربيعُ ولا تسأمُ

نهيتُ ربيعا فلم يزدجر كما ازدجر الحرث الأضخم

والحرث الأضخم رجل من بني ضبيعة بن نزار ،كان صاحب مرباع وفي بعض النسخ (تقول: ويها لزيد) وهذا خطأ صوابه يا زيد لأن الإغراء يقتضي الخطاب .وعبارة اللغة تقول: ويها يا فلان كما قال قيس : ويها ربيع وقال ابن الكميت :

وجاءت حوادث في مثلها يقال لمثلي : ويهًا فُلُ

يريد: يا فلان ، وقال الآخر

ويها فداء لك يا فضاله أجِرهُ الرمح ولا تهاله

(٦) زعم المرصفي أن البيت لقيس بن زهير العبسي وأن الرواية :

فإن شمرت لك عن ساقها فويهًا ربيع ولا تسأمُ

انظر رغبة الآمل ١٦٠/٧ . ورواية بيت قيس في النقائض ٩٢ " ولا تسأموا " وفي الأغاني ٢٠٠/١٧ " ولم تسأموا ". فإن لم يكن ما أنشده المبرد من كلمة أخرى فهو لقيس ، وصواب روايته ما رواه صاحب النقائض .
وبعد البيت في زيادات بعض النسخ : " تقول : ويهًا لزيد : إذا زجرته عن الشيء فأغريته به ، وواها له : إذا تعجبت منه .وحذيف :يريد حذيفة فرخم : . وانظر تعليق المرصفي في رغبة الآمل ١٦٠/٧ - ١٦١ .

ورُويَ عن أبي عُبيدة من غير وجه:أنه سأله فقال:أرأيتَ نبيَّ اللّه سليمان ﷺ، مع ما خوَّله اللّه وأعطاه كيف عُنِيَّ بالهُدْهُدِ على قِلَّتِه وضُؤولَتِهِ ؟ فقال له ابنُ عباسٍ : إنَّه احتاجَ إلى الماء ، والهدهد قَنَّاءٌ [١] ، الأرضُ له كالزُّجاجةِ ، يَرَى باطِنَهَا من ظاهِرِها ، فسأل عنه لذلك . قال ابنُ الأزرق : قِفْ ياوَقَّافُ ! كيف يُبْصِرُ ما تحتَ الأرضِ والفَخُّ يغَطَّى له بمقدار إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبْصِرُه حتى يقع فيه ؟ فقال ابنُ عباسٍ : ويحك ياابْنَ الأزرقِ ! أما علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِيَ البصرُ ؟! .

ومما سأله عنه :﴿ الم ذلك الكتابُ ﴾ [٢] فقال ابنُ عباسٍ : تأويله : هذا القرآن . هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهدًا عن ابن عباسٍ ، وأنا أحْسِبُه لم يَقْبَلْه إلا بشاهدٍ . وتقديره عند النحويين إذا قال:" ذلك الكتابُ " : أنهم قد كانوا وُعِدُوا كتابًا ، وهكذا التفسيرُ ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ فلمَّا جاءَهم ما عَرَفُوا كَفَرُوا به ﴾ [٣] يعني بذلك اليهودَ ، وقال : ﴿ يَعْرِفُونَه كما يَعْرِفونَ أبناءَهم ﴾[٤] فمعناه : هذا الكتاب الذي كنتم تَتَوقَّعونه . وبيتُ خُفَافِ بن نُدْبَة على ذلك يَصِحُّ معناه . وكان من خبره أنَّه غَزَا مع معاويةَ بن عَمْرو أخي خَنْساءَ مُرَّةَ وفَزارة ، فَعَمَدَ ابْنَا حَرْمَلَة دُرَيدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّانِ عَمْدَ مُعاويةَ ، فاستطْرد له أحدهما ، فحمل عليه فطعنه ، وحَمَلَ الآخر على معاوية فطعنه مُتَمَكِّنًا ، وكان صَمِيمَ الخيلِ ، فلما تنادوا " قُتِلَ معاويةُ] قال خفاف بن نُدْبة - وهي أُمُّهُ، وكانت حبشية ، وأبوه عُميرٌ ، وهو أحد بني سُلَيْم بن منصور - : قتلني اللّه إنْ رِمْتُ حتى أثأر به ، فحمل على مالك بن حمارٍ ، وهو سيد بنى شمخ بن فزارة فطعنه فقتله ، فقال خُفافُ بنُ نُدْبَةَ :

إنْ تَكُ خَيْلي قَدْ أُصيبَ صَمِيمُها ... فَعَمدًا على عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مالِكا

وَقَفْتُ له عَلْوَى وقَدْ خامَ صُحْبَتِي ... لأَبْنِيَ مَجْدًا أو لأثأرَ هَالِكا

والبيت من المتقارب ، لقيس بن زهير فى لسان العرب ١٣/٥٦٣(ويه)وفيه اختلاف فى الرواية فإن فيه : (فإذا) ، و(ربيع) بدلا من حذيف .

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : "قال الخليل : يقال : رجل قَناء ومُقَنٌّ ، صاحب قنا ، قال : والقناة كظيمة تحضر تحت الأرض لمجرى ماء الأنباط " اهـ .

(٢) سورة البقرة : ١ - ٢ .

(٣) سورة البقرة : ٨٩ .

(٤) سورة البقرة : ١٤٦ ، وسورة الأنعام : ٢٠ .

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ :[1] تَأَمَّلْ خُفَافًا إنَّني أنا ذلِكا[2]

يريدُ : أنا ذلك الذي سمعتَ به . هذا تأويلُ هذا .

وقوله " يَأْطِرُ مَتْنَه " أي : يثْنِي ، يقال : أَطَرْتُ القوسَ آطِرُها أطْرًا ، وهي مأطُورةٌ.

و " عَلْوَى " : فَرَسُهُ .

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ:﴿لهم أجرٌ غيرُ ممنُونٍ﴾[3] فقال ابن عباس:غير مقطوع،فقال:هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال : قد عَرَفه أخوُ بني يَشْكُرَ[4]، حيثُ يقولُ:

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِن سُرْعَةِ الرَّجْـ ـعِ مَنِينًا كأنَّه أَهْبَاءُ[5]

قال أبو العباس : يعني الغبار ، وذلك أنها تقطعهُ قطعًا وراءها و " المنين " الضعيف المؤذن بانقطاع ، أنشدني التَّوزي عن أبي زيد[6] :

يا ريَّها إنْ سَلِمَتْ يَمِيني وسَلِمَ السَّاقي الذي يَلِيني

ولَمْ تَخُنِّي عُقَدُ المَنِين[7]

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " في الرواية : يأطر متنه ، بضم النون ، ومعنى يأطر . يثني ويعطف . ابن شاذان : يقال : أطرت العود آطره أطرا أي : عطفته . وفي الحديث : حتى يأطروه على الحق أطرًا ، أي :حتى يعطفوه . قال : وقال الخليل : الأطر : عوجك الشيء تقبض على أحد طرفيه وتأطره فينأطر . أطرت القوس أطرًا ، وأطرتها تأطيرًا ، فهي مأطورة ومؤطرة " اهـ .

(٢) البيت الأول من الطويل وهو لخفاف بن ندبة السلمي في ديوانه صـ٦٦؛ولسان العرب ٣٠٢/٣(عمد) ٣٤٧/٢ (صمم) ، ٣٠٧/١٣ (عين) ؛ وتاج العروس ٤١٧/٨(عمد)،(صمم)،(عين)، والتنبيه والإيضاح ٤٠/٢؛وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣١/١.والبيت الثاني من الطويل ،وهو لخفاف بن ندبة في ديوانه ص٦٤؛ولسان العرب١٥٣/١٤(جلا)،٩٥/١٥(علا)؛وتاج العروس (جلا). والبيت الثالث في الأغاني (٨٨/١٥).

(٣) سورة فصلت : ٨ ، وسورة الانشقاق : ٢٥ .

(٤) بهامش بعض النسخ مانصه : " هو الحارث بن حلِّزة اليشكريّ والبيت من معلقته ، انظر شرحك القصائد السبع الطوال صـ ٤٣٣ ، وشرح القصائد التسع ٥٥٣/٢ " .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " في رواية ابن شاذان :

فترى خلفها من الرجع والوقـ ـع منينًا كأنه أهباءُ

الرجع : رجع قوائمها . والمنين : الغبارالضعيف . الإهباء : مصدر ، يقال : أهبى،أي : أثار التراب. ويروى (أهباء) بفتح الهمزة جمع هبوة ، وهي الغبار ، ويجوز أنه قصر الممدود ثم جمعه " اهـ .

البيت من الخفيف،وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ص٢٢؛وجمهرة اللغة ص١٧٠؛والحيوان ٣٨٩/٤؛وشرح القصائد السبع ص٤٤٣؛ وشرح القصائد العشر ص٣٧٥؛وشرح المعلقات السبع٢١٩ وشرح المعلقات العشر ص١٢٠ .

(٦) انظر النوادر ص ١٢٩ .

(٧) الرجز بلا نسبة في لسان العرب ٤١٥/١٣؛ وجمهرة اللغة ص٩٩٢؛ والمخصص ١٧٣/٩ ؛ وأساس البلاغة (منن)؛ وتهذيب اللغة ٤٧١/١٥ .

يريد الحبلَ الضعيف ، فهذا هو المعروف ، يقال : " مَنينٌ " و " مَمْنونٌ " كقتيلٍ ومقتولٍ ، وجريح ومَجْروحٍ ، وذكر التوزي في كتاب الأضداد [1] أن " المَنينَ " يكونُ القويَّ ، فجعله " فعيلاً " من " المُنَّةِ " ، والمعروف الأول .

وقال غيرُ ابنِ عباسٍ : ﴿ لهم أجرٌ غيرُ مَمْنُونٍ ﴾ : لا يُمَنُّ عليهم فيُكَدَّرَ عندَهم .

* * *

ويُروى [2] من غير وجهٍ أن ابن الأزرق أتَى ابن عباسٍ يومًا فجعل يسأله حتى أمَلَّهُ ، فجعل ابن عباس يُظْهِرُ الضَّجَر ، وطَلَعَ عُمَر بنُ عبد اللّه بن أبي ربيعةَ على ابن عباس، وهو يومئذ غلامٌ ، فسلَّم وجلسَ ، فقال له ابنُ عباس:ألا تُنْشِدُنا شيئًا من شِعْرِكَ؟ فأنشده [3] :

أمِنْ آل نُعْم أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ

بحَاجَةِ نَفْس لم تَقُل في جَوابها ... فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالةُ تُعْذِرُ

تَهيمُ إلى نُعْم فلا الشَّمْلُ جامِعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ،ولا القلبُ مقصِرُ

ولا قُرْبُ نُعْم إن دَنَتْ لَكَ نافِعٌ ... ولا نَأْيُها يُسْلِي ولا أنتَ تَصْبرُ

وأُخرى أتَتْ من دُون نُعْم ومثْلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو يَرْعَوي أو يُفكِّرُ [4]

إذا زُرْتَ نُعْمًا لم يَزَلْ ذُو قَرابةٍ ... لها كُلَّما لاقَيتُه يَتَنَمَّرُ

عَزيزٌ عليه أنْ أمُرَّ ببابها ... مُسِرٌّ لِيَ الشَّحْناءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ [5]

ألِكْني إليها بالسَّلام فإنَّه ... يُشَهَّرُ إلْمامي بها ويُنَكَّرُ

بآيةِ ما قالتْ غَداةَ لَقِيتُها ... بمَدْفَعِ أكْنان أهذا المُشَهَّر؟

قِفي فانْظُري يا أَسْمَ هلْ تعرفِينَهُ ؟ ... أهذا المُغِيريُّ الذي كان يُذْكَرُ؟

---

(١) انظر أضداد التوزي في مجلة المورد ١٦٦/٣/٨ . وانظر أضداد ابن الأنباري ١٥٥- ١٥٨ .

(٢) انظر الفاضل ١١ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣٦٨/١ .

(٣) ديوانه ص ٩٢- ٩٤ .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : ويروى : نهى ذي النهى . نهى ههنا : الغاية ، أراد غاية العاقل ، والنُّهي العقل " اهـ .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ويروى :للبغض مظهر. المهلبي: الأجود : والبغض مظهر " اهـ .

أهذا الـذي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أكُنْ وعَيْشِكِ أنْسَاهُ إلى يومِ أُقْبَرُ؟!

فقالتْ : نَعَمْ ، لا شَكَّ غَيَّرَ لوْنَهُ سُرَى الليل يُحْيِي نَصَّه والتَّهَجُّرُ[1]

لَئنْ كان إيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنا عن العَهْدِ والإنسانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ

رَأَتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فَيَضْحى وأمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[2]

حتى أتمَّها ، وهي ثمانون بيتًا ، فقال له ابنُ الأزرق : للّه أنتَ يا بن عباس، أنضرب إليك أكباد الإبل ، نسألك عن الدين فتُعرض ، ويأتيك غلام من قريش، فيُنْشِدُكَ سفهًا فتسمعه ؟ فقال : تاللّه ما سمعتُ سفهًا ، فقال ابنُ الأزرق : أما أنشدك :

رَأتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فَيَخْزَى وأما بالعَشِيِّ فيَخْسَرُ؟

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال : " فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ " قال : أو تحفظ الذي قال ؟ قال : واللّه ما سمعتُها إلاَّ ساعتِي هذه ، ولو شئت أن أرُدَّها لرَدَدْتُهَا - قال : فارْدُدْهَا ؟ فأنشده إياها كلها .

وروى الزبيريون أن نافعًا قال له: ما رأيت أروى منك قطُّ ، فقال له ابنُ عباس: ما رأيت أروى من عُمَرَ ، ولا أعلمَ من عليّ .

[قال أبو الحسن : تعجب نافع من حفظه لها ، فقال ابن عباس : لو رأيت أمير المؤمنين عليّا لرأيتَ أحفظ منّي . إن كان لَيُغْفِلُ الآية في أوَّل ليلتِه ثم يُعِيدُها في آخرها في إثر قراءة الحمد ، وما شعرنا بإغفاله] .

وقوله: "فَيَضْحَى" يقولُ : يظهرُ للشمس. و"يَخْصَرُ" يقولُ :في البَرْدَين[3]، فإذا ذَكر العشِيَّ فقد دلَّ على عَقِيب العشيِّ ، قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ **وأنَّكَ لا تَظْمأُ فيها ولا تَضْحَى** ﴾[4] . " والضِّحُّ " : الشمسُ ، وليس مِنْ " ضَحِيتُ " يقال : " جاء فلانٌ بالضِّحِّ والرِّيح " يُرادُ به الكثرةُ ؛ قال علقمةُ[5]:

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : يقول : يصيبه الحر في الهاجرة والقر في الليل ، فيغير لونه ، والنصُّ : ضرب من السير. المهلبي : نصصت البعير في السير أنصه نصًّا : إذا رفعته " اهـ

(٢) الأبيات من الطويل وهى لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٩٢ . الأغاني (٨٢/١) .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه:"قال المهلبي: البَرْدان:الغداة والعشيُّ.قال:والأبردان:طرفا النهار ".

(٤) سورة طه : ١١٩ .

(٥) ديوانه ق ٤٣/٢ ص ٧١ .

أغَـرُّ أبْـرَزَهُ للضّـحِّ رَاقِبُـهُ مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مَفْغُومُ[١]

يعني إبريقًا فيه شرابٌ . وفي الحديث : " أنَّ رسولَ اللّـه ﷺ لما توجه إلى تبوك جاء أبو خيثمة ، وكانت له امرأتان ، وقد أعدَّت كل واحدة منهما من طيب تمر بستانه، ومهدت له في ظل ، فقال : أظل ممدود ، وثمرة طيبة ، وماء بارد ، وامرأة حسناءُ ورسولُ اللّه في الضِّحِّ والرِّيح !؟ ما هذا بخير ، فركب ناقته ومضى في أثره، وقد قيل لرسول اللّه ﷺ في نفرٍ تخلفوا ، أبوخيثمة أحدهم ، فجعل لا يذكر له أحدٌ منهم إلا قال : دَعوهُ فإنْ يُرد الله به خيرًا يُلْحِقْهُ بكم ، فقيل ذات يوم : يا رسول اللّه ، نَرَى رجلا يرفعه الآلُ ، فقال رسول اللّه ﷺ كُنْ أبا خيثمة ، فكانَهُ " [٢].

وإذا انبسطت الشمس فهو " الضُّحى " مقصورٌ ، فإذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعةٍ أو نحو ذلك فذلك " الضَّحاء " ممدودٌ مفتوحُ الأول .

* * *

وذكرت الرواة أن الحجاج أُتِيَ بامرأة من الخوارج ، وبحضرته يزيد بن أبي مُسلم مولاه ، وكان يستسر برأي الخوارج ، فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه ، فقال لها يزيد بن أبي مسلم : الأميرُ - ويلك - يكلمك ! فقالت : بل الويلُ - واللّه - لك أيها الفاسق الرِّدي [٣] "و" الرِّدِّيُّ " عند الخوارج : هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه .

وذكروا أن عبد الملك بن مروان أُتِيَ برجلٍ منهم فبحثهُ ، فرأى منه ما شاء فهمًا وعلمًا ، ثم بحثه فرأى ما شاء إربًا ودهيًا [٤]، فرغب فيه فاستدعاه إلى الرجوع عن

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ابن شاذان : فغمتني رائحة الطيب أي :ملأت أنفي تفغمني فغمًا".

(٢) صح حديثه فى توبة كعب بن مالك عند مسلم عندما لحق بالنبى ﷺ فى غزوة تبوك ولفظه: "....فبينما هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال ﷺ : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون "رواه مسلم فى" التوبة"، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٦١٦/٥) ط. الشعب . ذكره البيهقى فى "الدلائل"(٢٢٢/٥)من طريق ابن إسحاق وكذا الحافظ بن كثير فى "البداية" (٨،٧/٥) . وقد جاء ذكر أبي خيثمة هذا فى قصة ذكرها الحافظ الهيثمى فى" المجمع"(١٩٣،١٩٢/٦) وقال :" رواه الطبراني وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وهو ضعيف" .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الردي مهموز ، يقال : ردؤ الشيء : إذا صار رديئا ، والاسم الرداءة . والردي من الردَّة ، والردَّة : الرجوع عن الشيء ، ومنه رد عن الإسلام ، والردة : مصدر الارتداد .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : الدهي مصدرُ دِهي يدهى دهياً ودهاء إذا صار داهية . ابن شاذان : قال أبو زيدٍ : الإربُ والإربَة : الدَّهاءُ والفطنة ،رجل أريب بيِّنُ الإرب والإربة، وقد أربُ يأرب أرابة والمؤاربة : المداهاة والمخاتلة ، وفي الحديث : مؤاربة الأريب جهْلٌ وعناء، لأن الأريب لا يخدعُ عن عقله " .

مذهبه ، فرآه مُستبصرًا مُحَقِّقًا ، فزاده في الاستدعاء ، فقال له : لِتُغْنِكَ الأولى عن الثانية، وقد قلت فسمعتُ ، فاسمع أَقُلْ ، قال له : قُلْ ، فجعل يَبْسُطُ له من قول الخوارج ويزينُ له من مذهبهم بلسان طليقٍ وألفاظ بينة ومعانٍ قريبةٍ ، فقال عبد الملكِ بعد ذلك على معرفته : لقد كاد يوقِّعُ في خاطري أن الجنةَ خُلِقَتْ لهم، وأنّا أولى بالجهاد منهم، ثم رجعتُ إلى ما ثبتَ اللّه عليَّ من الحُجَّةِ وقَرَّرَ في قلبي من الحقِّ ، فقلتُ له : لِلّهِ الآخرة والدُّنيا ، وقد سَلَّطَنَا اللّهُ في الدنيا ، ومَكَّنَ لنا فيها وأراك لست تجيبُ بالقول، واللّه لأقتلنك إن لم تِطعْ ، فأنا في ذلك إذ دُخِلَ عليَّ بابني مروان - قال أبو العباس: كان مروانُ أخا يزيد لأمهِ ، أمهما عاتكةُ بنتُ يزيد بن معاوية ، وكان أبيا عَزيزَ النفس، فَدُخِلَ به في هذا الوقت على عبد الملك - باكيًا لضرب المؤدب إياهُ ، فشق ذلك على عبد الملك ، فأقبل عليه الخارجي ، فقال: دَعْهُ يَبْكي ؛ فإنه أرحبُ لشدقه ، وأصحُّ لدماغه، وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينُه إذا حضرته طاعة اللّه فاستدعى عبرتها، فأعجب ذلك من قوله عبد الملك ، فقال له مُتعجبًا : أما يَشْغَلُكَ ما أنت فيه وبعرضه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيءٌ ، فأمر عبد الملك بحبسه ، وصفح عن قتله ، وقال بعدُ يعتذرُ إليه : لولا أن تُفْسِدَ بألفاظك أكثرَ رَعِيَّتِي ما حبستُك ، ثم قال عبدُ الملك مَنْ شكَّكَني ووهَّمَني حتى مالت بي عصمةُ اللّه فغيرُ بعيد أن يستهوي من بعدي ، وكان عبد الملك من الرأي والعلم بموضعٍ .

وتزعم الرواة أن رجلاً من أهل الكتاب وفد على معاوية ، وكان موصوفًا بقراءة الكتب ، فقال له معاوية : أتجدُ نعتي في شيء من كتب اللّه ؟ ! قال : إي واللّه ، لو كنتَ في أمةٍ لوضعتُ يدي عليك من بينهم ! قال : فكيف تجدني ؟ قال : أجدك أول من يحول الخلافة مُلْكًا ، والخُشْنَةَ لينًا ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، قال معاوية : فَسُرِّي عني ، ثم قال : لا تقبل هذا مني ، ولكن من نفسك فاجتب[1] هذا الخبر ! قال: ثم يكون ماذا؟ قال : ثم يكون منك رجل شَرَّاب للخمر، سفاك للدماء، يحتجن الأموال[2]، ويصطنع الرجال ، ويَجْنُبُ الخيولَ ، ويُبيحُ حُرْمَةَ الرسول ! قال: ثم ماذا ؟ قال: ثم تكونُ فتنةٌ تتشعب بأقوام حتى يُفْضِي الأمر بها إلى رجل أعرف نعته، يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مَخْسُوسٍ،فَيُجْتَمَعُ عليه من آلك وليس منك،لا يزالُ لعدوه قاهرًا،وعلى من

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : اجْتبيتُ الخراج اجتباء أي: جمعتُ ، ومنه قيل : اجتبيتُ الرجل لنفسي " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : "ابن شاذان : احْتَجَنْتُ الشيء : إذا أخذته " .

ناوأه[1] ظاهرًا ، ويكون له قرين مبير لعين ! قال : أفتعرفه إن رأيته ؟ قال : شدَّمَا ، فأراه من بالشأم من بني أمية ، فقال : ما أراه ههنا ، فوجه به إلى المدينة مع ثقاتٍ من رسله ، فإذا بعبد الملك بن مروان يسعى مؤتزرًا في يده طائرٌ ،فقال للرسل : ها هو ذا ، ثم صاح به : إليَّ أبو مَنْ ؟ قال : أبو الوليد، قال : يا أبا الوليد ، إن بشرتُك ببشارة تسرك ما تجعل لي ؟قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجُعلِ؟ قال: أنْ تملك الأرض! قال : ما لي من مالٍ ، ولكن أرأيت إن تكلفت لك جعلاً أأنالُ ذلك قبل وقته؟ قال:لا، قال :فإن حَرَمْتُكَ أتُؤَخِّرُه عن وقته؟ قال: لا ، قال : حسبك ما سمعتَ !! فذكروا أن معاوية كان يُكرمُ عبد الملك ليجعلها يدًا عنده يجازيه بها في مُخَلَّفَتِهِ في وقته[2].

وكان عبد الملك من أكثر الناس علمًا ، وأبرعهم [3] أدبًا وأحسنهم في شبيبته ديانة، فقتل عمرو بن سعيد ، وتسمى بالخلافة ، فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف في حجره ، فأطبقه ثم قال :هذا فراق بيني وبينك !! .

قال أبو العباس : وحدثني ابن عائشة [4] عن حماد بن سلمة في إسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديقٌ ، وكان من أهل الكتاب فأسلم ، يقال له: يوسف ،فقال له عبد الملك يومًا ـ وهو في عنفوان نُسْكِهِ ، وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مُسلم بن عُقبة المري ، من مُرَّةِ غطفان ، يريد المدينة ـ : ألا ترى خيل عدو اللّه قاصدة لِحرَمِ اللّهِ ؟ فقال له يوسف : جيشك واللّه إلى حَرَمِ اللّه أعظمُ من جيشه ! فنفض عبد الملك ثوبه، ثم

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : تقول : ناوأت الرجلَ مُناوأة : إذا عادَيْته " .

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر : " هذه القصة كذبها ظاهر ، ولا يوجد مسلم يعتقد أن كتب الأنبياء السابقين ـ إن وجدت ـ فيها وصف تفصيلي لأفراد هذه الأمة المحمدية ، إنما بشر الأنبياء بمحمد ﷺ وبالأمة الإسلامية ...." انظر الكامل بتحقيقه ٩٧٢ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقول : بَرعَ الرجلُ براعَة : إذا تَمَّ في جَمالٍ أو علمٍ ، فهو بارع ، والاسم البَراعَةُ ، والمرأة بارعة " .

(٤) بهامش نسخة ما نصه : " الذي عهد منه أن يقول : وحدث ابن عائشة ، وذكر ابن عائشة ، وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم . على أنه قد يمكن أن يحدثه ؛ لأن المبرد ولد سنة عشر ومائتين وتوفي ابن عائشة سنة ثمانٍ وعشرين ومائتين ، وقد حدث المبرد عن عمرو بن مروان [كذا ، والصواب : عمرو بن مرزوق] عن شعبة ، ذكره على القرب من هذا الموضع ، وهذا توفي سنة أربع وعشرين ومائتين " اهـ . وقد مر الموضع الذي أحال عليه في تحديث المبرد عن عمرو بن مرزوق . وقد صرح المبرد بتحديثه عن ابن عائشة قال : وأنشدني ابن عائشة " . وحدث عنه من غير ما طريق ، انظر ما سلف.

قال : معاذ اللّه ؟ قال له يوسف : ما قلتُ شاكا ولا مُرتابًا ، وإني لأجدك بجميع أوصافك ، قال له عبد الملك : ثم ماذا ؟ قال : ثم يتداولها رهطك ، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تخرج الرايات السودُ من خُراسان [١] .

قال : وحُدِّثْتُ عن ابن جُعْدُبَةَ [٢]، قال : كنتُ عند أمير المؤمنين المنصور، في اليوم الذي أتاه فيه خروج محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن ،قال : فغمه ذلك: حتى امتنع من الغداء في وقته ، وطال عليه فكره ، فقلتُ :يا أمير المؤمنين ! أُحَدِّثُكَ حديثًا : كُنْتُ مع مروان بن محمد ، وقد قصده عبد اللّه بن علي ، قال : فإنّا لكذلك إذ نظر إلى الأعلام السود من بُعد ، فقال : ما هذه البُخْتُ المُجَلّلةُ ؟ قلتُ : هذه أعلام القومِ ، قال : فمن تحتها ؟ قلت : عبدُ اللّه بن علي بن عبد اللّه بن العباس ، قال: وأيُّهُمْ عبد اللّه ؟ قلت: الفتى المَعْرُوقُ [٣] الطويل ، الخفيف العارضين ، الذي رأيته في وليمة كذا يأكل فيجيد، فسألتني عنه فنسبته لك ، فقلت : إن هذا الفتى لَتِلقّامَةٌ [٤]، فقال: قد عرفته ، واللّه لوددتُ أنَّ علي بن أبي طالب مكانه [٥] ، قال : فقال لي المنصور: آللّهِ لسمعتَ هذا من مروان بن محمد ؟ قلت : واللّه لقد سمعتُهُ منه ، قال : يا غلامُ ! هات الغداء .

* * *

قال أبو العباس : وكان أهل النخيلة جماعة تجمعت بعد أهل النهروان ممن فارق عبد اللّه بن وهب ، وممن لجأ إلى راية أبي أيوب ، وممن كان أقام بالكوفة ، فقال : لا أُقاتل عليًّا ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم، فقام بينهم قائم يقال له: المستورد من بني سعد بن زيد مناة [٦]، فحمد اللّه وأثنى عليه

(١) قال الشيخ أحمد شاكر : " وهذه أيضاً من القصص المكذوبة التى افتريت لنصر بني العباس والطعن على بنى أمية ، وكذبها واضح لا يحتاج إلى برهان " .
(٢) كذا وقع ! وهو يزيد بن عياض بن جعدبة ، مدني متروك الحديث ، توفي زمن المهدي ، انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٤٣٦/٤ . والذي في تاريخ الطبري ٥٦٣/٧ ، والكامل لابن الأثير ٥٣٥/٥ " ابن جعدة " وهو سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي . وتكاد رواية المبرد تكون رواية أخرى للخبر ، ففيها اختلاف كبير عما روياه ، وانظر رغبة الآمل ١٧٣/٧.
(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : رجلٌ مَعْرُوق ومعرّقٌ : قليلُ اللّحْم " .
(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال ابن شاذان :حدثني أبو عُمرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابي: التلقامة : الشديدُ الأكْل ؟ .
(٥) لأن عليًّا وولده لا حظّ لهم في الخلافة ، كما في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير .
(٦) قال الشيخ المرصفي : " هذا ما حدث به أبو العباس ، ما أدري كيف حدّث ! وجميع المؤرخين على أن المستورد لم يخرج هو ولا غيره من الخوارج ممن كان بالنهروان أيام علي إلى أن قتل ، وأن

وصلى على محمدٍ ، ثم قال :إن رسول اللّه ﷺ أتانا بالعدل ،مُعْلِنًا مقالته ،مُبَلِّغًا عـن رَبِّـهِ، ناصحًا لأُمَّتِهِ ، حتى قبضه اللّه مُخَيَّرًا مُخْتَارًا ، ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقـاتل مـن ارتد عن دين رَبِّه ، وذكر أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصَّلاةَ بالزكـاةِ ، فـرأى تَعْطِيـلَ إحداهمـا طَعْنًا على الأُخرى ، لا بل على جميع منازلِ الدين ، ثم قبضه اللّـهُ إليـه موفـورًا ، ثـم قـام بعده الفاروقُ فَفَرَقَ بين الحقِّ والباطِلِ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ، لا مُؤْثِـرًا لأقاربِـهِ ، ولا مُحَكِّمًـا في دينِ رَبِّه ، وهأنتم تعلمون ما حَدَثَ ، واللّهُ ، يقولُ : ﴿ **وَفَضَّلَ اللّـهُ المُجَاهِدينَ على القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[١] فكلٌّ أجابَ وبَايَعَ .

فوجه إليهم علي بن أبي طالب عبد اللّه بن العباس داعيًا ، فأبوا ، فسار إليهم ،فقـال له عفيف بن قيس [٢]: يا أمير المؤمنين ، لا تخرج في هذه الساعة فإنها ساعة نحس لعـدوك عليك ! فقال له علي : توكلتُ على اللّه وحده ، وعصيتُ رأي كل مُتكهِّنٍ ، أنت تزعـم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ؟! ﴿**إنّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِـنْ دَابَّةٍ إلاَّ هُوَ آخِذ بِنَاصِيَتِها إنَّ رَبِّي عَلَى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[٣] ثـم سـار إليهـم فطحنهـم جميعًا ، لم يُفلت منهم إلا خمسة منهم المستورد ، وابن جوين الطائي ، وفـروة بـن شـريك الأشجعي ، وهم الذين ذكرهـم الحسـن البصـري ، فقـال: دعـاهُم إلى دِيـنِ اللّـه فجعلـوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا ، فسار إليهم أبو حَسَـنٍ فَطَحَنَهم طَحْنًا .

وفيهم يقول عمران بن حطان :

المستورد إنما خرج سنة ثلاث وأربعين أيام كان المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفـة في عهـد معاويـة ، وقد سلف أن عليا ـ رضي الله عنه ـ قتل سنة أربعين . والمستورد هذا ابـن علفـة ـ بضـم فشـد لام مفتوحة وفتح فاء ـ بن الفريش [كذا !] بن ضبارى ـ بفتح الضاد مقصور ـ أحد بـني تيـم الربـاب " رغبة الآمل ١٧٥/٧ ، وانظر الكامل في التاريخ ٤٢٥/٣ ـ ٤٣٦ . وتاريخ الطبري ١٨١/٥ ـ ٢٠٩ وفي جمهرة أنساب العرب ١٩٩ : المستورد بن علفة بن الفريس بن ضبارى.الفريس بالسـين المهملـة، وضبط ضبارى بكسر الضاد ، ضبط قلم . وستأتي نسبته على الصواب.

(١) سورة النساء : ٩٥ .

(٢) قال الشيخ المرصفي : " هذا من كذبات أبي العباس أيضًا سامحه الله تعالى ، وذلك أن المؤرخين أجمع على أن حديث هذا المنجِّم إنما كان عند خروج الإمام عليه السلام إلى قتال الحرورية بالنهروان، ورئيسهم يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي ، وأن اسم المنجم مسافر بن عفيف الأزدي " رغبـة الآمـل ١٧٥/٧ ـ ١٧٦ وانظر الكامل في التاريخ ٣٤/٣.

(٣) سورة هود : ٥٦ .

إنـي أَدِينُ بمـا دانَ الشُّـرَاةُ بــه ... يومَ النُّخَيْلَةِ عندَ الجَوْسَقِ الخَـرِبِ[1]

وقال الحميري [2] يعارض هذا المذهب :

إنِّـي أَدِينُ بمـــا دانَ الوصــيُّ بِـهِ ... يـومَ النُّخَيْلَـةِ مِــن قَتْـلِ المُحِلِّينَــا[3]

وبالَّذي دانَ يومَ النَّهْـرِ دِنْـتُ بـه ... وشـــارَكَتْ كَفُّـــهُ كَفِّــي بِصِفِّينَـــا

تلك الدِّماءُ مَعًا يـا ربِّ في عُنُقِـي ... ومثلَهــا فاسْـــقِنِي آمِـــينَ آمِينَـــا[4]

وكان أصحاب النُّخَيْلَةِ قالوا لابن عباس : إن كان عليٌّ على حق لم يشـكُكْ فيـه وحكم مُضطرًا ، فما بالهُ حيثُ ظفر لم يسب ؟ فقال لهم ابن عباس : قـد سمعتم الجـواب في التحكيم ، فأما قولكم في السباء، أفكنتم سابين أُمَّكُمْ عائشـة ؟! فوضعـوا أصـابعهم في آذانهم ، وقالوا : أَمسك عنا غَرْبَ لسانك يابن عباسٍ ! فإنه طلقٌ ذلقٌ [5] ، غَوَّاصٌ عَلَـى موضع الحجة .

ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة ، وهو والي الكوفة ، فوجه إليه معقل بن قيس الرياحي ، فدعاه المستورد إلى المبارزة ، وقال لـه : عـلام يُقتَـلُ النـاسُ بيـني وبينك ؟ فقال له مَعْقِلٌ : النصف [6] سألت ، فأقسم عليـه أصحابـه ، فقـال : مـا كنـتُ لآبى عليه ، فخرج إليه ، فاختلفا ضربتين ، فخر كل واحدٍ منهما ميتًا .

---

(١) البيت من أبيات تنسب للأصم الضَّبِّيِّ . انظر شعر الخوارج ١٢٥ .

(٢) هو السيد . والأبيات في حواشي طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٦ – ٣٧ .

(٣) قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٦٣ :" إنما الرواية : يوم الخُرَيْبة ، [و] هو يوم الجمـل ، هكـذا أنشدنيه أبو بشر وغيره عن محمد بن زكريا الغلابي عن ولادة بنت السيد " وهو كما قـال . وانظر حاشية الشيخ الميمني في التنبيهات .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان : إذا دعا الرجـلُ قلـتَ : أَمِـينَ ربَّ العـالمين ، بقصر الألف، وإن شئت طولت الألفَ فقلت : آمين . ولا تشدِّد الميم من أمين وآمين فإنّه خطأ " . الأبيات في الأغاني ٢٩٣/٧ وهي من شعر السيد.

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه ": "ابن شاذان : قال أبو عمر : رجل طلق طليق : إذا كان طليق الوجه ذلق اللسان . قال : وذلق السيف : حده . ويقـال : لسـانٌ ذلـقٌ طلـقٌ ،ولسـانٌ ذَلِيـقٌ ،وذلـقٌ طُلقٌ. والحروفُ الذلْق : حروفُ طرفِ اللسان ، يقال:رجلٌ طلق ذلـق : إذا كـان طَلِقَ الوَجـهِ ذَلِـقَ اللسان " .

(٦) بهامش بعض النسخ ما نصه: " المهلبي : النصف والنصفة والإنصاف : واحدٌ .والنصف: شـطر الشيء . وأنصفت الرجل إنصافاً : أعطيته الحق . وتناصف الحق القوم : إذا تعاطوا الحق بينهم " .

وكان المستورد كثيرَ الصلاة شديد الاجتهاد ، وله آداب يُوصى بها ، وهي محفوظة عنه .

وكان يقول: إذا أفضيت بسري إلى صديقي فأفشاه لم ألمه ، لأني كنت أولى بحفظه .

وكان يقولُ : لا تُفْشِ إلى أحدٍ سرًّا ، وإن كان مُخْلِصًا ، إلا على جهة المشاورة .

وكان يقولُ : كُن أحرصَ على حفظ سرٍّ صاحبك منك على حَقْنِ دَمِك .

وكان يقول : أول ما يَدُلُّ عليه عائبُ الناس مَعْرِفَتُهُ بالعُيوبِ ، ولا يَعيبُ إلاَّ مَعِيبٌ .

وكان يقول : المالُ غيرُ باقٍ عليك ، فاشترِ من الحمد ما يبقى عليك .

وكان يقول : بذل المال في حَقِّهِ استدعاءٌ للمزيد من الجَوَادِ .

وكان يُكْثِرُ أن يقولَ : لو مُلِّكْتُ الأرض بحذافيرها ثم دُعيتُ إلى أن أستفيد خطيئة بها ما فعلتُ .

قال : وخرجتِ الخوارجُ ، واتَّصَلَ خرُوجُها ، وإنما نَذْكُر منهم مَن كان ذا خبرٍ طَريفٍ ، واتَّصَلَتْ به حكَم من كلامٍ وأشعار .

فَأَوَّلُ مَنْ خَرَجَ بعد قتلِ عليٍّ حَوْثَرَةُ الأَسَدِيُّ ، فإنه كان مُتَنَحيا بالْبَنْدَنيجين [1] ، فكتب إلى حابس الطائي يسألُهُ أن يتولى أمرَ الخوارجِ حتى يَسيرَ إليه بجَمْعهِ ، فَيَتَعَاضَدا على مجاهدةِ معاويةَ ، فأجابَهُ ، فرَجَعَا إلى موضع أصحاب النُّخيْلة، ومعاويةُ بالكوفة حيثُ دخلَها مع الحسن بن عليّ بن أبي طالب، بعدَ أنْ بَايَعَهُ الحسنُ والحسينُ عليهما السلام، وقَيْسُ بنُ سعْد بنِ عُبَادَة ، ثم خرج الحسنُ يريدُ المدينةَ ، فَوَجَّهَ إليه معاويةُ وقد تَجَاوَزَ في طريقه يسألُه أن يكونَ المُتَولي لمحَارَبتهم ، فقال الحسنُ : وا لله لقد كَفَفْتُ عنك لِحَقْنِ دماءِ المسلمينَ ، وما أَحْسبُ ذلك يَسَعُنِي ، أَفَأُقَاتِلُ عنك قوماً أنتَ وا لله أوْلَى بالقتال منهم ؟ ! فلمَّا رجَعَ الجوابُ إليه وَجَّهَ إليهم جيشًا أكثرُهُ أهْلُ الكوفةِ ، ثم قال لأبيهِ أبي حَوْثَرَةَ تَقَدَّمْ فاكْفِني أَمْرَ ابنك ، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع فأبَى فأدَارَه ، فَصَمَّمَ، فقال له : يا بنى، أجيئك بابنكَ فلعلّك تحنُّ إليه ؟ فقال : يا أَبتِ ، أنا وا لله إلى طَعْنةٍ نافذةٍ أَتَقَلَّبُ فيها على كُعوب الرُّمح أشْوَقُ منى إلى ابنى! فرجع إلى معاوية فأخْبَرَهُ، فقال:يا أبا حَوْثَرَة عَتَا[2] هذا جدا ، فلما نَظَرَ حوْثَرَةُ إلى أهل الكوفة قال : يا أعداء ا لله،

---

(١) بلد مشهور في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد . معجم البلدان ٤٩٩/١.

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال أبو يعقوب : أخبر فى أبو عمرانَ بنُ رَباح عن أبي بكر بن دُرَيْدٍ قال : يقال : عتا الرجل يَعْتو عتوا ، فهو عات : إذا أَقْدَمَ على الأمر . قال: وأخبرني ابنُ سَيْفٍ عن ابن رُسْتم الطبري! عن ابن السّكيتِ قال : يقال : عَتَا يعتو عُتوًّا : إذا اسْتَكْبَرَ ، وكذلك يَعْتو عُتِيًا فهو عاتٍ ، قال : والملكُ الجبّار عاتٍ ، وجبابرة عُتَاة " اهـ . وانظر الجمهرة ٢١٥/٣ ، وإصلاح المنطق ١٨٧ .

أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاوية لتَهُدُّوا سلطانَه ،واليومَ تقاتلون مع معاوية لتَشُدُّوا سلطانَه !! فخرجَ إليه أبوه فدعاه إلى البراز ، فقال : يا أبتِ! لك في غيري مَنْدوحة ، ولي في غيرك عنك مَذْهَب ، ثم حَمَلَ على القوم وهو يقولُ [١] :

اكْرُرْ على هذي الجموعِ حَوْثَرَهْ — فَعَنْ قليلٍ ما تَنالُ المَغْفِرَهْ

فَحمَلَ عليه رجلٌ من طَيِّءٍ فقتَله ، فرأى أَثَر السجودِ قد لَوَّحَ جبهتَه ، فندمَ على قتله ، ثم انهزمَ القومُ جميعا .

وأنا أحسِبُ أنَّ قولَ القائل [٢] :

وَأَجْرأُ مَنْ رَأَيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ — على عَيْبِ الرجالِ ذُوو العُيوبِ

إنما أخذه من كلام المستورد ، قال رجلٌ للمستوردِ : أريدُ رجلاً عَيَّابا ، قال: الْتمسْهُ بفَضْلِ مَعايبَ فيه .

وقال العباسُ بنُ الأحْنَف [٣] يعاتبُ من اتَّهَمَهُ بإفشاءِ سرهِ :

تَعتّبتَ تَطْلُبُ ما أسْتَحِقُّ — بهِ الهَجْرَ منْكَ ولا تَقْدِرُ

وماذا يَضُرُّكَ من شُهْرتي — إذا كانَ سرُّكَ لا يُشْهَرُ

أمِنِّي تَخافُ انتِشارَ الحَديثِ — وحظِّي في سَتْرِهِ أوْفَرُ [٤]

ولو لم تَكُنْ فيَّ بُقْيا عليكَ — نَظَرْتُ لنَفْسِي كما تَنْظُرُ

* * *

ويروى عن محمد بن كَعْب القُرظيِّ قال : قال عَمَّارُ بنُ ياسر : " خَرَجْنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات العُشَيْرَةِ ، فلما قَفَلْنا نزلنا منْزلاً ، فخرجتُ أنا وعليُّ بنُ أبي طالب، نَنْظُر إلى قومٍ يَعْتَملُون ، فَنعسْنَا ، فَنِمْنَا ، فَسَفَتْ علينا الريح التُّراب ، فما نَبَّهَنَا إلاَّ كلامُ رسول الله ﷺ ، فقال لعليٍّ : يا " أبا تُرَابٍ "ـ لما عليه من التراب ـ أتَعْلَمُ مَنْ أشْقَى الناس؟

---

(١) شعر الخوارج : ٤٢ .

(٢) من ثقيف كما في سمط اللآلي ٩٠٦ ،وهو بلا نسبة في المجتنى ٩٢ ،والفصول والغايات ٢٥٥، والبيان والتبيين ١/٥٨ ، وعيون الأخبار ٢/١٤ ، ومعجم الأدباء ١١/٢٧ . والبيت فى الأغانى ٢٠/ ٨٩ ؛ وروايته بـ (أولو) بدلا من (ذوو) .

(٣) ديوانه ص ١٧١ . والثالث والرابع مع آخرين في الفاضل ١٠٢ .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " رواية ابن شاذان : في سِتْره أوْفَرُ ، بكسر السين . وفي رواية أبي الحسين المُهلّبيّ بفتح السين " .

فقال : خبِّرْني يا رسولَ الله ؟ فقال : أشْقَى الناس اثنان :أحْمَرُ ثَمُودَ الذي عَقَرَ الناقَـة، وأشقاها الذي يَخْضبُ هذه ، ووَضَعَ يدَه على لحيته، مِنْ هذا،ووضع يدَه على قَرْنِه"[1] .

ويروى عن عياضِ بن خَليفة الخُزَاعيِّ قـال : تَلَقَّـاني أميرُ المؤمنينَ علي في الغَلَسِ ، فقال : من أَنْتَ ؟ فقلتُ : عياض بـن خَليفَـةَ الخزاعـيُّ ، فقـال : ظننتُـك أَشـقاها الـذي يَخْضبُ هذه من هذا ، ووَضَعَ يده على لحيته وعلى قَرْنِه .

ويُرْوَي أنه كان يقولُ كثيرا ـ قال أبو العباس : أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه ـ : ما يَمْنَعُ أَشقاها أن يَخْضبَ هذه من هذا ؟ .

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقيفٍ أنَّه قال : خَرَجَ الناسُ يَعْلفُونَ دوابَّهـم بـالمَدَائنِ ، وأرادَ علي أميرُ المؤمنين المسير إلى الشأم ، فوجه مَعْقلَ بنَ قيسٍ الريـاَحيَّ لـيُزْعجَهُم إليـه، وكـان ابنُ عم لي في آخر مَنْ خَرَجَ ، فأتيتُ الحسن بـنَ عليٍّ ذاتَ عشـي، فسـألتهُ أن يـأخُذ لي كتابَ أمير المؤمنين إلى مَعْقلِ بنِ قَيْسٍ في التَّرفيه عن ابن عمِّي، فإنَّه في آخر مَنْ خَرَجَ ، فقال : تَغْدُو علينا والكتابُ مختومٌ إنْ شاء الله تعالى ، فبتُّ ليلـتي ، ثُـمَّ أصبحـتُ والنـاسُ يقولون : قُتلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ ، فأتيتُ الحسنَ ، وإذا به في دار علـيٍّ، فقـال : لـولا مـا حَدَثَ لقَضَينا حاجَتكَ ، ثم قال : حدثني أبي البارحةَ في هذا المسجد فقال: يا بُنَي ، إنـي صَلَّيْتُ مَا رَزَقَ الله ، ثم نمتُ نَوْمةً ، فرأيت رسول الله ﷺ ، فَشَكَوْتُ إليه ما أنا فيـه مـن مُخَالَفَةِ أصحابي وقَلةِ رغبَتهم في الجهاد ، فقال : ادْعُ الله أن يريحكَ منهـم، فدعـوتُ الله ، قال الحسنُ : ثم خَرج إلى الصلاة فكان ما قد عَلِمْتَ . وحُدِّثْتُ مـن غير وَجْـهٍ أنَّ عليًّا لمَّا ضُرب ثم دخل منزله اعترتْـه غَشْيَة ثـم أفـاقَ ، فدعـا الحسـنَ والحسـينَ ، فقـال: أُوصيكُما[2] بتَقْوى الله والرَّغْبَةِ في الآخـرة ، والزهْـدِ فـي الدُّنْيـا ، ولا تَأْسَفَا على شيءٍ فاتَكُما منها ، اعْملاَ الخيرَ ، وكونا للظَّالم خصْما ، وللمظْلوم عونًا ، ثم دَعَا محمدا فقـال:

---

(١) الحديث أخرجه الطحاوي في "مشكل الآثـار" (١/٣٥١ ـ ٣٥٢) وأحمد في المسند (٤/٢٦٣) والنسائي في خصائص عليّ (ص ٢٨ طبعة مصر) . والحاكم في المستدرك (٣/١٤٠ - ١٤١) كلهم من طريق محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم أبي يزيد عن عمار بن ياسر . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ونقلـه الهيثمـي في مجمـع الزوائـد (٩ : ١٣٦) وقال:"ورواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجاله موثقون ، إلا أن التابعي لم يسمع من عمار". لكن للحديث شواهد من حديث صهيب وجابر بن سمرة وعلي ، بأسانيد فيها ضعف ، غيرحديث علي فإسناده حسن ، كما قال الهيثمي ، وقد خرجها كلها فراجعه إن شئت (٩/١٣٦ - ١٣٧) وانظر صحيح الجامع (ح ٢٥٨٩) ، والصحيحة (ح ١٧٤٣) .

(٢) انظر وصية الإمام في التعازي والمراثي ص ١١٨ .

أما سمعتَ ما أوصيتُ به أخوَيْكَ ؟ قال : بلى ، قال : فإني أوصيكَ به ، وعليكَ ببرِّ أخويكَ وتَوْقيرِهما ومعْرِفَة فَضْلِهما ، ولا تَقْطَعْ أَمْراً دُونَهُما ، ثم أَقْبَلَ عليهما فقال: أُوصيكما به خيراً ، فإنّه شقيقكُما[1] وابنُ أبيكما ،وأنتما تعْلَمَانِ أنَّ أباكُما كان يُحِبُّهُ، فَأَحِبَّاهُ . فلمَّا قَضَى قالتْ أُمُّ العُرْيان [2] :

كنَّا قَبْلَ مَهْلَكِهِ زَماناً ... نَرىَ نَجْوَى رسولِ الله فِينَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وأكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفينَا
ألاَ أبْلِغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامِتِينَا

ويُرْوَي أنْ عبدَ الرحمن بن مُلْجم باتَ تلك الليلةَ عند الأشْعَثِ بن قَيْسِ بن مَعْدِي كَربَ ، وأنَّ حُجْرَ بنَ عَدِيٍّ سمع الأشعثَ يقولُ له : فَضَحَكَ الصُّبْحُ ، فلمَّا قالوا : قُتِلَ أميرُ المؤمنين قال حُجْرُ بنُ عَديّ للأشعثِ : أنت قتلتَه يا أعْور ! ويُرْوَى : أنَّ الذي سمع ذَاكَ أخُو الأشْعَثِ ،عَفِيفُ بنُ قيسٍ،وأنّه قال لأخيه : عَنْ أمْرِكَ كانَ هذا يا أعورُ !.

* * *

وأخبارُ الخوارجِ كثيرة طويلة ،وليس كتابُنا هذا مفردا لهم ، ولكنا نَذكر من أُمُورِهم ما فيه معنى وأدب ، أو شعر مستطرفُ ، أو كلام مِن خُطْبة مَعْرُوفة مختارةٍ .

* * *

(١) بهامش نسخة ما نصه : قال أبو مروان : يقال للأخ من الأب شقيق لأنه شقّ ظهر أبيه ، قال : وفي الجمهرة : [٩٨/١ ت] : وشقيق الرجل أخوه كأنه شق نسبه من نسبه " .

(٢) قال الشيخ المرصفي : " غيره يقول : قالت أم الهيثم بنت العريان النخعية . وتروى لأبي الأسود الدؤلي ". وفي مقاتل الطالبين ٤٣ . : أم الهيثم بنت الأسود النخعية . وهي لأبي الأسود في الأغاني ٣٢٩/١٢ ، وتاريخ الطبري ١٥٨٠/٥ ، ومروج الذهب ٤٢٨/٢ ، والحماسة البصرية ١٩٨/١، ومن محققه أفدت الإحالة على مقاتل الطالبين،وفي الرواية اختلاف وزيادة ونقص .

رواية غيره :

ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرت عيون الشامِتِيْنَا
أفي الشهر الحرام فجعتمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا البيت . وفى آخرها :

فلا تشمت معاوية بن حرب ... فإن بقية الخلفاء فينا

رغبة الآمل ١٨٣/٧ .

خَرَجَ قُرَيْبُ بنُ مُرَّةَ الأزْدِيُّ وَزَحَّاف الطائيُّ،وكانا مجتهديْـنِ بـالبصرةِ في أيـام زيـاد، واختلف الناسُ في أمُورهما ، أَيُّهما كان الرئيس ، فاعترضا النــاسَ ، فَلَقيَـا شيخًا ناسكا من بني ضُبَيْعَةَ بن ربيعةَ بن نَزَار ، فَقَتَلاه ،وكان يقالُ له : رُؤْبةُ الضُّبَعِيُّ ، وتنادى النـاس، فخرج رجل من بني قُطَيْعة من الأزْد وفي يده السـيفُ ،فنـاداه النـاس مـن ظُهـور البُيُـوت: الحَروريَّةَ الحَرُوريَّةَ ! انجُ بنفسك ، فنَادَوْهُ : لسنا حَرُوريَّة ، نَحْن الشُّرَطُ ، فوقف فقتلـوهُ، وبَلَغَ أبا بِلال خبَرُهُما ، فقَال : قريب لا قرَّبه ا لله من الخير ، وزحّاف لا عَفَـا ا لله عنـه، ركباها عشْواء مُظْلمةً ، يريد اعتراضهما الناسَ، ثم جَعَـلاَ لا يَمُرَّان بقبيلـةٍ إلا قتـلا مَـنْ وجَدَا ، حتى مَرَّا ببني عليّ بن سُود من الأزْد ـ وكانوا رُمـاة ، وكـان فيهـم مائـة يجيـدُون الرَّمْي ـ فَرَمَوْهُمْ رَمْيًا شديدًا ، فصاحوا : يا بني عليّ ! البُقْيا ، لا رماءَ بيْننَا ، فقال رجـل من بني عليّ :

لاَ شَـيْءَ للقـومِ سِـوَى السـهامِ مَشْحُوذَةً في غَلَـس الظَّلاَمِ [١]

فَعرَّدَ [٢] عنهم الخوارجُ ، وخافوا الطلب ، فاشْتقوا مَقْبَرَةَ بـني يَشْـكُرَ ، حتـى نَفَـذُوا إلى مُزَيْنَةَ ، ينتظرون مَن يلْحق بهم من مُضَرَ وغيرها ، فجاءهُمْ ثمـانون ، وخرجـتْ إليهـم بنو طَاحِيةَ بنِ سود وقبائلُ مُزَيْنَة وغيرهم ، فاسْتُقْبل الخوارجُ فقُتلوا عن آخرهمْ ، ثم غَـدَا الناسُ إلى زياد فقال : ألا ينْهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ ؟ يـا معشـرَ الأزْد ، لـولا أنَّكـم أطفـأتم هذه النارَ لقلتُ إنَّكُمْ أرَّثْتُمُوهَا[٣] ، فكانت القبائلُ إذا أَحَسَّتْ بخَارجيَّةٍ فيهم شَدَّتْهُمْ وثَاقا وأتت بهم زياداً. فكان هذا أحَدَ ما يُذْكَرُ من صحَّة تَدْبيره .

وله أخرى في الخوارج : أخرْجُوا معهم امرأةً ، فَظفَرَ بهـا فقتلَهـا ، ثـمَّ عرَّاهـا .فلـم تَخْرُجِ النساءُ بعدُ على زيادٍ ، وكنَّ إذا دُعين إلى الخروج قُلْنَ : لولا التَّعريةُ لسارَعْنا .

ولَّما قَتَلَ مصعبُ بن الزُّبيْرِ بنتَ النُّعْمَانِ بنِ بشير الأنْصاريَّـة امـرأةَ المُختَـارِ ـ وليـس هذا من أخبارِ الخوارج ـ : أنكره الخوارجُ غايَةَ الإنكار ، ورأوهُ أنهُ قد أتَـى بقتـلِ النسـاءِ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه"ابن شاذان : شَحَذْتُ السيف والسَّهْمَ أشْحَذُه شَـحْذاً : إذا جلَوْتَـهُ، فهو مَشْحُوذ " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان : قال أبو عُمَرَ : تقول : عَرَّدَ الرجلُ تَعْرِيدا : إذا عَدَا فزعا ، فهو معردٌ وبها سميت العرَّادة ، لأنها تُعَرِّدُ بالحجر ، أي : تَرْمى به المرمى البعيد.

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شـاذان ، قـال أبـو زيـد : أرَّثْـتُ النـار . أوْقدتهـا.ويقـال: أرَّثْتُ بينهم أي : أفْسَدْتُ ". انظر النوادر ١٣٥ .

أمرًا عظيمًا ؛ لأنَّهُ أتى ما نهى عنه رسولُ ا لله ﷺ في سـائِرِ نسـاءِ المشـركين ـ وللخـوَاص منهنَّ أخبار ـ فقال عمرُ بن عبد ا لله بن أبي ربيعة [1]:

إنَّ مِـنْ أَعْظَـمِ الكبـائر عنـدي[2]	قَتْلَ حَسْنَاءَ غادةٍ عُطْبُول[3]
قتلَتْ بـاطلاً علـى غَـيرِ ذَنْـبٍ	إن لله دَرهـا مِـنْ قَتيـل
كُتِـبَ القتْـلُ والقتـالُ علينـا	وعلى الغانيات جَرُّ الذُّيول[4]

قال : وكان الخوارجُ أيامَ ابنِ عامرٍ أخْرجُوا معهم امرأتين ، يقـال لإحداهما كُحَيْلَةُ والأخرى قَطَامِ ، فجعل أصحابُ ابن عامر يعُيِّرونَهُمْ ويَصيحون بهم : يا أصحاب كُحَيْلَةَ وقَطام ! يعْرضون لهم بالفجور فتُنَادِيهمِ الخـوارجُ بـالدَّفْعِ والـردع ، ويقـولُ قـائلهم:﴿ولاَ تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[5] .

ويرُوْي عن ابن عباسٍ في هذه الآية :﴿وَالَّذين لا يَشْهدُونَ الزُّورَ وَإذا مَـرُّوا بـاللَّغوِ مرُّوا كرامًا﴾[6] قال:أعيادُ المُشركين.وقال ابـنُ مسـعودٍ : الـزُّور :الغنَـاء[7]. فقيـل لابـن عباس : أوَ ما هذا في الشهادة بالزُّور ؟ فقال : لا ، إنما آيةُ شهادة الـزُّور:﴿وَلاَ تَقْـفُ مـا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعُ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كلُّ أُولئِكَ كَانَ عنه مَسْؤُولا﴾

* * *

---

(١) ديوانه ـ القسم الثالث وهو ما نسب إليه و لم يوجد في أصل الديوان ـ ص ٤٩٨ .

(٢) (عطبول) هى من الظباء والنساء الطويلة العنق . قال ابن برى: ولا يقال : رجل عطبول ، وإنما يقال: رجل أجيد، إذا كان طويل العنق والجمع العطابيل.

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :"قال الشيخُ أبو يعقوبَ : حدثني ابن شاذان عن أبي عُمَـرَ [عن] ثعْلب قال : يقال امرأة غادة وهي الرَّخْصَةُ .المهلبيُّ : جاريـة عُطْبُـول : تامَّةُ الخَلْق . وقـال المهلـبيُّ : قولهمُ : لله درُّك معناه : لله صالح عَمَلِك ، لأنَّ الدَّرَّ أفضلُ ما يُحْتَلَبُ ، يقال :درَّ الضَّرْعُ يـدرُّ دَراً ودُرُورًا . والدَّر : اللبنُ بعينه " .

(٤) الأبيات فى الأغانى ٢٦٤/٩. وروايته "أعجب العجائب" بدلا من "أعظم الكبائر" و"حرة علـى غير جمر" بدلا من "باطلا على غير ذنب " .

(٥) سورة الإسراء : ٣٦ .

(٦) سورة الفرقان : ٧٢ . وانظر تفسير ابن كثير ١٤٠/٦ ، والقرطبي ٧٩/١٣ -٨٠ .

(٧) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الزُّور والزُّونُ : كل شيء يُتْخذُ ربًّـا يُعْبَـدُ مـن دون ا لله تعالى . وزوَّرْتُ الكلام تزْويراً : إذا قويْتهُ . وبه سُمِّي الكلامُ الزُّور لأنه يُزَوَّرُ أي يُسَوّى ثـم يتكلمُ به ، وكذلك شهادةُ الزُّور لأنَّه يقَويها ويُشـددُها . وزعمـوا أنّه فارسـي معرَّب ، لأن الـزُّور بالفارسيَّة القوَّةُ . وقال أبو عبيدة : هو مأخوذ من الزَّوَرّ وهو القويُّ الشديدُ " .

عاد الحديثُ إلى أمْرِ الخوارج .

وكانتْ من المجتهدات من الخوارج ـ ولو قُلت:من المجتهدين،وأنـت تعْـني امـرأةً كـان أفصحَ ؛لأنَّك تريـدُ رجـالاً ونسـاءً هـي إحداهـم،كمـا قـال الله عـزَّ وجـلَّ :﴿وصدَّقَتْ بكَلمـاتِ رَبِّهَـا وكُتُبـهِ وَكـانَتْ مـنَ القَـانِتِيْنَ﴾[1] وقـال جَـلَّ ثنـاؤُه : ﴿إلاَّ عَجـوزاً في الْغابرينَ ﴾[2] ـ البلجاءُ [3] ،وهي امرأة من بني حرام بن يربوع بن حنظلة بـن مـالك ابـن زيد مناةَ بن تميمٍ ، من رهط سجاح التى كانت تنبأتْ[4] ، وسنذكرُ خبرها في موضعـه إن شاء الله .

وكان مِرْدَاسُ بنُ حُدَيْرٍ أبو بلال ـ وهو أحدُ بني رَبيعةَ بن حنْظلةَ ـ تُعَظِّمـهُ الخـوارجُ، وكان مجتهدًا كثيرَ الصَّواب في لفظه ، فلقيه غيْلانُ بنُ خَرَشَةَ الضَّبِّيُّ ، فقال: يا أبـا بـلال، إنِّي سمعتُ البارحةَ الأمير عُبيْدَ الله بنَ زيادٍ يذكر البَلْجـاءَ ، وأحْسِبُهَا ستؤخذُ ، فمضَـى إليها أبو بلال ، فقال لها : إن الله قد وسَّعَ على المؤمنين في التَّقية ، فاسـتتري ، فـإنَّ هـذا المُسْرِفَ على نفسه الجبار العنيدَ[5] قد ذكرك ، قالت: إن يأخُذْني فهو أشْقى له، فأمَّـا أنـا فما أحبُّ أن يُعَنِّتَ إنْسانٌ بسببى ، فَوَجَّه إليها عبيد الله بنُ زيـاد فـأتى بهـا فقطـع يديهـا ورجليها وَرَمى بها في السُّوق ، فمَرَّ أبو بلال والناسُ مجتمعون، فقال: مـا هـذا؟ فقـالوا : البلْجاءُ ، فَعَرجَ [6] إليها فنَظَرَ ، ثمَّ عَضَّ على لحْيَتَه ، وقـال لنفسـه : لَهـذهِ أَطْيَبُ نفسـاً عن بقيَّةِ الدُّنْيا منكَ يا مرداسُ .

---

(1) سورة التحريم:١٢. وقوله:"وكتبه"بالجمع هي قراءة أبـي عمـرو وعـاصم في روايـة حفـص مـن السبعة.وفي سائر النسخ:﴿وكتابه﴾ بالإفراد وهي قراءة باقي السبعة.انظر السبعة لابن مجاهد ٦٤١ .

(2) سورة الشعراء : ١٧١ . وسورة الصافات : ١٣٥ .

(3) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قال أبو زيد : الأبلجُ مـن الرجـال : الـذي ليـس بمقْرُون الحاجبين ، والمرأة بَلْجاءُ . وقال ابن الأعرابي : البَلَجُ : ابيضاضُ ما بين الحاجبين ونقاؤُه. رجلٌ أبْلجُ وامرأة بَلْجاءُ ، والاسم البُلْجة " .

(4) بهامش نسخة ما نصه : " لا يُعْلَمُ في بني يربُوع حَرَام ، وإنما هو في بني تميم حَرَام بن كعب بن سعد . وسجاح من بني العنبر بن يربوع " . اهـ وانظر رغبة الآمل ١٨٧/٧ ، وجمهرة أنساب العـرب ٢١٥ - ٢١٦ -٢٢٦ .

قلت : وفي بنيَ سعد بن زيد مناة بن تميم حرام بن جشم بن سعد وحرام بن مالك بن سعد .

(5) بهامشِ بعض النسخ ما نصه:" ابن شاذان : يقال : رجل عنيد : إذا خالف الحقَّ ، وعانَدَ الرجلُ الرجلَ مُعاندةً وعنادا : إذا خالفه. والعندُ : مَيْلُكَ عن الشيء ، عَنَدَ عنودًا ، وطريق عاند:مائل، وناقة عُنود ، والجمع عُنُدٌ وعُنَّدٌ : إذا تَنكّبَتِ الطريقَ من نشاطها . فَصلوا بين العَنيد والعنود " .

(6) بهامِش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : تقول : عرَّجْتُ على فـلانٍ أي: عَطَفْـتُ عليـه، والمصدر التَّعْريجُ " .

ثم إنَّ عبيد ا لله تتبَّع الخوارجَ فحَبَسهم ، وحبس مرْدَاسًا ، فرأى صاحبُ السِّجن شدَّةَ اجتهاده وحلاوة منْطقه. فقال له : إنِّي أرى لك مذهبًا حسنًا ، وإني لأحبُّ أن أُوليكَ معروفًا ، أفرأيتَ إنْ تركتُكَ تنصَرفُ ليلاً إلى بيتكَ ، أتَدلج [١] إليَّ ؟ قال : نعم فكان يفعلُ ذلك به ، ولجَّ عُبيدُ ا لله في حبْس الخوارج وقتْلهم ، فكُلِّم في بعض الخوارج فَلَجَّ وأبَى ، وقال : أقْمعُ النفاقَ قبل أن يَنْجُمَ ، لَكَلامُ هؤلاء أسْرَعُ إلى القُلوب من النَّار إلى اليَرَاعَ [٢] . فلما كان ذاتَ يوم قَتَلَ رجل من الخوارج رجلاً من الشُّرط ، فقال ابنُ زياد : ما أدْري ما أصنعُ بهؤلاء ، كُلَّما أمرتُ رجلا بقتل رجل منهم فتكُوا بقاتله؟! لأقْتُلنَ منْ في حبْسي منهم . فأخرجَ السجَّانُ مرْداسًا إلى منزله كما كان يفعلُ ، وأتى مرداسًا الخبرُ ، فلما كان السَّحرُ تهيَّأ للرُّجُوع ، فقال له أهلُه : اتَّق ا لله في نفسك ، فإنك إنْ رجَعْتَ قتلْت ، فقال : إني ما كُنْتُ لألْقي ا لله غادرًا!! فرجع إلى السجّان ، فقال: إني قد علمْتُ ما عَزَمَ عليه صاحبُك، فقال: أعلمتَ وَرَجَعْت؟! .

ويُرْوَى أن مرداسًا مرّ بأعرابي يهْنأ بعيراً [٣] له ، فَهرَجَ [٤] ، فسقط مرداسُ مغشيًّا عليه ، فظنَّ الأعرابيُّ أنه قد صُرعَ ، فقرأ في أذُنه ، فلمَّا أفاق قال له الأعرابي : قرأتُ في أذنيك ، فقال له مرداسُ : ليس بي ما خفْتهُ عليّ ،ولكنّي رأيتُ بعيرك هرجَ من القطران، فذكرتُ به قَطرانَ جهَنَّمَ ، فأصابني ما رأيتَ ، فقال : لا جَرَمَ وا لله لا فارقْتُكَ أبدًا .

وكان مرداس قد شَهدَ صفِّين مع عليٍّ بن أبي طالب،وأنكر التَّحكيم ، وشهد النَّهْر، ونجا فيمن نجا ، فلمَّا خرج من حبس ابن زياد ورأى جدَّ ابن زياد في طلب الشُّراة عَزَمَ على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه وا لله ما يسعُنا المقامُ بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامُهم ، مُجانبين للعدل ، مفارقين للفصْل [٥] ، وا لله إن الصَّبْرَ على هذا لعظيمٌ ، وإنَّ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قال أبو عمر : الدَّلَجَ : سير الليل ، وله موضعان ، يقالُ : ادَّلج القومُ : إذا ساروا من آخر الليل ، وأدْلج القومُ : إذا قَطعُوا الليل كله سيرًا . وقال أَبو يعقوب : وأخبرني ابن سيْف عن ابن رُسْتُم الطَّبريِّ عن ابن السكيت قال : يقال : أدْلجْتُ : إذا سرْتَ الليل كله والمصدر الإدْلاجُ والدَّلجةُ ، وادَّلجتُ : إذا سرت من آخر الليل وهى الدُّلجةُ والإدلاجُ " اهـ . وانظر إصلاح المنطق ٢٥٤ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبيُّ : اليراعُ : القَصَبُ ، الواحدةُ يرَاعة" .

(٣) أي يطليه بالهناء وهو القطران .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبيُّ : هرج الرجلُ يَهْرجُ هرَجاً : إذا أخذهُ البُهْرُ من حرّ أو مشْيٍ " .

(٥) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " قال الخليلُ : الفصل : القضاءُ بين الحق والباطل ، واسم ذلك القضاء الذي يفْصلُ بينهما فَيْصلُ " .

تَجْرِيدَ السَّيْفِ وإخافة السبيل لعظيم ، ولكنّا ننتبذُ [١] عنهم ،ولا نجُرِّدُ سيفًا،ولا نقاتلُ إلاَّ من قاتلنا ، فاجتمع إليه أصحابهُ زُهاء ثلاثينَ رجلاً، منهم حُرَيْثُ بنُ حَجْلٍ ، وكهْمَسُ بنُ طَلْقٍ الصَّريمي ، فأرادوا أنْ يُولُّوا أمرهم حُرَيْثاً، فأبى فولَّوْا أمرهم مِرْداسًا ، فلمَّا مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري ـ وكان له صديقًا ـ فقال له:يا أخي،أين تُريدُ؟ قال : أريد أن أهْرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجَوَرَةِ [٢] ، فقال له : أعلم بكم أحد ؟ قال : لا ، قال : فارجعْ ، قال : أو تخافُ عليَّ مكروهًا ؟ قال : نعم ، وأن يؤتى بك ، قال : لا تخفْ ، فإنّي لا أجرِّدُ سيفًا ،ولا أخيفُ أحدا ، ولا أقاتلُ إلاَّ من قاتلني ، ثم مضَى حتى نزلَ آسَكَ ـ وهو ما بين رامهُرْمُزَ وأرَّجان ـ فمَرَّ به مال يُحْمَلُ لابن زيادٍ ، وقد قاربَ أصحابهُ الأربعين، فحطَّ ذلك المال فأخذَ منه عطاءهُ وأعْطية أصحابه ، وردَّ الباقي على الرُّسلِ ، وقالَ: قولوا لصاحبكم : إنما قبضْنا أعْطياتنا ، فقال بعضُ أصحابه : فعلامَ ندعُ الباقي؟ فقال:إنَّهم يَقْسمُونَ هذا الفيء كما يقُيمون الصلاة، فلا نقاتلهم على الصَّلاةِ.

* * *

ولأبي بلالٍ أشعارٌ في الخُروج اخترت منها قوله[٣]:

أَبَعْدَ ابنِ وَهْبٍ ذي النَّزاهةِ والتُّقى ... وَمَنْ خاضَ في تِلْكَ الحروبِ المَهَالِكَا

أجبُّ بَقاءً أو أُرَجي سَلامةً ... وقد قَتَلُوا زيدَ بنَ حصْنٍ ومالكا[٤]

فيا رَبِّ سَلِّمْ نيَّتي وَبَصيرتي ... وهَبْ لي التُّقى حتى ألاَقِي أولئكا

قوله : وقد قتَلُوا" ـ و لم يذكر أحدا ـ فإنما فعل ذلك لعلْمِ الناسِ أنه يَعْني مخالفيه، وإنما يحتاجُ الضميرُ إلى ذكْر قبلَه ليعرف ، فلو قال رجلٌ : ضربتُه ، لم يجُزْ ، لأنه لم يذكر أحدا قبل ذكره الهاء ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قائل: هذا هو ، لم يحْتَجْ إلى تقْدمةِ الذكر ، لأنَّ المطلوبَ معلوم ، وعلى هذا قال علْقَمَةُ بنُ عَبَدَةَ في افْتتاح قصيدته :

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقالُ: في أرض بني فلان نبْذ من بني فلان أي: فِرَق يسيرة" .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الجورُ ضدُّ القصْدِ . جار عن الطريق : إذا مالَ ، وجار الحاكمُ : إذا مال عن الحق . ويقولون: طريق جور ، كما يقولون : جائر . ورجل جوْر أي جائر . وكذلك رجل زَوْر في معنى زائر ، ونوم في معنى نائم ، ودوْمٌ في معني دائمٍ " .

(٣) شعر الخوارج ص ٤٨ – ٤٩ .

(٤) يريد عبد الله بن وهب الراسبي الذى سلف ذكره (زيد بن حصن) بن وبرة الطائي . رغبة الآمل ١٩٠/٧ .

هل ماعَلمْتَ وما استودعْتَ مكتُومُ ... أمْ حَبْلُها إذْ نأتْكَ اليومَ مَصْرومُ [1]

لأنه قد عُلِم أنه يريدُ حبيبةً له .

وقوله " حتىَّ أُلاَقي " ولم يُحرِّكِ الياء فقد مضى شرحُه مستقصى .

* * *

ويُرْوَى أنَّ رجلاً من أصحاب ابن زيادٍ قال : خرجنا في جيشٍ نُريدُ خُرَاسانَ ، فمررنا بآسَكَ ، فإذا نحنُ بهم ستة وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدُون لقتالنا أنتم ؟ وكنتُ أنا وأخي قد دخلنا زرْبًا [2] ، فوقف أخي ببابه فقال: السلام عليكم، فقال مرداس:وعليكم السلام ، فقال لأخي : أجئتم لقتالنا ؟ قال : لا ، إنَّما نريد خُراسان ، قال : فأبْلغُوا من لقيكُمْ أنَّا لم نخْرج لنُفْسدَ في الأرض ، ولا لنروعَ[3] أحدًا ولكنْ هرباً من الظُّلم ، ولسنا نقاتلُ إلاَّ من يُقاتلُنا ، ولا نأخذُ من الفيْءِ إلاَّ أعْطِياتنا ، ثم قال: أُنْدبَ لنا أحد ؟ قلنا : نعم ، أسْلمُ بنُ زُرعَةَ الكلابى،قال : فمتى تروْنهُ يصلُ إلينا؟ قلنا: يومَ كذا وكذا ، فقال أبو بلال : حَسْبُنا الله ونعْم الوكيلُ .

وجَهزَّ عبيْدُ الله أسلم بنَ زرْعةَ في أسرع وقتٍ ، ووجهَّه إليهم في ألفين ، وقد تتامَّ أصحاب مرداس أربعين رجلاً ، فلما صار إليهم أسْلَمُ صاح به أبو بلال:اتّق الله يا أسلم، فإنّا لا نريد قتالاً ، ولا نحْتجنُ فيْئا ، فما الذي تريدُ ؟ قال : أُريد أن أرُدكُمْ إلى ابن زيادٍ قال مرداس : إذاً يقتُلنا ، قال : وإنْ قتَلَكُمْ ! قال : تشْركُهُ في دمائنا ! قال: إني أدينُ الله بأنّه محق وأنّكم مُبْطلون ، فصاح به حُرَيْثُ بنُ حَجْلٍ : أهو مُحقٌّ و يُطيعُ الفجرةَ، وهو أحدُهم ، ويقتُلُ بالظِّنَّة ، ويخصُّ بالفيْءِ ، ويجوُر في الحكم ؟! أما علمْتَ أنّه قَتَلَ بابنِ سعادَ أربعة برآءَ ، وأنا أحدُ قتَلته ، ولقد وضعْتُ في بطنه دراهم كانت معه ؟! ثم حملوا عليه حملة رجل واحد ، فانهزم هو وأصحابهُ من غير قتال! وكان معْبدُ ـ أحدُ الخوارج ـ قد كاد يأخذُهُ . فلما وردَ على ابن زياد غضبَ عليه عضبًا شديدًا ، وقال : وَيْلَكَ!

---

(١) البيت من البسيط ،وهو لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص٥٠ ؛ ولسان العرب ٣٧/١٢ (أمم)؛ وتاج العروس (أمم).

(٢) الزَّرْبُ : مكمن يحتفره الصائد يتوارى فيه ليختل الصيد ، ويقال لكل مدخل أيضا .عن رغبة الآمل ١٩١/٧ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابنُ شاذان : يقال : رُعْتُ الرجلَ أرُوعُه روْعا وروعْته ترْويعا: إذا فزَّعْتهُ " .

أَتَمْضي في ألفين فتنهزمُ لحملةٍ من أربعين ؟! وكان أَسْلَمُ يقولُ : لأَنْ يَذمني ابن زيـادٍ حياً أحب إليَّ من أن يمْدَحَني مَيِّتًا !!وكان إذا خرج إلى السُّوق أو مرَّ بصبيانٍ صاحوا به : أبـو بلالٍ وراءَكَ !! وربَّما صاحوا به : يا مَعْبَدُ خُذْهُ !! حتـى شـكا ذلـك إلى ابـن زيـاد فـأمر الشُّرَطَ أن يكُفُّوا الناسَ عنه ، ففي ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتكٍ ، مـن بـني تَيْـم الـلاَّت بـن ثَعْلَبَة ، في كلمةٍ له [1] :

فلمَّـا أصبحـوا صَلَّـوْا وقـاموا	إلى الجُـرْدِ العِتـاق مُسَـوَّمينَا[2]
فلمـا اسْـتجْمعُوا حَمَلُـوا عليهـم	فظـلَّ ذَوُو الجعـائل[3] يُقْتَلُونَـا
بَقيـةَ يوْمِهـم حَتَّـى أتـاهم	سـوادُ اللَّيْـل فيـه يُرَاوِغُونـا
يقـولُ بَصـيرهُم[4] لَمَّـا أتـاهم	بـأنَّ القَـوْمَ وَلَّـوْا هاربينَـا
أَأَلْفـا مُؤْمِـن فيمـا زعَمْتُـم	ويَهْزِمُهُـمْ بآسـك أرْبَعُونـا
كذبْتُـمْ ليـس ذاكَ كمـا زَعَمْتُـمْ	ولكـنَّ الخـوارجَ مُؤْمنونـا
هُـمُ الفِئـةُ القَليلـةُ غَـيْرَ شَـك	علـى الفئـةِ الكثـيرةِ يُنْصرونَـا

ثم نَدَبَ عبيدُ الله بن زيادٍ لهم الناس، فاختار عبَّاد بن أَخْضرَ ـ وليس أبـوهُ أخْضَـرَ، وهو عَبَّادُ بنُ علْقَمَةَ المازنيُّ ، وكان أخْضَـرُ زوج أمـه ، فغَلَـبَ عليـه ـ فوجَّهـه في أربعـة آلاف ، فنهَدَ لهم ، ويزعم أهلُ العلمِ أنَّ القومَ قـد كـانوا تنَحَّـوا عـن دَرَابَجـرْدَ مـن أرض فارسَ ، فصار إليهم عَبَّاد ، وكان التقاؤُهُمْ في يوم جمعة ، فناداه أبو بـلالٍ : اخـرجْ إليَّ يـا عَبَّادُ ، فإني أريـد أن أُحـاورك ، فَخَـرجَ إليـه ، فقـال:مـا الـذي تَبْغـي ؟ قـال : أنْ آخـذَ بأقْفائكم فأرُدَّكُمْ إلى الأمير عُبيدِ الله بن زيادٍ ! قال :أو غيرَ ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قـال: أن ترْجعَ ، فإنَّا لا نُخيفُ سبيلاً ، ولا نَذْعرُ مسلمًا،ولا نحاربُ إلاَّ مَنْ حارَبَنَا ، ولا نَجْبي

---

(١) شعر الخوارج ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) (مسومين) معلمين بعلامة تعرف بها فى الحرب رغبة الآمل ١٩٢/٧.

(٣) (ذو والجعائل)جمع جعيلة أو جعالة وكلتاهما"بـالفتح" مـا يـأخذه العـامل مـن الأجـرة وفـى حديث ابن عمرو : ذكروا عنده الجعائل فقال : لا أغزو على أجر ولا أبيع أجرى مـن الجهـاد ، وكان الذى يكتب عليه الغزو ولا يريـد الخـروج أعطـى جعالـة لآخـر يكـون مكانـه ويـروى بيـت الأسدى:

سيكفيك الجعالة مستميت   خفيف الحاذ من فتيان جرم

"بكسر الجيم وضمها فهى مثلثة " والجعل بالفتح المصدر وبالضم الاسم . رغبة الآمل ١٩٣/٧.

(٤) (يقول نصيرهم) يريد أنه ينكر ذلك الخبر ١٩٣/٧ .

إلا مَا حَمَيْنَا،فقال لُه عبَّاد :الأمرُ ما قلتُ لك ، فقال له حرُيْثُ بنُ حَجْلٍ: أتحَاوِلُ أن تَـرُدَّ فئةً من المسلمين إلى جبّارٍ عَنيدٍ ؟ قال لهم : أنتم أوْلَى بالضّلال منه، وما من ذاك بُدٌّ .

وقدِمَ القَعْقَاعُ بنُ عَطِيَّةَ الباهليُّ من خُراسان يريد الحَجَّ ، فلما رأى الجَمعين قال: مـا هذا ؟ قالوا : الشُّراة ، فحَمَلَ عليهم ، ونشبَتِ الحربُ ، فأُخذَ القعقاعُ أسيرًا ، فأُتي به أبو بلال ، فقال :ما أنتَ ؟ قال : لستُ من أعدائِك ، وإنما قدمت للحج فَجَهِلْتُ وغُـرِرْتُ! فَأطْلَقَهُ ، فَرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأصلح من شأنه،ثم حَمَلَ عليهم ثانيةً ، وهو يقول:

أُقَتِلهُـــمْ وليـــس علــيَّ بَعْـــث نَشَــاطا ليــس هــذا بالنَّشَــاطِ
أَكُــرُّ عَلَــى الحَرُورِيِّــينَ مُهْــرِي لأحْمِلَهُـمْ علـى وَضَـحِ الصـرَاط[1]

فحمَلَ عليه حُرَيْثُ بنُ حَجْلٍ السَّدُوسيُّ وكَهْمَسُ بنُ طَلْقٍ الصَّرِيمِـيُّ فأسـراهُ فَقَتـلاَهُ، و لم يأتيا به أبا بلال، فلم يزل القومُ يجْتلدُونَ حتى جاء وقتُ الصـلاة،صـلاة يـوم الجمعـة، فناداهُم أبو بلالٍ : يا قومُ ، هذا وقتُ الصلاةِ ، فوادعُونا حتى نُصَلِّي وتُصَلُّـوا ، قـالوا: لك ذاك ، فرمـى القـومُ أجمعـون أسـلحتَهم وعَمَـدُوا للصَّـلاة ، فأسـرع عبَّاد ومَـن معه والحرورِيةُ مُبْطِئونَ ، فهم من بين راكعٍ وساجدٍ وقائمٍ في الصلاة وقاعدٍ ، حتى مال عليهم عبَّادُ ومن معه فقتلوهُمْ جميعًا ، وأتي برأس أبي بلالٍ .

وتَرْوِي الشُّرَاةُ أنَّ مرْداسًا أبا بلالٍ لَمَّا عقَدَ على أصحابه وعَزَمَ علـى الخـروج قـال ـ ورفع يدَيْه ـ : اللهم إن كان ما نحن فيه حقًّـا فأرنـا آيـة ، قـال : فَرَجَـفَ البيـتُ . وقـال آخرون : فارتفع السقفُ .

فَرَوَى أهلُ العلم أنَّ رجلاً من الخوارج ذَكَر ذلك لأبي العاليـة الريـاحي يُعَجِّبُهُ مـن الآية ، ويرُغِّبُهُ في مذهب القوم ، فقال أبو العالية : كادَ الخسفُ يَنزلُ بهم ثـم أدركتهـم نَظرةُ[2] الله .

فلما فرغ من أولئك الجماعةِ أقْبَلَ بهم فَصُلبتْ رُءُوسُهُمْ ، وفيهـم دَاوُد بـنُ شَـبَثٍ ، وكان ناسكاً ، وفيهم خُبَيْبَةُ النَّصْرِيُّ [3] من قَيْسٍ وكان مجتهدًا .

---

(١) البيتان من الوافر ، وهما للقعقاع بن عطية البـاهلي فـى تـاج العـروس ١٩/٤٣٧(صرط)،وبـلا نسبة فى لسان العرب ٧/٣٤٠ (صرط)، ومقاييس اللغة ٣/٣٤٩، ومجمل اللغة ٣/٢٧٢،١١.

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال الخليل : النظرةُ : عـينُ الجنّ تصيبُ الإنسـان ، يقـال : نُظِرَ فلانٌ، ويقال : بفلان نَظْرة أي : سوءُ هيئة " .

قلت : ما نقل عن الخليل لا يصلح ههنا ، فـ " النظرة " بكسر الظاء ـ وتسكّين : التأخير في الأمر .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : النكريّ " وفي أنساب الأشراف : " خُبَيْبَة بـن همـام النَّكرِي من عبد القيس " أنساب الأشراف ٤/١/١٨٤ .

فَيُرْوَى عن عِمْران بن حطّانَ أنّه قال : قال لي حُبَيْبة : لما عزمتُ على الخروج فَكَّرْتُ في بناتي فقلتُ ذاتَ ليلةٍ :لأُمْسكَنَّ عن نَفْعهنَّ حتى أنْظُر ، فلما كان في جوفِ الليل استسقتْ بُنَيَّة لي ، فقالت: يا أبَتِ آسقني ، فلم أجبها ، فأعادتْ ، فقامتْ أُخيَّةُ لها أَسَنُّ منها فَسَقَتْها ، فعلمتُ أنَّ الله عزَّ وجلَّ غيرُ مُضَيِّعهنَّ ، فأتْممْتُ عزمي .

وكان في القوم كهْمَسٌ ،وكان من أبر الناس بأمِّه ، فقال لها:يا أُمَّهْ ، لولا مكانُك لخرجتُ ،فقالت: يا بُنَيَّ ، قد وهبتُكَ لله،ففي ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتكٍ الخَطِّيُّ[1] :

ألاَ في الله لا في النّاسِ شالتْ ... بداوُدٍ وإخْوَتهِ الجُذُوعُ

مَضَوْا قَتْلاً وتَمْزيقًا وصَلْبًا ... تَحُومُ عليهمُ طَيْر وُقُوعُ

إذا ما اللّيْلُ أظلمَ كابَدُوهُ ... فَيُسْفِرُ عنهمُ وهُمُ رُكُوعُ

أطارَ الخوفُ نوْمهمُ فقامُوا ... وأهلُ الأمْنِ في الدنيا هُجُوعُ

وقال عمْرانُ بنُ حِطّانَ :

يا عيْنُ بكّي لمرْداس وَمَصْرعهِ ... يا رَبَّ مرداسٍ اجْعَلْني كَمرداسِ

تركتَني هائمًا أبْكي لَمرْزئتي ... في منزل مُوحشٍ منْ بَعْدِ إيناسِ

أنكرتُ بعدكَ مَن قَدْ كُنتُ أعْرِفُهُ ... ما النّاسُ بَعْدَكَ يا مرْداسُ بالناسِ

إمّا شَربْت بكأس دارَ أوَّلُها ... على القُرونِ فَذَاقُوا جُرْعَةَ الكَاسِ

فكلُّ مَنْ لم يَذُقْهَا شارِب عَجِلاً ... منها بأنفاسٍ ورْدٍ بَعْدَ أنفاسِ[2]

* * *

ثُمَّ إنَّ عَبَّادَ بنَ أخْضرَ المازنيَّ لَبثَ دهرًا في المصرِ ، محمودًا موصوفًا بما كان منه ، فلم يَزَلْ على ذلك حتى ائْتَمَر به جماعةُ من الخوارج أن يفْتكُوا به ، فَذَمر[3] بعضهم بعضا على

---

(١) في بعض النسخ : " الحَبطيُّ " ...وأظنه تحريفًا فقد نص المبرد قبل قليل على أنه أحد بني تيم بن ثعلبة ، والحبطي هذه نسبةٌ إلى الحبطات وهو بطن من تميم .

وقول المبرد :" عيسى بن فاتك " هنا وفيما سلف كذا في الوحشيات ٩٠ أيضاً ، وقال البلاذري: "عيسى الخطّيّ ، وهو عيسى بن حدير أحد بني وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة، ويقال: عيسى بن عاتك....." أنساب الأشراف ٣٩٣/١/٤ و" عاتك " أمُّه فيما قال المرزباني ، انظر معجم الشعراء ٩٥ .

والأبيات في شعر الخوارج ص ٥٦ ، والتعازي والمراثي ١٦٤ .

(٢)الأبيات من البسيط لعمران بن حطان في ديوانه ص٦٥٩ وخزانة الأدب ٣٦٠/٥ ،وشرح شواهد الإيضاح ص٤٧٣ .

ذلك ، فجلسُوا له في يومِ جمعةٍ ، وقد أقبل على بغلةٍ له ، وابنُهُ رديفـهُ ، فقـام إليـه رجـلٌ منهم ، فقال : أسألُكُ عن مسألةٍ ؟ قال : قل ، قال : أرأيتَ رجلاً قتَلَ رجلاً بغـير حقٍ، وللقاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحية من السُّلْطان ،ألولي ذلك المقتول أن يَفْتكَ به إنْ قَدَرَ عليه؟قـال: بل يرْفعُه إلى السلطان ، قال : إنَّ السلطانَ لا يُعْدي عليه لمكانهِ منه وعَظيمِ جاهـهِ عنـدَه، قال: أخافُ عليه ـ إنْ فَتَكَ به ـ السلطان[1] ، قال : دع ما تَخَافُهُ من ناحية السـلطان، أتَلْحقُـهُ تَبعـةٌ فيمـا بينـه وبـين ا لله ؟ قـال : لا ، قـال : فَحَكَّـم هـو وأصحابُـه، وخَبطـوه بأسيافهم ، ورمى عبَّاد بابنِه فَنَجَا ، وتنادَى الناسُ : قُتلَ عباد، فاجْتَمع الناسُ فأَخذُوا أفواهَ الطرُق ، وكان مَقْتَل عبَّاد في سكةِ بني مازنٍ عنـد مسـجد بـني كُلَيْـبٍ ، فجـاء مَعْبَـدُ بـنُ أخْضَرَ أخو عبَّادٍ ـ وهو معبدُ بن علْقمة ، وأخضرُ زوجُ أمهما ـ في جماعة من بني مـازنٍ، فصاحوا بالناسِ : دعُونا وثَأْرَنَا ، فأَحْجَمَ [2] الناسُ وتَقَدمَّ المازنيُّون،فحاربُوا الخوارجَ حتى قتَلُوهم جميعًا، لم يُفْلتْ منهم أحد إلاَّ عبيدةُ[3] بنُ هلالٍ ، فإنّه خَرَقَ خُصًّا وَنَفَذَ منه ، ففي ذلك يقولُ الفرزدق [4] :

لقـد أدْرَكَ الأوْتـارَ غـيرَ ذَميمَـةٍ ... إذا ذُمَّ طُـلاَّبُ الـتِّراتِ الأَخَـاضرُ

هُـمُ جَـرَّدُوا الأَسْيافَ يـومَ ابـنِ أخْضـر ... فنـالوا الـتي مـا فَوْقهـا نَـالَ ثَـائرُ

أَقَـادُوا بـه أُسْـدًا لهـا في اقْتحَامِهـا ... إذا بَـرَزَتْ نحـو الحـروبِ بَصـائرُ[5]

ثم ذَكر بني كُلَيْبٍ ، لأنّه قُتِلَ بحضرةِ مسجدهم و لم يَنْصُرُوه ، فقال في كلمته هذه:

---

(٣) ذمره أي: لامه وحضّه .

(١) في بعض النسخ : " أخاف عليه إن فتك به فتك به السلطان . وفى نسخة : " إن فتك به وقع عليه السلطان " . وفى نسخة أخرى " إن قتل به قتله السلطان ."و"قتل به " تحريف .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال أبو زيد : أَحْجَمْتُ عن الأمْرِ وأجحَمْتُ أي : تأخَّرتُ".

(٣) عبيدة بفتح العين وكسر البـاء كـذا ضبـط في النسـخ هنـا ، وسـيأتي ذكـره في الكتـاب ،وقـد اختلفت النسخ في ضبطه فمنها ما ضبطه بفتح العين وكسر الباء كمـا هنـا ، ومنهـا مـا ضبطـه بضـم العين وفتح الباء وسكون الياء " عُبَيْدَةَ " . وضبطه الآمدي والأمير بضـم العـين والمرزبـاني بفتحهـا. انظر الإكمال ٣٩/٦ وحاشية الشيخ العلامة الجليل المعلمي . فضبطته فيما يـأتي بضبـط أكـثر النسـخ وذكرت الوجه الآخر إن كان في نسخة .

(٤) ديوانه ٣١٥/١ - ٣١٦ .

(٥) بعده :

و لم يُعْتِمْ إلادراك عنهم ... فيطمع فيهم بعد ذلك غادِرُ

كفعلِ كُلَيْبٍ إذْ أخلَّتْ بجارِهَا ... ونَصْرُ اللئيم مُعْتمٌ وهو حَاضِرُ [1]
وما لكُلَيْبٍ حِينَ تُذْكَرُ أوَّلٌ ... وما لكُلَيْب حينَ تُذْكرُ آخِرُ [2]

وقال معبدُ بنُ أخْضَرَ :

سأحْمِي دِماءَ الأخْضَرِيِّين إنَّهُ ... أبى النَّاسُ إلاَّ أن يَقُولُوا: ابنُ أخْضَرَا

وكان قَتْلُ عبَّاد وعُبَيْدُ ا لله بنُ زيادٍ بالكوفة،وخليفتُهُ على البصرة عُبيدُ ا لله بنُ أبي بكْرَةَ ، فكتب إليه يأمُرُهُ ألاّ يَدَعَ أحدًا يُعْرَفُ بهذا الرأي إلاّ حَبسه وجَدَّ في طَلَبه، مِمَّنْ تَغَيَّبَ منهم ، فجعل عُبيد ا لله بنُ أبي بكْرَةَ يَتتَبَّعُهُمْ فيأخُذهُم ، فإذا شُفعَ إليه في واحدٍ منهم كَفَّله إلى أن يَقْدمَ ابنُ زيادٍ،حتى أُتي بعُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ فأطلقه،وقال:أنا كفيلُكَ، فلما قَدمَ عبيدُ ا لله بنُ زيادٍ أخذ مَنْ في الحَبْسِ منهم فقتلهم جميعًا،وطلب الكُفلاء بمن كَفَلُوا به منهم، فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجى ، ومن لم يأت بمن كفل به منهم قَتَلَهُ، ثم قال لعُبيْدِ ا لله بن أبي بكْرَةَ : هاتِ عُرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ ، قال: لا أقْدر عليه ، قال : إذاً وا لله أقْتُلَكَ فإنَّكَ كَفيلُه! فلم يَزَلْ يطْلُبهُ حتَّى دُلَّ عليه في سرَبِ العَلاءِ بن سَوِيَّةَ المِنْقرى، فكتب بذلك إلى عُبيدِ ا لله بن زيادٍ ، فقرأ عليه الكاتبُ : إنا أصبناهُ في شَرْبٍ ، فتهَانَفَ[3] عُبيدُ ا لله بن زيادٍ،كان كثير المحاورةِ ،عاشقًا للكلام، مستحسنًا لصَوابه ، لا يزال يبحثُ عن عُذَرهِ [4]، فإذا سمع الكلمةَ الجَيدَةَ عَرَّجَ عليها .

ويُرْوَى أنَّه قال في عقبِ مقتل الحسين بن على عليه السلامُ لزينبَ بنتِ عليٍّ رحمها ا لله ـ وكانت أسنَّ مَنْ حُمِلَ إليه منهنَّ ، وقد كلَّمته فأفْصَحَتْ وأبْلَغَتْ وأخَذَتْ من الحُجَّةِ حاجتَها : ـ إنْ تكُوني بلغتِ من الحُجْةِ حاجتكِ فقد كان أبوك خطيبًا شاعرًا،

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبيُّ : أعْتمَ الرجلُ في الشيء : إذا أبْطأ فيه ، وكلُّ مَنْ أبْطَأ عن شيءٍ أعْتَمَ وعَتَمَ ، وجئْنا مُعْتمًا وعاتمًا، و العَتَمة : رجوعُ الإبلِ من المرعى بعدما تُمْسي، وبه سُمِيَتْ صلاة العَتمة " .

(٢) البيت من الطويل وهو لذى الرمة فى ديوانه ، وبلا نسبة فى لسان العرب ٩٣/١٤ (بنى) .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال الخليلُ : الهِنافُ : مُهَانَفَةُ الجواري بالضَّحك ، وهو فوق التَّبسُّم ، وكذلك التَّهانُفُ . قال وهذا نَعْتٌ في ضحكِ النساء لا يُوصَفُ به الرجالُ " .

(٤) قال الشيخ المرصفي : " جمع عذرة كغرفة وغرف مستعارة من عذرة البكر وهي التحامها قبل الافتضاض . يريد أنه لا يزال يبحث عن أبكاره المصونة غير المبتذلة " رغبة الآمل ١٩٩/٧.

فقالت : ما للنساء والشعر ؟! وكان مع هذا أَلْكنَ يَرْتَضِخُ [1] لُكْنَةً فارسية ، وقال لرجلٍ مَرَّةً ، واتَّهمَه برأيِ الخوارج : أَهَروريٌّ مُنذُ اليوم ؟! .

رجع الحديثُ .

فقال للكاتب : صحَّفْتَ وا لله ولَؤُمْتَ ، إنما هو " في سَرَبِ العَلاَءِ بن سَوِيَّةَ وَلَوْدِدتُ أنه كان مِمَّنْ يَشْرَبُ النبيذَ ، فلمَّا أُقيمَ عُرْوَةُ بين يديه حاوَره ، وقد اختُلفَ في خبَره ، وأَصَحُّه عندنا : أَنَّه قال له : جهَّزْتَ أخاكَ عليَّ ، فقال : وا لله لقد كنتُ به ضَنينا ، وكان لي عِزّا ، ولقد أَرَدْتُ له ما أُريدُ لنفسي ، فَعَزَمَ عزماً فمَضَى عليه ، وما أُحب لنفسي إلاَّ المُقامَ وتركَ الخروج ، قال له : أفأنتَ على رأيه ؟ قال : كُنَّا نعبدُ ربًّا واحدا ! قال : أَمَا لأُمَثِّلَنَّ [2] بك ! قال : اخترْ لنفسِك من القصاصِ ما شئتَ ، فأمَرَ به فقطعوا يديه ورجليه ، ثم قال له : كيف تَرَى ؟ قال : أفسدتَ عليَّ دُنْيايَ وأفسدت عليكَ آخرتك ، ثم أمر به فقُتل ثم صُلبَ على باب داره ، ثم دَعَا مولاه فسأله عنه، فأجابه جوابا قد مضى ذكْرُهُ .

وقوله " فَتَهانَفَ " حقيقتُه : تَضَاحَكَ به ضَحِكَ هُزْء ، وقال ابنُ أبي رَبيعةَ :

ولقد قالتْ لجاراتٍ لها	وتعَرَّتْ ذاتَ يوم تَبْتَرِدْ :
أَكمَا يَنعتني تُبصرْنَني	عَمْرَكُنَّ ا لله أَمْ لا يَقْتصِدْ ؟
فتهانَفْنَ وقَد قُلْنَ لها :	حَسَنٌ في كلِّ عين مَنْ تَوَدْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ مِن أجْلها	وقَديماً كان في الناس الحَسَدْ [3]

* * *

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال [الخليل] : والترَاضُخُ : ترَامي القوم بالنُّشَّاب بينهم، وتقول:رَاضَخَ فلانٌ شيئاً،إذا أَعْطَى وهو كريه،وقد رَاضخْنا منه شيئا أي: أصبناه.ابنُ شاذان: تقول: سمعتُ رَضْخا من خَبر وهو اليسيرُ منه ، وكذلك هو من العطيَّة القليلُ منها،قال:ويقال:هو رَضْخٌ أي: قليلٌ من الخبر والعطيَةَ ". اهـ وقوله"يرتضخ لكنة فارسية"أي: لم يخْل من شيء منها، عن أساس البلاغة ، وانظر اللسان (رضخ) .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه:" قال الخليلُ : المُثلَةُ والمَثُلَةُ لغتان : أن يُمَثّل بذي رُوحٍ فيُعبَث به في عذابه ، ويقال : إنّ حَلْقَ رأس المرأة مَثْلة ، وكلُّ شيءٍ أنزلتَ به ما يشوّهُه مُثْلَة . قال الأصمعيُّ يقال: المُثلة : إذا شانه والجمع المُثلاتُ . ويقال : أيضاً مثَّلتُ بالرجل : إذا نَكَّلْت به ، وكذلك القتيلُ: إذا جَدَعْتَهُ . والمُثْلات واحدها مَثُلَة ومُثْلة ، وهو التَّنكيلُ " .

(٣) الأبيات لعمر بن أبى ربيعة المخزومى فى ديوانه ص٣٢١.

وكان عُبيدُ الله لا يُلَبِّثُ الخوارج ، يحْبسهم تارة ويَقْتُلهم تارةً ،وأكثر ذلك يَقْتُلهم، ولا يتغافلُ عن أحد منهم ، وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زيادٍ لمَّا وُلي بعده، فخرجوا عليه .

فأما زياد فكان يقتل المُعْلنَ ويستصلح المُسرَّ ، ولا يُجَرِّدُ السيفَ حتَّى تزولَ التُّهمَةُ، ووَجَّهَ يوما بُحَيْنَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعْرجيَّ إلى رجلٍ من بني سعدٍ يرَى رأيَ الخوارجِ، فجاءه بُحَيْنةُ فأخذه ، فقال: إني أُريد أن أُحْدِثَ وَضُوءا للصلاة ، فدَعْني أدخل منزلي، قال: ومَنْ لي بُخُروجك ؟ قال : الله عزَّ وجلَّ ، فدخل فأحدثَ وُضوءًا ، ثم خرج، فأتى به بُحينةُ زيادًا ، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر الله زياد ، ثم صلّى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمرَ وعثمانَ بخير ، فقال : قعدتَ عنّي فأنكرتُ ذلك، فذكرَ الرجلُ ربَّه فحَمِدهُ ووَحَّدة ، ثم ذكر النبيَّ عليه السلام ، ثم ذَكَر أبا بكر وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمانَ ، ثم أقبلَ على زيادٍ فقال : إنك قد . قلت قولاً فصَدَّقهُ فعْلُكَ، وكان من قولك : ومَنْ قَعَدَ عنّا لم نَهجه ، فَقَعدْتُ ، فأمر له بصلةٍ وكِسوةٍ وحُمْلان، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقَّاه الناسُ يسألونه ، فقال : ما كلُّكم أستطيعُ أن أُخبرهُ ، ولكني دخلتُ على رجل لا يملك ضرًّا ولا نفعًا لنفسه ، ولا موتا ولا حياةً ولا نُشورًا، فرزَقَ الله منه ما تَرَوْنَ .

وكان زياد يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول : ما أحسبُ الذي يمْنَعُكمْ من إتياني إلاَّ الرُّجْلَةَ [1]، فيقولون : أجَلْ فيَحْملُهم ، ويقول : اغْشوني الآنَ واسْمُرُوا عندي ، فبلغَ ذلك عمر بنَ عبد العزيز ، فقال : قاتلَ الله زيادا ، جَمعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ ، وحاطَهم كما تحُوطُ الأمُّ البَرَّةُ ، وأصلح العرَاقَ ، بأهل العراقِ ، وتَركَ أهلَ الشَّأم في شَأمهم ، وجَبى العراق مائة ألف ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ .

قال أبو العباس : وبلغَ زيادا عن رجلٍ يُكْنى أبا الخير ، من أهل البأس والنَّجْدةِ أنه يرى رأي الخوارج ، فدعاه فولاه جُنْديْ سابورُ وما يليها ، ورَزَقَه أربعة آلاف درهمٍ في كلِّ شهرٍ ، وجعل عُمَالَتهُ في كل سنةٍ مائة ألفٍ ، فكان أبو الخير يقول: مارأيتُ شيئاً خيراً من لُزُوم الطاعةِ والتقلُّبِ بين أظْهُرِ الجماعة !! فلم يزل واليا حتى أنْكَرَ منه زياد شيئا ، فَتَنَمَّرَ [2] لزيادٍ فَحَبَسَهُ ، فلم يخْرُجْ من حَبْسِه حتى مات .

* * *

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : يقال : شكا فلانٌ الرُّجْلَةَ ، أي: المَشْيَ ، وقالوا: راجلٌ بيِّنُ الرُّجْلة " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ابنُ شاذان :قال أبو عُمَر : يقال تَنمَّرَ الرجلُ تنمُّرًا: إذا تَهدَّدَك".

وقال الزُّهَيْنُ - وكان رجلاً من مرادٍ ، وكَان لا يَرَى القُعُودَ عن الحرب وكان في الدَّهاءِ والمعرفة والشعر والفقهِ بقول الخوارج بمنزلةِ عِمْرانَ بنِ حِطَّانَ ، وكان عمران بن حطانَ في وقته شاعرَ قَعَد الصُّفْرِيَّةِ ورئيسهم ومُفْتِيَهُم .

وللزُّهَيْنَ المُراديِّ ولعمْرانَ بن حطَّانَ مسائلُ كثيرةٌ من أبواب العلم في القرآن وفي الآثار وفي السِّيَر،وفي الغريب وفي الشعر،نذكر منها طريفَها إن شاء الله - قال المراديُّ[1]:

يا نَفْس قد طال في الدُّنْيا مُراوغَتي ... لا تَأْمَنَنَّ لصَرْفِ الدهْر تَنْغيصَا

إنِّي لَبائعُ ما يَفْنَى لعاقبَةٍ ... إن لَمْ يعُقني رجاءُ العيش تربيصَا[2]

وأسأل الله بَيْعَ النفس مُحْتَسبًا[3] ... حتى أُلاقيَ في الفِرْدَوْس حُرْقوصا

وابنَ المَنيح ومرْداسا وإخوتَهُ ... إذْ فارقوا زَهْرَةَ الدنيا مَخاميصَا[4]

[قال أبو الحسن[5] : حُرْقُوص هو ذو الثُّدَيَّةِ] .

قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعار كثيرة في مَذَاهبهم .

* * *

وكان زيادُ ولى شَيَبانَ بنَ عبد الله الأشعريَّ صاحبَ مَقْبَرَةِ بني شيبانَ باب عثمانَ[6] وما يليه ، فَجَدَّ في طلب الخوارج وأخافهم ، وكانوا قد كثُرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك حتَّى أتاه ليلةً وهو متكئٌ بباب داره رجلان من الخوارج ، فضرباه بأسيافهم فَقَتَلاه، وخَرج بَنُونَ له للإغاثةِ فقُتلوا ، ثم قَتَلَهما الناسُ فأُتي زياد بعدَ ذلك برجلٍ من الخوارج ، فقال: اقتلوه مُتَّكئا كما قُتلَ شيبانُ ، فصاح الخارجيُّ : يا عَدْلاه !! يَهْزَأ به !

* * *

---

(١) شعر الخوارج ص ٦٢ .

(٢) (تربيصا) تمييز محول عن الفاعل يريد : إن لم يلهنى أمل انتظار العيش رغبة الآمل ٢٠٣/٧.

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :" أراد بيع محبس النفس وهي الدنيا لقول رسول الله ﷺ : الدنيا محبس المؤمن وهي جنة الكافر .

(٤) في نسخة : " لذة الدنيا " وبهامشه كما في المتن . وبهامش نسخة ما نصه :" قوله : مخاميصا أي: ضامري البطون من الحرام كما قال الآخر :

خُمْصُ البطون من الحرام أعِفَّة ... لا يعرفون سوى الحلال طعاماً اهـ .

(مخاميصا) جمع مخماص وهم الضامرو البطون ، يريد أنهم لم يملئوا بطونهم من الدنيا زهادة فيها . رغبة الآمل ٢٠٣/٧ .

(٥) انظر ترجمة ذي الثدية في الإصابة ٤٨٤/١ برقم ٢٤٤٦ و ٣٢٠/١ برقم ١٦٦١ برسم حرقوص.

(٦) بهامش بعض النسخ ما نصه:" قال الشيخُ : باب عثمان :موضعٌ فيه البزارون في شاطئ المرْبد".

فأما قولُ جرير :

ومنّـا فَتَـى الفِتيَـانِ والبـأسِ مَعْقِـلٌ ... ومنّا الـذي لاقـى بدجْلَـةَ مَعْقِـلاَ (١)

فإنّه أراد مَعْقلَ بن قيسٍ الرّيَاحِيَّ ، ورياحٌ ابنُ يَرْبوعٍ ، وجريـرٌ مـن بَـني كُلَيْـبِ بـن يربوعٍ .

وقولُه

ومنّا الذي لاقَي بدِجْلَةَ معْقلاَ

يريدُ المسْتَوْرِدَ التّيْميَّ ، وهو من بني تَيْم بنِ عبدِ مَناةَ بن أُدٍّ ، وتميمٌ ابنُ مُرٍّ بن أُد .

وأما قولُ ابن الرُّقَيَّاتِ (٢) :

والـذي نَغّـصَ ابـنَ دَوْمـةَ مـا تُـو ... حِـي الشَّـيَاطينُ والسُّـيُوفُ ظمـاءُ

فأَبَـاحَ العـراقَ يَضْرِبُهـم بالسَّـ ... ـيْفِ صَلْتا وفي الضِّرابِ غلاءُ (٣)

فإنما يريدُ بـ " ابن دَوْمَةَ " المختارَ بنَ أبي عُبيدٍ الثّقفيَّ ، والذي نَغّصَهُ مُصْعَبُ بـنُ الزبير ، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ ، كان خارجيا ، ثم صار زُبَيْريّا ، ثم صـار رافضيا في ظاهره !!

وقولُه " ما تُوحي الشّياطينُ " فإنَّ المختار كان يَدَّعي أنه يُلْهَـمُ ضربا مـن السَّجَاعة لأمور تكونُ ، ثم يحتالُ فيُوقعُها ، فيقولُ للناسِ : هذا من عند ا لله عزَّ وجلَّ .

* * *

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه ص٣٢٠ وروايته:"ومنا فنى الفنان والبأس معقل .

(٢) ديوانه ق ٢٣/٣٩ ، ٢٤ ص ٩٠ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نسه :" ابن شاذان :" حدثنى أبو عمر عن ثعلب بن سَلمة عن الفَرَّاء قال : يقال : يضربه بالسيف صَلْتًا ، ورجلٌ صَلْتٌ أي : ماض ، وسيفٌ إصليتٌ أي : صارمٌ ".

(والضراب غلاء) الغلاء "بالفتح" مجاوزة القدر فى كل شيء) رغبة الآمل ٢٠٣/٧.

وبهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : حدثني أبوعُمَر عن ثعلبٍ عن سَلَمَةَ عن الفَـرَّاء قـال : يقال : ضربه بالسيف صَلْتا وصُلْتا ، ورجل صَلْت أي ماضٍ وسيف إصْليت أي صارم " .

فمن ذلك قولُه ذات يوم : لَتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْماءُ ، فَلَتحْرِقَنَّ دارَ أسماءَ، فَذُكِرَ ذلك لأسماءَ بن خارجةَ ، فقال : أقد سَجَعَ بي أبو إسحاقَ ؟ هو وا لله مُحْرِقُ داري ـ ! فتَرَكَهُ والدارَ وهربَ من الكوفة .

وقال في سجْعِهِ : أما والذي شَرَعَ الأديانَ ، وجَنَّبَ الأوثانَ ، وكَرَّهَ العصْيانَ، لأقْتُلَنَّ أَزْدَ عُمَانَ ، وجُلَّ قيس عَيْلاَن، وتَميماً أولياءَ الشيطانِ ،حاشا النَّجيبَ ظَبْيانَ[1]!

ويُروى أنَّ المختارَ بنَ أبي عبيد حيث كان واليًا لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير ، فولى رجلاً من قريش الكوفة ، فلما أطل قال لجماعة من أهلها اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : أين تريد ؟ وا لله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير : إن صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع ، فما أدري ما الذي رده ! فغضب ابن الزبير على القرشي وعجّزه ورده إلى الكوفة ، فلما شارفها قال المختار : اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه : فقالوا: إنه وا لله قاتلك ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير مثل كتابه الأول، فلام القرشي ، فلما كان في الثالثة فطن ابن الزبير ، وعلم بذلك المختار .

وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بني هاشم، فقال: لتبايعن أو لأحرقنكم ، فأبوا بيعته ، وكان السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم ، ففي ذلك يقول كثير :

تخبر من لاقيت أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ في سجن عارمِ

ومن يلقَ هذا الشيخ بالخَيْفِ من منى ... من الناس يعلم أنه غير ظالمِ

سمي النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك أغلال وقاضي مغارم[2]

وكان عبد ا لله بن الزبير يدعى العائذ ؛ لأنه عاذ بالبيت ، ففي ذلك يقول ابن الرقيات [3] يذكر مصعبًا :

---

(١) زاد في بعض النسخ : " فكان ظبيان النجيب يقول : لم أزل في عُمْر المختار أتقلب آمنا " .

(٢) البيت الأول من الطويل ،وهو لكثير فى ديوانه ص٢٢٤ (ولسان العرب ٣٩٨/١٢(عرم) ٥٤٢(لزم)،٣٩٤/١٥(وصى)؛ والكامل ص١١٢٤،١١٩٣ ؛ والعقد الفريد ٤١٣/٤ ؛ وثمار القلوب ص٢٩٥؛وتاج العروس (عرم)،(لزم) ،(وصى).والبيت الثالث كذلك من الطويل لكثير فى ديوانه ص٢٢٥ ولسان العرب ٥٤٢/١٢(لزم)،٣٩٤/١٥(وصى)؛ وتاج العروس(وصى).

والبيت الثانى فى الأغانى ٢١/٩ وروايته (من ير) بدلاً من "من يلق"

(٣) ديوانه ـ الزيادات ص ١٩٣ .

بلــد تــأمن الحمامــة فيــه　　　حيــث عــاد الخليفــة المظلــوم

وكان عبد الله يدعي المحل لإحلاله القتال في الحرم ، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير :

ألا مَــنْ لقلــب معنّــى غــزلْ[1]　　　بذكْــرِ المحلّــةِ أخــتِ المحــلّ[2]

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله ، وكان يحسده على أيده ، ويقال إن عليا استطال درعًا فقال : لينقص منها كذا وكذا حلقة ، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها ، وبالأخرى على فضلها ثم جذبها ، فقطعها من الموضع الذي حده أبوه ، فكان ابن الزبير إذا حدث بهذا غضب واعتراه له أفْكَلٌ.

فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب إليه : من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه ، وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة ابن الزبير يدس إلى الشيعة، ويعلمهم موالاته إياهم ، ويخبرهم أنه على رأيهم وحمد مذاهبهم ، وأنه سيظهر ذلك عما قليل ، ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار ، حتى كسروا سجن عارم ،واستخرجوا منه بني هاشم ، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم .

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر يسأله الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأبي عليه إبراهيم إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب ، فكتب إليه يستأذنه في ذلك، فعلم محمد أن المختار لا عقد له، فكتب محمد إلى إبراهيم :إنه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدى من شاء من خلقه. فخرج معه إبراهيم بن الأشتر ، فوجهه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيًا، فقال له إبراهيم: اركب يا أبا إسحاق! فقال: إني أحب أن تغبر قدماي في نصرة آل محمد ﷺ ، فشيعه فرسخين ، ودفع إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً ضخاماً ، وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها ، و قال للناس : إن استقمتم فبنصر الله، وإن

---

(١)

تــراءتْ لنــا يــومَ فــرع الأرا　　　كِ بيْــن العشــاءِ وبيْــن الأصــلْ

كــان القرنفــلَ والزنجبيــلَ　　　ريــحُ الخزامــى وذوبُ العســلْ

يعــلّ بــه بــردُ أنيابهــا　　　إذا مــا صفــا الكوكــبُ المعتــدلْ

(٢) البيت للنميرى فى الأغانى ٢١٨/٦ وفيه "يحب المحلة" بدلا من "بذكر المحلة" .

حصتم حيصة [1] فإني أجد في محكم الكتاب ، وفي اليقين والصواب ، أن ا لله مؤيدكم بملائكة غضاب ، تأتي في صور الحمام دوين السحاب !.

فلما صار ابن الأشتر بخازر ، [قال أبو الحسن والسدوسي جازر: بلدان وخازر نهر بناحية الموصل] وبها عبيد ا لله بن زياد ، قال : من صاحب الجيش ؟ قيل له : ابن الأشتر، قال: أليس الغلام الذي كان يطير الحمام بالكوفة؟ قالوا :بلى ، قال ليس بشيء، وعلى ميمنة ابن زياد حصين بن نمير السكوني من كندة ـ ويقال السَّكوني والسُّكوني، والسُّدوسيّ، كذا كان أبو عبيدة يقول [قال أبو الحسن : السكوني] وعلي ميسرته عمير بن الحباب فارس الإسلام ، فقال حصين بن نمير لابن زياد:إن عمير بن الحباب غير ناس قتلي المرج، إني لا أثق لك به ، فقال: ابن زياد : أنت لي عدو ، قال حصين: ستعلم .

قال ابن الحباب : فلما كان في الليلة التي نريده أن نواقع ابن الأشتر في صبيحتها خرجت إليه ، وكان لي صديقاً ، ومعي رجل من قومي ، فصرت إلى عسكره ، فرأيته وعليه قميص هروي وملاءة ، وهو متوشح السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى، فالتزمته من ورائه ، فوا لله ما التفت إلي ، ولكن قال : من هذا ؟ فقلت : عمير بن الحباب ، فقال : مرحباً بأبي المغلس،كن بهذا الموضع حتى أعود إليك، فقلت لصاحبي : أرأيت أشجع من هذا قط ؟! يحتضنه رجل من عسكر عدوه ، ولا يدري من هو ، فلا يلتفت إليه !! ثم عاد إلي وهو في أربعة آلاف فقال : ما الخبر فقلت : القوم كثير، والرأي أن تناجزهم ، فإنه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير، فقال : نصبح إن شاء ا لله ثم نحاكمهم إلى ظبات [2] السيوف وأطراف القنا، فقلت:أنا منخزل عنك بثلث الناس غدًا ، فلما التفتوا كانت على أصحاب إبراهيم في أول النهار، وأرسل أصحاب المختار الطير ، فتصايح الناس : الملائكة ، الملائكة : فتراجعوا ، ونكّس عمير بن الحباب رايته ، ونادى : يا لثارات المرج ! وانخزل بالميسرة كلها ، وفيها قيس فلم يعصوه ، واقتتل الناس حتى اختلط الظلام ، وأسرع القتل في أصحاب عبيد ا لله بن زياد ثم

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : الحيص : الحيد عن الشيء ، حاص يحيص : إذا حاد . ويقال : مالك من هذا الأمر محيص أي محيد " .

(٢) بهامش بعض النسخ : " أبن شاذان : حدثني أبو عمر عن ثعلب قال : ظبة السيف : حده " ويقال : طرفه : والجمع : الظبات والظبون في الرفع والظبين في النصب والجر . ويقال لطرف سنان الرمح ولطرف نصل السهم : ظبته " .

انكشفوا ، ووضع السيف فيهم حتى أفنوا ، فقال ابن الأشتر : لقد ضربت رجلاً على شاطئ هذا النهر ، فرجع إلي سيفي وفيه رائحة المسك ! ورأيت إقداماً وجرأة ، فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه ، فأتوا بالنيران ، فإذا هو عبيد الله بن زياد .

وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد ، فغشاه بالديباج ، وقال : هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فضعوه في براكاء الحرب ، وقاتلوا عليه ، فإن محله فيكم محل السكينة في بني إسرائيل !! ويقال إنه اشترى ذلك الكرسي من نجار بدرهمين.

قوله " براكاء يقال: براكاء وبروكاء ، وهو موضع اصطدام [1] القوم ، قال الشاعر :

وليس بمنقذ لك منه إلا[2] ... براكاء القتال أو الفرار [3]

---

(١) بهامش بعض النسخ : ما نصه : " ابن شاذان : اصطدام افتعال من الصدم ، من قولهم : صدمت الشيء بالشيء ، أصدمه صدماً . وكل شيء ضربته بشيء فقد صدمته به بعد أن يكون صلباً " .

(٢) (وليس بمنقذ لك منه إلا) هذا غلط والرواية الحقة

لا ينجي من الغمرات الا ... براكاء القتال أو الفرار

والبيت آخر كلمة له يقول قبله يصف فرسًا

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

يضمر بالأصائل فهو نهد ... أقب مقلص فيه اضطمارُ

كأن سراته والخيل شعث ... غداة وجيفها مسد مغار

يظل يعارض الركبان يهفو ... كأن بياض غرته خمار

ولا ينجي البيت وقوله : (وجدنا فى كتاب إلخ) أنشده الجوهرى للطرماح شاهدًا على قول العرب عار الفرس يعير عيارًا إذا انفلت وذهب هنا وهاهنا من المرح وأعاره صاحبه قال: والناس يروونه من العارية وهوخطأ ،وقال الأزهرى يروى المعار "بكسر الميم" قال :كأنه فى الأصل معير فقيل : معار وهو الذى يحيد عن الطريق براكبه . ونهد جسيم مشرف ، وأقب ضامر البطن ومقلص " بكسر اللام المشيدة" طويل القوائم منضم البطن واضطمار انضمام(هذا) والأجود تفسير (براكاء القتال) فى البيت بالثبات والجدّ فى الحرب وأصلها من البروك .

(٣) بهامش بعض النسخ : ما نصه " قال ابن شاذان : رواية أبي عمر :

ولا ينجي من الغمرات إلا ... براكاء القتال ....

وقال :وبراكاء هو الثبات في الحرب " وكان فيها " ولا انتحى من الغمرات " وهو تصحيف صوابه ما أثبت ، والبيت كما رواه أبو عمر لبشر بن أبي خازم ، ديوانه ق ١٥ / ٥٨ ص ٧٩ .

هذا باب اللام
التى للاستغاثة والتي للإضافة

إذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة ، تقول: ياللرجال، وياللقوم، ويالزيد، إذا كنت تدعوهم .

وإنما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ، ووجب أن تفتحها ، لأن أصل اللام الخافضة إنما كان الفتح ، فكسرت مع المظهر، ليفصل بينها وبين لام التوكيد ، تقول :إن هذا لزيد ، إذا أردت : إن هذا زيد ، وتقول : إن هذا لزيد ، إذا أردت أنه فى ملكه، ولو فتحت لالتبستا .

فإن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها ، فقلت : إن هذا لك ، وإن هذا لأنت ، إذا أردت لام التوكيد ، لأنه ليس هاهنا لبس ، وذاك أن الأسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة ، فلهذا أجريتها على الأصل ، والاستغاثة تردها إلى أصلها من أجل اللبس.

والمدعو له في بابه، فاللام معه مكسورة ، تقول : ياللرجال للماء ، وياللرجال للعجب ، ويالزيد للخطب الجليل ، وقال الشاعر :

ياللرّجال ليوم الأربعاءِ أمَا … ينفكُّ يبعثُ لي بعد النُّهى طربا (١)

وقال آخر (٢) .

تكنّفني الوشاةُ فأزعجوني … فيا للناس للواشِي المطُاعِ

وهو من الوافر وهو لشربيه بن أبى خازم فى ديوانه صـ٧٩، وفى جمهرة اللغة صـ٣٢٥؛وخزانة الأدب ٥٠٦/٧؛ وشرح التصريح ٢٩١/٢ ؛ وشرح المفصل ٥٠/٤؛ ولسان العرب ٣٩/١٠(برك)؛ وبلا نسبة فى الاشتقاق صـ ٢٤٧ وجمهرة اللغة صـ١٢٢٩. وروايته "ولاينحى من الغمرات إلا ...براكاء القتال أو الفرار .

(١) البيت من البسيط، وهو لعبد الله بن مسلم الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ٩١٠/٢؛ومجالس ثعلب ص٤٧٤؛ وللحارث بن حلزة فى ديوانه صـ٦٣؛ ولسان العرب ٥٦١/١٢(لوم)؛ وللحارث بن خالد فى المقتضب ٢٥٦/٤؛وبلا نسبة فى سر صناعة الإعراب صـ٣٢٩. وروايته "يحدث لى " بدلاً من "يبعث لى "

(٢) قيس بن ذريح . انظر الكتاب ١ / ٣١٩ وشرح أبيات سيبويه ١ / ٥٣١ وفرحة الأديب ٩٨ - ٩٩ ، وقيس ولبنى ١١٧ - ١١٨ . والبيت من الوافر ، وهو فى ديوانه صـ١١٨؛ والأغاني ١٨٥/٩؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٣١/١؛والشعر والشعراء ٦٣٣/٢؛والكتاب ٢١٦/٢،٢١٩،واللامات صـ٨٨ ؛ والمقاصد النحوية ٢٥٩/٤؛ وبلا نسبة فى الجنى الدانى صـ١٠٣؛ ورصف المبانى صـ ٢١٩ ؛ وشرح المفصل ١٣١/١؛ولسان العرب ٥٦٣/١٢(لوم)؛ والمقرب ١٨٣/١

وفي الحديث [١] لما طعن العلج أو العبد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه صاح : يا لله يا للمسلمين .

وتقول : ياللعجب ، إذا كنت تدعو إليه ، فـ " يا " لغير العجب ، كأنك قلت: ياللناس للعجب وينشد هذا البيت .

يالعنـــة الله والأقـــوام كلّهــــمُ والصَّالحين على سمْعَانَ مِـن جـار[٢]

فـ " يا " لغير اللعنة ، كأنه قال : يا قوم لعنة الله والأقوام كلهم .

وزعم سيبويه [٣] أن هذه اللام التى للاستغاثة دليل ، بمنزلة الألف التي تبين بالهاء في الوقف إذا أردت أن تسمع بعيداً ، فإنما هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام ، وذلك قولك : يا قوماه ، على غير الندبة ، ولكن للاستغاثة ومد الصوت .

والقول كما قال ، محلهما عند العرب محل واحد ، فإن وصلت حذفت الهاء ، لأنها زيدت فى الوقف لخفاء الألف، كما تزاد لبيان الحركة، فإذا وصلت أغنى ما بعدها عنها، تقول : يا قوما تعالوا ، ويا زيداً لا تفعل ؛ ولا يجوز أن تقول يالزيد وهو مقبل عليك، وكذلك لا يجوز أن تقول : يا زيداه وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيد، أو ينبه به النائم.

فإن قلت : يالزيد ولعمرو ، كسرت اللام في " عمرو " وهو مدعو؛ لأنك إنما فتحت اللام في " زيد " لتفصل بين المدعو والمدعو إليه ، فلما عطفت على " زيد " استغنيت عن الفصل ؛ لأنك إذا عطفت عليه شيئًا صار في مثل حاله .

ونظير ذلك الحكاية ، يقول الرجل : رأيت زيدًا ، فتقول : من زيدًا ؟ ويقول: مررت بزيد ، فتقول : من زيدٍ ؟ وإنما حكيت قوله ليعلم أنك إنما تستفهمه عن الذي ذكر بعينه ، ولا تسأله عن زيد غيره ، والموضع موضع رفع ، لأنه ابتداء وخبره ، فإن قلت : ومن زيدًا ؟ أو فمن زيدُ ؟ لم يكن إلا رفعاً ؛ لأنك عطفت على كلامه، فاستغنيت عن الحكاية ، لأن العطف لا يكون مستأنفا .

ونظير هذا الذي ذكرت لك في اللام قول الشاعر [٤] :

---

(١) أي الخير ، وانظره في المقتضب ٤ / ٢٥٤ ، والتعازي والمراثي ٢٢٢ .

(٢) وهو بلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب صـ٤٤٨، والإنصاف ١١٨/١؛والجنى الدانى صـ٣٥٦؛ وجواهر الأدب صـ٢٩٠ ؛ وخزانة الأدب ١٩٧/١؛ والدرر ٢٥/٣،١١٨/٥؛ورصف المباني ٧٩٦/٢؛ وشرح المفصل ٢٤/٢،٤٠؛ والكتاب ٢١٩/٢؛ واللامات ص٣٧؛ومغنى اللبيب ٣٧٣/٢؛ والمقاصد النحوية ٢٦١/٤؛وهمع الهوامع ١٧٤/١،٧٠/٢.

(٣) انظر الكتاب ١ / ٣٢٠ . وما حكاه عن سيبويه هو قول الخليل .

(٤) البيت بلانسبة في المقتضب ٤ / ٢٥٦ ، والخزانة ١ / ٢٩٦ . بلا نسبة فى أوضح المسالك ٤٧/٤؛ وخزانة الأدب ١٥٤/٢؛والدرر ٤٢/٣؛ورصف المبانى صـ٢٢٠؛ وشرح الأشمونى ٤٦٢/٢؛وشرح التصريح ١٨١/٢؛وشرح شواهد الإيضاح صـ٢٠٣،وشرح قطر الندى صـ٢١٩

يبكيك ناء بعيدُ الدارِ مغتربٌ   يالَلكهولِ وللشبانِ للعجَبِ

فقد أحكمت لك كل ما في هذا الباب .

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

قال : وذكر لعبيد الله بن زياد رجل من بني سدوس ، يقال له :خالد بن عُباد ، أو ابن عبادة [1] وكان من نساكهم ، فوجه إليه فأخذه ، فأتاه رجل من آل ثور ، فكذب عنه ، وقال: هو صهري وهو في ضمني ، فخلى عنه،فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب، فأتى ابن زياد فأخبره ، فبعث إلى خالد بن عباد فأخذ ، فقال عبيد الله بن زياد : أين كنت في غيبتك هذه ؟ قال : كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرءون منهم! قال : ادللني عليهم ، قال : إذن يسعدوا وتشقى ، ولم أكن لأروعهم ! .

قال : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ قال : خيراً . قال: فما تقول في أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية ؟ قال : إن كانا وليين لله فلست أعاديهما ، فأراغه مرات فلم يرجع ، فعزم على قتله ، فأمر بإخراجه إلى رحبة تعرف برحبة الزبيبي، فجعل الشرط يتفادون من قتله ، ويروغون عنه توقياً ، لأنه كان شاسفاً عليه أثر العبادة، حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلي ، وكان من الشرط ، فتقدم فقتله ، فائتمر به الخوارج أن يقتلوه، وكان رجلاً مغرماً باللقاح يتتبعها فيشتريها من مظانها ، وهم في تفقده، فدسوا إليه رجلاً في هيئة الفتيان ، عليه ردع [2] زعفران ، فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفي فقال له الفتى : إن كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره ، فامض معي، فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه ، حتى أتى به بني سعد، فدخل داراً ، وقال له: ادخل على فرسك ، فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب ، وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل ، وكهمس بن طلق الصريمي فقتلاه ، وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ، ودفناه في ناحية الدار ، وحكا آثار الدم ، وخليا فرسه في الليل فأصيب الغد في المربد ، وتحسس عنه[3] الباهليون فلم يروا له أثرا ، فاتهموا به بني سدوس ، فاستعدوا عليهم السلطان، وجعل السدوسيون يحلفون وتحامل ابن زياد مع الباهليين ، فأخذ من السدوسيين أربع

ولسان العرب ١٢/٥٦١،٥٦٣(لوم)؛والمقاصد النحوية ٤/٢٥٧؛ والمقتضب ٤/٢٥٦ ؛ والمقرب ١/١٨٤ ؛ وهمع الهوامع ١/١٨٠ .

(١) في أنساب الأشراف ٤ / ١ / ٣٨٩ : " خالد بن عَبّاد ويقال عُباد " .

(٢) الردع : اللطخ بالزعفران والطيب . رغبة الامل ٧ / ٢١٨ .

(٣) " كذا وقع ، على تضمين تحسس معنى تبحث فعدي بـ " عن " وهو في القرآن متعد بـ " من" قال الله تبارك وتعالى ﴿فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ [سورة يوسف : ٨٧] وفي بعض النسخ:" تجسس" بالجيم ،فقيل ؛ هما بمعنى وقيل هو بالجيم البحث عن العورات،انظر اللسان (حس،حس).

ديات ، وقال : ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج ؟ كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله . فلم يعلم بمكانه ، حتى خرج مرداس . فلما واقفهم ابن زرعة الكلابي صاح بهم حريث بن حجل : أهاهنا من باهلة أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : يا أعداء الله ! أخذتم بالمثلم أربع ديات ، وأنا قتلته وجعلت دراهم كانت معه في بطنه ، وهو في موضع كذا مدفون ، فلما انهزموا صاروا إلى الدار ، فأصابوا أشلاءه والدراهم ، ففي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي[1] :

آليتُ لا أغدو إلى رَبِّ لِقْحةٍ ... أساومُه حتى يعودَ المثلَّمُ

ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم كلهم قتل ، حتى انتهى الأمر إلى الأزارقة .

ومن هاهنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب :

الإباضية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض .

والصفرية : واختلفوا في تسميتهم ، فقال قوم : سموا بابن صفار ، وقال آخرون ـ وأكثر المتكلمين عليه ـ : هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم .

ومنهم البيهسية ، وهم أصحاب أبي بيهس .

ومنهم الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي .

وكانوا قبل على رأي واحد ، لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع ، كما قال صخر بن عروة : إني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقرابته ، فأما الآن فلا يسعني إلا الخروج . وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر ، فضللته الخوارج بامتناعه من قتال علي .

فكان أول أمرهم الذي نستاقُه:أن جماعة من الخوارج ـ منهم نجدة بن عامر الحنفي ـ عزموا على أن يقصدوا مكة ، لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة ، فقالوا: هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة ، ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ، ونمتحن ابن الزبير، فإن كان على رأينا بايعناه ، فمضوا لذلك .

فكان أول أمرهم : أن أبا الوازع الراسبي ، وكان من مجتهدي الخوارج كان يذمر نفسه ويلومها على القعود ، وكان شاعرًا ، وكان يفعل ذلك أصحابه ، فأتى نافع بن الأزرق وهو في جماعة من أصحابه ، يصف لهم جور السلطان ، وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة ، فأتاه أبو الوازع ، فقال : يا نافع ، لقد أعطيت لساناً صارماً ، و قلبًا كليلاً ، فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك ، وكلال قلبك كان

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٤ / ١ / ٣٩٠ .

للسانك ، أتحض على الحق وتقعد عنه ، وتقبح الباطل وتقيم عليه ؟ ! فقال:يا أبا الـوازع، إنما أنتظر إلى أن يجتمع من أصحابك من تنكي به عدوك ، فقال أبو الوازع[1] .

لسـانك لا ينكـى بـه القـومُ إنمـا ... تنـالُ بكفّيـك النجـاةَ مِـنَ الكـربِ

فجـاهد أناسًـا حـاربوا ا لله واصطـبرْ ... عسى ا لله أن يخزي غويّ بـني حـرب

ثم قال : وا لله لا ألومك ونفسى ألـوم ، ولأغـدون غـدوة لا أنثـني بعدهـا أبـدًا، ثـم مضى فاشترى سيفًا ، وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويـدل علي عوراتهـم ، فشـاوره في السيف فحمده ، فقال : اشحذه ، فشحذه ، حتى إذا رضيه حكّـم وخبـط بـه الصيقـل، وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر ، فدفع عليه رجل حـائط السـترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفًا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرًا . فلمـا رأى ذلـك نـافع بـن الأزرق وأصحابه جدوا ، وخـرج في ذلـك جماعـة ، فكـان ممـن خـرج عيسـى بـن فـاتك الشاعر الخطي ، من تيم اللات بن ثعلبة ، ومقتله بعد خروج الأزراقة .

فمضي نافع وأصحابه من الحروريـة قبـل الاختـلاف إلى مكـة ، ليمنعـوا الحـرم مـن جيش مسلم بن عقبة ، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفـوه أنفسـهم، فـأظهر لهـم أنـه علـى رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بـن عقبـة وأهـل الشـام ، فدافعـوه إلى أن يـأتي رأي يزيـد بـن معاوية ، و لم يبايعوا ابن الزبير .

ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قـدم أبـا بكر وعمر ، وبرىء من عثمان وعلي ، وكفر أبـاه وطلحـة بايعنـاه ، وإن تكـن الأخـرى ظهر لنا ما عنده ، فتشـاغلنا بما يجـدي علينـا ، فدخلـوا علـى ابـن الزبـير ، وهـو متبـذل، وأصحابه متفرقون ، فقالوا : إنا جئناك لتخبرنا رأيك ، فإن كنت على الصـواب بايعنـاك، وإن كنت على خلافه ، دعوناك إلى الحق ، ما تقول في الشيخين ، قال: خيرا : قالوا: فما تقول في عثمـان ، الـذي أحمـى الحمـى وآوى الطريـد،وأظهـر لأهـل مصـر شيئًا وكتـب بخلافه، وأوطأ آل أبي معيـط رقـاب النـاس ، وآثرهـم بفـيء المسـلمين ؟ وفي الـذي بعـده الـذي حكـم في ديـن ا لله الرجـال ، وأقـام علـى ذلـك غـير تـائب ولا نـادم ؟ وفي أبيـك وصاحبه، وقد بايعا عليًّا وهو إمام عادل مرضي ، لم يظهر منه كفر ثم نكثا ، بعـرض مـن أعراض الدنيا، وأخرجا عائشة تقاتل ، وقـد أمرهـا ا لله وصواحبهـا أن يقـرن في بيوتهـن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة ، فإن أنت قلت كما نقول فلـك الزلفـة عنـد ا لله والنصر على أيدينا ونسأل ا لله لك التوفيق ، وإن أبيت إلا نصر رأيـك الأول ، وتصويـب أبيك وصاحبه ، والتحقيق بعثمان ، والتولي في السنين الست التي أحلت دمـه ، ونقضت

---

(١) شعر الخوراج ٦٩ .

عهده وأفسدت إمامته خذلك الله وانتصر منك بأيدينا !! فقال ابن الزبير : إن الله أمر ـ وله العزة والقدرة ـ في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرفه من هذا القول فقال لموسى وأخيه ـ صلى الله عليهما ـ في فرعون : ﴿**فقولاَ له قَوْلاً لينا لعلّه يتذكّرُ أو يَخشى**﴾[1] وقال رسول الله ﷺ : " **لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى**"[2] فنهى عن سب أبي جهل ، من أجل عكرمة ابنه ، وأبو جهل عدو رسول الله ﷺ وعدو الله ، والمقيم على الشرك ، والجاد في المحاربة ، والمتبغض إلى رسول الله ﷺ قبل الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنبًا ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا : أتبرأ من الظالمين ، فإن كانا منهم دخلاً في غمار الناس ، وإن لم يكونا منهم لم تحفظوني[3] بسب أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه : ﴿**وإن جَاهَداك على أنْ تُشركَ بي ما ليسَ لكَ به علمٌ فلا تطعْهُما وصاحِبْهما في الدنيا مَعروفاً**﴾[4] وقال جل ثناؤه : ﴿ **وقُولوا للنّاسِ حُسْنًا** ﴾ [5] وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده ، وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح ، ولعمري إن ذلك لأحري بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى بأن يعرف كلٌ صاحبه من عدوه، فروحوا إلى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله . فلما كان العشي راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة قال : هذا خروج منابذ لكم ، فجلس على رفع من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه محمد ﷺ ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ،ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها ، فجعلها كالماضية ، وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاصي بإذن رسول الله ﷺ ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه من أمور، وكان له أن يفعلها وأن ينزع عنها ، ففعلها أولا مصيباً ، ثم أعتبهم بعد محسنا ،وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبي، ثم كتب ذلك الكتاب بقتلهم ، فدفعوا الكتاب إليه ، فحلف أنه لم يكتبه و لم يأمر به،

---

(١) سورة طه : ٤٤.

(٢) الحديث بلفظ " لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء " وهو صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥٢/٤) والترمذي في كتاب البر رقم (٩٨٢ ـ) وأورده السيوطي في الجامع الصغير وأورده الشيخ الألباني في صحيح الجامع (ح ٧٣١٢ ـ) وانظر صحيح الترمذي (ح ١٦١٤) من حديث المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه وكشف الخفاء (٣٥٣/٢)ـ برقم ٣٠١٤ .

(٣) أي لم تغضبوني .

(٤) سورة لقمان : ١٥ .

(٥) سورة البقرة : ٨٣ .

وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ﷺ ومكانه من الإمامة ، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه ، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف و لم يحلف ، وقد قال رسول الله ﷺ :" **مَن حلفَ با لله فليصدُق ، ومَنْ حُلِف له با لله فليرض**"[١] فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه،وأنا ولي وليه ، وعدو عدوه ، و أبي وصاحبه صاحبا رسول الله ﷺ ،ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت إصبع طلحة: "سبقته إلى الجنة"[٢] وقال:" أوجب طلحة "[٣] وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كان كله أو جله لطلحة والزبير حواري رسول الله وصفوته ، وقد ذكر أنهما في الجنة ، وقال جل وعز :﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾[٤] وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم ، فإن يكن ما سعوا فيه حقا فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم ﷺ ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها ، فإن أبي آبٍ أن تكون له أمًّا نبذ اسم الإيمان عنه، قال الله جل ذكره وقوله الحق:﴿**النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾[٥] فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه .

وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشأم بعد إذ كان حصين بن نمير قد حصر ابن الزبير أنه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس ، وقد كان أهل الشأم ضجروا من المقام علي ابن الزبير ، وخفت الخوارج في قتالهم ، ففي ذلك يقول رجل من قضاعة :

---

(١) الحديث صحيح أخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات برقم (٢١٠١) من حديث ابن عمر قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يحلف بأبيه فقال : " لا تحلفوا بآبائكم . من حلف با لله فليصدق ومن حُلف له با لله فليرض ومن لم يرض با لله فليس من الله " وانظر صحيح ابن ماجه (١٧٠٨) – وصحيح الجامع -(٧٢٤٧) وراجع الإرواء (ح ٢٦٩٨) .

(٢) روى البخارى فى صحيحه (ح ٣٧٢٤) ، (ح ٤٠٦٣) عن قيس بن أبي حازم قال : "رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى ﷺ قد شلت " وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٠٣/٧ ، ١٠٤) :"وفى مسند الطيالسى من حديث عائشة عن أبي بكر الصديق قال :" ثم أتينا طلحة – يعنى يوم أحد – فوجدنا به بضعًا وسبعين جراحة وإذا قد قطعت إصبعه ".

(٣) الحديث حسن أخرجه الترمذي في كتاب المناقب رقم (٣٧٣٩) وفي كتاب " الجهاد" (١٦٩٢) وأحمد في المسند (١٦٥/١) وابن حبان في صحيحه والحاكم (٣٧٤/٣) ، وصححه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه وانظر صحيح الجامع(ح ٢٥٤٠) وراجع الصحيحة (ح ٩٤٥) . ويشير إلى قوله ﷺ أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة ، و طلحة في الجنة والزبير في الجنة ...وعد باقي العشرة . وهو صحيح أخرجه أحمد عن سعيد ابن زيد ، والترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف ، انظر صحيح الترمذي (ح ٢٩٤٦)، وصحيح ا(ح ٥٠) .

(٤) سورة الفتح : ١٨ .

(٥) سورة سورة الأحزاب : ٦ .

يا صاحبيّ ارتحلا ثم املسا[1] لا تحبسا لـدى الحصيـن مَحبسا
إن لدى الأركان ناساً بؤَّسَا وبارقـاتٍ يختلسـنَ الأنفُسـا
إذا الفتى حكّم يوماً كلّسا [2]

[قال أبو الحسن (٣) : حفظي " بأساً أباساً] :

قولهِ : " ثم أملسا " يريد : تخلصا تخلصًا سهلاً . " وكلس " أي حمل وجدّ ولما سمح ابن الزبير للخوارج في القول ، وأظهر أنه منهم قال رجل يقال له: فلان بن همام[4] من رهط الفرزدق:

يـابنَ الزبـيرِ أتهـوى عصبـة قتلـوا ظلمًـا أبـاك ولمـا تُـنزع الشُّـكَكُ
ضحَّوا بعثمـانَ يـوم النحْـرِ ضاحيـةً ما أعظمَ الحرمةَ العظمى التي انتهكوا

فقال ابن الزبير : لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها .

" الشكك " : جمع " شكة " وهي السلاح ، قال الشاعر :

ومُدجّجًـا يسْـعى بشـكّته مُحمـرَّةً عينـاه كـالكَلْبِ [5]

* * *

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولىعثمان ، فصارت طائفة إلى البصـرة ، وطائفـة إلى اليمامة ، وكان رجاء النصري [6] هو الذي كان جمعهم للمدافعة عـن الحـرم ، وكـان

---

(١) (محبسا) عـن بعضهـم المحبِس " بكسـر البـاء " يكـون مصـدراً كـالحبس ، ونظـيره ﴿ إلى الله مرجعكم ﴾وهذا سماعى (ناساً بؤسا) جمع بائس من بئس الرجل يبأس الشدة والقوة والأبـؤس جمـع البأس بمعنى الداهية يريد بأسًا ذا دواهي ، وهذه الرواية أنسـب بقولـه (وبارقـات) جمـع بارقـة وهـى السيوف ومنه حديث عمار ـ رضي الله عنه ـ "الجنة تحت البارقة" (أملسا) يريـد إلخ) اللمـس فـى الأصل مصدر ملس بالإبل يلمس " بالضم" ساقها فى الخفيفة (وكاس أى حمل وجد) يقـال كـاس على قرنه حمل وعنه جبن وفرّ فهو ضد (سمح) "بتشديد الميم" تساهل والأبيات في أنساب الأشراف ٣٤٢/١/٤ ، ٣٩٦ .

(٢) الرجز لرجل من قضاعة فـى تـاج العـروس ٤٤٨/١٦ (كلـس)؛وبـلا نسـبة فـى مقـاييس اللغـة ١٣٥/٥؛ ومجمل اللغة ١٩٨/٤ وروايته "أن تحبسا" بدلاً مـن "لا تحبسـا"،"أرى لـدى" بـدلاً مـن "إن لدى ""بأسا أبأسا" بدلا من "ناسا بؤَّسا".

(٣) وفي هامش بعض النسخ : " قال الأخفش : حفظى بأساً أبؤسا ".

(٤) بلا نسبة في أنساب الأشراف ٣٩٥/٤ .

(٥) البيت من الكامل وهو لعامر بن طفيل فى الحيوان ٣١٣/١؛وليـس فـى ديوانـه ؛وبـلا نسـبة فـى لسان العرب ٢٦٥/٢(دجج)؛ومقاييس اللغة ٢٦٥/٢؛ ومجمل اللغـة ٢٥٨/٢؛وكتـاب العين ١١/٦؛ والمخصص ٩٥/٨؛وتهذيب اللغة ٤٦٧/١٠؛ وتاج العروس٥٤٨ (دجج)،وروايته"ومدججٍ" بكسرتي.

(٦) في بعض النسخ : " النميري " وفي أنساب الأشراف ٣٩٤/١/٤ " النمري " .

فيمن صار إلى البصرة نافع بن الأزرق الحنفي ، ورئيسهم حسان بن بخدج ، فلما صاروا إلى البصرة نظروا في أمورهم ، فأمروا عليهم نافعًا .

ويروى أن أبا الجلد اليشكرى قال لنافع يومًا : يا نافع ، إن لجهنم سبعة أبواب ، وإن أشدها حرًّا للباب الذي أعد للخوارج ، فإن قدرت ألا تكون منهم فافعل .

فأجمع القوم على الخروج ، فمضى بهم نافع إلى الأهواز في سنة أربع وستين ، فأقاموا بها ، لا يهيجون أحداً ، ويناظرهم الناس .

* * *

وكان سبب خروجهم إلى الأهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيدا لله بن زياد، وكان في السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج ، وضعف أمر ابن زياد فكلم فيهم ، فأطلقهم ، فأفسدوا البيعة عليه ، وفشوا في الناس ، يدعون إلى محاربة السلطان، ويظهرون ما هم عليه ، حتى اضطرب على عبيد ا لله أمره ، فتحول عن دار الإمارة إلى الأزد ، ونشأت الحرب بسببه بين الأزد وربيعة وبين بني تميم ، فاعتزلهم الخوارج إلا نفرًا منهم ، فإنهم أعانوا قومهم، فكان عبسُ الطعانِ في سعدٍ والربابِ في القلب بحذاء الأزد، وكان حارثة بن بدر إلىربوعي في حنظلة بحذاء بكر بن وائل ، وفي ذلك يقول حارثة بن بدر للأحنف ، و هو صخر بن قيس :

سيكفيكَ عبسٌ أخو كهمَسٍ ... مواقفةَ الأزدِ بالمربد
وتكفيك عمرو على رِسْلِهاَ ... لُكَيْزِ بنَ أفصى وما عدّدوا
ونَكفيكَ بكرًا إذا أقبلَتْ ... بضربٍ يشيبُ له الأمْرَد[1]

" لُكَيزٌ " هو عبد القيس [2] .

فلما قتل مسعود بن عمرو العتكي وتكاف الناس أقام نافع بن الأزرق بموضعه بالأهواز ، و لم يعد إلى البصرة ، وطردوا عمال السلطان عنها ، وجبوا الفيء .

---

(١) الأبيات فى الأغانى لحارثة بن زيد ٤٠٩/٨ وروايته "مقارعة"بدلاً من"موافقة"،"يكفيك عمرو وأشياعه"بدلاً من "وتكفيك عمرو على رسلها "،"وأكفيك"بدلاً من "ونكفيك"،"بضرب"،بدلاً من "بطعن"

(٢) بهامش الأصل ما نصه : وصوابه من عبد القيس ، كذا في هامش نسخة " وهو كما قال ، فهو لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، ويغلب على ظني أن قوله"لكيز هو عبد القيس ليس من كلام المبرد، إنما هو تعليق أدخل في متن الكتاب .

ولم يزالوا على رأى واحد ، يتولون أهل النهر ومرداساً ومن خرج معه حتى جاء مولى لبني هاشم إلى نافع ، فقال له: إن أطفال المشركين في النار ،وإن من خالفنا مشرك، فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال ، قال له نافع : كفرت وأحللت بنفسك ، قال له: إن لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلني **﴿وقالَ نوحٌ ربِّ لا تذَرْ على الأرض من الكافرينَ ديارًا . إنك إن تَذَرْهُمْ يضلُّوا عبادكَ ولا يلِدوا إلا فاجرًا كفّارا ﴾**[1] فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم ، فشهد نافع أنهم جميعًا في النار ، ورأى الاستعراض [2] ، وقال: الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ،ولا توارثهم، ومتى ما جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه ، وهم ككفار العرب ، لا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، والقعد بمنزلتهم ، والتقية لا تحل ، فإن الله تعالى قال :**﴿إذا فريقٌ منهُمْ يخشَوْنَ الناسَ كخشيةِ الله أوْ أشدَّ خشيةً﴾**[3] وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم:**﴿يجاهدونَ في سبيلِ الله ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ ﴾** [4]. فنفر جماعة من الخوارج عنه،منهم نجدة بن عامر ، واحتج عليه بقول الله عز وجل:**﴿إلا أن تتقوا منهم تقاةً﴾**[5] وبقوله عز وجل : **﴿ وقالَ رجلٌ مؤمنٌ منْ آلِ فرعونَ يكتمُ إيمانَهُ ﴾** [6] فالقعد منا، والجهاد إذا أمكن أفضل ، لقوله جل وعز :**﴿وفضّلَ الله المجاهدينَ على القاعدينَ أجرًا عظيمًا﴾**[7] . ثم مضى نجدة بأصحابه إلى إلى اليمامة وتفرقوا في البلدان .

فلما تتايع [8] نافع في رأيه وخالف أصحابه ، وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم [9] في جماعة قد بايعوه ، فلما انخزل نجدة خلعوا أبا طالوت ، وصاروا إلى نجدة

---

(١) سورة نوح الآية : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) في بعض النسخ : ورأى قتلهم . وقوله :الاستعراض يريد اعتراضه الناس يقتلهم ، ولا يبالي مسلماً قتل أم كافراً .

(٣) سورة النساء : ٧٧ .

(٤) سورة المائدة : ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران : ٢٨.

(٦) سورة غافر : ٢٨ .

(٧) سورة النساء : ٩٥ .

(٨) التتايع في الشيء التهافت فيه والإسراع إليه . وفي سائر النسخ : " وتتابع ".

(٩) هو واد بأرض اليمامة . معجم البلدان ٢/٣٧٦ .

فبايعوه ، ولقي نجدة وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة ، [قال (١) أبو الحسن : غيره يقول : العرمة بالفتح ، والصواب العِرمة بالكسر] . " والعرمة " كالسكر [٢] وجمعها "العرم" وفي القرآن ﴿ سيل العرم ﴾ [٣] ، وقال النابغة الجعدي [٤] :

مِن سبأَ الحاضرينَ مأرِبَ إذْ يبنونَ مِن دونِ سَيْلِه العرِما

فقال لهم أصحاب نجدة : إن نافعًا قد أكفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الأطفال، فانصرفوا مع نجدة ، فلما صار باليمامة كتب إلى نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البر ، لا تأخذك في الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، كذلك كنت أنت وأصحابك ، أوما تذكر قولك : لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين ؟ فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبت من الحق فصّه ، وركبت مره ، واستهواك ، وأغواك فغويت ، فكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم ، فقال جل ثناؤه ـ وقوله الحق ووعده الصدق ـ ﴿ ليسَ على الضعفاء ولا على المرضَى ولا على الذينَ لا يجدُونَ ما يُنفقونَ حرجٌ إذا نصَحوا لله ورسولِهِ ﴾ [٥] ثم سماهم أحسن الأسماء فقال : ﴿ ما على

---

(١) العرمة نص ياقوت في معجم البلدان ١١٠/٤ على أنها بالتحريك وكذا ضبطت في الأصل ، والعرمة السكر تضبط بفتح الراء وكسرها وكذلك العرم جمع العرمة . والعرمة أرض صلبة تتاخم الدهناء وعارض اليمامة .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه :" السكر : ما سكرت به الماء فمنعته عن جريه، وأصله من قولهم: سكرت الريح : إذا سكنت . وقال الخليل : السكر سدّك بثق الماء ، والسكر اسم لذلك السداد الذي تجعله سدًا للبثق قال ابن دريد : العرمة :سد يعترض به الوادي ليحبس الماء ، الجمع عرم، وقال أبو حاتم : العرم واحد لا جمع له من لفظه " اهـ . وانظر الجمهرة ٣٨٨/٢ .

(٣) سورة سبأ : ١٦ .

(٤) شعره ١٣٤ : ومنهم من ينسبه لأمية بن أبي الصلت ، انظر ديوانه ص ٤٩٠ والتعليق عليه ص ٥٩٩ . هو من شواهد الكتاب . ٢٨/٢ . والبيت من المنسرح ، وهو في ديوانه ص١٣٤؛ وجمهرة اللغة صـ٢٢،٧٧٣ ،١٠؛وسمط اللآلي ص ١٨؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٤١/٢؛ وللنابغة الجعدى أو لأبيه فى خزانة الأدب ١٣٩/٩؛ وللأعشى فى معجم ما استعجم ص١٧٠؛ وبلا نسبة فى الاشتقاق صـ٤٨٩؛والإنصاف ٥٠٢/٢ ؛وجمهرة اللغة صـ١١٠٧؛ والكتاب ٣٥٣/٣؛ ولسان العرب ٩٤/١(سبأ) ،وما ينصرف ، ومالا ينصرف صـ٥٩ .

(٥) سورة التوبة : ٩١ .

المحسنينَ مِن سبيلٍ ﴾ ثم استحللت قتل الأطفال ، وقد نهى رسول ا لله ﷺ عن قتلهم [١]، وقال جل ثناؤه : ﴿ ولا تزرُ وَازِرَةٌ وزرَ أخرى ﴾[٢] وقال في القعد خيرًا ، وفضل ا لله من جاهد عليهم ، ولا تدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه ، أو ما سمعت قوله عز وجل ﴿لا يستوي القاعدون مَن المؤمنينَ غير أولي الضَّررِ﴾[٣] فجعلهم ا لله من المؤمنين ، وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم،ورأيت ألا تؤدي الأمانة إلى من خالفك، وا لله يأمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها ، فاتق ا لله وانظر لنفسك، واتق يومًا ﴿لا يجزِي والدٌ عن ولَدِه ولا مولودٌ هو جازٍ عَن والدِه شيئًا﴾[٤] فإن ا لله ـ عز ذكرهُ ـ بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل والسلام .

* * *

فكتب إليه نافعُ :

بسم ا لله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني، وتنصح لي وتزجرني ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثرة من الصواب، وأنا أسأل ا لله ـ عز وجل ـ أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعبت علي ما دنت به من إكفار القعد وقتل الأطفال واستحلال الأمانة وسأفسر لك لم ذلك إن شاء ا لله :

أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول ﷺ ؛ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين ، لا يجدون إلى الهرب سبيلاً ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فقهوا في الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قال ا لله عز وجل فيمن كان مثلهم، إذ قالوا : ﴿ كنا مستضْعَفِينَ في الأرض ﴾ [٥] فقيل

---

(١) ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه ، عن عبد ا لله بن عمر ، قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازي ، فنهى رسول ا لله ﷺ عن قتل النساء والصبيان " . رواه مسلم فى "الجهاد" باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ، (٣٤٢/٤) ط . الشعب .

(٢) سورة الأنعام : ١٦٤ ، وسورة الإسراء : ١٥ ، وسورة فاطر : ١٨ ، وسورة الزمر : ٧ .

(٣) سورة النساء : ٩٥ .الرفع فيها قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة ، والنصب قراءة باقي السبعة . انظر السبعة لابن مجاهد ٢٣٧ .

(٤) سورة لقمان : ٣٣ .

(٥) سورة النساء : ٩٧ .

لهم : ﴿ ألم تكنْ أرضُ ا لله واسعةً فتهاجروا فيها ﴾وقال: ﴿فرِحَ المخلَّفونَ بمقعَدِهم خلافَ رسولِ ا لله﴾[1] وقال:﴿وجاءَ المعذِّرونَ منَ الأعرابِ ليؤذنَ لهم ﴾[2] فخبر بتعذيرهم ، وأنهم كذبوا ا لله ورسوله ، وقال : ﴿ سَيصيبُ الذينَ كفروا منهم عذابٌ إليمٌ ﴾ فانظر إلى أسمائهم وسماتهم .

وأما أمر الأطفال فإن نبي ا لله نوحاً ـ عليه السلام ـ كان أعلم با لله ـ يا نجدة ـ مني ومنك ، فقال : ﴿ ربِّ لا تذَرْ على الأرضِ منَ الكافرينَ ديارًا ، إنكَ إن تذَرْهم يُضِلوا عبادَك ولا يلِدوا إلا فاجرًا كفارًا ﴾ [3] فسماهم بالكفر وهم أطفال ، وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا تقوله في قومنا ؟ ! وا لله يقول: ﴿ أكفارُكمْ خيرٌ منْ أولئكم ، أمْ لكم براءةٌ في الزبرِ ﴾ [4] وهؤلاء كمشركي العرب ، لا تقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن ا لله ـ عز وجل ـ أحل لنا أموالهم ، كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طلق[5] ،وأموالهم فيء للمسلمين، فاتق ا لله وراجع نفسك، فإنه لا عذر لك إلا التوبة ، ولن يسعك خذلاننا ، والقعود عنا ، وترك ما نهجناه[6] من مقالتنا ، والسلام على من أقر بالحق وعمل به [7] .

* * *

وكتب نافع إلى عبد ا لله بن الزبير يدعوه إلى أمره .

أما بعد ، فإني أحذرك من ا لله ﴿يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ مِنْ خير مُحْضَرا وما عَمِلتْ مِن سوءٍ تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمدًا بعيدا ويحذِّرُكمُ ا لله نفسَه ﴾ [8] فاتق ا لله ربك ، ولا تتولَّ الظالمين ، فإن ا لله يقول ﴿ لا يتخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ مِن دونِ

---

(١) سورة التوبة : ٨١ .

(٢) سورة التوبة : ٩٠ .

(٣) سورة نوح : ٢٦ - ٢٧ .

(٤) سورة القمر : ٤٣ .

(٥) الطلق : الحلال ، يريد : حلال طيب

(٦) بهامش بعض النسخ ما نصه: ابن شاذان :النهج : الطريق الواضح ، والجمع نهوج ، وهو المنهج والجمع مناهج .

(٧) انظر تعليق الشيخ المرصفي على ما قاله نافع ، في رغبة الآمل ٢٣٦/٧ - ٢٣٨ .

(٨) سورة آل عمران : ٣٠ .

المؤمنينَ ، ومَن يفعلْ ذلكَ فليسَ مِنَ الله في شيءٍ ﴾[1] وقد حضرت عثمان يوم قتل ، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ، ولئن كان قاتلوه مهتدين ـ وإنهم لمهتدون ـ لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ، ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليًّا كانوا أشد الناس عليه ، وكانوا فى أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان فكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول في دين واحد ؟ ! ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الأحكام مجاريها ، وأعطى الأمور حقائقها، فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلعاه ظالمين له ، وإن القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس : إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً لقد كفرتم لقتال المؤمنين وأئمة العدل ، ولئن كان كافرًا ، كما زعمتم ، وفي الحكم جائراً لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ، ولقد كنت له عدواً ، ولسيرته عائبًا ، فكيف توليته بعد موته ؟ ! فاتق الله فإنه يقول ﴿ ومَن يتولَّهم مِنكمْ فإنهُ مِنْهم ﴾[2] .

* * *

وكتب إلى من بالبصرة من المحكِّمة :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فـ ﴿ إنَّ اللهَ اصطفى لكمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلِمونَ ﴾[3] ، والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة ، والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار؟ ترون الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد ندبكم الله إلى الجهاد فقال :﴿وقاتلوا المشركينَ كافَّةً﴾[4] ولم يجعل لكم في التخلف عذراً في حال من الحال ، فقال:﴿انفِروا خفافًا وثِقالاً﴾[5] . وإنما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت إقامته لعلة ، ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال :﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غَيرُ أولي الضرر والمجاهدونَ في سبيل الله﴾[6] .فلا تغتروا ، ولا تطمئنوا إلى الدنيا ، فإنها غرارة مكارة ، لذتها نافذة ، ونعمتها بائدة،حفت بالشهوات اغترارًا،وأظهرت حبرة[7]، وأضمرت عبرة ، فليس آكل منها أكلة تسره ، ولا شارب شربة تؤنقه[8] إلا

---

(١) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٢) سورة المائدة : ٥١ .

(٣) سورة البقرة : ١٣٢ .

(٤) سورة التوبة : ٣٦ .

(٥) سورة التوبة : ٤١ .

(٦) سورة النساء : ٩٥ .

(٧) الحبرة : النعمة وسعة العيش .

وأضمرت عبرة ، فليس آكل منها أكلة تسره ، ولا شارب شربة تؤنقه[1] إلا دنا بها درجة إلى أجله،وتباعد بها مسافة من أمله،وإنما جعلها الله دارًا لمن تزود منها إلى النعيم المقيم ، والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارًا،ولا حليم بها قراراً ، فاتقوا الله ﴿وتزوّدوا فإنّ خيرَ الزادِ التقوى﴾[2] والسلام على من اتبع الهدى .

فورد كتابه عليهم ، وفي القوم . أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي ، وعبد الله بن إباض المرئ المرى من بني مرة بن عبيد ، فأقبل أبو بيهس على ابن إباض فقال : إن نافعاً غلا فكفر ، وإنك قصرت فكفرت ! تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك ، وإنما هم كفار النعم ، لتمسكهم بالكتاب ، وإقرارهم بالرسول ، وتزعم أن مناكحهم ومواريثهم[3] تجوز ؛ لأنهم منافقون يظهرون الإسلام ، وأن حكمهم عند الله حكم المشركين !! .

فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل : قول نافع في البراءة والاستعراض واستحلال الأمانة وقتل الأطفال ، وقول أبي بيهس الذي ذكرناه ، وقول عبد الله بن إباض ، وهو أقرب الأقاويل إلى السنة من أقاويل الضلال . والصفرية والنجدية في ذلك الوقت تقول : ابن إباض . وقد قال ابن إباض ما ذكرناه من مقالته : وأنا أقول : إن عدونا كعدو رسول الله ﷺ ، ولكني لا أحرم مناكحهم ومواريثهم ؛ لأن معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول عليه السلام ، فأرى دعوة المسلمين تجمعهم ، وأراهم كفارًا للنعم . وقالت الصفرية ألين من هذا القول في أمر القعد حتى صار عامتهم قعدًا . واختلفوا فيهم ، وقد ذكرنا ذلك . فقال قوم : سموا " صفرية " لأنهم أصحاب ابن صفار وقال قوم : إنما سموا بصفرة علتهم ، وتصديق ذلك قول ابن عاصم الليثي ، وكان يرى رأي الخوارج ، فتركه وصار مرجئاً :

فارقتُ نجدةَ والذينَ تزرّقوا وابنَ الزبيرِ وشيعةَ الكذابِ[4]
والصفرَ الاذانِ الذين تخيّروا دينًا بلا ثقةٍ ولا بكتابِ

خفف الهمزة من " الآذان " ولولا ذلك لانكسر الشعر.

---

(١) أي تعجبه .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) المناكح : النساء .

(٤) يريد المختار بن أبي عبيد الثقفي .

وقال أبو بيهس : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وإن أصيب من الأطفال فلا حرج . إلى هاهنا انتهت المقالة .

* * *

وتفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التي ذكرنا،وأقام نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الأطفال ، فإذا أجيب إلى المقالة جبا الخراج ، وفشا عماله في السواد، فارتاع لذلك أهل البصرة ، فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس ، فشكوا ذلك إليه ، وقالوا : ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان ، وسيرتهم ما ترى ، فقال الأحنف : إن فعلهم في مصركم - إن ظفروا بكم - كفعلهم في سوادكم فجدوا في جهاد عدوكم ، فاجتمع إليه عشرة آلاف ، فأتى عبد الله الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - هو بَبَّة [(١)] أن يؤمر عليهم،فاختار لهم ابن عبيس بن كريز،وكان دينا شجاعاً ، فأمره عليهم وشيعه،فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال:إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة،وإني لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم،فمن كان شأنه الجهاد فلينهض،ومن أحب الحياة فليرجع، فرجع نفر يسير،ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب[(٢)] خرج إليهم نافع ،فاقتتلوا قتالاً شديدًا،حتى تكسرت الرماح،وعقرت الخيل، وكثرت الجراح والقتل،وتضاربوا بالسيوف والعمد،فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الأزرق .

وكان ابن عبيس قد تقدم إلى أصحابه فقال : إن أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الأجذم الغُداني ، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية ، وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي[(٣)] ، فكان الرئيسان من بني يربوع : رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ، ورئيس الخوارج من بني سليط بن يربوع ، فاقتتلوا قتالا شديداً .

---

(١) بهامش بعض النسخ : ما نصه : " قال ابن شاذان : الببة : كثرة اللحم وتراكبه ، و به لقب عبد الله بن الحارث بن نوفل به لكثرة لحمه في صغره ، وله تقول أمه هند بنت أبي سفيان وهي تنقره :

لأنكحنّ بَبّهْ جاريةً كالقبةْ

مكْرَمةً محبةْ تجبُّ أهلَ الكعبةْ

تجبهم : تغلبهم، أي :تغلب نساء قريش بحسنها ، يقال : جبت فلانة النساء تجبهن جبّا : إذا غلبتهن".

(٢) بضم الدال قال محقق س :كذا ضبط فى النسخ : ويقال " دولاب " بفتح الدال ، وهو موضع بقرب الأهواز : انظر معجم ما استعجم ٥٦٣ ، ومعجم البلدان ٤٨٥/٢ .

(٣) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه : " قال المدائني : هو عبيد الله بن بشير بن يزيد ويزيد هو الماحوز بن الحارث بن مساحق بن زبيد بن ضباب بن سليط بن يربوع ، وإنما سمي الماحوز لأنه طعن بالرمح رجلاً فقيل : محز بالرمح محزاً ، يقال : محزه ووخزه بالرمح . =

وادعى قتل نافع سلامة الباهلي ، وقال : لما قتلته وكنت على برذون ورد[1] إذا برجل على فرس وأنا واقف في خمس قيس[2] ينادي : يا صاحب الورد ، هلم إلى المبارزة، فوقفت في خمس بني تميم ، فإذا به يعرضها علي ، وجعلت أنتقل من خمس إلى خمس ، وليس يزايلني ، فصرت إلى رحلي ، ثم رجعت قرآني فدعاني إلى المبارزة ، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين ، فضربته فصرعته ، فنزلت لسلبه وأخذ رأسه ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعًا ، فخرجت لتثأر به .

فلم يزل الربيع الأجذم يقاتلهم نيفاً وعشرين يومًا حتى قال يوما:أنا مقتول لا محالة، قالوا : وكيف؟ قال : إني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني . فلما كان الغد قاتل إلى الليل ، ثم غاداهم فقتل ، فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب ، إذ لم يكن لهم رئيس ، ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري، فأباها ، فقيل له : ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟ فقال: مشؤومة ، ما يأخذها أحد إلا قتل ، ثم أخذها ، فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب، والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن[3] ، فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسب ، وذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر ، فاختلفا ضربتين ،فسقطا ميتين، فقالت أم عمران ترثيه :

الله أيـَّـدَ عمرانًا وطهــره وكان عمرانُ يدعو الله في السحرِ

=وقال آخرون : كانت له إبل كثيرة فقيل : قد امتار مالاً كثيرًا فسمي الماحوز ، وهذا في الاشتقاق ليس بشيء "اهـ .

والذي في جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ أنه يزيد بن الحارث بن مساحق بن الحارث بن سليط بن يربوع.

(١) الورد لون أحمر يضرب إلى الصفرة .

(٢) قال الشيخ المرصفي : " صوابه خمس عبد القيس " على ما يأتي في الشعر . وفي لسان العرب، أخماس البصرة خمسة : فالخمس الأول العالية والخمس الثاني بكر بن وائل والخمس الثالث تميم والخمس الرابع عبد القيس والخمس الخامس الأزد " رغبة الآمل ٢٤٤/٧ .

(٣) في سائر النسخ : أعد بآلات الدروع والجواشن .

يدعـــوه ســـرّا وإعلانـــاً ليرزقـــه شهادة بيـدَيْ ملحـادةٍ غُــدَرِ [1]
ولّــى صحابتُــه عـــن حـــرٍّ ملحمـــةٍ وشدّ عمرانُ كالضُرغامة الَهصِـرِ [2]

قول الربيع استشلتني " يريد : أخدتني إليها واستنقذتني . يقـال "استشـلاه واشـتلاه" وفي الحديث " أن السارق إذا قطع سبقته يده إلى النار ، فإن تـاب استشـلاها [3] ، وقـال رؤبة [4] .

إن سليمان اشتلانا ابن علي

وقول الناس " أشليت كلبي " أي أغريته بالصيد ، خطأ ، إنما يقال " **آسدته** " .

وقولها " **بيدي ملحادة** " " **مفعال** " من الإلحاد ، كما تقول : رجل معطاء يا فتـى، ومحسان ، ومكرام ، وأدخلت الهاء للمبالغة ، كما تدخل في رواية وعلامة ونسابة .

" وغدر " " فعل " من الغدر ، ولفعـل بـاب نذكـره في عقـب هـذه القصـة ، إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة .

"**والضرغامة** " من أسماء الأسد .

" **والهصر** " الذي يهصر كل شيء ، أي يثنيه قال امرؤ القيس [5]:

فلمـــا تنازعْنـــا الحديـــثَ وأَسمحَـــتْ [6] هَصَرْتُ بغصْنٍ ذِي شماريخَ ميـالِ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : ألحد الرجل إلحاداً : إذا مال ، فهو ملحد : إذا مال عن القصد " .

(٢) الأبيات فى الأغانى لـ أم عمران ١٥٤/٦،١٥٥.

(٣) انظر الفائق ٢٦٠/٢ ، والنهاية ٤٩٩/٢ . وقولـه " إلى النـار " ليـس في أصـل الحديـث وبنحـوه أورده الحافظ السيوطي فى الدر المنثور (٤٩٧/٢) وعزاه إلى مصنف عبد الرزاق عن ابن المنكدر.

(٤) ملحق ديوانه ص ١٨١ .

(٥) ديوانه ق ٢٤/٢ ص ٣٢ .

(٦)

سمـــوت إليهـــا بعـــد مـــا نـــام أهلهـــا سمـو حبـابَ المـاءِ حـالاً علـى حـال
فقـــالت ســـباك الله إنـــك فـــاضحى ألسـت تـرى السُّـمارَ والنـاسَ أحـوالى
حلفـــت لهـــا بـــالله حلفـــةَ فـــاجرٍ لنـاموا فمـا إنْ مِـن حديـثٍ ولا صـالِ

فلما تنازعنا ....البيت وأسمحت : انقادت ولانت ، ويقال ، هصرت الغصن وبالغصن : إذا أخذت برأسه فأملته إليك ، يريد به قدّها وأراد بالشماريخ فروع شعرها ، على التشبيه بشماريخ النخل .

ولذكرنا الصفرية والأزارقة والبيهسية والإباضية تفسير لم نسب إلى ابن الأزرق بالأزارقة ، وإلى أبي بيهس بالكنية المضاف إليها ، ونسب إلى الصفر ولم ينسب إلى واحدهم، ونسب إلى ابن إباض فجعل النسب إلى أبيه؟ وهذا نذكره بعد باب" فعل".

* * *

ومما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري[1] .

لعمرُك إني في الحياةِ لزاهدٌ ... وفي العيشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيمِ
منَ الخِفراتِ البيضِ لم يُرَ مثلُها ... شفاءٌ لذي بثٍّ ولا لسقيمِ
لعمْرُك إني يومَ ألطِمُ وجهَها ... على نائباتِ الدهرِ جِدُّ لئيمِ
ولوْ شهدَتني يومَ دُولابَ أبصرتْ ... طعانَ فتًى في الحرب غيرِ ذميمِ
غداةَ طفَتْ عَلْمَاءِ بكرُ بنُ وائلٍ ... وعُجْنا صدورَ الخيلِ نحوَ تميمِ
وكانَ لعبدِ القيسِ أولُ جدِّهَا ... وأحلافِها من يَحْصُبٍ وسَليمِ
وظلتْ شيوخُ الأزْدِ في حَوْمةِ الوغَى ... تَعومُ وظِلْنا في الجِلادِ نَعُومُ
فلم أرَ يومًا كان أكثرَ مُقْعَصًا ... يُمجُّ دمًا مِنْ فائظٍ وكليمِ
وضاربةٍ خدًّا كريمًا على فتى ... أغرُّ نجيبِ الأمهاتِ كريمِ
أصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطنًا ... له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حَميمِ
فلو شهدتْنا[2] يومٍ ذاك وخيلُنا ... تبيحُ من الكفارِ كلَّ حريمِ
رأت فتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم ... بجنانِ عدْنٍ عنده ونَعيمِ[3]

قوله " ولو شهدتنا يوم دولاب " فلم يصرف فإنما ذلك لأنه أراد البلدة و"دولابَ " أعجمي معرب . وكل ما كان من الأسماء الأعجمية نكرة بغير الألف واللام فإذا دخلته الألف واللام فقد صار معربًا ، وصار على قياس الأسماء وسولاف. وكل شيء يخص واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة ، نحو رجل ، لأن هذا الاسم يلحق كل ما كان على بنيته ، وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك . فإنْ هذا الاسم في كلام العجم

---

(١) شعر الخوارج ص ١٠٦-١٠٧ وبعض الأبيات ينسب لغيره .

(٢) قال محقق س : بهامش نسخة ما نصه : " قوله : ولو شهدتنا كذا في النسخ ، وفى القصيدة : ولو شهدتني اهـ .

(٣) الأبيات لقطرى فى يوم دولاب . الأغانى ١٥٧/٦ وبعض هذه الأبيات ينسب لصالح بن عبد الله العبشمي.

معرفة فلا سبيل إلى إدخال الألف واللام عليه ، لأنه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه ، فذلك غير منصرف ، نحو "فرعون" "وقارون" وكذلك "إسحاق"و"إبراهيم" "ويعقوب" .

وقوله : غداة طفت علماء بكر بن وائل

وهو يريد : على الماء ، فإن العرب إذا التقت في مثل هذا لأمان استجازوا حذف إحداهما استثقالاً للتضعيف ، لأن مابقي دليل على ما حذف ، ويقولون " علماء بنو فلان " كما قال الفرزدق :

وما سُبِقَ القَيْسِيُّ مِنْ ضُعْفِ حِيلَةٍ ولكن طَفَتْ عَلْماءِ قُلْفَةُ خالدِ (١)

---

(١) البيت أنشده في المقتضب ٢٥١/١ ، وأنشده الأعلم بهامش الكتاب ٤٢٤/٢ قال : " وفي بعض النسخ في آخر الكتاب مما يحمل عن المازني أنه ألفاه مثبتًا فيه قول الفرزدق:فما سبق...البيت". وقال أبو علي الفارسي : أخبرني أبو بكر بن السراج ، قال : أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد ، قال : أخبرني المازني أنه رأي هذاالبيت بخط سيبويه ، في أكثر كتابه عند رجل من بنى هاشم يقال له عبد السلام بن جعفر . قال : وقال المازني : هذا البيت للفرزدق قاله في رجلين استبقا أحدهما من قيس والآخر من عنزة ، فسبق العنزي وكان اسمه خالداً " .

البيت من الطويل ، وهو للفرزدق فى شرح المفصل ١٥٥/١٠؛وبلا نسبة فى المقتضب ٢٥١/١. وروايته "طغت" بدلاً من "طفت" .

قال محقق س : وقال ابن الشجري : " وأنشد سيبويه للفرزدق : وما سبق ...... البغدادي : " قال الشاعر وأنشده سيبويه في آخر كتابه : طفت علماء غرلة خالد " .

ورواية البيت:"في شرح أبيات سيبويه ٤٥٣/٢ ـ وهو ثابت في نسخته من الكتاب في باب الإدغام: ـ

فما سبق القيسي من ضعف قوة ولكن طفت علماء غرلة قنبر

وقال ابن السيد ": ووقع في نسخة كتاب سيبويه التي رواها أبو بكر ميرمان هذا البيت على رواية أخرى وهي : " وما غلب القيسي من ضعف ...قنبر " . انظر الحلل ٤١٦ - ٤١٧ ، وأمالي ابن الشجري ٤/٢ ، ولم أجده على كلتا روايتيه في ديوان الفرزدق (ط : دار صادر) .

ويظهر أن أصول الديوان أخلت به فزاده الصاوي في مطبوعته ٢١٦/١ ، وقال ابن السيرافي : "وفي شعره : ولكن طفت في الماء " انظر مطبوعة الصاوي ٣٨٥/١ وروايته:

ما أتي القيسي من سوء حيلة ولكن طفت في الماء قلفة قنبر

وفي هامش الأصل وأ : " غرلة خالد "

وبهامش بعض النسخ مانصه : " ابن شاذان :القُلْفَةُ والقَلَفَةُ معروفان ، وحسام [في الأصل : وغلام ، وهو خطأ] أقلف : الذي له حدّ واحدُ ".

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فإنهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك " بنو " لقرب مخرج النون من اللام ، وذلك كقولك فلان من "بلْحارث" و "بَلْعَنْبر " و "وبَلْهُجَيْم " .

وقال آخر ، الخوارج :

يَرى مَنْ جاءَ يَنظُرُ مِن دُجَيْلٍ شُيوخَ الأزْدَ طافيةً لِحَاها [1]

وقال رجل منهم :

شمت ابنُ بَدرٍ والحوادثُ جَمَةٌ والجائرون بنافِع بن الأزرق
والموتُ حتمٌ لا محالة واقع من لا يُصَبِّحْه نَهارًا يَطْرُق[2]
فلئن أمِيْر المؤمِنينَ[3]أصابَهُ ريب المَنونِ فمن يُصِبْه يَغْلَقِ [4]

نصب بعد "إن" لأن حرف الجزاء للفعل، فإنما أراد : فلئن أصاب أمير المؤمنين ،فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر " أصابه" ليدل عليه ، ومثله قول النمر بن تولب[5]

لا تجزعي إن منفساً أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي[6]

---

(١) دجيل نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك ، انظر معجم البلدان ٤٤٣/٢ .

(٢) (يطرق) من الطروق وهو الاتيان ليلا .

(٣) (أمير المؤمنين)يريد به نافع بن الأزرق ..

(٤) قال المرصفي ذلك مستجاز من غلق الرهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقد راهنه علي تخليصه يريد أنه لا يجد من يخلصه " رغبة الآمل ٢٥٠/٧ وفي أ وهـ : يعلق .

الأبيات فى الأغانى ١٥٦/٦ ،١٥٧ .

(٥) شعره ق ٤/٢٥ ص ٧٢ ، والكتاب ٦٧/١ ، والمقتضب ٧٦/٢ ، والخزانة ١٥٢/١» ٤٥٠ ، ٦٤٢/٣ و ٤١٠/٤ .

(٦) البيت من الكامل وهو لنمر بن تولب فى ديوانه صـ ٧٢ ؛ وتخليص الشواهد صـ ٤٩٩ ؛ وخزانة الأدب ٣١٤/١،٣٢١،٣٦/١١؛ سمط اللآلي ص٤٦٨؛ وشرح أبيات سيبويه ١٦٠/١؛ وشرح شواهد المغنى ٤٧٢/١،٨٢٩/٢؛ وشرح المفصل ٣٨/٢؛ والكتاب ١٣٤/١؛ ولسان العرب ٢٣٨/٦(نفس)؛٢١١/١١(فلل) ؛ والمقاصد النحوية ٥٣٥/٢؛ وبلا نسبة فى الأزهية صـ ٢٤٨؛ والأشباه والنظائر ١٥١/٢؛ والجنى الدانى ص٧٢؛ وجواهر الأدب ص٦٧؛ وخزانة الأدب ٣٢/٣،٩/٤١،٤٣،٤٤؛ والرد على النحاة ص١١٤؛ وشرح الأشمونى ١٨٨/١؛ وشرح ابن عقيل ص٢٦٤؛ وشرح قطر الندى ص١٩٥؛ولسان العرب ٦٠٤/٤(عمر)؛ومغنى اللبيب ١٦٦/١،٤٠٣؛والمقتضب ٧٦/٢.

وقال ذو الرمة

إذا ابـن أبـي موسـى بـلالاً بَلَغتـه   فقامَ بفاسٍ بين وِصْلَيْكِ[1] جَازِرُ[2]

لأن " إذا " أن يليها الفعل أولى [3] .

* * *

هذا باب " فُعَلٍ "[4]

اعلم أن كل اسم على مثال " فعل " فهو مصروف في المعرفة والنكـرة إذا كـان اسمًا أصليًا أو نعتًا ، فالاسماء نحو : صُرَد ونُغَر وجُعَـل ، وكذلـك إن كـان جمعًا ، نحـو :ظُلَم وغُرَف . وإن سَمَّيت بشيء من هذا رجلاً انصرف في المعرفة والنكرة . وأما النعت فنحو رجل حطم [5] ، كما قال [6] :

قد لَفَّها اللّيلُ بسوَّاق حُطَمْ [7]

---

(١) (وصليك) مثنى "يكسر الواو وضمها " وهو كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغـيره أو هو مجتمع العظم وهذا هو المراد هنا يريد بين أوصالك.

(٢) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في ديوانه ص١٠٤٢؛ وخزانة الأدب ٣٧،٣٢/٣؛ وسمـط اللآلي ص ٢١٨؛ وشـرح أبيات سيبويه ١٦٦/١؛ وشرح شـواهد المغنـى ٦٦/٢؛ وشـرح المفصـل ٣٠/٢؛والكتاب ٨٢/١؛وتاج العريس (وصل)؛ وبلا نسبة في أمالي ابن الحـاجب ٢٩٦/١؛وتلخيص الشواهد ص١٧٩ ؛وشرح المفصل ٩٦/٤؛ ومغني اللبيب ٢٩٦/١؛ والمقتضب ٧٧/٢.

وروايته "ابنُ"بالضمه على النون، و"بلال" بالرفع .

(٣) قال محقق س : في أ : لأن إذا لا يليها إلا الفعل وهي به أولى .

(٤) انظر المقتضب ٣٣٣/٢ .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : رجل حطم فعـل مـن الحَطْمِ ، حَطَمْـت الشيء أحطِمُه حطماً : إذا كسرته وسميت جهنم حطمة ، وهي فعلة من الكسر " .

(٦) سلف البيت مع أبيات ، وانظر تحقيق نسبته ثمة .

(٧) الرجز لرشيد بن رميض الغزى في الأغاني١٩٩/١٥، ٢٠٠؛وشرح ديوان الحماسـة للمرزوقـي ص٣٥٥؛وللأغلب العجلي في الحماسة الشجرية ١٤٤/١؛وللحطم القيسي في شرح المفصل ٦٢/١؛ والكتاب ٢٢٣/٣؛ وله أو لأبي زغبة الأنصارى فـي شـرح أبيات سيبويه ٢٨٦/٢؛ ولـه أو لأبـي رغبة الخزرجي في لسان العرب ٨٢/١٠ (خفق)،١٦٦(سوق)؛ولهما أو لرشيد بن رميض الغزى في لسان العرب ١٢/ ١٣٩ (حطم)،وتاج العروس (حطم)؛ وبلا نسـبة فـي أسـاس البلاغـة (حطـم)؛ وجمهرة اللغة ص ٨٣٠؛ وسمط اللآلي ص٥٩؛ وشرح المفصل ١١٢/٦؛ وما ينصرف ومـالا ينصـرف ص٣٩؛ والمقتضب ٥٥/١،٢٢٣/٢؛ وتاج العروس ٢٤٥/٢٥(خفـف)؛ وتهذيـب اللغـة ٤٠٠/٤، ٣٥/٧؛ وكتاب العين ٤/ ١٥٤ ؛ ومقاييس اللغة ٧٨/٢؛ ومجمل اللغة ٢/ ٨١ ؛ والمخصص ٢٢/٥.

وكذلك مالٌ لُبَدٌ [1] وهو الكثير ، من قوله جل جلاله: ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾[2].

فإن كان الاسم على " فُعَل " معدولاً عن " فاعل " لم ينصرف إذا كان اسم رجل في المعرفة ، وينصرف في النكرة ، وذلك نحو : عُمَر وقُثَم ، لأنه معدول عن عامر وهو الاسم الجاري على الفعل ، فهذا مما معرفته قبل نكرته ، فإذا أُريد به مذهبُ المعرفة جاز أن تبنيه في النداء من كل فعل ، لأن المنادى مشار إليه ، وذلك كقولك : يا فُسَق ، ويا خُبَث ، تريد : يا فاسق ويا خبيث .

وإنما قالت " بيدي مِلْحَادَةٍ غُدَرِ " في غير النداء للضرورة ، فنقلته معرفة من النداء، ثم جعلته نكرة لخروجه عن الإشارة ، فنعتت به " مُلحادةً " كما قال الحُطَيْئَةُ :

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوي ... إلى بيتٍ قعيدَتُهُ لَكَاعِ [3]

وهذا لا يقع إلا في النداء ، ولكن الشاعر نقلهُ معرفة على ما كان في حال النداء . فيلحق قولها " غُدَر " بقوله رجل حُطَم ، ومال لُبَد ، وما أشبه ذلك . وفَعَال في المؤنث بمنزلة " فعل " في المذكر ، ولو سمينا رجلاً " حطماً " لصرفناه ، من قولك : هذا سائق حُطَمٌ ، لأنه قد وقع نكرة غير معدول، فهو في النعوت بمنزلة " صرد " في الأسماء.

* * *

وهذا [4] باب النَّسَبِ إلى المُضَافِ

اعلم أنك إذا نسبت إلى علم مضاف فالوجه أن تنسب إلى الاسم الأول ، وذلك كقولك في عبد القيس " عَبْدِيّ " وكذلك في عبد الله بن دارم . فإن كان الاسم الثاني أشهر من الأول جاز النسب إليه ، لئلا يقع في النسب التباس من اسم باسم ، وذلك قولك في النسب إلى عبد مناف " منافي " وإلى أبي بكر بن كلاب " بكري " .

---

(1) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ابن شاذان : يقال : أسد ذو لبد : إذا تكاثر وبره على منكبيه. ولبد : اسم آخر نسور لقمان بن عاد " .

(2) سورة البلد : 6.

(3) البيت من الوافر،وهو للحطيئة في ملحق ديوانه ص156؛وجمهرة اللغة ص662؛ وخزانة الأدب 404/2،405؛والدرر 254/1؛وشرح التصريح 180/2؛وشرح المفصل 57/4؛ والمقاصد النحوية 473/1،229/4،ولأبي الغريب النصري في لسان العرب323/8(لكع)،وبلا نسبة في أوضح المسالك 45/4؛والدرر 39/3؛ وشرح شذور الذهب ص120؛وشرح ابن عقيل ص 76؛ والمقتضب 238/4؛ وهمع الهوامع 82/1 ، 178.وروايته "أحول ما أحول"بدلاً من"أطوف ما أطوف".

(4) انظر هذا الباب في المقتضب 141/3 ، والكتاب 87/2.

وقد يجوز ـ وهو قليل ـ أن تبني له من الاسمين اسمًا على مثال الأربعة لينتظم النسب، وذلك قولك فى النسب إلى عبد الدار بن قسي " **عبدري** " وفي النسب إلى عبد القيس "**عبقسي**" .

فإن كان المضاف غير علم فالنسب إلى الثاني على كل حال ، وذلك قولك في النسب إلى ابن الزبير "زبيري " لأن ابن الزبير إنما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب إلى ابن رألان " رألاني " فلذلك قالوا في النسب إلى ابن الأزرق " **أزرقي** " وإلى أبي بيهسٍ " **بيهسي** " .

فأما قولهم"صُفْرِي" فإنما أرادوا الصُّفر الألوان ، فنسبوا إلى الجماعة[1] ،وحق الجماعة إذا نسب إليها أن يقع النسب إلى واحدها،كقولك "**مهلبي** " "**ومسمعي**" ولكن جعلوا " **صُفرًا** " اسما للجماعة ، ثم نسبوا إليه ، ولم يقولوا " **أصفري** " فينسب إلى واحدها ، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصفر اسمًا للجماعة ، كما تسمي القبيلة بالاسم الواحد ، ألا ترى أن النسب إلى الأنصار " أنصاري لأنه كان علماً للقبيلة ، وكذلك " **مدائني** " . وتقول في النسب إلى الأبناء من بني سعد " **أبناوي** " لأنه اسم للجماعة .

فأما قولهم " الأزارقة " فهذا باب من النسب آخر ، وهو أن يسمى كل واحد منهم باسم الأب ، إذا كانوا إليه ينسبون ، ونظيره " المهالبة " و " المسامعة " و " المناذرة ". ويقولون : جاءني النميرون والأشعرون ، جُعِلَ كل واحد منهم نميراً وأشعر فهذا يتصل في القبائل ، على ما ذكرت لك .

وقد تنسب الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين ، فيكون له مثل نسب الولادة ، كما قالوا " أزرقي "لمن كان علي رأي ابن الأزرق ، كما تقول تميمي وقيسي لمن ولده تميم وقيس ، ومن قرأ ﴿ **سلام علي إلياسين** ﴾ [2] .

إلياس عليه السلام ومن كان علي دينه ، كما قال [3] :

قَدْنِي من نصر الخُبَيْبِينَ قَد

يريد أبا خبيب ومن معه .

---

(١) قال محقق س : كذا في أ . فنسب . وفي سائر النسخ : " . .الصفر الألوان للجماعة ، وفيها سقط ، والصواب ما أثبت .

(٢) سورة الصافات : ١٣٠.

(٣) حميد الأرقط . وقد سلف البيت وقد أنشده المبرد " الخبيبين " على التثنية .

وقد يجتمع الرجلُ مع الرجل في التثنية إذا كان مجازهمـا واحدًا في أكثر الأمـر علـى لفظ أحدهما ، فمن ذلك قولهم " **العُمَران** ""لأبي بكر وعمر - رضي ا لله عنهمـا ــ ومـن ذلك قولهم " الخبيبان " لعبد ا لله ومصعب ، وقد مضى تفسيره .

* * *

عادَ القولُ في الخوارج

قال : والأزارقةُ لا تكَفِّرُ أحداً من أهل مقالتها في دار الهجرة إلا القاتل رجلاً مسلماً فإنهم يقولون : المسلم حجة ا لله ، والقاتل قصد لقطع الحجة .

ويروى أن نافعاً مَرَّ بمالك بن مِسَمع في الحرب التى كـانت بـين الأزدِ وربيعـةَ وبـني تميمٍ ، ونافعٌ مُتقلِّدٌ سيفاً ، فقام إليه مالكٌ فضرب بيده إلى حمالة سـيفه وقـال : ألا تَنْصُرُنَـا في حربنا هذه ؟ فقال : لا يحلُّ لي ، قال : فما بال مؤمـني بـني تميـم ينصـرون كفـارهم في هذه الحرب ؟ فأمسك عنه . وخرج بعد ذلك بأيام إلى الأهواز ، فلمـا قُتِـل مـن قُتِـل ممـن بخازر من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بَبَّةُ القتال ، وأقام حارثةُ بن بدرٍ الغُدانْـي بـإزاء الخوارج ، يناوشهم على غير ولاية وكان يقول : ما عذرنا عند إخواننا من أهل البصرة إن وصل الخوارج إليهم ونحن دونهم؟ فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبـير يخبرونـه بقعـود ببـة، ويسألونه أن يولي واليًا ، فكتب إلى أنس بن مالك أن يصلي بالناس ، فصلـى بهـم أربعـين يومًا ، وكتب إلى عمر بن عبيد ا لله بن معمـر فـولاه البصـرة ، فلقيـه الكتـاب وهـو يريـد الحج، وهو في بعض الطريق ، فرجع فأقام بالبصرة ، وولى أخاه عثمـان محاربـة الأزارقـةِ، فخرج إليهم في اثنى عشر ألفاً ، ولقيه حارثة فيمن كان معه ، وعُبَيْدُ ا لله ابن المـاحوز في الخوارج بسوق الأهواز ، فلما عبروا إليهـم دُجيـلاً نهـض إليهـم الخـوارج ، وذلـك قبيـل الظهر ، فقال عثمان بن عبيد ا لله لحارثة : أَمَا الخـوارجُ إلا مـا أرى ؟ فقـال لـه حارثـة : حسبك بهؤلاء ، فقال : لا جرم وا لله لا أتغدَّي حتى أناجزهم! فقال حارثة:إن هـؤلاء لا يُقَاتَلونُ بالتعسُّفِ فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم يا أهل العـراق إلا جبنًـا! وأنـت يـا حارثة ! ما علمك بالحرب ؟ أنت وا لله بغـير هـذا أعلـم! يُعـرِّضُ لـه بالشَّـراب ! فغضـب حارثة فاعتزل،وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس، فأجلت الحـرب عنـه قتيـلاً، وانهزم الناس ، وأخذ حارثة الراية ، وصاح بالناس :أنا حارثة بن بدر ، فثاب إليـه قومـه، فعبر بهم دُجَيْلا ، وبلغ فَلُّ عثمان البصرة ، وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديداً وعزل ابن

الزبير عمر بن عبيد الله ، وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، المعروف بالقباع[1]، أحد بني مخزوم ،وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، المخزومي الشاعر ، فقدم البصرة ، فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد ، فأراد توليته ، فقال له رجل من بكر بن وائل : إن حارثة ليس بذاك ، إنما هو شرّابٌ ، وفيه يقول رجل من قومه :

ألم تــر أنّ حارثــةَ بــن بــدر يُصَلّي وهــو أكْفَــرُ مــن حمــار
أَلَــم تَــرَ أنَّ لِلْفِتْيَــان حَظّــا وحظُّــك في البغايــا والعُقَــار[2]

فكتب إليه القباع : تُكْفَى حربهم إن شاء الله . فأقام حارثة يدافعهم ، فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر :

مضى ابن عُبَيـس صابراً غيرَ عاجزٍ وأعقبَنـا هـذا الحجـازيُّ عثمـانُ
فأرعد من قبل اللقاء ابـن مَعْمَـرٍ وأَبْـرَق والـبرقُ اليمـانيُّ خـوّان
فَضَحـت قريشـاً غثّهـا وسمينهـا وقيـلَ بنـو تيـم بـن مُـرّة عُـزْلانُ[3]
فلولا ابـن بـدر للعِرَاقَيْـنِ لم يَقُـم بمـا قـام فيـه للعِرَاقَيْـنِ إنسـانُ
إذا قيل مَن حـامي الحقيقةِ أومـأوا إليـه مَعَـدٌّ بـالأنوفِ وقحطـانُ

* * *

قوله " فأرعد " زعم الأصمعي أنه خطأ ، وأن الكميت أخطأ في قوله [4] :

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : القباع مكيال واسع ، وبه لقب الحارث بن عبد الله القباع ، وكان ابن الزبير ولاه البصرة فنظر إلى مكيالهم الذي يقال له القنقل فقال : إنه لقُبَاعٌ ، فلقب القباع " .

(٢) نسب البيتان في الأغاني ٤٠١/٨ - ٤٠٢ لعلقمة بن معبد المازني ، وبهامش الأصل "هو معبد ابن علقمة المازني " .

وفى سائر النسخ (القمار) وصوابه والعقار . وهو اسم لخمر و(حمار) (المضروب) به المثل فى الكفر هو على ما ذكر ياقوت فى مقتضبه ابن نصر بن الأزد يذكر أنه كان له واد لم يكن ببلاد العرب أخصب منه وكان له بنون خرجوا يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر ، وقال لا أعبد من فعل هذا بيني ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه منهم قتله.

البيتان من الوافر لعلقمة بن معبد المازنى فى الأغانى٤١١/٨ ، ورواية البيت الثاني"وأن المال يعرف من حواه ويعرف بالزرواني والعقار .

(٣) (عُزْلان)بضم فسكون جمع أعزل نادر وهو الذى لا سلاح معه

(٤) ديوانه ٢٢٥/١ . وانظر تخريجه في أدب الكاتب ٣٧٤ وزد عليه : سمط اللالي ٣٠٠ ، والأشباه والنظائر للخالديين ١٠٢/١ .

أرعـد وأبـرق يـا يزيـ ... ـد فمـا وعيـدك لي بضـائر[1]

وزعم أن هذا البيت الذي يروى لمهلهل مصنوع محدث ، وهو قوله[2] :

أَنْبَضُـوا مَعْجِـسَ القِسِـيِّ وأَبْرَقْـ ... ـنا كما تُوعِدُ الفُحـولُ الفحـولا[3]

وأنه لا يقال إلا "رعد و برق:إذا أوعد وتهدد!وهو"يرعد ويبرق"وكذلك يقال: "رعدت السماء وبرقت"و"أرعدنا نحن وأبرقنا": إذا دخلنا في الرعد والبرق .

قال الشاعر:

.... فقل لأبي قابوس ما شئت فـارعُدِ[4]

وروي غير الأصمعي " أرعد وأبرق " على ضعف[5] .

وقوله " والبرق اليماني خوَّان " يريد : والبرق اليماني ويخون . وأجود النسب إلى اليمن " يمني " ويجوز " يمانٍ " بتخفيف الياء ، وهو حسن ، وهو أكثر في الكلام ، تكون الألف عوضاً من إحدي الياءين ، ويجوز " يمانيّ "فاعلم ، تكون الألف زائدة وتشدد الياء ، قال العباس بن عبد المطلب[6] :

ضربنـاهم ضـرب الأحـامِسِ غُـدْوَةً ... بكـلِّ يمـاني إذا هُـزَّ صمَمَّـا

---

(١) البيت من مجزوء الكامل ، وهو للكميت في ديوانه ١/ ٢٥ ؛ ولسان العرب ١٨٠/٣(رعد)،١٤/١٠(ربق)؛وتهذيب اللغة ٢٠٨/٢،١٣١/٩،وجمهرة اللغة ص٦٣٢؛ وكتاب العين ٣٤/٢، ١٥٦/٥؛وديوان الأدب ٣١٦/٢؛وتاج العروس ١٠٤/٨(رعد)؛والاشتقاق ص٤٤٧؛وأمالى القالى ٩٦/١؛ وسمط اللآلي من ٣٠٠؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢٢٢/١،٢٢٣،٤١١/٢؛ والمخصص ٢٨٨/١٤؛ وانظر المزيد من مصادر البيت في ديوانه ٣٥٦٢٥٧/١. وروايته بتقديم"أبرق "على "أرعد" .

(٢) العقد الفريد ٢١٧/٥ .

(٣) والإنباض جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس مقبضها أو موضع السهم منها . عن رغبة الآمل ٨/٨ .

(٤) صدره كما في أمالي القالي ٩٦/١ :

إذا حاوزت من ذات عرق ثنية

البيت من الطويل ، وهو للمتلمس الضبعي فى ملحق ديوانه ص٢٨؛ وسمط اللآلى ص ٣٠١ وفصل ٢٢٨/١٤؛والاشتقاق ص٤٤٧؛وأمالي القالي ٩٦/١؛ والخصائص ٢٩٤/٣؛والمزهر ٣٤٠/٢ .

(٥) بل كلاهما صحيحة ، وقد حكى اللغتين أبو عمرو وأبو عبيدة . انظر إصلاح المنطق ١٩٣ . واللسان (رعد) .

(٦) البيت من كلمة له في الوحشيات ٦٧ وروايته :

وزعنـاهم وزع الخوامـس غـدوة ... .عـض صمَّمـا

ثم إن حَارِثَةَ لما تفرّق الناسُ عنه أقام بنهر تِيَري ، فعبرت إليه الخوارج فهرب أصحابه فخرج يركض ، حتى أتى دجيلا ، فجلس في سفينةٍ ،واتبعه جماعة من أصحابه، فكانوا معه ،وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه ، والخوارج وراءه وقد توسط حارثة، فصاح به : يا حارثة ! ليس مثلي ضُيِّع ، فقال للملاح : قَرب ، فقرب إلى جُرْفٍ[1] ولا فُرْضَة[2] هناك ، فظفر[3] بسلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعاً .

فأقام ابن الماحوز يجبي كُوَرَ الأهواز ثلاثة أشهر ، ثم وجّه الزبير بن علي نحو البصرة ، فضج الناس إلى الأحنف ، فأتى القباع فقال : أصلح ا لله الأمير ، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا ، فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلاً، قال فسموا رجلاً، فقال الأحنف : الرأي لا يخيل [4] ، ما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة، فقال: أو هذا رأي جميع أهل البصرة؟ اجتمعوا إليّ في غدٍ.وجاء الزبير حتى نزل الفرات، وعقد الجسر ليعبر إلى ناحية البصرة ، فخرج أكثر أهل البصرة إليه ، وقد اجتمع للخوارج أهل الأهواز وكورها ، رغبة ورهبة ، فأتاه البصريون في السفن وعلى الدوابِّ ورجَّالةً، فاسودت بهم الأرض ، فقال الزبير لما رآهم : أبى قومنا إلا كفراً ، فقطعوا الجسر ، وأقام الخوارج بالفرات بإزائهم ، واجتمع الناس عند القباع ، وخافوا الخوارج خوفا شديداً ، وكانوا ثلاث فرق ، فسمّىِ قومٌ المهلّب ، وسمَّى قومٌ مالكَ بنَ مِسْمَعٍ ، وسمى قومٌ زيادَ بنَ عمرِو بنِ الأشرفِ العَتكيَّ ، فصرفهم ، ثم اختبر ما عند مالك وزياد، فوجدهما متثاقلين عن ذلك ، وعاد إليه من أشار بهما وقالوا : قد رجعنا عن رأينا ، ما نرى لها إلا المهلب، فوجه الحارث إليه فأتاه ، فقال له : يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا[5]

---

(١) الجرف : ما أكل السيل من شق الوادي والنهر ، وجرف الوادي ونحوه من أسناد المسايل إذا نخج الماء في أصله فاحتفره فصار كالدحل وأشرف أعلاه .

(٢) الفرضة : محط السفن .

(٣) أي وثب .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :"ابن شاذان كل شيء اشتبه عليك فهو مُخيل ، وقد أخال يخيل ، قال الشاعر :

الحق أبلج لا يخيل سبيله والصدق يعرفه ذوو الألباب

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " رهقنا أي غشينا ، يقال : رهقت الرجل : إذا غشيته بمكروه رهقاً "

منْ هذا العدو ، وقد اجتمع أهل مِصْرِكَ عليك ، وقال الأحنف : يا أبا سعيد إنا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر من يقوم لها مقامك ، فقال له الحارث وأومأ إلى الأحنف ـ : إن هذا الشيخ لم يُسَمِّك إلا إيثاراً للدِّينِ ، وكل من في مِصْرِكَ مادٌّ عينه إليك ، راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك ، فقال المهلب : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إني عند نفسي لدون ما وصفتم ، ولست آبياً ما دعوتم إليه على شروط أشترطها ، قال الأحنفُ : قل، قال: عَلَى أن أنتخبَ من أحببتُ، قال : ذلك لك ، قال :ولي إمرة كل بلد أَغْلبُ عليه، قال : وذلك لك ، قال : ولي فيءُ كل بلد أظفر به ، قال الأحنف: ليس ذلك لك ولا لنا ، إنما هو فيء للمسلمين[1] ، فإن سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم، ولكن لك أن تعطي أصحابك من فيء كل بلد تغلبُ عليه ما شئت ، وتُنفق منه على محاربة عدوك ، فما فَضَل عنكم كان للمسلمين ، فقال المهلب :فمن لي بذلك؟ قال الأحنف : نحن وجماعة أهل مصرك ، قال : قد قبلت ، فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدي الصلت بن حُرَيث بن جابر الحنفيِّ ، وانتخب المهلب من جميع الأخماس، فبلغت نخبته اثنى عشر ألفاً ، ونَظَروا ما في بيت المال ، فلم يكن إلا مائتي ألف درهم، فعجزت ، فبعث المهلب إلى التجار فقال : إن تجارتكم مذ حول قد فسدت عليكم بانقطاع موارد الأهواز وفارس عنكم ، فَهلُمَّ فبايعوني واخرجوا معي أُوَفِّكم إن شاء الله حقوقكم ، فتاجروه ، فأخذ من المال ما يُصلِحُ به عسكره ، واتخذ لأصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ، ثم نهض وأكثر أصحابه رجَّالة ، حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسُفُن فأُحِضْرت وأُصْلِحت ، فما ارتفع النهار حتى فُرِغ منها ، ثم أمر الناس بالعبور إلى الفرات، وأمر عليهم ابنه فخرج الناس ، فلما قاربوا الشاطئ خاضت إليهم الخوارج، فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم ، حتى عقد المهلب الجسر ، وعبر والخوراج منهزمون، فنهى الناس عن اتباعهم. ففي ذلك يقول شاعر من الأزد : ـ

إنَّ العِــرَاقَ وَأَهْلَـــهُ لَــمْ يَخْـبُرُوا ... مِثْلَ المُهَلَّبِ في الحُـرُوْبِ فَسَلَّمُوا
أَمْضَـــى وَأَيْمَـــنَ في اللّقَـــاءِ نَقِيْبَـــةً ... وَأَقل تَهلِيْـلاً إذا مـا أحْجَمُـوا[2]

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان : الفيء : غنائم المشركين ، والفعل منه أفاء الله علينا فيئهم إفاءة "

(٢) قال محقق س : وبهامش الأصل مانصه : " بعده : =

" التهليل " : التكذيب والانهزام .

وأبلى مع المغيرة يومئذٍ عطيةٌ بن عمرٍو العنبريُّ ، وكان من فرسان بني تميم وشجعانهم ، فقال عطية :

يُدْعَى رِجَالٌ لِلْعَطَاءِ وَإِنَّمَا ... يُدْعَى عَطِيَّةُ للطِّعَانِ الأَجْرَد

وقال الشاعر :

وما فَارسٌ إلا عَطِيَّةُ فَوْقَهُ ... إذا الحربُ أَبْدَت عن نَواجذها الفَمَا (١)

بِهِ هَزَمَ اللهُ الأَزَارِقَ بَعْدَمَا ... أباحوا مِن الِمصْرَيْنِ حِلاً ومَحْرَمَا (٢)

* * *

فأقام المهلّبُ أربعين يومًا يجبي الخراج بكُوَرِ دِجْلَةَ ، والخوارجُ بنهرِ تيَري ، والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز،فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه، فأسرع الناس إليه رغبة في مجاهدة الخوارج ، ولما في الغنائم والتجارات ، فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي، وعبد الله بن رَباح،ومُعاوية بن قُرَّةَ المزنيّ ـ وكان يقول: لو جاء الديلم من ههنا والحرورية من ههنا لحاربتُ الحرورية ـ وأبو عمران الجوني ، وكان يقول : كان كعب يقول : قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار [٣] .

=فلو أنهم حلفوا فلم يتحللوا ... إلا بدرك فعاله لم يأثموا

أمر الذين إذا فقدت يهمهم ... أمر العراق وأمر من يترمرم

أما ذوو شرف العراق فإنهم ... كانوا لفقدك قد تخلى منهم

فكفيتهم نقض الأمر وعصبها ... فتوسدوا عصم النساء ونوموا

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه:" قال يعقوب بن السِّكِّيت:الحربُ أنثى،وتصغيرها حريب بغير هاء، لأنهم إنما قالوا حرب من المحاربة،ثم صُيِّرَت اسما للوقعة ، فكانت مذكراً سمي به مؤنث ، فصغر على أصله ، ولو صغرته بالهاء ، فقلت حريبة وتوهمت أنه لم يكن اسماً إلا لما سمي به كنت مصيبًا.

(٢) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصه : " بعدهما :

أقام لهم بالرمح حتى تكسرت ... أنابيبه والسيف حتى تحطما

فتى لم يزل مذ شب يخفق فوقه ... لواء به يهدى الخميس العرمرما

(٣) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه : " يقال : إذا قتل أحد ظلماً جاء يوم القيامة يقدمه نور ، فإن قتله مشرك جاء يوم القيامة ونوران يقدمانه [في الأصل : يقدمه] فإن قتله حروري جاء يوم القيامة وعشرة أنوار تقدمه " .

ثم نهض المهلب إليهم إلى نهر تِيرَي ، فتنحَّوا عنه إلى الأهواز ، وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكُوَر ، وقد دسّ الجواسَيسَ إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم ، فإذا حُشْوَةٌ [1] ما بين قَصَّابٍ وصبَّاغ ودَاعِرٍ [2] وحَدَّاد.

فخطب المهلب الناس وذكر من هناك ، ثم قال للناس : أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم ؟ ! فلم يزل مقيماً حتى فهمهم وأحكم أمره وقوي أصحابه وكثرت الفرسان في عسكره ، وتتامَّ إليه زهاء عشرين ألفاً .

ثم مضي يؤم سوق الأهواز ، فاستخلف أخاه المُعَارِكَ بنَ أبي صفرة على نهر تيري وفي مقدمته المغيرة بن المهلب ، حتى قاربهم المغيرة ، فناوشوه ، فانكشف عنه بعض أصحابه ، وثبت المغيرة بقية يومه وليلته ، يوقد النيران ، ثم غاداهم القتال ، فإذا القوم قد أوقدوا النيران في ثِقْلَةِ [3] متاعهم ، وارتحلوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المغيرة ، وقد جاءه أوائل خيل المهلب ، فأقام بسوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كتاباً يقول فيه :-

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنا منذ خرجنا نؤم هذا العدو في نعم من الله متصلة علينا ، ونقمة من الله متابعة عليهم ، نقدم ويحجمون [4] ، ونَحُلُّ ويرتحلون ، إلى أن حللنا بسوق الأهواز ، والحمد لله رب العالمين ، الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم .

فكتب إليه الحارث : هنيئاً لك أخا الأزد ، الشرف في الدنيا ، والذخر في الآخرة ، إن شاء الله .

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " قال المهلبي : حشوة الناس : رذالهم ، يقال : فلان من حشوة الناس ومن حشوة بني فلان " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الدعر : الفساد ، دعر العود يدعر دعراً : إذا نخر وبه سمي الدُّعَّار من الناس ، ورجل داعر " .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي ، الثَّقْلَةُ والثَّقِلةُ والثَّقَل : أثقال القوم ومتاعهم وما حملوه على دوابهم ، والجمع أثقال ".

(٤) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قال أبو زيد والأصمعي ، أحجم الرجل عن الامر إحجاماً ، وأجحم إجحاماً : إذا تأخر عنه ، بمعنى واحد " .

فقال المهلب لأصحابه : ما أجفي أهل الحجاز ! أمـا ترونـه عـرف اسمي واسـم أبـي وكنيتي ؟! .

وكان المهلب يبث الأحراس في الأمن ،كمـا يبثهـم في الخـوف ، ويُذْكـي العيـون في الأمصار [1] ، كما يذكيها في الصحاري ،ويأمرُ أصحابه بالتَّحرُّز ، ويخوِّفهم البيات ، وإن بعد منهم العدو ، ويقول : احذروا أن تُكَادوا كما تكيدونَ ، ولا تقولوا هَزَمْنا وغَلَبْنا فإن القوم خائفون وجلون ، والضرورة تفتح باب الحيلة،ثم قام فيهم خطيباً فقال:

أيها الناس ، إنكـم قـد عرفتـم مذهـب هـؤلاء الخـوارج ، وأنهـم إن قـدروا عليكـم فتنوكم في دينكم ، وسفكوا دماءكم ، فقاتلوهم على ما قاتل عليـه أوَّلُهـم علي بـن أبـي طالب صلوات الله عليه ، فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مُسلمُ بنُ عُبَيْـسٍ ، والعَجِـلُ المُفرطُ عثمان بن عبيد الله ، والمعصيُّ المخـالَفُ حارثـةُ بـن بَـدْر ، فَقُتِلوا جميعاً وَقَتَلُـوا ، فالقوهم بَحد وجدٍّ ، فإنما هم مَهَنَتُكُـم وعبيدكـم ، وعـارٌ عليكـم ونقـصٌ في أحسـابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ، ويطئوا حريمكم .

ثم سار يريدهم ، وهو بَمنَاذرَ الصغرى ، فوجَّه إليهم عبيدُ الله بن بشير بـن المـاحوز رئيسِ الخوارج رجلاً يقال له واقد ، مولى لآل أبـي صفـرة مـن سَبْي الجاهليـة في خمسين رجلاً ، فيهم صالح بن مِخْراق ، إلى نهر تيري ، وبها المعـارِكُ بـن أبـي صُفـرةَ ، فقتلـوه وصلبوه ، فنمي الخبر إلى المهلب ، فوجه ابنه المغيرة ، فدخل نهـر تـيري وقـد خـرج واقـد منهـا ، فاستنزله فدفنـه ، وَسَـكَّن النـاس ، واستخلف بهـا ، ورجـع إلى أبيـه وقـد حـلَّ بسولاف، والخوارج بها ، فواقَعَهُم ، وجعل على بني تميم الحَريشَ بنَ هِلاَلٍ ، فخرج رجل من أصحاب المهلب ، يقال له عبد الرحمن الإسكافُ [2] ، فجعل يحض النـاس وهـو علـى فرس له صفراء ، فجعل يأتي الميمنـة والميسـرة والقلـب ، فَيَحُـضُّ ويُهَـوِّن أمـر الخـوراج ، ويختال بين الصفين ، فقال رجل من الخوارج لأصحابه : يا معشر المهاجرين ، هـلٍ لكـم في فَتْكةٍ فيها أَرِيحيَّة ؟ فحمل جماعة منهم على الإسـكاف ، فقـاتلهم وحـده فارسـاً ، ثـم كبا به [3] فرسه ، فقاتلهم راجلاً ، قائماً وباركـاً ، ثـم كـثرت بـه الجراحـات ، فَذَبَّـبَ [4]

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال بث الخيـل يبثهـا بثـاً : إذا فرقهمـا ، وكـل شيء فرقته فقد بثثته . ويقال : أذكت ا لحرب والنار وغيرهما : إذا أوقدتهما .

(٢) قال محقق س: بهامش الأصل ما نصه : " وإنما سمي الإسكاف لأنه رمى طائرين فشكهما جميعًا فقيل : شككهما كما يشك الإسكاف إذا خرز فسمي ذلك .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال : كبا الرحل والفـرس وغيرهمـا : إذا عـثر . ومن كلامهم : لكل صارم نبوة ولكلِ جواد كبوة " .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال الأصمعي : يقال : ذبـب يذبـب تذبيبـاً فهـو مذبـب : إذا أسرع في السير . وذباب السيف حده " . وما نقل عن الأصمعي لا يصح أن يفسر به قولـه " فذبـب بسيفه " . وذبب : أكثر الذب.

بسيفه ، وجعل يحثو في وجوههم التراب ، والمهلب غير حاضر ، ثم قتل . وحضر المهلب فأُعلمَ ، فقال للحريشَ وعَطيَّةَ العنبري : أسلمتما سيد أهل العسكر ، لم تعيناه و لم تستنقذاه ، حسداً له ، لأنه رجل من الموالى ! ووَبَّخهما ، وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله ، فحمل عليه المهلب فطعنه فقتله ، ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر ، فانهزم الناس ، وقتلوا سبعين رجلاً وقُتِلَ فيهم ، وثبت المهلَّبُ ، وأبلَى المغيرة يومئذٍ وعُرِفَ مكانه . ويقال : حاص المهلب يومئذ حَيْصَة [1] . وتقول الأزد : بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم ، فقال رجل من بني مِنْقَر بن عُبَيدِ بن الحارثِ بن كعبِ بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

بِسُولافِ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي [2] وَطِرْتَ عَلَى مُواشِكَةٍ دَرُورِ [3]

قوله : " مواشكة " يريد سريعةً . ويقال نحن على وَشْكِ رحيل . ويقال: ذَميلٌ [4] مُوَاشكٌ : إذا كان سريعاً ، قال ذو الرمة [5] :

إذَا ما رَمَيْنا رَمْيَةً في مَفَازَةٍ [6] عَرَاقِيْبَها بالشَّيظَمِي المُوَاشِكِ [7]

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : الحيص : الحيد ، حاص يحيص حيصاً : حاد . وكذلك جاض بالجيم والضاد مثله .

(٢) (بسولاف) بضم السين قرية فى غربى دجيل قرب مناذر الكبرى (على مواشكة) يريد على فرس سريعة العدو والمصدر المواشكة.

(٣) سيأتي البيت مع آخر منسوبين لأبي حرملة العبدي : وروايته ثمة : " بدولاب أضعت " . والبيت من الوافر ، وهو بلا نسبة فى تاج العروس (دول) "واتيه"بدولاب" بدلا من "بسولاف".

(٤) الذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) سلف البيت .

(٦) (اذا ما رمينا إلخ) جواب إذا بعده وهو :

سعى وارتضخن المرو حتى كأنه خذاريف من قيض النعام الترائك

وعراقبها جمع عرقوب وهوفى الرجل مثل ركبة فى اليد قال الأصمعى وكل ذى أربع عرقوباه فى رجليه وركبتاه فى يديه والشيظمى والشيظم الطويل الجسيم الفتى من الناس والخيل . وأراد به الحادى وارتضاخ المرو تكسيره والمرو حجارة بيض براقة تقدح منها النار واحدتها مروة وخذاريف جمع خذروف كعصفور وهوكل شيء منتشر من شيء وعن بعضهم الخذرقة ماترمى الإبل بأخفافها من الحصا إذا أسرعت وقيض النعام وغيره بيضه الذى قد خرج فرخه يريد أنهن يكسرن بأخفافهن المرو وهن مسرعات فى السير .

(٧) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : الشيظمي : حاد طويل . والمواشك : المستعجل ، وهو مفاعل من الوشك " .

البيت من الطويل وهو لذى الرمة فى ديوانه ص ١٧٣ ؛ وتاج العروس "وشك" .

و" درور " فعول من در الشيء : إذا تتابع .

وقال رجل من بني تميم آخر [1] :

تبعنا الأعور الكذاب طوعاً	يزجي [2] كل أربعة حماراً
فيا ندمي على تركي عطائي	معاينة وأطلبه ضماراً [3]
إذا الرحمن يسر لي قفولاً	فحرق في قرى سولاف ناراً

قوله : " الأعور الكذاب " يعني المهلب ، ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها . وقال " الكذاب " لأن المهلب كان فقيهاً ، وكان يعلم ما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله : " كل كذب يكتب إلا ثلاثة : الكذب في الصلح بين المسلمين ، وكذب الرجل لامرأته يعدها ، وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد " [4] ، وجاء عنه ﷺ : " إنما أنت

---

(١) بهامش نسخة ما نصه : " أنشده المدائني لمجاهد بن عصيم المنقري . وأورد البيت الثاني :

كأن دموع عينك يا ابن عصيم	خرير المنجنون سقي الديارا
إذا أعطيت تجفافاً ورمحاً	وقالوا اقدم فإنك لن تضارا
أماصع دونهم بالسيف صلتاً	إذا ما وافق الحرب استنارا
على قوم هم قتلوا علياً	وعثماناً وهم قتلوا براراً
بمنزلة ثوى الإسكاف فيها	وخطت للفتى القيسي داراً

وكان فيها : " إذا أعطيت تجلعافاً " وهو تحريف . والتجفاف : ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان . وأماصع : أقاتل وأجالد.

(٢) يزجى : يسوق يريد أن الحمار يحمل أدوات الأربعة وهم يسوقونه وقد أشار بذلك إلى أن أكثرهم رجالة .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال المهلبي : الضمار خلاف الجبان . ابن شاذان : الضمار : النسيئة ، ومنه حديث عمر بن عبد العزيز : " فإنه كان مالاً ضماراً " أي غائبا عن أهله . وكل غائب ضمار . والضمار : ما لا يدرى أيكون أم لا، ومنه قولهم : أضمرت الشئ : أخفيته " .

(٤) أقرب لفظ لما رواه ما أخرجه أحمد في المسند (٦/٤٥٤) من حديث أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : يا أيها الذين آمنوا مايحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار ؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال :رجل كذب على امرأته ليرضيها ، أو رجل كذب في خديعة حرب ، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما ، وأخرجه بغير هذا اللفظ أحمد في المسند (٦/٤٥٤) والترمذي في كتاب البر برقم (١٩٣٩) وهو حديث حسن : انظر صحيح الجامع (ح ٧٧٢٣) ، وراجع الصحيحة (ح٥٤٥) .

رجل ، فَخَذِّل عنا ، فإنما الحرب خدعة " [1] وقال عليه الصلاة والسلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ ، وهما سيدا الحيين الأوس والخزرج : " إئتيا بني قريظة، فإن كانوا على العهد فأعلنا بذلك ، وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا وبينهم فالحنا لي لحناً أعرفه ، ولا تَفُتّا [2] في أعضاد المسلمين ، فرجعا بغدر القوم فقالا : يا رسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ ،فقال رسول الله ﷺ للمسلمين : أبشروا فإن الأمر ما تحبون"[3] **[قال الأخفش: سألت المبرد عن قولهما " عضل والقارة " فقال : هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله ﷺ فأراد أنهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين]** .

فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويَضْعُفّ مَن أمر الخوارج، فكان حيٌّ من الأزد يقال لهم النَّدبَ ، إذا رأوا المهلّب رائحاً إلىهم قالوا : قد راح المهلب ليكذبَ! وفيه يقول رجل منهم [4] :

أَنْتَ الفَتَى كُلُّ الفتَى ... لَوْ كُنْتَ تَصْدُقُ مَا تَقُول

* * *

فبات المهلب في ألفين ، فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف ، فخطب أصحابه فقال : والله ما بكم من قلة ، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضَّعْف والطَّمع والطَّبَع [5] ، فـ ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [6] فسيروا إلى

---

(١) الحديث بلفظ :" الحرب خدعة " أخرجه البخارى فى " الجهاد " ، باب: الحرب خدعة ، (١٨٢١٨٣/٦)، (ح٢٨٣، ٣٣٠)، ومسلم فى الجهاد والسير "، باب جواز الخداع فى الحرب ، (١٧٣٩،١٧٤٠). من حديث جابر وأبى هريرة رضى الله عنهما .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قال أبو عمر : يقال كلم فلان فلاناً بشيء ففت في ساعده ، أي أضعفه وأوهنه " .

(٣)انظر مغازي الواقدي ٤٥٨/٢.

(٤) البيت من أبيات لزياد الأعجم كما في الشعر والشعراء ٤٣٣/١ ، وهو باختلاف في رواية صدره في عيون الأخبار ١٤٦/٣،والعقد الفريد ٢٤٨/١. وهو بلا نسبة في المنتقى من مكارم الأخلاق ١٦٦.

(٥) الطَّبَع : الصدأ يكثر على السيف وغيره ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام . عن رغبة الآمل ٢٠/٨.

(٦) سور آل عمران : ١٤٠ : بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : القَرْحُ : الجراح ، وهو القُرْحُ أيضًا . ورجل قريح ومقروح من قوم قَرَاحَى وقَرْحَى " .

عدوكم على بركة الله . فقام إليه الحريشُ بن هلال فقال : أَنْشُدُك الله [1] - أيها الأمير - أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك ، فإن بالقوم جراحًا وقد أثخنتهم هذه الجولة ، فقبل منه ، ومضى المهلب في عشرة ، فأشرف على عسكر الخوارج ، فلم ير منهم أحدًا يتحرك، فقال له الحريش:ارتحل عن هذا المنزل، فارتحل ، فعبر دُجَيلا،وصار إلى عاقول[2] لا يؤتى إلا من جهة واحدة ، فأقام به،واستراح الناس ثلاثاً،وقال ابن قيس الرقيات[3] :

ألا طَرَقَتْ مِنْ آلِ بُثْنَةَ طَارِقَه   عَلَى أَنَّها مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَه

تَبِيتُ وأَرْضُ السُّوسِ بَيْني وَبَيْنَها   وسُولافُ رُسْتاق حَمَتْهُ الأزارِقَةْ[4]

إذَا نَحنُ شِئنا صادفتنا عصابة   حرورية أضحت من الدين مارقةْ

أَجَازَت إلينا العَسْكَرين كِلَيْهِما   فباتَت لَنا دُون اللّحَافِ مُعَانِقَةْ

وقد ذكرنا " الضمار " ومعناه : الغائب ، وأصله من قولك " أضمرت الشيء " أي أخفيته عنك، ويقال: مالٌ عَيْنٌ ، للحاضر ومال ضِمارٌ ، للغائب ، قال الأعْشَي [5] :

وَمَنْ لا تَضِيعُ لَهُ ذمَّةٌ   فَيَجعَلَهَا بَعْدَ عَيْنٍ ضِمَاراً[6]

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال : نشدتك الله فأنا أنشدك الله أي ذكرتك الله " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه:" المهلبي : يقال وقعنا في أرض عاقُول : لا يُهْتَدى لها . قال ابن شاذان : قال الخليل بن أحمد : العاقول من النهر والوادي : ما اعوجَّ منه ، ومن الأمور : ما التبس".

(٣) سلفت الأبيات .

(٤) (تبيت وأرض السوس (إلخ) رواية ديوانه تسدت وعرض السوس. وتسدت قصدت يريد خيالها والسوس بضم السين بلدة بخوزستان والرستاق " بالضم" ذكر ياقوت أن الفرس يعنون به كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن .

(٥) ديوانه ق ٥/٥٤ ص ٨٧ .

(٦) (ومعناه الغائب) الذى لا يرتجى وعبارة القاموس والضمار ككتاب من المال الذى لا يرجى رجوعه ومن العدات ما كان ذا تسويف وخلاف العيان وعدة من الدَّين ما كان بلا أجل ومن المعنى الثانى قول الراعي :

وأنضاء أنخن إلى سعيد   طروقا ثم عجلن ابتكارا

على أكوارهن بنو سبيل   قليل نومهم إلا غرارا

حمدن مزاره وأصبن منه   عطاء لم يكن عدة ضمارا

وقال أيضاً [1] :

أرانـــا إذا أضمرتـــك البـــلا د نُجفَى وتُقْطَعُ منـا الرحِـم (٢)

والفعل من هذا " أضمر يضمر "والفاعل" مُضْمِرٍ "والمفعول به[3] "مُضْمَر" "والضمار" اسم للفعل [4] في معنى الإضمار . وأسماء الأفعال تشرك المصادر في معانيها، تقول : أعطيته عطاء ، فيشرك الإعطاء في معناه ، ويُسمَّى به المفعول . وتقول : كلمته تكليما وكلامًا ، في معناه . والمصدر ينعت به الفاعل في قولك : رجل عدل ، ورجلٌ كَرَمٌ ، ورجلٌ نَوْمٌ ، ويومٌ غَمٌّ ، وينعَتُ به المفعول في قولك : رَجُلٌ رِضًى ، وهذا درهم ضربُ الأمير ، وجاءني الخلق ، تعني المخلوقين .

وقال رجل من الخوراج في ذلك اليوم [5]

وَكَـائِن تَرَكْنَا يَـوْمَ سُـوْلافَ منهُـم أُسَارى وقَتْلَى في الجحيم مَصِيرُها

قوله " وكائن " معناه : كم ، وأصله كاف التشبيه دخلت على " أي " فصارتا بمنزلة كم . ونظير ذلك : له كذا وكذا درهمًا ، إنما هي " ذا " دخلت عليها الكاف ، والمعنى: له كهذا العدد من الدراهم . فإذا قال : له كذا كذا درهمًا ، فهو كناية عن أن أحد عشر إلى تسعة عشر ، لأنه ضم العددين ، فإذا قال : كذا وكذا فهو كناية عن أحدٍ

(فيجعلها بعد عين ضمارا) يريد فلا يجعلها (والضمار اسم للفعل)يريد اسما للمصدر و لم أر أحدا من أهل اللغة قال أضمرت الشيء ضمارًا كما قالوا أعطيته عطاء . والمروى عن أبي عبيد : المال الضمار هو الغائب الذي لا يرجى فإذا رجي فليس بضمار من إذا غيبته. فعال بمعنى فاعل أو مفعَل قال ومثلهُ من الصفات ناقة كناز . يريد أنه بمعنى غائب على فاعل أو مضمر على مفعل وجعله من الصفات مثل ناقة كناز بمعنى مكتنزة اللحم و لم يجعله اسما للفعل كما زعم أبو العباس .

(١) ديوانه ق ٥٤/٤ ص ٧٧ . وأورد في بعض النسخ بيتاً قبله وهو :

أبانـــا فـــلا رمـــت مـــن عندنـــا فإنـــا بخـــير إذا لم تـــرم

(٢) البيت من المتقارب ،وهو للأعشى في ديوانه ص٩١؛وتاج العروس ٤٠٢/١٢ (ضمر)، أساس البلاغة (ضمر)؛ وتهذيب اللغة ٣٧/١؛ وكتاب العين ٢٤/٣،ولسان العرب ٤٩٢/٤(ضمر).

(٣) قال محقق س :" به " ثابتة في جميع النسخ ، ولعلها من إقحام رواة الكامل ، انظر ما يأتي من كلامه . والمعروف في أساليبهم حذفها .

(٤) أي للحدث :وانظر مثل هذا التعبير في المقتضب ٦٨/٣ ، ٢٢٦ .

(٥) شعر الخوارج ٧٨.

وعشرين إلى ما جاز فيه العطف بعده . ولكن كثرت " **كأين** " فخففت ، والتثقيل الأصل ، قال الله تعالى : ﴿ **وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وهيَ ظَالمةٌ** ﴾[1] ﴿ **وَكَأَيِّن مِنْ نبيٍّ قاتلَ معَهُ ربِّيُّونَ كثير** ﴾ [2] وقد قرئ بالتخفيف[3] ، كما قال الشاعر:

وَكَـــائِّن رَددْنَـــا عنكـــمُ مِـــنْ مُدَجَّـــجٍ يجيء أمام الألف يَـرْدِي[4] مُقَنَّعـا [5]

وقال آخر[6] :

وَكَـأَيِّن تـرَى يوم الغُمَيْصـاء مِنَ فتـى أُصيـب وَلَـمْ يُجْـرَح وَقَـدْ كَـانَ جَارِحَـا

قال أبو العباس : وهذا أكثر على ألسنتهم ، لطلب التخفيف ، وذلك الأصل، وبعض العرب يقلِبُ فيقول: كَيْيءٍ يا فتي " فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال ، قال الشاعر :

وَكَيْـــيءٍ في بـــني دُودَان مِنْهُـــمُ غـداة الـرَّوْع معروفًـا كَمِـيُّ

قال أبو العباس : فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ، ثم ارتحل والخوراج بِسِلَّى وَسِلَّبْرَىَ [7] [قال الأخفش [8] "سَلَّى" و "سَلَّبرى" بفتح السين فيهما ، موضعان

---

(١) سورة الحج : ٤٨ .

(٢)سورة آل عمران : ١٤٦. وفي بعض النسخ : قُتِلَ معه " وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو.

(٣) وهي قراءة ابن كثير.انظر السبعة لابن مجاهد ٢١٦ - ٢١٧ ،والكشف لمكي ٣٥٨/١ - ٣٥٩.

(٤) (يردى) يعدو وأصل ذلك فى الخيل يقال ردى الفرس كرمى رديا ورديانـاً إذا عـدا فرجـم الارض بحوافره والمقنع المغطى بالسلاح وهو الذى على رأسه بيضة لأن الرأس موضع القناع.

(٥) البيت من الطويل ،وهو لعمرو بن شأس فى ديوانه ص٣٨؛والدرر ٥٢/٤؛وسر صناعة الإعراب ٣٠٦/١؛وشرح أبيات سيبويه ٤٩٧/١؛ والكتاب ١٧٠/٢؛وبلا نسبة فى همع الهوامع ٢٥٦/١ .

(٦)البيت لامرأة من بنى كنانة اسمها سلمى كما في معجم ما استعجم ١٠٠٦ ، وخبر يوم الغميصـاء فيه ، وفي معجم البلدان ٢١٤/٤.

(٧) قال محقق س : في أ هنا وفيما يأتي : " وسلبرى " بالياء وهي روايـة ، إلا أنهـا بكسـر الـلام لا بفتحها كما نص عليها البكري في معجم ما استعجم ٧٤٨.

(٨) قال محقق س : في ب : " قال أبو الحسن : سِلّى موضع بالبادية ، هكذا ينشد هذا البيت :

كـــأن عذيرهـــم بجنـــوب ســـلّى نعـــام بـــات في بلـــد قفـــار

وسلّى وسلبري بعض نواحي الأهواز " .

وكان في أ : وسلبري ، باليـاء . وضبـط " سَلّبري " بفتـح السين والـلام في ب وبكسـرهما في ي . وجاء فيه كسر السين وفتح اللام . انظر معجم ما استعجم ٧٤٨ ، ومعجم البلدان ٢٣٢/٣ . وأمـا " سلى " بفتح السين فلم أجده ، والذي حكاه ياقوت فيه الكسر والضم واقتصر البكري على الكسر .

بالأهواز ، " وسِلّى " بكسر السين موضع بالبادية، وهكذا ينشد هذا البيت:

كَأَنَّ عَذيرَهُم بجنوب سِلّى[1] نعامٌ قاق في بلد قفار[2]

فنزل قريبًا منهم ، فقال ابن الماحوز لأصحابه : ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم ؟ فقال له واقد مولى أبي صُفْرَةَ : يا أمير المؤمنين ، إنما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن ، وبقي أهل النجدة والقُوّة ، فإن أصبتَهم لم يكن ظفرًا هنيئًا، لأني أراهم لا يصابون حتى يصيبوا ، فإن غلبوا ذهب الدِّينُ ، فقال أصحابه : نَافَق واقدٌ! فقال ابن الماحوز : لا تعجلوا على أخيكم ، فإنه إنما قال هذا نظرًا لكم . ثم وَجَّه الزبير بن علي إلى عسكر المهلب لينظر ما حالهم ، فأتاهم في مائتين، فحزرهم ورجع، وأمر المهلب أصحابه بالتحارس ، حتى إذا أصبح ركب إليهم علي تعبية صحيحة، فالتقوا بسلّى وسلّبْرَى فَتصَافُّوا ، فخرج من الخوارج مائة فارس ، فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها ، وأخرج إليهم المهلب عِدادَهُم ، ففعلوا مثلما فعلوا ، لا يريمون[3] إلا لصلاة حتى أمسوا ، فرجع كل قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا هذا ثلاثة أيام .

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث ، فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة،ثم إن رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه ، فحمل عليه المُهَلّبُ فطعنه، فحمل الخوراج بأجمعهم ، كما صنعوا يوم سُولافَ ، فضعضعوا الناس،وفُقِدَ المُهَلَّبُ ، وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عمان ، ثم نَجَم المهلّبُ في مائة فارس ، وقد انغمست كَفّاهُ في الدم ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُربَّعة فوق المغفر[4] محشوة قزًّا ، وقد تمزقت ، وإن حشوها ليتطاير ، وهو يلهث ، وذلك في وقت الظهر ، فلم يزل يحاربهم إلى الليل ، حتى كثر القتل في الفريقين .

---

(١) ضبطه ياقوت أنه ماء لبنى ضبة باليمامة .

(٢) البيت من الوافر ،وهو للنابغة الجعدى فى ديوانه صـ٢٤٢؛ وشقيق الباهلى أو للنابغة فى لسان العرب ٣٢٥/١٠(قوق)؛ ولسان العرب ٣٤٣/١١(سلل) .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :"ابن شاذان يقال : رام يريم ريما وما رمت عن المكان أي ما برحت " .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ابن شاذان:المغفر : الكبة من الزرد : وقال المهلبي : المغفر : الوقاية للرأس ، وهي حلق يتقنع بها المتسلح ، وكذلك الغفارة . ومغفر البيضة : ما فوقها من حلق الحديد".

فلما كان الغد غاداهم ، وقد كان وجه بالأمس رجلا[1] من طاحية بن سود بن مالك بن فَهْمٍ من الأزْد [2] ، يرد المنهزمين ، فمر به عامر بن مسمع فردّه ، فقال : إنَّ الأمير أذن لي ، فبعث إلى المهلب فأعلمه ، فقال : دعه ، فلا حاجة لي في مثله من أهل الجبن والضعف . وقد تفرق أكثر الناس ، فغاداهم المهلب في ثلاثة آلاف ، وقال لأصحابه: ما بكم من قلة ، أيعجز أحدكم أن يرمي برمحه ثم يتقدم فيأخذه ؟ ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عَيَّاش . وقال المهلب لأصحابه : أعدوا مَخَالى فيها حجارة وارموا بها في وقت الغفلة ، فإنها تَصُدُّ الفارس وتصرعُ الراجلَ ، ففعلوا. ثم أمر مناديًا ينادي في أصحابه ، يأمرهم بالجد والصبر ، ويطمعهم في العدو ، ففعل حتى مر ببني العَدَوِيَّةِ بنِ مالك بن حَنْظَلَةَ[3]، فضربوه ، فدعا المهلّبُ بسيِّدهم ، وهو معاويةُ بنُ عمرو، فجعل يركلهُ برجله[4] وهذا معروف في الأزد ، فقال له : أصلح الله الأمير ، أعفني من أم كيسان ، والركلة [5] تسميها الأزد " أم كَيْسَان " . ثم حمل المهلب وحملوا ، فاقتتلوا

---

(١) قال محقق س:بهامش نسخة ما نصه:"هو سالم بن أوس الطحاوي".كذا وقع والصواب:الطاحي.
(٢) قوله:"من طاحية بن سود....." إلخ كذا وقع! والذي في جمهرة أنساب العرب ٣٧١ ، واللباب٢/٢٦٧، والاشتقاق ٤٨٤ أنه طاحية بن سود بن الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء .
(٣) قال محقق س : بنوالعدوية هم زيد والصديّ ويربوع أبناء مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . نسبوا إلى أمهم وهى من بنى عدى بن عبد مناة بن أدّ . انظر جمهرة أنساب العرب ٢٢٨. وفى أ : ببنى العدوية من بني مالك بن حنظلة .
(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : الرَّكْلُ : ضربك الفرس برجلك ليعدو ، ويقال لذلك الموضع الذي تصيبه رجل الفارس المركَل . ابن شاذان : الركل: الرّفس بالرجل ، وركَلَهُ يَرْكُله ركلا، والركلة الرفسة . قال: وقال الخليل : الركل : الضرب برجل واحدة "
(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال ابن شاذان : هكذا قال المبرد : الركبة ،والصواب : الركلة، وهى الرفسة " .
قال محقق س : قلت : الثابت في جميع النسخ التى بين يدي " فجعل يركله " باللام ، والثابت في سائرها " والركلة " باللام أيضًا ، وهو المناسب لقوله " يركله " .
فإذا صح أن المبرد قال: " الركبة " بالباء فلا ريب أنه قال: " فجعل يركبه " بالباء أيضًا ، وهو ما نقله عن المبرد الزمخشري في الفائق ٢/٨٣ ، وعنه ابن الأثير في النهاية ٢/٢٥٧ ، وعنه صاحب اللسان "ركب" . ولعل ما حكي في حديث ابن سيرين يشهد لـ " الركبة " بالباء ، فقد قال غالب القطان : ذكرت عنده [يعني عند ابن سيرين] يزيد بن المهلب فقال : أما تعرف الأزد وركبها ؟ اتق الأزد لا يأخذوك فيركبوك ، أي يضربوك بركبهم .
وحكى ابن الأثير في المرصّع ٢٨٩ أن أم كيسان هو ضرب الرجل على مؤخر الإنسان وهو كنية الركبة .

قتالا شديدًا ، فجُهد الخوارج فنادى مناديهم : ألا إن المهلب قد قتل ، فركب المهلب برذونا قصيرًا أشهب ، وأقبل يركض بين الصفين ،وإن إحدي يديه لفي القباء وما يشعر، وهو يصيح : أنا المهلب ، فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل ، وَكَلَّ الناسُ مع العصر ، فصاح المهلب بابنه المغيرة : تقدم ، ففعل ، وصاح بذكوان مولاه : قدم رايتك ، ففعل ، فقال له رجل من ولده : إنك تغرر بنفسك ، فذمره[1]، وصاح : يا بني تميم ، آمركم فتعصونني ؟ ! فتقدم وتقدم الناس ، واجتلدوا أشد جلاد حتى إذا كان مع المساء قُتلَ ابن الماحوز ، وانصرف الخوراج ، و لم يشعر المهلب بقتله، فقال لأصحابه : ابغوني رجلا جلدًا يطوف في القتلى ، فأشاروا عليه برجل من جرم، وقالوا:إنا لم نر قط رجلا أشد منه، فطوَّف ومعه النيران، فجعل إذا مر بجريح من الخوارج قال : كافرٌ وربِّ الكعبة ، فأجهز عليه ،وإذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله.

وأقام المهلب في عسكره يأمرهم بالاحتراس ، حتى إذا كان في نصف الليل وجّه رجلا من اليْحمَدِ [قال أبو الحسن : اليحمد من الأزد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد ، والفرهود في الأصل الحمل ، فإن نسبت إلى القبيلة قلت " فراهيدي " ، وإن نسبت إلى الحمل قلت " فرهودي " لا غير] في عشرة فصاروا إلى عسكر الخوارج ، وإذا القوم قد تَحَمَّلوا إلى أرْجان [2] ، فرجع إلى المهلب فأعلمه ، فقال : أنا لهم الساعة أشد خوفًا ، فاحذروا البيات .

* * *

قال أبو العباس : ويروى عن شُعْبَةَ بنِ الحَجَّاجِ أنَّ المُهَلَّب قال لأصحابه يومًا : إن هؤلاء الخوراجَ قد يئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات ، فإن كان ذلك فاجعلوا

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : ذمرت الرجل أذمره ذمرًا : إذا حضضته ، وتذامر القوم : إذا حضَّض بعضهم بعضًا ".

(٢) قال محقق س : كذا ضبط في ر بإسكان الراء ، وفتحها مع التشديد ، و لم ينص ياقوت إلا على الفتح مع التشديد ، وذكر أن عامة العجم يسمونها أرغان ، وأن المتنبي خفف الراء فقال :

أرْجان أيتها الجياد فإنه ... عزمي الذي يدع الوشيج مكسَّرًا

وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير بينها وبين شيراز ستون فرسخًا وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخًا . معجم البلدان ١/١٤٢ .

شعاركم حم لا ينصرون ، فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بها* . ويروى أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

فلما أصبح المهلّبُ غدا على القتلى ، فأصابوا ابن الماحوز، ففي ذلك يقول رجل من الخوارج:[1]

بسلّى وسِلّبرى مصارعُ فتيةٍ كِرامٍ وَعَقْرى[2] من كُمَيْتٍ ومن وَرْد[3]

وقال رجل من موالي المهلب : لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثةً رميت به رجلا فأصبت أصل أذنه فصرعته ، ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ، ثم صرعت به ثالثاًوقال رجل من الخوارج :

أتانا بأحْجَار لِيُقْتَلَنا بِهَا وَهَلْ تُقْتَلُ الأبْطَالُ وَيحكَ بِالحَجَر

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلّى وسلّبرى وقَتل ابن الماحوز:

وَيَوْم سلّى وسلّبرى أحاط بِهِم منا صَوَاعِقُ ما تُبْقِي ومَا تَذَرُ[4]

حَتّى تركنَا عُبَيْد الله مُنجَدِلاً كما تجدّلَ جذعٌ مال منقعرُ

---

* أخرجه أبو داود في سننه (ح ٢٥٩٧) والترمذي في سننه (٣٢٩/٥ / تحفة الأحوذي) من حديث المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي ﷺ يقول : " إن بيتم فليكن شعاركم : حم لا ينصرون " لفظ أبي دواد .

وهو في المسند بنحوه (٢٨٩/٤) من حديث البراء بن عازب .

والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٢٦٢)،وصحيح سنن الترمذي (١٣٧٥).

(١) قال محقق س : بهامش نسخة ما نصه : هو بيهس بن صهيب يكنى أبا المقدام " .

(٢) (عقرى)جمع عقير بمعنى معقور من عقر الفرس وكذا البعير يعقره"بالكسر" عقرا قطع قوائمه.

(٣) وفي بعض النسخ : ففي ذلك يقول رجل من الخوارج :

بسلّى وسليرى مصارع فتية كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر :

بسلّي وسليرى مصارع فتية كرام وعقري من كميت ومن ورد

والبيت من الطويل ، وهو لأبى المقدام بيهس بن صهيب في لسان العرب ٣٤٣/١١(سلل)؛وتاج العروس (سلل)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٥٩٢/٤(عقر)؛ومقاييس اللغة ٦٦/١ ؛ وتاج العروس ١٠٢/١٣ (عقر) .

(٤) البيتان في معجم ما استعجم ٧٤٨.

وبهامش بعض النسخ مانصه : "قال ابن شاذان : الصعق : أن يسمع الإنسان الهَدّة الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله . والصاعقة من هذا اشتقاقها لشدة هدتها ، وإنما قلبوا فقالوا صاقعة " .

قال : تقول العرب: "صاعقة وصواعق" وهو مذهب أهل الحجاز ، وبه نزل القرآن، وبنو تميم يقولون: " **صاقعة وصواقع**" .

و" المنقعر " المنقلع من أصله ، قال ا لله عز وجل :﴿**كَأَنَّهم أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** ﴾[1]

ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه، فلما خالطه الرمح صاح : يا أمتاه ! فصاح به المهلب : لا كثَّر ا لله بمثلك المسلمين، فضحك الخارجي وقال :

أُمُّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبَا ... تَسْقِيك مَحْضًا وتَعُلُّ رائِبَا

وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس[2] على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر في أصحابها ، حتى تَخرَّمَت الميمنة من أجله .وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسمًا ، فكان المهلب يقول : ما شهد معي حربًا قط إلا رأيت البشرَى في وجهه .

وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم :

فإن تَكُ قَتلى يَوم سلَّى تَتَابعت ... فكم غَادرت أسْيَافُنا من قُمَاقِمِ[3]

غَدَاة نَكُرُّ المشْرفيَّة فيهم ... بسولاف يوم المأزق المتلاحم [4]

---

(١) سورة القمر : ٢٠.

(٢) بهامش بعض النسخ مانصه : "نكست الشيء أنكسه نكساً : إذا قلبته على رأسه " .

(٣) (قُماقم)"بضم أوله " وهو السيد الكثير الخير الواسع الفضل كالقَمَاقم"بالفتح" والأصل فيه معظم البحر أو البحر كله .

(٤) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصه : " قبلهما :

لعمري لقد بعنا الحَيَاة وحُبّها ... برضْوان ربٍّ بالبريِّة عالم

بكل فتى رخو النجاد كأنه ... شهاب بدا تحت السُّيُوف الصَّوَارِمِ

ويروى :

......رخو النجاد شمردل ... صبور على وقع السيوف الصوارم

سقى ا لله أجسادًا تلوح عظامها ... من الغيث صوب المدجنات الرمائم

فإن تك.......".

وبهامش بعض النسخ ما نصه :" المهلبي : رجل قُمَاقِمٍ وقَمْقَام وهو السيد ، واشتقاقهُ من قولهم : بحر قمقام، للكثير الماء " .

" **المأزق** " : موضع [1] تضايق الحرب ، و" **المتلاحم** " نعت له . " **والمشرفية** " السيوف ، نسبت إلى المشارف من أرض الشأم . وهو الموضع الملقب بموتة الذي قتل به جعفر بن أبي طالب وأصحابه .

[قال الأخفش: كان المبرد لا يهمز " **موتة** "[2]. ولم أسمعها من علمائنا إلا بالهمز].

وكتب المهلب إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع :

" بسم الله الرحمن الرحيم " أما بعد ، فإنا لقينا الأزارقة المارقة ، بَحدٍّ وجدٍّ، فكانت في الناس جولة ، ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر ، بنيَّاتٍ صادقة ، وأبدانٍ شدادٍ، وسيوفٍ حدادٍ ، فأعقب الله خير عاقبة ، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل ، فصاروا دَريئة* رماحنا، وضرائب سيوفنا ، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز ، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ، والسلام" .

فكتب إليه القباع :

" قد قرأت كتابك يا أخا الأزد ، فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها، وذخر لك ثواب الآخرة وأجرها ، إن شاء الله . ورأيتك أوثق حصون المسلمين ،وهاد أركان المشركين ، وذا الرياسة وأخا السياسة ، فاستدم الله بشكره يتمم عليك نعمه، والسلام" .

وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه ، ولم يكتب إليه الأحنف، ولكن قال: اقرءوا عليه السلام ، وقولوا له : أنا لك على ما فارقتك عليه ، فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في

والبيتان من الطويل ، وهما لرجل من الخوارج فى تاج العروس (٤٥٨/٢٣)(سلف)، ولسان العرب (١٦١/٩)(سلف)، ومعجم ما استعجم صـ٧٤٩(سلى)، ومعجم البلدان (٢٣٢/٣)(سلى وسليرى).

(١) المأزق " هو يوم تضايق الحرب : وفي سائر النسخ : المأزق يوم تضايق الحرب .

(٢) مؤتة يقال بالهمز وبترك الهمز ، وانظر ما سلف .

* بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" ابنُ شاذان : الدَّرئة [كذا] مهموز : الحلقةُ التى يُتَعَلَّم فيها الرميُ والطعن . والدريَّة بغير همز : التى يَسْتَتِرُ بها الصائد ".

قال محقق س ، قلت : قوله الدرئة صوابه الدريئة . والدريئة بالهمز : الحلقة التى يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها ، والبعير أو غيره التي يستتر به الصائد من الوحش يختل حتى إذا أمكن رميه رمى . وقال ابن الأثير : الدريّة بغير همز يستتر به الصائد فيتركه يرعى مع الوحش حتى إذا أنست به وأمكنت من طالبها رماها . وقيل على العكس منهما في الهمز وتركه .انظر اللسان (درأ).

أضعافها كتاب الأحنف ، فلما لم يره قال لأصحابه : أما كتب إلينا ؟ فقال له الرسول : حمَّلني إليك رسالة ، وأبلغه فقال : هذه أحب إليَّ من هذه الكتب .

* * *

واجتمعت الخوارجُ بأرجان ، فبايعوا الزبير بن علي، وهو من بني سليط بن يربوع، من رهط ابن الماحوز ، فرأى فيهم انكسارًا شديدًا وضعفًا بينًا ، فقال لهم : اجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ، ثم أقبل عليهم فقال: إن البلاء للمؤمنين تمحيص[1] وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وخزي ، و إن يُصَبْ منكم أمير المؤمنين فما صار إليه خير مما خَلَّف ، وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس ، وربيعًا الأجذم ، والحجاج ابن بابٍ ، وحارثة بن بدر ، وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك ، والله يقول لإخوانكم من المؤمنين : ﴿ **إن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فَقَدْ مسَّ القومَ قَرْحٌ مثْلُهُ وتلك الأيَّامُ نُداوِلُهَا بيْنَ النَّاس** ﴾[2] فيوم سلَّى كان لكم بلاء وتمحيصًا ، ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا، فلا تُغْلَبُنَّ على الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض والعاقبة للمتقين .

ثم تحمل لمحاربة المهلب ، فنفحهم المهلب نفحة ، فرجعوا ، فَأَكْمَن للمُهَلَّبِ في غَمْض[3] من غموض الأرض يقرب من عسكره ، مائة فارس ليغتالوه ، فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سواده ، فوقف على جبل فقال: إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أَكْمَنَت في سفح هذا الجبل كمينًا ، فبعث عشرة فوارس ، فاطلعوا على المائة ، فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا ، وكسفت الشمس، فصاحوا بهم : يا أعداء الله ، لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم .

ثم يئس الزبير من ناحية المهلَّبِ ، فضرب إلى ناحية إصْبَهَان ، ثم كَرَّ راجعًا إلى أرجان ، و قد جمع جموعًا ، وكان المهلب يقول : كأني بالزبير وقد جمع لكم ، فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ، ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم . فجاءوه من أرجان

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان : التمحيص : التطهير من الذنوب ، قال الله عز وجل : ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ .

(٢) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه:" المهلبي: الغمض:المطمئن من الأرض،والجمع:أغماض وغموض".

فألفوه مستعدًا آخذًا بأفواه الطرق ، فحاربوه ، فظهر عليهم ظهورًا بيِّنا . ففي ذلك يقول رجل من بني تميم ، أحسبه من بني رياح بن يربوع [1] :

سَقى الله المُهَلَّب كُلَّ غَيْث مِن الوَسْميِّ ينتحرُ انتحارا
فَمَا وهَنَ المُهَلَّب يَومَ جَاءت عوابِسُ خَيْلِهِم تَبْغِي الغوَارَا[2]

وقال المهلب يومئذ : ما وقعت في أمر ضيق من الحرب إلا رأيت أمامي رجالا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون ، وكأن لحالهم أذناب العقاعق [3] . وكانوا صبروا معه في غير موطن .

وقال رجل من بنى تميم ، من بني عبشمس بن سعد [4] :

ألا يَا مَنْ لصَبٍّ مُسْتَحنٍّ قَريحَ القلبِ قَد صَحِبَ المَزُونا
لَهَان على المهلّب ما لقينا إذا ما راحَ مسَرورًا بطَينا
يَجُرُّ السابري ونحن شُعْث كأن جُلودَنا كُسيَت طحينا*

" المزون " عمان ، وهو اسم من أسمائها قال :الكميت :

فَأَمَّا الأزدُ أَزدُ أَبي سَعيدٍ فأكره أن أُسَمِّيَهَا المزونا [3]

وقال جرير :

وأطفأت نيران المزون وأهلها وقد حاولوها فتنة أن تُسَعَّرا [6]

---

(١) قال محقق س: بهامش نسخة ما نصه :" هو عطية بن حمراء الرياحي، وكان من فرسان المهلب". وحمراء ، رسمت في الاصل " حمرى " .

(٢) الغوار مصدر غاور العدو مغاورة وغوارًا : أغار عليه . عن رغبة الآمل ٣٣/٨.

(٣) العقاعق : جمع عقعق كجعفر وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب عن رغبة الآمل .

(٤) في المؤتلف والمختلف ١٨٧ أنه مضرحي بن كلاب أحد بني الحارث بن كعب بن سعد وأنشد الآمدي البيتين الأول والثاني مع ثالث لهما غير الذي في المتن ، وثمة اختلاف في الرواية .

* (مستحن) من استحنه الشوق إلى وطنه استطربه ، (بطينا) عظيم البطن (السابري) هو من الثياب ما كان رقيقا فأما الدروع السابرية فمنسوبة إلى سابور والطحين المطحون ومن حنطة نحوها أراد ما تراكم عليهن من الأوساخ . رغبة الآمل ٣٤/٨ .

(٣) البيت من الوافر في ديوانه(١٧/٢)، ولسان العرب (٤٠٧/١٣)(مزن)، وتهذيب اللغة (٢٣٢/١٣)، وتاج العروس (مزن)، ومعجم ما استعجم ص١٢٢٢(مزون) .

(٦)البيت من الطويل له في ديوانه ص٤٧١ ،ولسان العرب (٤٠٧/١٣)(مزن) ،وتهذيب اللغة (٢٣٢/١٣) ، وتاج العروس (مزن) .

وحمل يومئذ الحريش بن هلال على قيس الإكاف، وكان من أنجد فرسان الخوارج، فطعنه فدق صلبه ، وقال :

قَيسُ الإكافِ غَداةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُني ثَبْتَ المَقَامِ إذا لَقيتُ أقْرانِي

* * *

وقد كان فَلُّ المهلب يوم سلّى وسلّبرى [1] صاروا إلى البصرة ، فذكروا أن المهلب أصيب ، فَهَمَّ أهل البصرة بالنقلة إلى البادية ، حتى ورد كتابهُ بظَفَرِهِ ، فأقام الناس، وتراجع من كان ذهب منهم ، فعند ذلك يقول الأحنف : البصرة بصرة المهلب . وقدم رجل من كندة يقال له فلان بن أرقم ،فنعى ابن عم له ، وقال : رأيت رجلا من الخوارج وقد مكن رمحه من صلبه ، فقدم المَنْعِيُّ ، فقيل لـه ذلك ، فقال : صدق ابن أرقم لما أحسستُ برمحه بين كتفي صحت به : البقيةَ! فرفعه عني ، وتلا : ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنتُم مُؤْمِنين﴾ [2] .

* * *

ووَجَّه المهلّبُ بعَقبِ هذه الوَقْعَةِ رجلا من الأزد برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع ، فلما صار بكُربُج دينار [3] لقيه حبيب وعبد الملك وعلي بنو بشير بن الماحوز فقالوا له : ما الخبر ؟ ولايعرفهم ، فقال : قتل الله المارق ابن الماحوز ، وهذا رأسه معي ! فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولي الحجاج دخل عليه عليٌّ بنُ بشير ،وكان وسيمًا جسيمًا ، فقال :من هذا ؟ فَخُبِّر فقتله، ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الأزديِّ المقتول ، وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة، فوهبوهما لها .

---

(١) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصه :" في حاشية ف : قال أبو الحسن : سلّى موضع بالبادية، وهكذا ينشد هذا البيت :

كأن عذيرهم بجنوب سلّى نعام قاق في بلد قفار

وقوله في حاشية ف يعني رواية ابن الإفليلي .وانظر ما سلف وفي كلام أبي الحسن اختلاف عما هنا.

(٢) سورة هود : ٨٦ .

(٣) موضع قريب من الأهواز دون سوق الأهواز بثمانية فراسخ من جهة البصرة.معجم البلدان ٤/٤٤٥ .

فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحارث القباع ، حتى عُزِل ووُلّي مصعب بن الزبير ، فكتب إليه أن اقدم عليّ واستخلف ابن المغيرة ففعل، فجمع الناس فقال لهم : إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم رقة ورحمة ، وابن كبيركم طاعة وبرًا وتبجيلا ، وأخو مثله مواساة ومناصحة ، فلتحسن له طاعتكم ،وليلِنْ له جانبكم، فوا لله ماأردت صوابًا قط إلا سبقني إليه . ثم مضى إلى مصعب ، وكتب مصعب إلى المغيرة بولايته ، وكتب إليه : إنك لم تكن كأبيك ، فإنك كاف لما وليتك ، فشمر واتزر وجد واجتهد .

* * *

ثم شخص مصعب إلى المذار [1] ، فقتل أحمرَ بنَ شميط ، ثم أتى الكوفة فقتل المختار . وقال للمهلب : أشر عليّ برجل أجعله بيني وبين عبد الملك ؟ فقاله له : أذكر لك واحدًا من ثلاثة : محمد بن عمير بن عطارد الدارمي ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي ، أو داود بن قحذم ، فقال : أو تكفيني إن شاء ا لله ، فقال : أكفيك إن شاء ا لله، فولاه الموصل ، فشخص المهلب إليها .

* * *

وصار مصعب إلى البصرة ، فسأل : من يستكفيني أمر الخوراج؟ فشاور الناس، فقال قوم : ولِّ عبيد ا لله بن أبي بكرة ، وقال قوم : ولِّ عمر بن عبيد ا لله بن معمر، وقال قوم : ليس لهم إلا المهلب فاردده إليهم .

وبلغت المشورةُ الخوارجَ ، فأداروا الأمر بينهم ، فقال قَطريٌّ بن الفجاءة المازني : إن جاءكم عبيد ا لله بن أبي بكرة أتاكم سَيِّدٌ سَمْحٌ جَوادٌ كَرِيمٌ مُضَيِّعٌ لعسكره ، وإن جاءكم عمر بن عبيد ا لله أتاكم شُجَاعٌ بَطلٌ فَارسٌ جادٌّ ، يقاتل لدينه ولملكه ، وبطبيعة لم أر مثلها لأحد ، فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس يطلع حتى يشدَّ على قِرنه ، فيضربه ، وإن رُدَّ المهلب فهو من قد عرفتموه : إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر ، يمده إذا أرسلتموه ، ويرسله إذا مددتموه ، لا يبدؤكم إلا أن تبدءوه ، إلا أن يرى فرصة فينتهزها ، فهو الليث المُبِرُّ [2] ، والثعلب الرَّوَّاغُ ، والبلاء المقيم .

---

(١) المذار بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان . معجم البلدان ٥/٨٨ .
(٢) المبر : الغالب ، من أبر عليهم غلبهم . عن رغبة الآمل ٨/٣٧.

فولّى عليهم عُمَر بن عبيد ا لله ، وولاه فارس ، والخوارج بأرجان، وعليهم الزبير بن علي السَّليطي ، فشخص إليهم فقاتلهم ، وألح عليهم حتى أخرجهم عنها ، فألحقهم بأصبهان ، فلما بلغ المهلب أن مصعبًا ولّى عُمَر بن عبيد ا لله قال : رماهم بفارس العرب وفتاها .

فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ، ثم أتوا سابور[1] فسار إليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ ، فقال له مالك بن حسان [2] الأزدي : إن المهلب كان يذكي العيون، ويخاف البيات ،ويرتقب الغفلة ، و هو على أبعد من هذه المسافة منهم ، فقاله له عمر: اسكت ، خلع ا لله قلبك ! أتراك تموت قبل أجلك ؟ وأقام هناك ، فلما كان ذات ليلة بَيَّتَهُ الخوارج ، فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبح ، فلم يظفروا منه بشيء ، فأقبل على مالك بن حسان فقال : كيف رأيت ؟ فقال : قد سَلَّم ا لله عز وجل ، و لم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها ، فقال: أما إنكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أُفني هذا العدو ، ولكنكم تقولون : قُرَشيٌّ حِجازيٌّ بعيدُ الدار ، خيره لغيرنا، فتقاتلون معي تعذيرًا[3] .

* * *

ثم زحف إلى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدًا ، حتى ألجأهم إلى قنطرةٍ ، فتكاثف الناس عليها حتى سقطت ، فأقام حتى أصلحها ، ثم عبروا ، وتقدم ابنه عبيد ا لله بن عمر ، وأمه من بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، فقاتلهم حتى قتل . فقال قَطَري : لا تقاتلوا عمر اليوم فإنه موتور . و لم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى إلى القوم ، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبادٍ . فصاح به : يا نعمان أين ابني ؟ فقال: احتسبه أيها الأمير فقد استشهد رحمه ا لله صابرًا مقبلا غير مدبر . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم حمل على الناس حملة لم يُرَ مثلها . وحمل أصحابه بحملته ، فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج ، وحمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه. وانهزمت

---

(١) كورة مشهورة بأرض فارس بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخًا . معجم البلدان ١٦٧/٣.

(٢) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصه : " مالك بن أبي حيال . للمدائني " .

(٣) قال الشيخ المرصفي : " من قولهم : قام فلان قيام تعذير فيما استكفيته : إذا لم يبالغ في القيام به بل قصر فيه " . رغبة الآمل ٣٨/٨.

الخوارج ، وانتهبها . فلما استقروا قال لهم قطري : أما أشرت عليكم بالانصراف ؟ فجعلوه وجههم حتى خرجوا من فارس .

وتلقاهم في ذلك الوقت الفزر بن مهزم العبدىّ فسألوه عن خبره ، وأرادوا قتله! فأقبل على قطري فقال : إني مؤمن مهاجر ، فسأله عن أقاويلهم ؟ فأجاب إليها ، فخلّوا عنه ، ففي ذلك يقول في كلمة له :

وشدوا وثاقي ثم أَلْجَوا* خصومتي إلى قَطَري ذي الجبين المُفَلّق
وحاججتهم في دينهم فحججتهم[1] وما دينهم غير الهوى والتخلق

ثم إنهم تراجعوا وتكانفوا ، [قال الأخفش : " تكانفوا " أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض] وعادوا إلى ناحية أرجان ، فسار إليهم عمر، وكتب إلى مصعب : أما بعد ، فإني لقيت الأزارقة ، فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة، ووهب له السعادة ، ورزقنا عليهم الظفر ، فتفرقوا شَذَر مَذَر [2] وبلغتني عنهم عودة ، فيممتهم ، وبالله أستعين وعليه أتوكل.

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجَّاعةُ بن سِعْر [3] ، فالتقوا ، فألح عليهم حتى أخرجهم ، وانفرد من أصحابه ، فعمد له أربعة عشر رجلا منهم ، من مذكوريهم وشجعانهم ، وفي يده عمود ، فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة إلا صرعه فركض إليه قطري على فرس طمِرةٍ [4]،وعمر على مهر، فاستعلاه قطري بقوة فرسه حتى كاد يصرعه، فبصر به مُجَّاعة فأسرع إليه ، فصاحت الخوارج بقَطَري : يا أبا نَعامة ، إن عدوّ

---

* قال العلامة المرصفي : (ألجوا) حذف همزة ألجأ وأسنده إلى الصغير . رغبة الآمل ٣٩/٨ .

(١) (وحاججتهم) نازعتهم الحجة (وحجتهم) غلبتهم بالحجة .

(٢) قال محقق س : ضبطا في ر بكسر الشين والميم وضبطا في الأصل بالفتح فيهما.وبهامش أ ما نصه: "ابن شاذان :يقال : تفرق القوم شذَر مذَر:كلمة تقال عند التفرق " . وكلا الضبطين صحيح. انظر القاموس واللسان والتاج " شذر" .

(٣) نقل المرصفي عن مقتضب ياقوت أنه بكسر السين وسكون العين وبالراء المهملة . ومُجَّاعة ضبطه الشيخ المرصفي بفتح الميم ، وهو بضمها في القاموس . انظر رغبة الآمل ٤٠/٨.

(٤) والطمر : الطويل القوائم الخفيف أو هو المستفز للوثب والعدو والأنثى طمرة . عن رغبة الآمل ٤٠/٨.

الله قد رَهِقك ، فانحط قطري عن قَرْبوسِهِ ، فطعنه مُجّاعة ، وعلى قطري درعان فهتكهما ، وأسرع السنان في رأس قطري ، فكشط عنه جلدة ونجا.

وارتحل القوم إلى إصبهان فأقاموا بها برهة ، ثم رجعوا إلى الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى إصطخر [1] ، فأمر مُجّاعةَ فجبى الخراج أسبوعًا ، فقال له : كم جبيت ؟ قال : تسعمائة ألف ، فقال: هي لك ، فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجّاعة :

وَدَعَاك دعَوَة مُرْهَقٍ فَأَجَبْتَه عُمَرٌ وقد نَسيَ الحياةَ وضَاعَا
فَرَدَدت عَادِيَةَ الكَتيبَةَ عَنْ فَتًى قَد كَاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أوزاعا [2]

وعُزِلَ مصعب بن الزبير وولي حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فوجه المهلب إليهم، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز ، ثم رُدَّ مصعب ، والمهلب بالبصرة ، والخوارج بأطراف إصبهان ، والوالي عليها عَتّاب بن ورقَاء الرياحيُّ ، فأقام الخوارج هناك شيئا يجبون القُرى، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس ، فكتب مصعب إلى عمر بن عبيد الله: ما أنصفتنا ، أقمت بفارس تجبى الخراج ومثل هذا العدو يحاربك ، والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك . وخرج مصعب من البصرة يريدهم ، وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج إلى السوس ، ثم أتوا المدائن ، فقتلوا أحمَر طَيِّئ ، وكان شجاعًا ، وكان من فرسان عبيد الله بن الحُرِّ ، ففي ذلك يقول الشاعر :

تركتم فتى الفتيان أحمرَ طَيِّءٍ بساباط [3] لم يَعطِفْ عَليه خَليلُ [4]

---

(١) هي أقدم مدن فارس وأشهرها ومن أعيان حصونها . معجم البلدان ٢١١/١ .

(٢) (أوزاعا) جمع لا واحد له يريد قطعا وفرقا والتوزيع القسمة والتفريق ويروى أقطاعا جمع قطع "بكسر فسكون " من قولهم ثوب أقطاع .

قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " زاد المدائني :

تطأ السنابك خرءه في مأزق ضَيْقٍ يضيق به الجبان ذراعا
فرجعت حين دعاك غير معمم تحمي وكنت لمثلها رجاعا"

وبيتا المبرد من الكامل ليزيد بن الحكم الثقفى فى شعراء أمويون(٢٦٥/٣)،والثانى فى أساس البلاغة(وزع) .

(٣) (بساباط) موضع بالمدائن يقال له ساباط كسرى .

(٤) قال محقق س: أورد بهامش نسخة بيتًابعده وهو :

ولو كنت من خلانه لحميته ولكن خلان الصَّفَاءِ قليل

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادها ، وواليها الحارث القُباعُ، فتثاقل [1] عن الخروج ، وكان جبانًا ، فذمره [2] إبراهيم بن الأشتر ، ولامه الناس، فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة ، ففي ذلك يقول الشاعر :

إن القُبَاعَ سَارَ سَيْرا نُكْرًا   يسيرُ يَومًا ويُقِيْم شهرًا

وجعل يَعدُ الناس بالخروج ولا يخرج ، والخوارج يعيثون ، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلةً ، ثم أرادوا قتلها ، فقالت : أتقتلون من يُنَشَّأ في الحلية وهو فى الخصام غير مبين ؟! فقال قائل منهم : دعوها ، فقالوا :قد فتنتك ، ثم قدموها فقتلوها ، وقربوا أخرى ، وهم بحذاء القباع ، والجسر معقود بينهما ، فقطعه القباع، وهو في ستة آلاف ، والمرأة تستغيث به وهي تقول : علام تقتلونني ؟ فوا الله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت ! والناس يتفلتون إلى الخوارج ، والقباع يمنعهم ، فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دبيري ودَبَاها[3] خمسة أيام،والخوارج بقربه، وهو يقول للناس في كل يوم، إذا لقيتم العدو غدًا فأثبتوا أقدامكم واصبروا ، فإن أول الحرب الترامي ، ثم إشراع الرماح ، ثم السَّلّة [4] ، فثكلت رجلا أُمُّه فر من الزحف! فقال بعضهم لما أكثر عليهم : أما الصِّفة فقد سمعناها ، فمتى يقع الفعل ؟ ! وقال الراجز:

ن القُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلْسَا   بين دَبَاها ودَبِيرَى خمسا [5]

---

(١) قال محقق س : قوله " فتثاقل " كذا وقع بزيادة " الفاء " وهو جواب "لَمَّا" وأخشى أن تكون زيادة من الرواة ، فقد وقعت في جواب " لما " في بعض النسخ فيما سلف من هذا الكتاب وقد وقعت الفاء زائدة في جواب لما في قول الشاعر:

لما اتقى بيد عظيم جرمها   فتركت ضاحي جلدها يتذبذب

وانظر مغني اللبيب ٢٢٠ وشرح أبيات مغني اللبيب ٥٤/٤ . وقد أفدت من كلام دي غويه في جزء التعليقات ص ١٧٢.

(٢) أي لامه وحضه.

(٣) في بعض النسخ : " بين دباها ودبيرى " . وهما قريتان من قرى العراق . انظر معجم البلدان ٤٣٧/٢، ٤٣٨.

(٤) السلة : استلال السيوف.

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : قال أبو زيد : الملس : السير الشديد . وقال غيره : هو السريع السهل . وقال ابن الأعرابي : يقال : ملس هاربًا : إذا ولى مسرعًا . وقال ابن شاذان : الملس : مصدر ملس الشيء يملس ملسا : إذا انخنس ، ومنه قولهم : ناقله ملسى : سريعة " .

فأخذ الخوارج حاجتهم ، وكان شأن القباع التحصُّنَ منهم ، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى إصبهان ، فبعث عتّابُ بنُ ورقَاءَ إلى الزبير بن علي : أنا ابن عمك ، ولست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيري . فبعث إليه الزبير : إن أدنى الفاسقين وأبعدهم في الحق سواء .

وإنما سمي الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع لأنه ولي البصرة فَغيَّر على الناس مكاييلهم ، فنظر إلى مكيال صغير في مرآة العين قد أحاط بدقيق استكثره ، فقال : إن مكيالكم هذا لقُباع . " والقُبَاع " الذي يخفى أو يخفي ما فيه ، يقال : انقبع الرجل : إذا استتر ، ويقال للقنفذ القُبَع ، وذلك أنه يخنسُ رأسه .

فأقام الخوراج يغادون عَتّاب بن ورقاء القتال ويراوحونه ، حتى طال عليهم المقام ، و لم يظفروا بكبير ، فلما كثر عليهم ذلك انصرفوا لا يمرون بقرية بين إصبهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها .

* * *

وشاور المصعب الناس فيهم، فاجتمع رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارج مشاورته[1] ، فقال لهم قطري : إن جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتكٌ يطلع في أول المقْنب[2] ولا يظفر بكبير ، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم ، فإما عليه وإما له ، وإن جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ، ويأخذ منكم ولا يعطيكم ، فهو البلاء اللازم، والمكروه الدائم .

وعزم مصعب على توجيه المهلب ، وأن يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن علي خرج إلى الريِّ ، وبها يزيد بن الحارث بن رُويم[3] ، فحاربه ثم حصره،

والبيت في البلدان ٤٣٧/٢ ، ٤٣٨ ورواية الثاني فيه :

بين دبيرى ودباها خمسا

(١) ورد في بعض النسخ مانصه : " ابن شاذان : المشورة مَفْعُلَة ، واشتق من الإشارة ويقال أشرت عليه بكذا إشارة " .

(٢) المقنب : جماعة الخيل .

(٣)في بعض النسخ " رؤيم " وكذا ضبطه الشيخ المرصفي في رغبة الآمل ٤٤/٨ ، و لم يسم مصدره

فلما طال عليه الحصار خرج إليه ، فكان الظفر للخوارج ، فقُتِلَ يزيد بن رويم ، ونادى يومئذ ابنه حوشبًا ففر عنه وعن أمه لطيفة ، وكان علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - دخل على الحارث بن رويم يعود ابنه يزيد ، فقال له : عندي جارية لطيفة الخدمة أبعث بها إليك . فسماها يزيد لطيفة ، فقتلت معه يومئذ ، ففي ذلك يقول الشاعر:

مَواقفنا في كُلِّ يوم كريهة أسرُّ وأشفَى من مواقف حَوشَبِ
دعاه يزيدُ والرِّمَاحُ شوارعٌ فلم يستجب بل راغ تَرْوَاغَ ثعلبِ
ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظةٍ رأى ما رأى في الموت عيسى بن مَصْعَبِ [1]

وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر :

نَجَّى حليلته وأسلَمَ شيخَه نَصْبَ الأسنَّةِ [2] حوشبُ بنُ يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يَعيره بأمه - وبلالٌ مشدود عند يوسف ابن عمر - : يا ابن حوراء ! فقال بلال - وكان جلدًا : إنَّ الأمة تُسَمَّى حوراء وجيداء ولطيفة!! وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدًا حين ابتلي - قال الكلبي : ويعجبني أن أرى الأسير جلدًا - قال : وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف بن عمر : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدَّ رُكنك ، وغيَّر حالك ، فوا لله لقد كنت شديد الحجاب، مستخفًا بالشريف ، مُظهرًا للعَصبيَّة! قال فقال له بلال : إنَّما طَالَ لسانُك يا خَالدُ لثلاثٍ مَعَك هُنَّ عليَّ : الأمر عليك مقبل وهو عني مدبر ، وأنت مطلق وأنا مأسور ، وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريب .وإنما جرى إلى هذا لأنه يقال : إن أصل آل الأهتم من الحيرة، وإنهم أُشَابةٌ [3] دخلت في بني مِنقَر ، من الروم .

* * *

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : "ابن شاذان : يقال : رجل شهم بين الشهامة والشهومة :إذا كان حادًا ذكيًا ، وقد سلف هذا البيت وحده .

(٢) نصب الأسنة يريد مخافتها .

(٣) الأشابة : الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدًا كالأوباش والأوشاب .عن رغبة الآمل ٤٦/٨.

ثم انحط الزبير بن علي على أصبهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر، وعتاب يحاربه في بعضهن ، فلما طال به الحصار قـال لأصحابه : ما تنتظرون؟ وا لله ما تؤتون من قلة ، وإنكم لفرسان عشائركم ، ولقد حاربتموهم مرارًا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه ، فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي إلى قِرْنِهِ !! فلما أصبح الغد ، صلى بهم الصبح ، ثم خرج بهم إلى الخوارج وهم غارُّون، وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين ، فقال : من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين! ومن أراد الجهاد فليخرج معي . فخرج في ألفين وسبعمائة فارس ، فلم تشعر بهم الخوراج حتى غشوهم ، فقاتلوهم بجد لم تر الخوارج منهم مثله ، فعقروا منهم خلقا كثيرا ، وقتلوا الزبير بن علي ، وانهزمت الخوارج ، فلم يتَّبعهم عتاب ،ففي ذلك يقول القائل :

ويــــومٌ بجــــيٌّ تَلاَفَيْتَــــهُ[1]   ولـــولاك لاصْطُلِـمَ العســـكر

قال أبو العباس : نفسر قوله " لولاك " في آخر هذا الخبر إن شاء ا لله .

وقال رجل من بني ضَبَّةَ :

خرجــت مــن المدينـة مُسْـتَميتًا   ولم أك في كتيبـــة ياسمينـــا

أليـس مـن الفضـائل أن قومـي   غـدوا مُسْـتَلْئِمِين[2] مجاهدينــا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم يتواقفون،ويحمل بعضهم على بعض،وربما كانت مواقف لغير حرب.وربما اشتدت الحرب بينهم ، وكان رجل من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شريح ، ويكنى أبا هريرة ، إذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي :

يـابن أبـي المـاحُوز[3] والأشـرار   كيـف تَـرَوْنَ يـا كِـلاَبَ النـار

شـد أبـي هريـرة الهَـرَّار   يَهُرُّكُـمْ بـالليل والنهـار[4]

---

(١) (لاصطلم العسكر) أُبيد والاصطلام الإبادة والاستئصال وهو افتعال .من الصلم وهو القطع رغبة الآمل ٤٧/٨.

(٢) (مستلئمين)لابسين اللامة وهى الدرع رغبة الآمل ٤٧/٨.

(٣) (يابن أبى الماحوز) ذلك صريح فى أن رئيس القوم الزبير بن على بن الماحوز وقد درج على ذلك الطبرى وابن الأثير رغبة الآمل ٤٧/٨.

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان ، هر الكلب والذئب يهر هريرًا : إذا كشر . وهر الرجل الشيء : إذا كرهه ".

ألم تـــروا جَيًّـــا علـــــى المضمـــــار تمســي مــن الرحمـــن في جــوار[1]

فغاظهم ذلك منه ، فكمن له عبيدة بن هلال فضربه ، واحتمله أصحابه ، فظنت الخوارج أنه قد قتل ، فكانوا إذا تواقفوا نادوهم : ما فعل الهـرَّار ؟ فيقولـون : مـا بـه مـن بأس ، حتى أَبَلَّ من عِلَّتِهِ ، فخرج إليهم فقال: يا أعداء الله أترون بي بأسًا ؟ فصاحوا بـه: قد كنا نري أنك لحقت بأمك الهاوية النار الحامية .

* * *

قال أبو العباس :نفسر أشياء من العربية تحتاج إلى الشرح. مـن ذلـك قولـه "**لـولاك**"، ومنه قوله ": **ألم تروا جيًّا** " ومنه قوله " **يَهُرُّكم بالليل والنهار** " .

أما قوله " **لولاك** " فإن سيبويه يزعم أن " **لولا** " تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء ، فيقال : إذا قلـت : " **لـولاك** " فمـا الدليـل علـى أن الكـاف مخفوضـة دون أن تكون منصوبة ، وضمير النصب كضمير الخفض؟ فيقول :إنك تقول لنفسـك :"**لـولاي**"، ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء ، كقولك " **رمـاني وأعطـاني**"،و قـال الشـاعر وهو يزيد بن الحكم الثقفي:

وكم مَوْطِنٍ لولاي طِحْتَ كمـا هـوى[2] **بأجرامـه مـن قُلَّـةِ النِّيقِ مُنْهَـوِي**[3]

---

(١)بهامش بعض النسخ ما نصه : ابن شاذان : المضمار : الغاية يقال : جرى في مضماره. والمضمـار أيضًا : الموضع الذي يضمر فيه الفرس " .

(٢)(وكم موطن) من كلمة يعاتب فيها ابن عمه يقول فيها قبل هذا

فليـــت كفافـــا كـــان خـــيرك كلـــه وشـرك عنـي مـا ارتـوى المـــاء مرتـــو

عـــدوك يخشــــى صولتــــى إن لقيتـــه وأنـــت عـــدوي ليـــس ذاك بمســـتو

وكم موطن البيت. وطحت من طاح يطيح ويقال يطوح طيحًا وطوحا أشرف على الهلاك أو هلك رغبة الآمل ٨/٤٩ .

(٣) البيت مـن الطويـل لـه فى الأزهيـة صــ١٧١، وخزانـة الأدب (٥/٣٣٦،٣٣٧،٣٤٢)، والـدرر (٤/١٧٠)،وسر صناعـة الإعـراب صــ٣٩٥،وشـرح أبيـات سـيبويه (٢/٢٠٢)،وشـرح المفصـل (٣/١١٨)،(٩/٢٣)،والكتاب (٢/٣٧٤)، ولسان العرب (١٢/٩٢)(جرم)،(١٥/٣٧٠)(هوا) ،وبـلا نسبة فى الإنصاف (٢/٦٩١)، والجنـى الدانى ص٦٠٣، وجواهـر الأدب صــ٣٩٧، وخزانـة الأدب (١٠/٣٣٣)،ورصف المبانى صـ٢٩٠، وشرح الأشمونـى (٢/٢٨٥)، وشـرح ابـن عقيـل صــ٣٥٣، ولسان العرب (١٥/٤٧٠)(إمالا) والممتع فى التصريف (١/١٩١)، والمنصف (١/٧٢) .

" النِّيقُ " : أعلى الجبل ، " وجِرْم " الإنسان : خَلْقُهُ .

فيقال له : الضمير في موضع ظاهر ، فكيف يكون مختلفاً ؟ وإن كان هذا جائزًا فلم لا يكون في الفعل وما أشبهه نحو " **إن** " وما كان معها في الباب ؟ .

وزعم الأخفش أن الضمير مرفوع ، ولكن وافق ضمير الخفض ، كما يستوي الخفض والنصب [1]. فيقال : فهل هذا في غير هذا الموضع ؟ !

قال أبو العباس: والذي أقوله أن هذا خطأ ، لا يصلح أن تقول إلا "**لولا أنت**" [2] قال الله عز وجل ﴿ **لولا أنتم لكنا مؤمنين** ﴾[3] ومن خالفنا فهو لابد يزعم أن الذي قلناه أجود ، ويَدَّعِي الوجه الآخرفيجيزه على بعد .

وأما " **جَيٌّ** " فالأجود فيها أن تقول :

ألم ترَوْا جَيَّ على المضمار

فلا تنون ؛ لأنها مدينة[4] ، والاسم أعجمي ، والمؤنث إذا سمي باسم أعجمي على ثلاثة أحرفٍ لم ينصرف إذا كان مؤنثًا وإن كان أوسطه ساكنًا نحو جُوْر وحمص وماه[5] وما كان مثل ذلك ، ولو كان اسمًا لمذكَّر لانصرف ، فإن صرفت جعلته اسمًا لبلد ، وإن لم تصرف جعلته اسماً لبلدةٍ أو لمدينة ، ألا ترى أنك تصرف ، نوحاً ولوطاً، وهما أعجميان؟ وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك ؛ لأنك تصرف"**قدما**"لو سميت بها رجلاً، فالأعجمي بمنزلة المؤنث ؛ لأن امتناعهما واحد .

وأما قوله "**يَهُرُّكُمُ** " فإن كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديًّا فإن المضارع منه على " **يَفْعُلُ** " نحو شَدَّه يَشُدُّه[6] ، ورده يرده ، وحله يحله . وجاء منه حرفان على " **يَفعِلُ** " ، و" **يَفعُلُ** " فيهما جيد : هَرَّه يَهِرُّه : إذا كرهه ، ويَهُرُّه أجود،

---

(١) في بعض النسخ : ولكن يستوي ضمير الخفض والرفع كما يستوي ضمير الخفض والنصب .

(٢) في بعض النسخ " لا يصلح إلا أن تقول لولا أنت " .

(٣) سورة سبأ : ٣١ .

(٤) بناحية أصبهان القديمة . معجم البلدان ٢/٢٠٢ .

(٥) جور : مدينة بفارس ، وماه: قصبة البلد أي بلد كان .انظر معجم البلدان ٢/١٨١ ، ٥/٤٨ .

(٦) وجاء يَشِدُّه بالكسر ، انظر أدب الكاتب ٤٧٩ .

وعَلَّهُ بالحِنَّاء يَعُلُّهُ ، ويعله أجود . ومن قال حَبَبْتُهُ قال يحبه لا غَير ، وقرأ أبو رجاء العُطَارِدِيُّ ﴿فاتبعوني يَحِبَّكُمُ الله ﴾[1] وذلك أن بني تميم تُدْغِم في موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين .

* * *

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

رجع الحديث

قال أبو العباس : ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم،فأرادوا تولية عبيدة بن هلال، فقال : أدلكم على من هو خير لكم مني ، من يطاعن في قُبُلٍ ،ويحمي في دُبُرٍ، عليكم قطري بن الفجاءة المازني . فبايعوه ، فوقف بهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين، امض بنا إلى فارس ، فقال : إن بفارس عمربن عبيد الله بن معمر ، ولكن نصير إلى الأهواز ، فإن خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها . فأتوا الأهواز ، ثم ترفعوا عنها إلى إيذَجَ[1].

وكان المصعب قد عزم على الخروج إلى باجُمَيْرَا[2] ، فقال لأصحابه: إن قطريًا قد أطل علينا ، وإن خرجنا عن البصرة دخلها ، فبعث إلى المهلب فقال: اكفنا هذا العدو، فخرج إليهم المهلب ، فلما أحس به قطري يمم نحو كَرْمَان وأقام المهلب بالأهواز ثم كر عليه قطري وقد استعد ، فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم، بكثرة السلاح ، وكثرة الدواب ، وحصانة الجُنَنِ ، فحاربهم المهلب فنفاهم إلى رام هُرْمُز .

وكان الحارث بن عميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مراغما لِعَتّاب بن ورقاء، يقال: إنه لم يُرْضِهِ عن قتله الزبير بن علي ، وكان الحارث بن عميرة هو الذي تولى قتله وخاض إليه أصحابه ، ففي ذلك يقول أعشى همدان :

إن المكارم أكْمِلَتْ أسبابُها ... لابن الليوث الغُرِّ من قحطان

للفارس الحامي الحقيقة معلمًا ... زاد الرفاق إلى قرى نجران

الحارث بن عميرة الليث الذي ... يحمي العراق إلى قُرَى كَرْمان

وَدَّ الأزارقُ لو يُصابُ بطعنةٍ ... ويموت من فرسانهم مائتان

ويُرْوَى : زاد الرفاق وفارس الفرسان

قوله : " زاد الرفاق " تأويله[3] : أن الرفقة إذا صحبها أغناها عن التزود ، كما قال جرير وأراد ابن له السفر ، وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة ، فقال لأبيه: زودني، فقال جرير :

---

(١) إيذج : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان . معجم البلدان ٢٨٨/١ .

(٢) انظر معجم البلدان ٣١٤/١ ، ومعجم ما استعجم ٢٢٠ .

(٣) في بعض النسخ : قال أبو العباس : قوله زاد الرفاق وفارس الفرسان تأويله ....

أزادًا سوى يحيي تريد وصاحبًا ألا إن يحيي نعم زاد المسافر
فما تُنْكِرُ الكوماءُ ضربة سيفه إذا أَرْمَلوا [١] أو خَفَّ ما في الغرائر [٢]

وقوله : ويموت من فرسانهم يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً ، فالرفع على العطف ، ويدخل في التمني ، والنصب على الشرط والخروج من العطف وفي مصحف ابن مسعود ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنوا ﴾ والقراءة ﴿ فيدهنون ﴾[٣] على العطف وفي الكلام : ود لو تأتيه فتحدثه ، وإن شئت نصبت الثاني .

وخرج مصعب إلى باجُمَيْرا ، ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ، ولم يأت المهلب وأصحابه ، فتواقفوا يومًا على الخندق ، فناداهم الخوارج : ما تقولون في المصعب؟ قالوا : إمام هدى ، قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : ضال مضل . فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل المصعب، وإن أهل الشأم قد اجتمعوا على عبد الملك ، وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارج : ما تقولون في المصعب؟ قالوا: لا نخبركم ! قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا:إمام هدى! قالوا : يا أعداء الله! بالأمس تقولون ضال مضل واليوم إمام هدى! يا عَبَيْد الدنيا عليكم لعنة الله!!

* * *

وولي خالد بن عبد الله بن أسيد[٤] فقدم فدخل البصرة،وأراد عزل المهلب،فأُشِير[٥] عليه بأن لا يفعل،وقيل له:إنما أَمِنَ أهل هذا المصر بأن المهلب بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس ،فقد تنحَّى عمر ،وإن نحَّيتْ المهلب لم تأمن على البصرة الأزارقة، فأبى إلا عزله، فقدم المهلب البصرة ، وخرج خالد إلى الأهواز ، فأشخصه، فلما صار بِكُرْبجُ دِينار لقيه قطري فمنعه حط أثقاله ،وحاربه ثلاثين يومًا ، ثم أقام قطري بإزائه، وخندق على نفسه،

---

(١) (أرملوا) نفد زادهم ويقال أرملوا زادهم أنفدوه والرواية

فما تأمن الوجناء وقعة سيفه إذا أنفضوا أو خف ما فى الغرائر .

رغبة الآمل ٥٢/٨ .

(٢) البيتان من بحر الوافر في ديوانه (صـ١٨٠) وفى روايته بعض اختلاف .

(٣) سورة القلم : ٩ . وانظر البحر ٣٠٩/٨ .

(٤)كذا وقع ،وهو خالد بن عبد الله بن أسيد،انظر أنساب الأشراف ٤٥٨/١/٤ ، ٤٦٢ - ٤٧٨ .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " الذي أشار عليه بذلك ابن النعمان بن صُهْبان الراسبيُّ " .

فقال المهلب : إن قطريًا ليس بأحق بالخندق منك، فعبر دُجَيْلاً إلى شق نهر تيرى، واتّبعه قطري ، فصار إلى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخندق عليها، فقال المهلب لخالد: خندق على نفسك ، فإني لا آمن عليك البيات ، فقال : يا أبا سعيد ، الأمر أعجل من ذلك ، فقال المهلب لبعض ولده : إني أرى أمرًا ضائعًا ، ثم قال لزياد بن عمرو : خَنْدِقْ علينا ، فخندق المهلب وأمر بسفنه ففرغّتْ، وأبى خالد أن يفرغ سفنه ، فقال المهلب لفيروز حصين : صِرْ معنا ، فقال : يا أبا سعيد، الحزم ما تقول ، غير أني أكره أن أفارق أصحابي، قال: فكن بقربنا ، قال : أما هذه فنعم .

وقد كان عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يُمِدَّ خالدا بجيشٍ كثيف، أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، ففعل ، فقدم عليه عبد الرحمن ، فأقام قطري يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يومًا ، فقال المهلب لمولى لأبي عيينة : انتبذ إلى ذلك الناووس[1] فبت عليه في كل ليلة فمتى أحسست خبرًا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل إلينا ، فجاءه ليلة فقال : قد تحرك القوم ، فجلس المهلب بباب الخندق ، وأعد قطري سفنًا فيها حطب فأشعلها نارًا وأرسلها على سفن خالد ، وخرج في أدبارها حتى خالطهم ، فجعل لا يمر برجل إلا قتله ولا بدابة إلا عقرها ، ولا بفسطاط إلا هتكه ، فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج في مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ ، وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاءً حسنًا ، وخرج فيروز حصين في مواليه ، فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه ، فأثّرَ أثرًا جميلاً ، فصرع يزيد بن المهلب يومئذ ، وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا ، وسقط فيروزحصين فى الخندق فأخذ بيده رجلٌ من الأزد فاستنقذه ، فوهب له فيروز عشرة آلاف درهم ، وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء، فجعل لا يرى إلا قتيلا أو صريعًا، فقال للمهلب : يا أبا سعيد ، كدنا نفتضح ، فقال : خندق على نفسك ، فإن لم تفعل عادوا إليك ، فقال : اكفني أمر الخندق ، فجمع له الأخماس ، فلم يبق شريف إلا عمل فيه ، فصاح بهم الخوارج : وا لله لولا هذا الساحر المَزُوني لكان الله قد دمر عليكم. وكانت الخوارج تسمي المهلب

---

(١) انتبذ : اذهب إليه منفرداً ، والناووس على فاعول إن كان عربيا وهو: مقابر النصاري . عن رغبة الأمل ٨/٥٤.

الساحر ؛ لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبق إلى نقض تدبيرهم . فقال أعشى همدان لابن الأشعث في كلمة طويلة:

ويوم أهوازك لا تنسه ليس الثنا والذكر بالدائر [1]

وقد ذكرنا في قصر الممدود ، من أن مد المقصور لا يجوز ما يغني عن إعادته .

ونذكر فيروز حصين لِمَا مر من ذكره .

وكان فيروز حصين رجلاً جيد البيت في العجم ، كريم المحتد ، مشهور الآباء ،فلما أسلم والى حصينًا ، وهو حصين بن عبد الله العنبري ، من بني العنبر بن عمرو بن تميم، ثم من ولد طريف بن تميم ، وكان فيروز حصين شجاعًا جوادًا ، نبيل الصورة، جهير الصوت . وتَرْوي الرواة أن رجلاً من العرب كانت أمه فتاة ، فقاول بني عم له، فسبوه بالعجمية ، ومر فيروز حصين ، فقال : هذا خالي ، فمن منكم له خال مثله؟ وظن الفتى، فيروز لم يسمعها ، وسمعها فيروز ، فلما صار إلى منزله بعث إلى الفتى فاشترى له منزلاً وجارية ، ووهب له عشرة آلاف درهم .

ومن مآثره المعروفة أن الحجاج بن يوسف لما واقف ابن الأشعث بِرُسْتَقَاباذَ نادى منادي الحجاج : من أتاني برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ، فنصل فيروز من الصف ، فصاح بالناس : من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين ، وقد عرفتم مالي ووفائي ، فمن أتاني برأس الحجاج له مائة ألف ، قال الحجاج : فوا لله لقد تركني أكثر التلفت وإني لبين خاصَّتي . فأُتِيَ به الحجاج فقال له : أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف درهم ؟ قال : قد فعلت ، فقال:وا لله لأُمَهدَنَّك ثم لأحملنك، أين المال؟ قال : عندي ، فهل إلى الحياة من سبيل ؟ قال : لا، قال : فأخرجني إلى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق عليإفافعل الحجاج ، فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه، وأعتق رقيقه ، وتصدق بماله ، ثم رد إلى الحجاج فقال : شأنك الآن فاصنع ما شئت، فَشُدَّ في القصب الفارسي ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ، ثم نُضِحَ بالخل والملح ، فما تأوَّه حتى مات .

---

(١) الرواية مغيرة ، والصواب " بالبائد " .

والبيت فى الأغانى (٥٦/٦)وروايته :

ويوم الأهواز فلا تنسه ليس الثنا والقول بالبائد

ومضى قطري إلى كرمان ، وانصرف خالد إلى البصرة ، فأقام قطري بكرمان أشهرًا ، ثم عمد لفارس ، فخرج خالد إلى الأهواز ، وندب للناس رجلاً فجعلوا يطلبون المهلب ، فقال خالد : ذهب المهلب بحظ هذا المصر ، إني قد وَلَّيْتُ أخي قتال الأزارقة ، فَوَلَّى أخاه عبد العزيز ، واستخلف المهلب على الأهواز في ثلثمائة ، ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفًا ، والخوارج بِدَرًا بَجَرْدَ ، فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : يزعم أهل البصرة ، أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب ، فسيعلمون !

قال صعب بن زيد : فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءني كُرْدُوسٌ حاجب المهلب فقال : أجب الأمير ، فجئت إلى المهلب وهو في سطح ، وعليه ثياب هروة، فقال: يا صعب ، أنا ضائع ، كأني أنظر إلى هزيمة عبد العزيز ، وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي ، فابعث رجلاً من قبلك يأتيني بخبرهم سابقًا إلي به ، فوجهت رجلاً يقال له عمران بن فلان [1] ، فقلت : اصحب عسكر عبد العزيز واكتب إلي بخبر يوم يوم ، فجعلت أورده علي المهلب .

فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة ، فقال له الناس : هذا يوم صالح فينبغي أن تنزل - أيها الأمير - حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا ، فقال: كلا ، الأمر قريب[2] ، فنزل الناس على غير أمره ، فلم يُسْتَتَمَّ النزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع في خمسمائة فارس، كأنهم خيط ممدود ، فناهضهم عبد العزيز ، فواقفوه ساعة ، ثم انهزموا عنه مكيدة، فاتبعهم ، فقال له الناس : لا تتبعهم فإنا على غير تعبية ، فأبى ، فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة ، فاقتحمها وراءهم ، والناس ينهونه ويأبي ، وكان قد جعل على بني تميم عبس بن طلق الصريمي الملقب عَبْسَ البطعَان،وعلى بكر بن وائل مُقَاتِل بن مِسْمَعٍ القَيْسيَّ، وعلى شرطته رجلاً[3] من بني ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نزار، فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم،

---

(١) قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " عمران بن محيريز . للمدائني " .

(٢) قال محقق س في كلا : إلا من قريب ، وكذا في نسخة وهو تحريف فيهما ، ثم صححت بهامش نسخة فجعلت كما أثبت . وفي بعض النسخ:" إلا الأمر قريب " بإقحام " إلا " وهو خطأ، وأغلب الظن أن "إلا" من " الأمر " كررت في نسخة قديمة خطأ فتوارثته النسخ .

وما أثبته من الأصل ونسخة وهامش نسخة هو الصواب ، وفي نسخة : إن الأمر قريب.

(٣) قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " هو هواسة بن الحكم أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . اهـ عن المدائني " .

وكان لهم في بطن العقبة كمين ، فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين، وعطف سعد الطلائع ، فترجل عبس بن طلق فقتل ، وقتل مقاتل بن مسمع ، وقتل الضُبَعيُّ صاحب الشرطة،وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج فرسخين يقتلونهم كيف شاءوا،وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته ، فَسَبَوُا النساء يومئذ، وأخذوا أسرى لا تحصى، فقذفوهم في غار بعد أن شَدُّوهم وثاقا ، ثم سَدُّوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه .

قال رجل حضر ذلك اليوم : رأيت عبد العزيز وإن ثلاثين رجلاً ليضربونه بأسيافهم وما تحيك في جُنّتِهِ .

يقال ما أحاك فيه السيف ، ولا يحيك فيه ، وما حك ذا الأمر في صدري ، وما حكى في صدري ، وما احتكى في صدري ، ويقال : حاك الرجل في مشيته يحيك : إذا تبختر .

ونودي على السبي يومئذ ، فَغُولِيَ بأم حفص ، فبلغ بها رجل سبعين ألفًا ـ وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ، ففُرِضَ لكل رجل [1] منهم خمسمائة ـ فكاد يأخذها ، فشق ذلك على قطري وقال : ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفًا ، إن هذه لفتنة ، فوثب إليها أبو الحديد العبدي فقتلها ، فأتى به قطري فقال له : يا أبا الحديد ، مَهْيَمْ ؟ فقال : يا أميرالمؤمنين ، رأيت المؤمنين قد تزايدوا في هذه المشركة ، فخشيت عليهم الفتنة !! فقال قطري: أحسنت ، فقال رجل من الخوارج[2] :

كفانا فتنة عظمت وجَلّتْ ... بحمد الله سيف أبي الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا ... على فرط الهوى : هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنَصْل سيف ... رقيق الحد فِعْلَ فَتًى رشيد

قوله " أهاب" يريد : أعلن ، يقال : أهبت به : إذا دعوته ، مثل صوت به .

قال الشاعر :

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب ... وماتت نفوس للهوى وقلوب

---

(١) في أنساب الأشراف : " ففرض لهم الخوارج في خمسمائة خمسمائة " انظر شعر الخوراج ١٣٧ الحاشية (١) .

(٢) الأبيات من الوافر والثاني والثالث بلا نسبة فى لسان العرب (١٤٤/٣)(حدد)، وتاج العروس (١٢/٨) (حدد)

وقوله " مَهْيَمْ " حرف استفهام ، معناه : ما الخبر وما الأمر ، فهو دال على ذلك، محذوف الخبر وفي الحديث : " أن رسول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال : مَهْيَمْ ؟ فقال : تزوجت يا رسول الله ، قال : أَوْلِمْ ولو بشاةٍ ، وكان تزوج على نواة "[1] **وأصحاب الحديث يقولون:** " على نواة من ذهب، قيمتها خمسة دراهم[2] " .

وهذا خطأ وغلط ، العرب تقول " **نواة** " فتعني بها خمسة دراهم ، كما تقول " النَّشُّ " لعشرين درهمًا ، و" الأوقية " لأربعين درهمًا ، فإنما هو اسم لهذا المعنى .

وكان العلاء بن مُطَرِّفٍ السعدي ابن عم القنا وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مبارزة ، فلحقه عمرو القنا وهو منهزم ، فضحك عمرو وقال متمثلاً :

تَمَنَّاني ليلقاني لَقيطٌ   أعام لك ابن صعصعة بن سعد[3]

ثم صاح به : انج أبا المُصَدَّى! وكان عمرو القنا يُكْنَى أيضًا أبا المصدى .

وهذا البيت الذي تمثل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، يقوله يعني لقيط بن زرارة ، وكان يطلبه .

وقوله "أعام لك" يريد:يا عامر،فرخم،وإنما يريد الحي تعجبًا،أي لكم أعجب من تَمنِّيه للقائي،فدعا بني عامر بن صعصعة ، وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ويقال:إن عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة[4] ،لا ابن معاوية ، وإنهم ناقلة[5] في قيس ، ولذلك امتنعت بنوسعد من محاربتهم مع بني تميم يوم جبلة ، ولذلك أنذرهم كرب ابن صفوان .

وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء الذي معناه التعجب[6] ، وشبيه به قول الصلتان العبدي :

---

(١) أخرجه البخارى فى البيوع (٣٣٧/٤) .

(٢) انظر غريب الحديث ١٩٠/٢ ، والنهاية ١٣١/٥ .

(٣) البيت من الوافر ،وهو للأحوص (أو الأخوص) ابن شريح فى الكتاب (٢٣٨/٢)،والمقاصد النحوية(٣٠٠/٤)، وبلا نسبة فى الدرر (٥٠/٣)، وشرح التصريح (١٨٤/٢)، وهمع الهوامع (١٨١/١) .

(٤) في نسخة :" ابن زيد مناة بن تميم ". وانظر النقائض ٦٥٧، ١٠٦٤ .

(٥) الناقلة : القبيلة تنتقل من قوم إلى قوم .

(٦) فى بعض النسخ :الذي معناه معنى التعجب . وعنوان الباب في الكتاب : " هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء ...." .

فيا شاعرًا لا شاعر اليوم مثله جرير ولكن في كُلَيْبٍ تواضع[1]

على معنى قوله : فلله دره شاعرًا .

وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له ، إحداهما من بني ضبة يقال لها أم جميل ، والأخرى بنت عمه ، وهي فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ، وحمل الضبية أولاً ، ففي ذلك يقول :

ألستُ كريمًا إذ أقول لفتيتي قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولو لم يكن عُودي نُضَارًا لأصبحتْ تُجَرُّ على المتنين أم جميل

* * *

قال الصعب بن زيد : بعثني المهلب لآتيه بالخبر ، فضربتُ إلى قنطرة أَرْبُكَ[2] علي فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم ، فلم أحس خبرًا ، فسرت مُهَجِّرًا إلى أن أمسيت، فلما أظلمنا سمعت كلام رجل[3] عرفته من الجهاضم[4] ، فقلت :ما وراءك؟ فقال: الشر،قلت: فأين عبد العزيز ؟ قال : أمامك ، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارسا معهم لواء ، فقلت : لواء من هذا ؟ قالوا : لواء عبد العزيز ، فتقدمت إليه ، فسلمت وقلت : أصلح الله الأمير ، لا يكبرن عليك ما كان ، فإنك كنت في شر جند وأخبثه، قال لي : أو كنت معنا ؛ قلت : لا ، ولكن كأني شاهدٌ أمرك ، قال : كأنك كنت معنا ، قلت : أرسلني المهلب لآتيه بخبرك ، ثم أقبلت إلى المهلب وتركته ، فقال لي : ما وراءك ؟ فقلت : ما يسرك ، وقد هُزِمَ وفل جيشه ! فقال : ويحك ! وما يسرني من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين ؟ ! قلت : قد كان ذاك ساءك أو سرك ، فوجه رجلاً إلى خالد يخبره ، قال الرجل : فلما أخبرت خالدًا قال : كذبت ولَؤُمْتَ ، ودخل رجل[5]

---

(١) البيت من الطويل ، وهو له فى خزانة الأدب (١٧٤/٢)، وشرح أبيات سيبويه (٥٦٥/١ ، ٥٦٨)، والشعر والشعراء (٥٠٨/١)، والصاحبى فى فقه اللغة صـ١٧٨، والكتاب (٢/ ٢٣٧)، ولسان العرب (٧١٣/١)(كرب)، والمؤتلف والمختلف صـ١٤٥، ومعاهد التنصيص (١١٩/١)، وبلا نسبة فى المقتضب (٤١٥/٤).

(٢) أربك : تضم باؤه وتفتح ،من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان ، معجم البلدان ١٣٧/١

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " هذا الرجل هو الحجاج بن عبد الله بن قيس الجهضمي " .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه:" قال الفراء:الجهضم:الضخم الهامة المستدير الوجه.وقال الخليل: تقول العرب تجهضم الفحل على أقرانه : إذا علاها بكلكله ، وبعير جهضم الجنين ، أي رحب " .

(٥) قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " هو عمران بن عزيز " .

من قريش فكذبني ، وقال لي خالد : وا لله لهممت أن أضرب عنقك ، قلت : أصلح ا لله الأمير ، إن كنت كاذبًا فاقتلني وإن كنت صادقًا فأعطيني مُطْرَفَ هذا المتكلف ! فقال خالد : لبئس ما أخطرت به دمك !! فما برحت حتى دخل بعض الفل .

وقدم عبد العزيز سوق الأهواز،فأكرمه المهلب وكساه،وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبًا،وقال له:تحسس عن الأخبار،فإن أحسست بخبر الأزارقة قريبًا منك فانصرف إلى البصرة،فلم يزل حبيب مقيمًا والأزارقة تدنو منه،حتى بلغوا قنطرة أربك، فانصرف إلى البصرة على نهر تيرى،فلما دخلها أُعْلِمَ خالدًا، فغضب عليه،واستتر حبيب في بني هلال بن عامر بن صعصعة وتزوج هناك في استتاره الهلالية أم عباد بن حبيب .

وقال الشاعر لخالدٍ يُفَيِّلُ رأيه ، أي يُخطِّئه :

بعثتَ غلامًا من قريش فَرُوقَةً[1] وتَتْرُكُ ذا الرأى الأصيل المُهَلَّبا

أبى الذم واختار الوفاء وأحْكِمَتْ قُواهُ وقد ساس الأمور وجَرَّبا[2]

وقال الحارث بن خالد المخزومي:

ـرَّ عبدُ العزيز إذْ راء عَبْسًا وابن داود نازلا قطريًّا [3]

ـاهد ا لله إن نجا مِلْمَنَايَا لَيَعُودَنَّ بعدها حُرْمِيًّا

ـسْكُنُ الخَلَّ والصِّفَاح ومَرًّا ن وسَلْعًا وتارة نجديًّا

---

(١) (فروقة) وفروق وفارقا وفارقة" بتخفيف الراء فيهن" وفروق وفروقة "بتشديد الراء " فيهما، كله شديد الفزع والخوف ، والهاء ليست لتأنيث الموصوف وإنما هى إشعار بما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة رغبة الآمل ٨/٦٤ .

(٢) البيتان من الطويل ،والأول بلا نسبة فى لسان العرب (١٠/٣٠٥)(فرق) ، والمذكر والمؤنث للأنبارى صـ٣١٦.

(٣) قال محقق س : في بعض النسخ : " وقال الحارث بن خالد المخزومي :

فـر عبد العزيز حين رأى الأبـ طال بالسفح نازلا قطريا

ويروى :

فـر عبد العزيز إذ راء عبسًا وابن داود نازلا قطريا

وفي نسخة : " لما رأى الأبطال " . وجاء البيتان متواليين في نسخة من غير قوله " ويروى " .

وبهامش نسخة ما نصه : " يروى"

فـر عبد العزيز حين رأى الأبـ طال بالسفح نازلوا قطريا

من غير علامة التصحيح .

وفي نسخة : " إذ راء عيسى " ؟ ولعله تصحيف . ولعله يعني بعبس عبس الطعان الصريمي .

وانظر شعر الحارث بن خالد ص ١٠٩ - ١١٠ .

يــث لا يَشْــهَدُ القتــال ولا يســـ ـــمع يومًــا لكــرٍّ خيــل دويًــا

قوله " إذ راء عبسًا " الأصل " رأى " ولكنه قلب فقدم الألـف وأخّـر الهمـزة كمـا قال كُثيِّرٌ:

وكـلُّ خليــل راءنــي فهــو قــائلٌ من اجلكِ هذا هامةُ اليـوم أوغـدِ[1]

والقلب كثير في كلام العرب ، وسنذكر منه أشياء في مواضعها إن شاء الله .

وقوله "مِلْمَنَايَا " يريد من المنايا ، ولكنـه حـذف النـون لقـرب مخرجهـا مـن اللام ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ، ومن كلام العرب أن يحذفـوا النـون إذا لقيـت لام المعرفـة ظـاهرة ، فيقولـون في بـني الحـارث وبـني العنـبر ومـا أشبه ذلــك : "بلحارث" و "بلعنبر" و " وبلهجيم " كما يقولون " علماء بنو فـلان " فيحذفـون إحـدى اللامين .

وقوله"لَيَعُودَنَّ بَعْدَها حُرْمِيًّا " العرب تنسب إلى الحرم فتقـول : "حِرْمِيٌّ" و "حُرْمِيٌّ" علي قولهم حُرْمَةُ البيت وحِرْمَةُ البيت قال النابغة الذبياني:

مـن قـول حُرْمِيَـة [2] قـالتْ وقـد ظعنـوا هل في مُخِفِّيكُمْ مَن يَشْـتَرِي أَدَمًـا[3]

و" الخَلُّ " ههنا موضع [4] ، وأصله الطريقُ في الرمل .

---

(1) من الطويـل ، وهـو لكثير عزة في ديوانه صـ٤٣٥، ولسـان العـرب (٦٢٤/١٢)(هـوم)، (٣٠٤/١٤)(رأى)، والكتاب (٣/ ٤٦٧).

(2) (من قول حرمية) كذلك يروى " بالكسر والضم " ورواية ديوانه من صوت حرمية وقبله :

وأقطــع الخــرق بالخرقــاء قــد جعلــت بعـد الكـلال تشـكى الأيـنَ والسـأما

كــادت تســاقطنى رحلـــى وميَـــزرتى بـذى المجـاز ولم تُحْسِسْ بــه نغمـا

من صوت إلخ والميثرة " بكسر الميم " وطاء محشو يـترك على رحـل البعير تحت الراكـب والجمـع المواثر على الأصل والمياثِر على المعاقبة والمخف "بتشديد الفاء" الخفيف المتاع والرواية هل فى مخيفكـم من أخاف القوم نزلوا خَيْفَ منى أو أتوه . يصف ناقته بالذكاء والأدم الجلد ، رغبة الآمل ٦٦/٨.

(3) البيـت مـن البسـيط ،وهــو للنابغـة الذبيــانى فــى ديوانــه صــ٦٤،ولسـان العــرب (١٠٣/٩)(خيـف)،(١٢١/١٢)(حـرم)، وجمهـرة اللغـة صـ٥٢١،ومقـاييس اللغـة (٤٦/٢)، ومجمـل اللغة(٥٠/٢) ، والمخصص (٢٥٧/١٤)، وأساس البلاغة (خيف)، وتاج العروس (حرم) .

(4) قال الشيخ المرصفي : " بين مكة والمدينة . والصفاح بكسر الصاد : موضع بين حنين وأنصاب الحرم . ومَرَّان بفتح الميم : موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة أو بينه وبين مكة ثمانية عشـر ميلا . وسَلْع موضع قرب المدينة أو جبل بسوقها " رغبـة الآمـل ٦٦/٨. وانظـر معجـم البلـدان الخـل ٣٨٤/٢ وسلع ٢٣٦/٣ ، والصفاح ٤١٢/٣ ، ومران ٩٥/٥ .

وكتب خالد إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز ، وقال للمهلب : ما ترى عبد الملك صانعًا بي ؟ قال : يعزلك ، قال : أتراه قاطعًا رحمي ؟ قال : نعم ،أتته هزيمة أمية أخيك من البحرين ، وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس .

فكتب عبد الملك إلى خالد : بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإني كنت حددت لك حدًا في أمر المهلب ، فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك ، فوليت المهلب الجباية،ووليت أخاك حرب الأزارقة ، فَقَبَّحَ[1] الله هذا رأيًا ، أتبعث غلامًا غرًا لم يجرب الحروب للحرب ، وتترك سيدًا شجاعًا مدبرًا حازمًا قد مارس الحروب تشغله بالجباية ؟! أما والله لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيري ما لا بقية لك معه ، ولكن تذكرت رحمك فكفتني[2] عنك، وقد جعلت عقوبتك عزلك .

وولّى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب إليه :

أما بعد ، فإنك أخو أمير المؤمنين ، يجمعك وإياه مَرْوان بن الحكم ، وإن خالدًا لا مجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية ،فأنظر المهلب بن أبي صفرة ، فوله حرب الأزارقة، فإنه سيد بطلٌ مُجَرَّبٌ ، وأمدده[3] من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل .

فشق عليه ما أمره به في المهلب ، وقال : والله لأقتلنه ، فقال له موسى بن نصير: أيها الأمير ، إن للمهلب حفاظًا وبلاء ووفاء .

وخرج بشر بن مروان يريد البصرة ، فكتب موسى وعكرمة إلى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به ، فتلقاه المهلب على بغل ، فسلم عليه في حمار الناس ، فلما جلس بشر مجلسه قال : ما فعل أميركم المهلب؟قالوا : قد تلقاك أيها الأمير وهو شاك[4]فهم بشر أن

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن دريد : قبح الله الرجل تقبيحًا ، وقبحه قبحًا مفتوح في معنى الدعاء عليه . ورجل قبيح وقباح "اهـ . وانظر الجمهرة ١/٢٢٧ .

(٢) قال محقق س : في بعض النسخ : " فلفتتني " . وبهامش نسخة ما نصه : المهلبي : لفت الشيء ألفته لفتا : إذا لويته . ولفت ردائي على عنقي : إذا عطفته " .

(٣) وبهامش بعض النسخ ما نصه :" يقال : أمدَّ الأمير الجيش والمدد : ما أمددت به قومًا في الحرب أو غيرها من الطعام والأعوان .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال أبو يعقوب : حدثني ابن شاذان عن أبي عمرو عن ثعلب قال : الشَّكِيُّ : الذي يشتكي وجعاً أو غيره الشَّكِيُّ : المَشْكُوُّ أيضًا ، شكَوْتُه فهو شَكِيٌّ ومَشْكُوٌّ . قال : وقال الخليل : الشكوى : الاشتكاء ، تقول اشتكي يشتكي اشتكاء ، يستعمل ذلك في الموجدة والمرض ، تقول : هو شاك ومريض قد اشتكى وتشكى " .

يولي حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله ، فقال له أسماء بن خارجة : إنما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك ، فقال له عكرمة بن رِبْعيٍّ : اكتب إلى أمير المؤمنين فأعلمه علة المهلب، فكتب إليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يُغْني غَنَاءَهُ ، ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم إليه ،رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعي ، فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله فقال: إن لك دينًا ورأيًا وحزمًا ، فمن لقتال هؤلاء الأزارقة ؟ قال المهلب ، قال: إنه عليل، قال: ليست علته بمانعة ، قال عبد الملك : أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد .

فكتب إلى بشر يعزم عليه أن يولي المهلب ، فوجه إليه ، فقال المهلب : أنا عليل ولا يمكنني الاختلاف ، فأمر بشر بحمل الدواوين إليه ، فجعل ينتخب ، فاعترض عليه بشر، فاقتطع أكثر نخبته ، ثم عزم عليه ألا يقيم بعد ثالثة ، وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات، فخرج إليهم المهلب حتى صار إلى شَهَارَ طاق، فأتاه شيخ من بني تميم فقال : أصلح الله الأمير،إن سني ما ترى ، فهبني لعيالي، قال: على أن تقول للأمير إذا خطب فحثكم على الجهاد : كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ؟ ففعل الشيخ ذلك، فقال له بشر:وما أنت وذاك؟ قال لا شيء، وأعطى المهلب رجلاً ألف درهم على أن يأتي بشرًا فيقول له:أيها الأمير، أعِنِ المهلب بالشرطة والمقاتلة ، ففعل الرجل ذلك ، فقال له بشر : ما أنت وذاك ؟ قال نصيحة حضرتني ، للأمير وللمسلمين و لا أعود إلى مثلها ، فأمده بالشرطة والمقاتلة .

وكتب بشر إلى خليفته بالكوفة ، يعقد لعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ على ثمانية آلاف، من كل رُبْع ألفين ، ويوجه به مددًا إلى المهلب ، فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبد الرحمن ابن مخنف الأزدي فعقد له ، واختار له من كل ربع ألفين ، فكان على ربع أهل المدينة بشر ابن جرير البَجَلي ، وعلى رُبْعِ تميمٍ وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن إسحاق بن الأشعث الِكْنِديُّ وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس المَذحجيُّ ، فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف، فقال له: قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك ، فكن عند ظني ، انظر هذا المزوني فخالفه في أمره، وأفسد عليه رأيه ، فخرج عبد الرحمن وهو يقول : ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام! يأمرني أن أُصَغِّرَ شيخًا من مشايخ أهلي وسيدًا من ساداتهم ! فلحق بالمهلب .

* * *

فلما أحس الأزارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات ، فاتّبعهم المهلب إلى سوق الأهواز ، فنفاهم عنها ، ثم اتّبعهم إلى رام هرمز فنفاهم عنها ، فدخلوا فارس ، وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء شديدًا تقدم فيه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، فلما صار القوم بفارس وجَّه إليهم ابنه المغيرة ، فقال له عبد الرحمن بن صُبَيْح : أيها الأمير ، إنه ليس لك برأي قتل هذه الأكْلُب ، ولئن - وا لله - قَتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ في بيتك ، ولكن طَاوِلْهُمْ وكُلْ بهم ، فقال : ليس هذا من الوفاء .

فلم يلبث [1] برام هرمز إلا شهرًا حتى أتاهم موت بشر ، فاضطرب الجند على ابن مخنف ، فوجَّه إلى محمد بن إسحاق بن الأشعث وإلى ابن زحرٍ واستحلفهما ألا يبرحا، فحلفا له ، ولم يفيا ، فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الأهواز، وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب ، فخطبهم فقال : إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تَذُبُّونَ عن مِصْرِكم وأموالِكم وحُرَمِكُم ، فأقام منهم قومٌ وتسلل منهم ناس كثير .

وكان خالد بن عبد ا لله خليفة بشر بن مروان ، فوجَّه مولًى له بكتاب منه إلى من بالأهواز ، يَحْلِفُ فيه با لله مجتهدًا ، لئن لم يَرْجِعُوا إلى مراكزهم وانصرفوا عصاةً لا يظفر بأحد منهم إلا قتله ، فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم و لا يرى في وجوههم قبوله، فقال : إني لأرى وجوها ما القبول من شأنها ! فقال له ابن زحر : أيها العبد ، اقرأ ما في الكتاب وانصرف إلى صاحبك ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا،وجعلوا يستحثونه بقراءته، ثم قصدوا قصد الكوفة ، فنزلوا النخيلة ، وكتبوا إلى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول ، فأبى ، فدخلوها بغير إذن .

* * *

فلم يَزَلِ المهلب ومن معه من قواده وابن مِخْنَفٍ في عدد قليل ، فلم ينشبوا أن ولي الحجاج العراق ، فدخل الكوفة قبل البصرة ، وذلك في سنة خمس وسبعين ، فخطبهم وتهددهم - وقد ذكرنا الخطبة مُتَقَدِّمًا - ثم نزل فقال لوجوه أهلها : ما كانت الولاة تفعل بالعُصاةِ ؟ فقالوا : كانت تضرب وتحبس ، فقال الحجاج : لكن ليس لهم عندي إلا

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه :" يقال : لبث بالمكان يلبث ولَبْثًا فهو لابث ، وألبثته إلباثاً ، ولي لبثة على هذا الأمر أي توقف "

السيف ، إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ، ولو ساغت المعصية لأهلها ما قُوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِيَ فَيءٌ ولا عزَّ دينٌ .

ثم جلس لتوجيه الناس ، فقال : قد أجَّلْتكُمْ ثلاثًا ، وأُقسم با لله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلته ، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شُرَطِهِ : إذا مضت ثلاثةُ أيام فاتّخذا سيوفكما عصيًّا ، فجاءه عمير بن ضابيء البُرْجُمِيُّ بابنه ، فقال : أصلح ا لله الأمير، إن هذا أنفع لكم مني ، هو أشد بني تميم أيدًا، وأجمعهم سلاحًا ، وأرْبَطُهم جأشًا ، وأنا شيخ كبير عليل ، واستشهد جُلَسَاءَهُ ، فقال له الحجاج : إن عُذْرَك لواضِحٌ ، وإن ضعفك لبين ، ولكني أكره أن يجترئَ بك الناس علي، وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ، ثم أمر به فقتل ، فاحتمل الناس، وإن أحدهم لَيُتْبَعُ بزاده وسلاحه ، ففي ذلك يقول ابن الزبير الأسدي :

أقول لعبد ا لله يوم لقيته	**أرى الأمر أمسى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبَا**(1)
تَخَيَّر فإمَّا أن تزور ابن ضابئ	**عميرا وإما أن تزور المهلّبا**
هما خطتا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما	**رُكُوبك حَوْلِيًّا من الثّلْج أشهبا**
فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه	**يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا**
فأضحى ولو كانتْ خُراسانُ دونه	**رآها مكان السوق أو هِيَ أَقْرَبَا**(2)

وهَرَبَ سَوَّار بن المُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ من الحجاج وقال :

أقاتِلِيَ الحجاجُ إِن لم أزُرْ له	**دَرَابَ وأَتْرُكُ عند هندٍ فؤاديا**

وقد مرت هذه الأبيات .

* * *

---

(1) (أقول لعبد ا لله) هذا غلط صوابه كما سلف أقول لإبراهيم . يريد إبراهيم بن عامر أحد بنى غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد وكان لقى ابن الزبير فى السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير أوقل لإبراهيم الأبيات وقد سلف بيانها .

قال الشيخ المرصفي : "هذا غلط صوابه كما سلف : أقول لإبراهيم . يريد إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وكان لقي ابن الزبير في السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير : أقول لإبراهيم ......الأبيات . وقد سلف بيانها " . رغبة الآمل ٧٢/٨ وانظر ٧٨/٤.

(2) الأبيات من الطويل له فى ديوانه ، والأغانى (٢٣٨/١٤) دون البيت قبل الأخير ،وفى روايته بعض اختلاف .

فخرج الناس عن الكوفة ، وأتى الحجاج البصرة ؛ فكان عليهم أشد إلحاحًا ، وقد كان أتاهم خبره بالكوفة ، فَتحمَّل الناسُ قبل قُدُومِهِ ، فأتاه رجل من بني يَشْكُرَ[1] ، وكان شيخًا كبيرًا أعور ، وكان يجعل على عينه العوراء صوفةً،فكان يلَّقبُ ذا الكُرْسُفَةِ، فقال : أصلح الله الأمير!إن بى فتقًا ، وقد عذرني بشْر،وقد رَدَدتُ العطاء ، فقال إنك عندي لصادق ، ثم أمر به فضربت عنقه [2] ، ففي ذلك يقول كَعْبٌ الأشقري أو الفرزدق :

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربةً تقرْقَرَ منها بطنُ كل عَرِيْفِ

ويروى عن ابن ميرة قال : إنا لنتغدَّى معه يومًا إذ جاءه رجل من بني سُلَيْم برجل يقوده ، فقال : أصلح الله الأمير!إن هذا عاص ، فقال له الرجل : أَنْشُدُكَ الله أيها الأمير في دمي ، فوا الله ما قبضت ديوانًا قط ، ولا شهدت عسكرًا ، وإني لَحَائِكٌ أخذت من تحت الحَفِّ ، فقال : اضربوا عنقه ، فلما أحس بالسيف سجد ، فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الأكل ، فأقبل علينا الحجاج فقال : مالي أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهكم وحَدَّ نظركم من قتل رجل واحد ؟! إن العاصى يَجمعُ خِلالاً: يُخِلُّ بمركزه ، ويَعْصِي أميره ، ويَغُرُّ المسلمين من نفسه وهو أجير لهم ، وإنما يأخذ الأجرة لما يعمل ، والوالي مخير فيه ، إن شاء قتل وإن شاء عفا.

ثم كتب [3] إلى المهلب : أما بعد ، فإن بشرًا رحمه الله استكره نفسه عليك ، وأراك غِناهُ عنك ، وأنا أُريكَ حاجتي إليك ، فأرني الجِدَّ في قتال عدوك ، ومن خفته على المعصية ممن قِبَلَكَ فاقتله ، فإني قاتل من قِبَلي ومن كان عندي من وَلِيٍّ لمن هرب عنك فأعلمني مكانه [4] ، فإني أرى أن آخذ السَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ والوَلِيَّ بالوَلِيِّ .

---

(١)قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " هو زياد بن يشكر بن عمرو أحد بني ثعلبة " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن السكيت : العنق مؤنث في قول أهل الحجاز ، وتصغيرها عُنيقةٌ . وأسدٌ تذكّره ، وإذا حقّروه قالوا : هذا عُنَيْقٌ طويلٌ .

(٣) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " يقال : ما يغْني عنك غناء أي ما يجزئُ عنك ، والغناء مثل الجَدَاءِ ، والغَنَاءُ : الإجْزَاء ، وتقول : رجل مُغْنٍ أي مُجْزئٌ ، والفعل غني فهو غان ، اهـ . والصواب " غناه " كما أثبت ، وانظر قول الحجاج : " وأنا أريك حاجتي إليك" .

(٤) في بعض النسخ : ومن كان عندي أو هرب منك حيث توجّه فأعلمني مقامه .

فكتب إليه المهلب: ليس قبلي إلا مطيع، وإن الناس إذا خافوا العقوبة كبروا الذنب، وإذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب ، وإذا يئسوا من العفو أكْفَرَهُم ذلك ، فهب لي هؤلاء الذين سميتهم عصاة ، فإنهم فرسان أبطال ، أرجو أن يقتل الله بهم العدو وأكثرهم نادم على ذنبه .

* * *

ولما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال : اليوم قُوتِلَ هذا العدو . ولما رأى ذلك قطري قال :انهضوا بنا نريد السَّرْدَن [١] فنتحصن فيها ، فقال عبيدة بن هلال : أو نأتي سَابُورَ، فنأخذ منها ما نريد وننهض إلى كَرْمَان ، فأتوا سابور . وخرج المهلب في آثارهم، فأتى أَرْجَانَ ، وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردن ، وليست بمدينة ، ولكن جبال مُحْدِقَةٌ منيعة ، فلم يُصِبْ بها أحدًا فخرج نحوهم فعسكر بكازَرُونَ [٢] ،واستعدوا لقتاله، وخندق على نفسه ،ثم وجه إلى عبد الرحمن بن مِخْنَف : خندق على نفسك، فوجه إليه: خنادقنا سيوفنا ، فوجه إليه المهلب : إني لا أمن عليك البيات ، فقال ابنه جعفر : ذاك أهون علينا من ضَرْطَة جمل !فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال : لم يصيبوا الرأى و لم يأخذوا بالوثيقة ، فلما أصبح القوم غادَوْه الحرب ، فبعث إلى ابن مِخْنفٍ يستمدُّه فأمدَّه بجماعة ، وجعل عليهم ابنه جعفرًا فجاءوا وعليهم أقبيةٌ بيض جدد ، فقاتلوا يومئذ حتى عُرِفَ مكانهم ، وحاربهم المهلب ، وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد ، ثم نظر إلى رئيس منهم يقال له صالح بن مِخْراق ، وهو يَنْتَخِبُ قومًا من جلة العسكر ، حتى بلغوا أربعمائة ، فقال لابنه المغيرة : ما يُعَدُّ هؤلاء إلا للبيات ، وانكشف الخوارج والأمر للمهلب عليهم ، وقد كثر فيهم القتل والجراح .

* * *

وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ويُوَجِّهُ الرجال ، فكان يحبسهم نهارًا ، ويفتح لهم الحبس ليلاً ، فينسل الناس إلى ناحية المهلب ، وكأن الحجاج لا يعلم ، فإذا رأى الحجاج إسراعهم تَمَثَّل :

---

(١) السردن : موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون ، انظر معجم ما استعجم ٧٣٢ . ومعجم البلدان ٢١٠/٣ .

(٢) كازرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز . معجم البلدان ٤٢٩/٤ .

إن لهـــا لَسَـــائِقًا عَشَـــنْزَرا[1]   إذا وَنَيْـــنَ وَنْيَـــةً تَغَشْـــمَرَا [3]

" العشنْزَرُ " : الُصلّبُ . والغشمرة " : ركوب الرأس ، و"المتغشمر" الجاد علي ما خيَّلَتْ .

وكتب إلى المهلب من قَبْلِ الوَقْعةِ : أما بعد ، فإنه بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد ا لله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حُصين الحَبَطيِّ ، واخترتك وأنت من أهل عُمانَ ، ثم رجل من الأزد ، فالقهم يوم كذا في مكان كذا ، وإلا أشرعت إليك صدر الرمح !!

فشاور بنيه فقالوا : إنه أمير ، فلا تغلظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب : ورد عليَّ كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ، ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد ا لله بن حكيم وعَبَّاد بن حصين ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما ، واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري إن شرًا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل ، لم تستقر في واحدة منهن ، وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت إليَّ صدر الرمح ، فلو فعلتَ لَقَلَبْتُ لك ظهر المِجَنّ والسلام .

ثم كانت الوقعة . فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة : إني أخاف البيات على بني تميم ، فانهض إليهم فكن فيهم ، فأتاهم المغيرة ، فقال له الحريش بن هلال : يا أبا حاتم ، أيخاف الأمير أن يُؤْتَى من ناحيتنا ؟ قل له فَلْيَبِتْ آمنًا ، فإنَّا كافوه ما قبلنا إن شاء ا لله . فلما انتصف الليل ، وقد رجع المغيرة إلى أبيه ، سرى صالح بن مِخْرَاقِ في القوم الذين كان أعدهم إلى ناحية بني تميم،ومعه عبيدة بن هلال،وهو يقول[4] :

إنـــي لَمُـــذْكٍ لِلشُّـــرَاةِ نارهـــا   ومـــانعٌ ممـــن أتاهـــا دارَهَـــا

وغاسل بالطعن عنها عارها

فوجد بنى تميم أيقاظًا مُتَحَارسيْن ، فخرج إليهم الحريش بن هلال وهو يقول :

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبيُّ : العشنزر : السريع .

(٢) الرجز بلا نسبة فى جمهرة اللغة ص١١٥٢.

(٣) الرجز بلا نسبة فى جمهرة اللغة ص١١٥٢ .

(٤) الأبيات في شعر الخوارج ٩٧ .

لقــد وَجَدْتُــمْ وقُــرًا أنجــادًا لاكُشُــفًا ميــلاً و لا أوغــادا
هيهـــات لاُ تُلْفُونَنَــا رُقَّــادا لا بــل إذا صِيــحَ بنــا آســادا[١]

ثم حمل عليهم فرجعوا عنه ، فاتَّبعهم ، ثـم صاح بهـم : إلى أيـن يـا كـلاب النـار ؟ فقالوا : إنما أُعِدَّت لك ولأصحابك ، فقال الحَرِيشُ : كل مملوك لي حُرٌّ إن لم تَدْخُلوا النار إن دخلها مجوسيٌّ فيما بين سَفَوَانَ وخُراسَان .

قوله ،:" لقد وجدتم وقرًا " جمع وقُورٍ . و" النَّجْدُ " ضد البليدِ ، وهو المتيقِّظُ الـذي لا كسل عنده ولا فتور . " الأميل " فيه قولان : قالوا الذي لا يستقر على الدابـة،وقـالوا: الذي لاسيف معـه . و" الأكْشَـفُ " : الـذي لا تُـرْسَ معـه ،و"الأجَـمُّ" : الـذي لا رمـح معه.و"الحاسر":الذي لا درع عليه."والأعزل" الذي لا يتقوم على ظهر الدابة[٢] .

ثم قال بعضهم لبعض : نأتي عسكر ابن مخنف فإنـه لا خنـدق عليهـم ، وقـد تعب فرسانه اليوم مع المهلب ، وقد زعموا أنا أهون عليهم مـن ضرطـة جمـل ، فـأتوهم ، فلـم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم إلا وقد خالطوهم في عسكرهم ، وكان ابن مخنف شريفًا، يقول [٣] رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل :

تَــرُوحُ وتَغْــدُو كـــل يــوم معَظَّمـــا كـأنك فينــا مِخْنَــفٌ وابــنُ مخنــف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فَقُتِلَ ، وقُتِلَ معه سبعون من القُرَّاء ، فيهـم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب ـ رضي ا لله عنه* ـ ونفر من أصحـاب ابـن مسـعود، وبلغ الخبر المهلب ، وجعفر بـن عبـد الرحمـن بـن مخنـف عنـد المهلـب ، فجـاءهم مغيثًـا،

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال رجل نَجْـدٌ ونجِـد بيِّنُ النجـدة : إذا كـان جلداً . قال : وحدثني أبو عمر الزاهد عن ثعلب قـال : الوغـد : الضعيـف مـن الرجـال ، والجماعـة أوغاد ، وقد وغد الرجل وغادة . قال ثعلب : وحدثني الأثرم عن أبـي عبيـدة قـال : قـال أفـار بـن لقيط : كنت وغدًا يوم الكلاب ، أي ضعيفًا . قال أبو عبيدة : قلت لأم الهيثم : ما الوغد ؟ كذا ، ولم يتم كلام أبي عبيدة ، وذكر (رايت) أن سطرًا من الحاشية قد أتـى عليـه القطـع في الـورق فلم يستبن منه إلا كلمة "منه " في آخره " .
وفي اللسان "وغد" عن أبي حاتم قال:"قلت لأم الهيثم:أو يقال للعبد وغد؟قالت:ومن أوغد منه " .
(٢) قال الشيخ المرصفي : " تفرد به أبو العباس ، والمعروف أنه الـذي لا سـلاح معـه فهـو يعـتزل الحرب ....." رغبة الآمل ٧٩/٨ .
وزاد بعده في بعض النسخ :"والوغد :الضعيف " .
(٣) قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي والي خراسان " .
* فى الأصل (صلوات ا لله عليه) ولعله تصرف من النساخ .

فقاتلهم حتى ارْتُثَّ (١) وصُرِع ، ووجه المهلب إليهم ابنه حبيبًا فكشفهم، ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مِخْنَفٍ وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب ، فضمهم إلى ابنه حبيب ، فعيرهم البصريون ، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن :

تركتَ أصحابنا تَدْمَى نُحُورُهُم وجئتَ تَسْعَى إلينا خَضْفَةَ الجَمَلِ(٢)

قوله "**خضفة الجمل**" يعني ضَرْطَة الجمل ، يقال خَضَفَ البعير ، قال أنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتَّخذ وليمة :

إنا وجدنا خَلَفًا بئْسَ الخَلَفْ أَغْلَقَ عَنَّا بابَهُ ثم حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البوابُ إلا مَن عَرَفْ عبدًا إذا ما ناء بالحمل خَضَفْ(٣)

يقال "ناء بحمله":إذا حمله في ثقل وتكلف،وفي القرآن:﴿**ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة**﴾ (٤) والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح ، وقد مضى تفسير هذا (٥) .

فلامهم المهلب،وقال بئسما قلتم،والله ما فَرُّوا ولا جَبُنوا ، ولكنهم خالفوا أميرهم، أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب ، وفراركم بدارش (٦) عن عثمان ، وفراركم عني؟!

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : حدثني أبو عمر، عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال ارْتُثَّ الرجل ارتثاثا : إذا حمل من المعركة وبه رمق . قال ابن شاذان : قال النضر بن شميل : ارْتُثَّ صُرِع " .
وقال علي بن حمزة في التنبيهات ١٦٣ : " إنما الارتثاث أن ينقل الجريح من مصرعه إذا كان به رمق .....وقد يستعمل الارتثاث في نقل كل شيء ثقيل ......فجعل أبو العباس ارتث في غير موضعه .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : حدثني أبو عمر عن ثعلب قال : يقال : خضف الحمار وغيره يخضف خضفا وخضافا : إذا ضرط ، ويقال للمرأة : يا خضاف " .
البيت من البسيط ،وهو بلا نسبة في لسان العرب ٧٤/٩(خضف)؛ وتاج العروس ٢٢٠/٢٣ (خضف)،٢٤٤(خلف) .

(٣) الشطرة الأولى والرابعة رجز في لسان العرب بلا نسبة ٩/ ٧٤ (خضف) ٨٨(حلف) ؛ وأساس البلاغة (خضف) ؛ وجمهرة اللغة ص ٦٧ ؛ وشرح المفصل ٥٨/٤؛ وتهذيب اللغة ١١٣/٧، وتاج العروس ٢٢٠/٢٣ (خضف)،٢٤٤(خلف).

(٤) سورة القصص : ٧٦ .

(٥) قال محقق س بهامش نسخة :" ويقول العرب : حبج الرجل [الرجل ليس في الأصل] وحبق وخضف وردم ، كل ذلك إذا ضرط " . وأغلب الظن أنه حاشية أقحمت في متن الكتاب.

(٦) قال محقق س كذا في نسخة وحدها ، ولعله الصواب . فقد نص البكري في معجم ما استعجم صـ ٥٣٣ أنه بكسر الراء وبالشين المعجمة،وهو موضع ناحية مسرقان وهي قرية من أعمال البصرة.
و(عثمان هذا) قال المرصفي : " هو عثمان بن قطن بن عبيد الله أحد بني الحارث بن كعب وكان الحجاج بعثه إلي شبيب الخارجي فانهزم أصحابه عنه وقاتل حتى قتل " رغبة الآمل ٨١/٨.

ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم،وكتب إليه: إنك تحب بقاءهم لتأكل بهم.فقال المهلب لأصحابه:حركوهم فخرج فرسان من أصحابه، فخرج إليهم من الخوارج جمع،فاقتتلوا إلى الليل،فقال لهم الخوارج:ويلكم أما تملون؟ فقالوا:لا،حتى تملوا، قالوا:فمن أنتم؟ قالوا :تميم، قالت الخوارج: ونحن بنو تميم . فلما أمسوا افترقوا ، فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج إليهم من الخوارج عشرة ، فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها، فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره وقام مكانه ، حتى أعتموا ، فقال لهم الخوارج: ارجعوا فقالوا : بل ارجعوا أنتم ، قالوا : ويلكم! من أنتم؟ قالوا : تميم ، قالوا : ونحن بنو تميم . فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج ، فقال له : مه ؟ قال : رأيت قومًا لا يعين عليهم إلا الله تعالى .

وكتب إليه المهلب : إني منتظر بهم إحدى ثلاث : موت ذريع ، أو جوع مضر ، أو اختلاف من أهوائهم .

وكان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد ، كان يتولّى ذلك بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده .

قال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب :

عدمتك يا مهلب من أمير أما تندى يمينك للفقير
بدُولابٍ أضعتَ دماءَ قومي وطِرْت على مُواشِكَةٍ دَرُور [1]

فقال المهلب : ويحك ! والله إني لأقيكم بنفسي وولدي ، قال : جعلني الله فداء الأمير ، فذاك الذي نكره منك ، ما كلنا يحب الموت ، قال : ويحك ! وهل عنه محيص ؟ قال : لا، ولكنا نكره التعجيل ، وأنت تُقْدِمُ عليه إقدامًا ، قال المهلب : أما سمعتَ قولَ الكَلْحَبَة اليَرْبوعيِّ :

فقلت لكأس ألجميها فإنما نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا [2]

---

(١) سلف البيت وعزاه لرجل من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم . والرواية ثمة " بسولاف أضعت "
وبهامش بعض النسخ ما نصه :"ابن شاذان : يقال: فرس دَرُورٌ ودرير أي سريع ، قال امرؤ القيس:
دريرٌ كخذروف الوليد أمَّره تَتَابُعُ كفيه بخيط موصَّل

(٢) البيت من الطويل ،وهو للكلحبة اليربوعى (هبيرة بن عبد مناف) فى لسان العرب ١٩٤/٣(زرد)، ٢٥٢/٨ (فزع)وتاج العروس ١٤٨/٨ (زرد) ،٤٢٤/١٦(كأس)،٤٩٧/٢١(فزع)؛

قال :بلي وا لله قد سمعته ، ولكن قولي أحب إليَّ منه ، وهو :

فلمـــا وقَفْتُــــمْ غَــــدْوةً وعَدُوُّكُـــــمْ إلى مُهْجَتِي وَلَّيْتُ أعداءَكـم ظهـري

وطــــرت ولم أحفــــلْ مقالـــــة عـــاجز يُســاقِي المَنَايَـا بالرُدَيْنِيَّـةِ السُّـمْرِ

فقال له المهلب : بئس حشو الكتيبة وا لله أنت ، فإن شئت أذنت لكَ فانصرفت إلى أهلك ، قال: بل أقيم معك أيها الأمير ، فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه :

يـــرى حَتْمًـــا عليــــه أبـــــو ســـــعيد جِــلادَ القــوم في أُولَــى النفـــير

إذا نـــادى الُشـــراةُ أبـــا ســــعيدٍ مشى في رِفْلِ مُحْكَمـةِ القَتِـير[1]

* * *

" الرِّفل " [2] الذيل .

وكان المهلب يقـول :مـا يسرني أن فـى عسكري ألـف شجاع مكـانَ بيْهَس بـن صُهَيْب، فيقال له : أيها الأمير ، بيهس ليس بشجاع ، فيقول : أجـل ، ولكنـه سـديد[3]

وتهذيب اللغة ١٤٦/٢ ؛ وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ص ٨١٤ ؛ ومقاييس اللغة ٤/ ٥٠١ . وفيه "حللت" بدلا من "نزلنا"

(١)(القتير) رءوس مسمامير حلق الدروع رغبة الآمل ٨٣/٨ .

وقال محقق س بهامش بعض النسخ ما نصه : " زاد المدائني :

فشـــــد عليهـــــم بالســــــيف صلتًـــــا ويطعنهـــــم بمســـــنون ظفـــــير

إذا ضــــج الكمـــــاة وضعضعتهـــــم دواهٍ صـــال كالأســـد العقـــور

وكــــل الدهــــر أنــــت لــــزاز حـــرب أمـــام القـــوم في الســـلف المغـــير

البيتان من الوافر وهما بلا نسبة فى تاج العروس (دول) .

(٢) قال محقق س : بكسر الراء كذا ضبط في نسخة وهو ما نصوا عليه وضبط في نسخة وروى بالفتح وعلى "الرفل الذيل""ع" يعني رواية أبي علي ، وهما ثابتان في جميع النسخ غير تلك النسخة . فمكانهما في هذه النسخة ما نصه :" القتير أطراف مسامير الدرع، والرفل ثوب الرجل إذا فضل فيه، وعنى ههنا فضلة الدرع . ولعلهما مما زاده الرواه .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " يقال : رأي سديد وأمر سديد وأسد أي قاصد ، وكذلك رجل سديد من السداد وهو قصد الطريقة " .

الرأي محكم العقل ، وذو الرأي حذر سَئُولٌ ، فأنا آمَنُ أن يُغْتَفَلَ ، فلو كان مكانه ألف شجاع قلتُ إنهم ينشامون [1] حين يحتاج إليهم .

ومطرت السماء ليلة مطرًا شديدًا وهم بسابور ، وبين المهلب وبين الشراة عقبة ، فقال المهلب : من يكفينا هذه العقبة الليلة ؟ فلم يقم أحد ، فلبس المهلب سلاحه وقام إلى العقبة واتّبعه ابنه المغيرة . فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله : دعانا الأمير إلى ضبط العقبة ، والحظ في ذلك لنا ، فلم نُطِعْهُ ، فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا إليه ، فإذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما ، فقالوا : انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله ، فلما أصبحوا إذا بالشراة على العقبة ، فخرج إليهم غلام من أهل عُمان على فرس ، فجعل يحمل وفرسُهُ يَزْلَقُ ، وتلقاه مُدْرِكُ بن المهلب فقال له : انصرف ، فليس هذا بيومك ، فحاربهم مُدْرك في جماعة معه حتى ردهم .

فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس إذا الشراة قد تألبوا ، فقال المهلب : سبحان الله ! أفي مثل هذا اليوم ؟ يا مغيرة اكفنيهم ، فخرج إليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القُرْدُوسِيُّ ـ وكان سعد شجاعًا متقدمًا في شجاعته ، وكان الحجاج إذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له :

لو كنت سعد بن نجد القُرْدُوسِيُّ ما عدا ، وقُرْدُوسٌ من الأزد ـ فخرج أمام المغيرة، وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتفوا ، وأمام الخوارج غلام جامع السلاح، مديد القامة،كريه الوجه،شديد الحملة ، صحيح الفروسية ، فأقبل يحمل على الناس وهو يقول :

نحن صَبَحْنَاكُمْ غداة النحر ... بالخيل أمثال الوَشِيجِ [2] تجري

فخرج إليه سعد بن نجد القردوسي من الأزد فتجاولا ساعة ،ثم طعنه سعد فقتله، والتقى الناس ، فصرع المغيرة يومئذ فحامى عليه سعد بن نجد وذُبْيانُ السِّخْتِيَاني وجماعة

---

(١) قال الشيخ المرصفي : " من انشام الشيء دخل فيه واختبأ كتشيُّم ، يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن يُغتفلوا " رغبة الآمل ٨٣/٨.

(٢) (الوشيج) سلف أنه مانبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه في بعض أو ما صلب منه وكلاهما سائغ على التشبيه رغبة الآمل ٨٤/٨.

من الفُرْسان حتى ركب ، وانكشف الناس عند سقطة المغيرة ، حتى صاروا إلى المهلب، فقالوا قُتل المغيرة،ثم أتاه ذبيان السختياني ، فأخبره بسلامته،فأعتق كل مملوك بحضرته(1).

* * *

ووجه الحجاج الجَرَّاحَ بن عبد الله إلى المهلب يستبطئه في مناجزة القوم،وكتب إليه: أما بعد ، فإنك جبيت الخراج بالعلل ، وتحصنت بالخنادق ، وطاولت القوم ، وأنت أعز ناصرًا ، وأكثرعددًا،وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنًا، ولكنك اتَّخذتهم أُكْلاً(2) وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم ، فناجِزْهُم وإلا أنكرتني ، والسلام .

فقال المهلب للجرَّاح : يا أبا عقبة ، والله ما تركت حيلة إلا احتلتها ، و لامكيدة إلا أعملتها ، وما العجب من إبطاء النصر وتراخي الظفر ، ولكن العجب أن يكون الرأى لمن لا يملكه دون من يبصره !! ثم ناهضهم ثلاثة أيام ، يغاديهم القتال ، فلا يزالون كذلك إلى العصر ، وينصرف أصحابه وبهم قَرْحٌ ، وبالخوارج قرح وقَتْلٌ ، فقال له الجرَّاح : قد أعذرت .

فكتب المهلب إلى الحجاج : أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم ، أنك لا تظن بي معصية ولا جبنًا ، وقد عاتبتني معاتبة الجبان ، وأوعدتني وعيد العاصي،فاسأل الجَرَّاح، والسلام(3) .

فقال الحجاج للجرَّاح : كيف رأيت أخاك ؟ قال والله أيها الأمير ما رأيت مثله قط ولا ظننت أن أحدًا يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدت أصحابه أيامًا ثلاثة يغدون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ، ويتجالدون بالسيوف

---

(1)وزاد في بعض النسخ :"الوشيج الرماح،شبه الخيل الضمر بها . وقال غيره : الوشيج أصل القناة، والخطِّيُّ فروعها ، وإنما تنسب الخطي وشيجه [كذا] وينسب الخطي إلى قرية باليمن تعرف بالخط تنبت بها الرماح ، وهذه زيادة مقحمة في الكتاب ، وفي هذه النسخة كثير من الزيادات التي هي حواش مقحمة في متن الكتاب .

(2) بهامش بعض النسخ ما نصه : "ابن شاذان : قال أبو عمر : الأُكْلُ : الرزق ، يقال: إنه لعظيم الأكل في الدنيا أي عظيم الرزق ، ومنه قيل للميت : انقطع أكله " .

(3) قال محقق س : زاد في نسخة :" القرح: الجراح ، وتلا : "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله " . وهذه حاشية مقحمة في متن الكتاب .

ويتخابطون بالعَمَد ، ثم يَرُوحون كأن لم يصنعوا شيئًا ، رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال له الحجاج :لَشَدَّ ما مَدَحْتَهُ أبا عقبة ! قال : الحق أولى .

وكانت رُكُبُ الناس قديمًا من الخشب ، فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع ، فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له مُعْتَمُد فأمر المهلّبُ فضربت الرُكُبُ من الحديد وهو أول من أمر بطبعها ، ففي ذلك يقول عِمْران بن عصام العَنْبريُّ :

ضربوا الدراهمَ في إمارَتِهِم ... وضَرَبْتَ للحَدَثان والحَرْبِ
حَلَقًا تُرى منها مَرَافِقُهم ... كَمَناكِبِ الجِمالَة الجُرْبِ[1]

* * *

وكتب الحجاج إلى عَتّاب بن ورقاء الرياحيَّ ، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة، وهو والي إصبهان [2] ، يأمره بالمسير إلى المهلب وأن يضم إليه جند عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ ، فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه ، وأنت على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلدًا فَتْحُهُ لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة فيه ، والمهلب على أهل البصرة .

---

(١) (حلقا) يريد وضربت حلقا للحدثان (مرافقهم) يريد معتمدات أرجلهم من تلك الحلق ويريد بمناكب الجرب أنها دقيقة الوسط عريضة الطرفين والجمالة مثلثة الجيم مخففةالميم الطائفة من الجمال وعن ابن السكيت يقال للإبل إذا كانت ذكورة و لم يكن فيها أنثى هذه جمالة بنى فلان وقال غيره هى القطعة من النوق لا جمل فيها ، هذا وقد دخلها الوقص وهو حذف الجزء الثانى المتحرك رغبة الآمل ٨٦/٨ . نسخت فى نسخة "الحَمَّالة" بالحاء والميم المشددة .

قال محقق س : زاد في نسخة: " قال أبو العباس : يقال حمّالةٌ لأصحاب الـ[جمال] كما يقال بغّالة لأصحاب الـ[بغال] ....أن يكون عنى أن هذه الركب الحديد تؤثر ...كتأثير الكد في مناكب الحمالين وقد .....يصك الراجل بركابه الحديد فيوهن مرفقه حتى يصير كمنكب الجمل الأجرب كما قال :

إذا شئت لاقيتني مسلمًا ... تزاحم كالجمل الأجرب

قال : والجمل الأجرب يتوقى لجربه كما يتوقى هذا فى الحرب ؟!.

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال أبو يعقوب: هى إصبهان بكسر الهمزة ، إصْبَه هو العسكر بالفارسية ، وإصبهان :العساكر " ، قلت : قد نص ياقوت على أن منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون . انظر معجم البلدان ٢٠٦/١.

فقدم عَتّابٌ في إحدى جُمادَيَيْنِ من سنة ست وسبعين على المهلب ، وهو بسابور وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس،وعتاب على أصحاب ابن مخنف، والخوارج في أيديهم كرمان [1]، وهم بإزاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي.

فوجَّه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه بمُناجَزَةِ القوم ، أحدهما يقال له زياد ابن عبد الرحمن ، من بني عامر بن صعصعة ، والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج، فضم زيادًا إلى ابنه حبيب،وضم الثقفي إلى ابنه يزيد ، وقال لهما : خُذا يزيدَ وحبيبًا بالمناجزة، فَغَادَوُا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال ، فقتل زياد بن عبد الرحمن ،وفقد الثّقَفيُّ ثم باكروهم في اليوم الثاني وقد وجد الثقفيُّ ، فدعا به المهلب ودعا بالغداء ، فجعل النَّبْلُ يقع قريبًا منهم ، والثقفيُّ يعجب من أمر المهلب ، فقال الصلتان العبدي :

ألا يا اصْبَحاني قبل عَوْق العَوائق ... وقبل اخْتراط القَوْمِ مِثْلَ العَقَائِقِ [2]

غداةَ حَبيبٌ في الحديد يَقُودُنا ... نَخُوضُ المنايا في ظِلال الخَوَافِق

حَرُونٌ إذا ما الحَرْبُ طار شَرارُها ... وهاج عَجاجُ الحرب فوق البَوارِق [3]

فمن مُبْلِغُ الحجاج أنَّ أمِيْنَه ... زيادًا أطاحته رماح الأزارق

قوله : وقبلَ اختراطِ القومِ مثلَ العقائقِ

يعني السيوف ، و" العقائق " جمع عقيقة ، يقال : سيف كأنه عقيقة بَرْقٍ ، أي كأنه لمعة برق ، ويقال: انْعَقَّ البرق : إذا تبسَّم . وللعقيقة مواضع ،يقال :فلان بعقيقة الصِّبى، أي بالشَّعْر الذي ولد به لم يحلقه ، ويقال : عققت الشيء أي قطعته ، ومن ذا يَعُقُّ أبويه، وكذا عَقَقْتُ عن الصبي : إذا ذبحت عنه ، وقال أعرابي [4] :

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه:" قال الشيخ أبو يعقوب : هي كرمان بكسر الكاف لا غير ، ومعناها دِيْدَانٌ جمع دُودٍ ، كرم : دود ، وكرمان : ديدان " . قلت : قد نص ياقوت على أنه بالفتح قال : وربما كسرت ، والفتح أشهر بالصحة . معجم البلدان ٤/٤٥٤.

(٢) (اصبحانى)من صبحه كمنعه سقاه صبوحا من خمر أو لبن و(العوائق) جمع عائقة وهى كل ماصرفك عما تريد والاختراط مصدر اخترط السيف سله من غمده رغبة الآمل ٨/٨٧.

(٣) (حرون) لقب حبيب لأنه كان يحرن فى الحرب فلا يبرح وذلك مستعار من قولهم فرس حرون . لا ينقادان إذا اشتد به الجرى وقف .و(البوارق) السيوف واحدتها بارقة على التشبيه بالبرق لبياضها ولمعانها .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " هو أبو الصعبي [كذا] واسمه رفاعة بن قيس " . وقد سلفت الأبيات ، ونقلنا ثمة أنها تنسب لرفاع بن قيس الأسدي ولأبي النضير الأسدي ولامرأة طائية . و"رفاع" كذا وقع فى اللسان ووقع في التاج"رقاع"ولعل الصواب:"رفاعة"كما قال صاحب الحاشية.

ألم تعلمي يا دار بَلْجَاءَ أنّني إذا أجْدَبَتْ أو كان خصبًا جَنَابُها
أحب بلاد الله ما بين مُشْرِفٍ[1] إليَّ وسَلْمَى أنْ يَصُوبَ سَحابُها
بلاد بها عَقَّ الشباب تميمتي وأولُ أرض مَسَّ جلدي ترابها [2]

فلم يزل عتاب بن وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانية أشهر ، حتى ظهر شبيب ، فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمسير * إليه ليوجه إلى شبيب ، وكتب إلى المهلب يأمره بأن يرزق الجند، فرزق المهلب أهل البصرة ، وأبى أن يرزق أهل الكوفة ، فقال له عتّاب: ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة ، فأبى ، فجرت بينهما غلظة ، فقال عتاب: قد كان يبلغني أنك شجاع فرأيتك جبانًا ، وكان يبلغني أنك جواد فرأيتك بخيلاً ، فقال له المهلب : يابن اللخناء ! فقال له عتاب : لكنك مُعَمٌّ مُخْوَلٌ[3] !! فغضبتْ بكرُ بن وائل للمهلب للحلف فوثب ابن نعيم بن هبيرة ابن أخي [4] مَصْقَلَةَ على عتاب فشتمه، وقد كان المهلب كارهًا للحلف ، فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سَرَّهُ الحِلْف واغتبط به ، ولم يزل يؤكده ، فغضبت تميم البصرة لعتاب ، وغضبت أزد الكوفة للمهلب [5] .

---

(١) (مشرف)" بضم فسكون آخره فاء" رمل بالدهناء رغبة الآمل ٨٨/٨ .

(٢) في بعض النسخ:"وقال العنبري :

وكيف يضل العنبري ببلدة بها قطعت عنه سيور التمائم"

وهو تعليق أُدخل في المتن .

* وفي بعض النسخ نسخت " بالمصير " بالصاد المهلمة .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " حدثني أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال : يقال :رجل مُعَمٌّ مُخْوَلٌ ومُعِمٌّ مُخوِلٌ: إذا كان كريم الأعمام والأخوال " .

(٤) نعيم ومصقلة ابنا هبيرة بن شبل بن يثربي بن امرئ القيس بن ربيعة بن مالك ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل انظر جمهرة أنساب العرب ٣٢١ .وابن نعيم اسمه بسطام.

(٥) بعده في بعض النسخ : " قال أبو العباس : تحالف الأزد وربيعة بعد الإسلام ، وادَّعَوْا أن ذلك كان قديمًا في الجاهلية لقول النبي ﷺ : " ولا حِلْفَ في الإسلام ، وكل حلف في الجاهلية فلن يزيده الإسلام إلا شدة" . والحلف العهد والصحبة ، والحليف الصاحب .وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الحلف في الإسلام لئلا يعين مسلم على مسلم فأما ما مضى فقد ثبت به حرمة لا يزيدها الإسلام إلا شدة" .

فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب ، فقال لعتاب : يا أبا ورقاء ، إن الأمير يصير لك إلى كل ما تحب،وسأل أباه أن يرزق أهل الكوفة، فأجابه ، فصلح الأمر ، فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة ابن المهلب، وقال عتاب : إني لأعرف فضله على أبيه ، وقال رجل من الأزد من بني إياد بن سود :

ألا أبلـغْ أبـا ورقـاء عنـا فلـولا أننـا كنـا غِضَابَـا
علـى الشـيخ المهلَّـبِ إذْ جفانـا لَلاَقَـتْ خيلُكـم منـا ضِرابَـا

* * *

وكان المهلب يقول لبنيه : لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم فيبغوا عليكم ، فإنهم إذا بَغَوْا نُصِرْتُمْ عليهم .

فَشَخَصَ عتاب إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين ، فوجهه إلى شبيب ، فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم ، فلما انقضى من مُقَامِهِ ثمانية عشر شهرا اختلفوا .

وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حدادًا من الأزارقة كان يعمل نِصَالاً مسمومة، فيُرمَى بها أصحاب المهلب ، فرفع ذلك إلى المهلب فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله. فوجَّه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري فقال : ألْق هذا الكتاب في العسكر واحذر على نفسك ، وكان الحداد يقال له أَبْزَى ، فمضى ، وكان في الكتاب: أما بعد ، فإن نِصَالكَ قد وَصَلَتْ إليّ ، وقد وجهت إليك بألف درهم ، فاقبضها وزدنا من هذه النصال ، فوقع الكتاب والدراهم إلى قطري ، فدعا بأبزى ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فهذه الدراهم ؟ قال : ما أعلم علمها ، فأمر به فقتل، فجاءه عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة فقال له : أقتلت رجلاً على غير ثقة ولا تبين ؟ ! قال : فما حال هذه الدراهم ؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذبًا ويجوز أن يكون حقاً ، فقال له قطري : فقتل رجل في صلاح الناس غير مُنْكرٍ ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحًا ، وليس للرعية أن تعترض عليه ، فتنكر له عبد ربه في جماعة معه، و لم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلب فَدَسَّ إليه رجلاً نصرانيًا ، فقال له : إذا رأيت قطريًا فاسجد له، فإذا نهاك فقل : إنما سجدت لك ، ففعل النصراني ، فقال له قطري : إنما السجود لله، فقال : ما سجدت إلا لك ، فقال له رجل من الخوارج : قد عبدك من دون الله وتلا

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ،أنتم لها واردون ﴾[1] فقال له قطري: إن هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر عيسى ذلك شيئًا ، فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله ، فأنكر ذلك عليه قطري وقال : أقتلت ذميًا ؟! فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب فوجه إليهم رجلاً يسألهم عن شيء تقدم به إليه، فأتاهم الرجل فقال : أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم ، ومات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يُجزِ المحنة ، ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الميت فمؤمن من أهل الجنة ، وأما الذي لم يُجزِ المحنة فكافر حتى يُجيزها ، وقال قوم آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة ، فكثر الاختلاف .

فخرج قطري إلي حدود إصْطَخْرَ ، فأقام شهرًا والقوم في اختلافهم ، ثم أقبل، فقال لهم صالح بن مخراق[2]: يا قوم إنكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم ، لما ظهر من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة .

وخرج عمرو القنا فنادى : يا أيها المُحلّون! هل لكم في الطِّرَاد فقد طال العهد به؟ ثم قال :

ألم تــر أنّـــا مُـــذْ ثلاثـــون ليلـــةً   قَريبٌ وأعداءُ الكتـابِ على خَفْضِ[3]

فتهايج القوم وأسرع بعضهم إلى بعض ، فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب ، وصار في وسط الأزارقة ، فجعلت الرماح تحطه وترفعه ، واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد ، فوضع يده على رأسه ، فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيئًا ، واستنقذه فرسان من الأزد بعد أنْ صُرِعَ ، وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال ، وهو يقول :

أنـــا ابـــن خـــير قومـــه هـــلال   شـــيخ علـــى ديـــن أبـــي بـــلال

وذاك ديني آخر الليالي

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٨. وبهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان قال أبو عبيده : كل شيء ألقيته فى النار فهو حَصَبٌ لها . ويقال حصبت أحْصِبُها حَصْبًا : إذا ألقيت فيها حطبًا . اهـ . وانظر مجاز القرآن (٤٢/٢) .

(٢) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه :" هو مولى قريش . وقال بعضهم : مولى آل مصقلة الشيباني " .

(٣) (خفض) هو الدعة ولين العيش ،يقال عيش خفض وخافض وخفيض ومخفوض إذا كان ذا سعة وخصب ولين رغبة الآمل ٩٢/٨ .

فقال رجل للمغيرة : كنا نَعْجَب كيف تُصْرَعُ ، والآن نعجب كيف تنجو!!

وقال المهلب لبنيه : إنَّ سَرْحَكم لغار ، ولست آمنهم عليه ، أفوَكَّلتم به أحدًا ؟ قالوا : لا ، فلم يَسْتَتِمَّ الكلام حتى أتاه آت فقال : إن صالح بن مخراق قد أغار على السرح ، فشق ذلك على المهلب ، وقال : كل أمر لا أليه بنفسي فهو ضائع ، وتذمر عليهم ، فقال له بشر بن المغيرة : أرح نفسك ، فإن كنت إنما تريد مثلك فوا لله لا يعدل أحدنا شِسْعَ نعلك ، فقال : خذوا عليهم الطريق ، فثار بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب،فسبق بشر إلى الطريق، فإذا رجل أسود من الأزارقة يَشُلُّ السرح[1]أي يطرده، وهو يقول :

نحن قَمَعْناكُم[2] بِشَلِّ السَّرْح وقد نَكَأنا القَرْحَ بعد القرح[3]

" الشّلُّ " الطرد ، ويقال : " نكأت القَرْحَةَ " مهموزٌ ، " ونَكَيْتُ العدو "غير مهموز من النكاية ، و" نكأت القرحة نكأ " قال ابن هرمة :

ولا أراها تزال ظالمة[4] تُحْدِثُ لي قَرْحَةً وتَنْكَؤُهَا

ولحِقَهُ المفضل ومُدْركُ ، فصاحا برجل من طيِّئ : اكفنا الأسود ، فاعتوره[5] الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه ، وأسرا رجلاً من الأزارقة ، فقال له المهلب : ممن الرجل؟ قال: رجل من همدان ، قال :إنك لشين همدان ، وخلّى سبيله .

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : السَّرْحُ : المال الذي يُسَامُ في المرعى من الأنعام،يقال: سَرَحَ القوم إبلهم سرحًا وسرحت الإبل سرحًا ، والمسرح : مرعى السرح ، ولا يُسَمَّى من المال سرحاً إلى ما يُغْدا به ويُراح والجمع السُرُوحُ،والسارح يكون اسماً للراعي الذي يسرح الإبل، ويكون السارح اسمًا للقوم الذين لهم السرح " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان قال الخليل: يقال : تقول قمعت فلانًا فانقمع، أي ذللته فذل واختبأ فرقا . وقال مُؤرِّجُ قمعت الرجل أقمعه قمعًا : إذا ضربت رأسه ".

(٣) (نكأت القرحة) نكأ قشرها قبل أن تبرأ فَنَدبت(ونكيت العدو) أنكيه نكاية غلبته وهزمته فنكي نكيّ كعِميَ عميّ رغبة الآمل ٩٣/٨ .

(٤) (ولا أراها تزال) يريد وأراها لا تزال الدهر ظالمة رغبة الامل ٩٣/٨.

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال: تعاور القوم فلانا واعتوروه ضربًا أي كلما كف واحد ضربه آخر . والتعاور : التدوال " .

وكان عياش الِكنْدِيُّ شجاعًا بئيسًا[1] ،فأبلى يومئذ ،ثم مات بعد ذلك على فراشه. فقال المهلب : لا وَأَلَتْ نفسُ الجَبَانِ بعد عَيَّاشِ [2] .

وقال المهلَّبُ ما رأيت كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يزيد فيهم .

ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين ، أحدهما من كلب ، والآخر من سليم ، يستحثّانه بالقتال : فقال المهلب متمثّلاً.

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زَبَنَتهُ[3] الحربُ لم يَتَرمْرَمِ [4]

الشعر لأوس بنِ حَجَرٍ .

وقوله " زَبَنَتهُ الحربُ " أي : دفعته ."ولم يترمرم " أي لم يتحرك ، يقال : قيل له كذا وكذا فلم يترمرم " .

وقال ليزيد : حَرِّكْهُم ، فَحَرَّكَهُمْ فتهايجوا ، وذلك في قرية من قرى إصطخر، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه ، فشك فَخِذهُ بالسَّرج، فقال المهلب للسُّلمي والكلبي : كيف نقاتل قوما هذا طعنهم ؟

وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرُّقادُ وهو من فرسان المهلب وهوأحد بني مالك بن ربيعة ، على فرس له أدْهَمَ ، وبه نَيِّف وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخُشَنِيِّ مولى العَتيكِ:مَنْ لهذين؟ قال : أنا ، فحمل عليهما ، فعطف عليه أحدهما ، فطعنه قيس فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقه ، فسقطا جميعًا إلى الأرض ، فصاح قيس الخشني ، اقتلونا جميعًا، فحملت

---

(١) بهامش بعض النسخ مانصه : " قال ابن شاذان :"بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بأسًا فهو بئيس : إذا كان شديد البأس "

(٢) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه :"وَأَلَتْ : نجت . وعَظَهم بذلك ، يقول : لا يجب للجبان أن يجبن عن القتال إذا مات عياش على فراشه غير مقتول ".

(٣) (وزبنته الحرب) على التشبيه بقولهم زبنت الناقة ولدها دفعته عن ضرعها وحرب زبون كذلك تصدم الناس وتدفعهم رغبة الآمل ٩٤/٨ .

(٤) البيت من الطويل ،وهو لقيس بن حجر فى ديوانه صـ ١٢١؛ ولسان العرب ٢٥٥/١٢(رسم)؛ وتاج العروس ٣٢٠/٣ (عجب)؛ ومقاييس اللغة ٣٨٠/٢،٦٤٤/٤؛ وأساس البلاغة (زبن)،(عجب)؛ وبلا نسبة فى لسان العرب ٥٨٠/١(عجب)؛ ومجمل اللغة ٣٦٣/٢، وجمهرة اللغة ص١٩٩؛ وتاج العروس ٢٠٢/٢٢(مصح) وكتاب العين ٣١٨/١ ، ٧/ ٣٧٤ .

خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما ، فقالوا مُعَانِقُه امرأة ؟ فقام قيس مستحييا ، فقال له يزيد : أما أنت فبارزْتَها على أنها رجل ، فقال : أرأيت لو قُتِلتُ أما كان يقال قتلته امرأة ؟!.

وأبلى يومئذ ابن المُنْجِبِ السدوسي ، فقال له غلام له يقال له خِلاجٌ : وا لله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى نصير إلى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين، فقال له مولاه: وكيف تمنيت اثنتين ؟ قال : لأعطيك إحداهما وآخذ الأخرى! فقال ابن المنجب:

أخِلاَجُ إنك لن تُعَانِقَ طَفْلَةً ... شَرِقًا بها الجَادِيُّ كالتِّمثال[1]

حتى تُلاقِيَ في الكتيبة مُعْلِمًا ... عَمْرُو القَنَا وعَبيدةَ بنَ هلال

وترى المُقَعْطَر في الكتيبة مُقْدِمًا ... في عُصْبَةٍ قَسَطُوا مع الضُّلاَّلِ

أو أن يُعَلِّمَكَ المهلَّبُ غزوةً ... وترى جبالاً قد دَنَتْ لجبال

قوله "طَفْلَةً" يقول ناعمة، وإذا كسرت الطاء فقلت"طِفلةٌ" فهى الصغيرة .و"الجادي" الزعفران ."والكتيبة" الجيش،وإنما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهلها بعضهم إلى بعض، وبهذا سُمِّيَ الكتاب ، ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلة والناقة إذا خَرَزْتَ ذلك الموضع منها وكتبتُ القِربة . و"المُعْلِمُ": الذي قد شهر نفسه بعلامة إما بعمامة صبيغ ،وإما بِمُشَهَّرةٍ، وإما بغير ذلك . وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان ا لله عليه مُعْلَمًا يوم بدر بريشة نعامة في صدره ، وكان أبو دُجَانَةَ ، وهو سِماك بنُ خَرَشَة الأنصاريُّ ، يوم أحد لما قال رسول ا لله ﷺ " من يأخذ سيفي هذا بحقه ؟فقالوا : وما حقه يا رسول ا لله ؟ قال : أن يُضْرب به في العدو حتى ينحني ، فقال أبو دُجَانَةَ: أنا، فدفعه إليه ، فلبس مُشَهَّرَةً فأعلم بها ، وكان قومه يعلمون لما بَلَوْا منه أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يُبق في نفسه غاية فخرج يتمشى بين الصفين ، فقال رسول ا لله ﷺ : إنها لمشية يُبْغِضُها ا لله عز وجل إلا في مثل هذا الموضع[2] " . وسمع عليا ـ رضي ا لله عنه ـ * يقول لفاطمة ورمى إليها بسيفه فقال:

---

(١) (الحادى) نسبة إلى حادية " بتخفيف الياء وهى قرية من عمل البلقاء من أرض الشام رغبة الآمل ٨/٩٦ .

(٢) حديث أبي دجانة سماك بن خرشة أخرجه مسلم بنحوه .

* نسخت فىالأصل : صلوات ا لله عليه .

هاك حميدًا فاغسلي الدم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : " لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معك سماك بن خَرَشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْفٍ [١] والحارث بن الصِّمَّةِ[٢] وفي بعض الحديث " وقيس بن الربيع " وكل هؤلاء من الأنصار .

* * *

---

(١) زاد في بعض النسخ : " وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم بايعه : أبايعك يا رسول الله على أن لا أخرّ إلا قائما . قوله : على أن لا أخر إلا قائما يعني أن لا أموت إلامسلمًا ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ فلما خر تبينت الجن ﴾ : وهذه حاشية أقحمت في المتن .

(٢) أخرجه الحاكم بنحوه فى المستدرك .

وعمرو القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبيدة بن هلال من بني يشكر ابن بكر بن وائل ، والذي طعن صاحب المهلب في فخذه فشكَّهَا مع السرج من بني تميم ، قال [1]: ولا أدري أعمرو هو أم غيره ، والمُقَعْطَرُ من عبد القيس .

وقوله " قسطوا " أي : جاروا ، يقال : قسط يقسط فهو قاسط : إذا جار ، قال الله جل ثناؤه ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا** ﴾ [2]. ويقال : أقسط يقسط فهو مقسط : إذا عدل ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ [3] .

وكان بدر بن الهُذَيْل شجاعًا ، وكان لَحَّانَةً ، فكان إذا أحس بالخوارج نادى : يا خيلِ [4] الله اركبي ! وله يقول القائل :

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلب حاجة ... عَرَضَتْ تَوَابِعُ دُونَه وعَبِيدُ
العبد كُرْدُوسٌ وعبدٌ مثله ... وعِلاَجُ باب الأحمرين شديد

" كُرْدُوسٌ " رجل من الأزد ، وكان حاجب المهلب . وقوله " وعلاج باب الأحمرين " العرب تسمي العَجَمَ الحمراء ، وقد مضى هذا . وقوله " توابع " أراد به الرجال ، فجاز في الشعر ، وإنما رده إلى أصله للضرورة ، وما كان من النعوت على "فاعل" فجمعه " فاعلون " لئلا يلتبس بجمع " **فاعلةٍ** " التي هي نعت ، وقد قلنا في هذا ولِمَ قالوا " فوارس " و " وهالك في الهوالك " .

وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنًا عُرِفَ مكانه فيه ، وكانت بينه وبين بني المهلب جفوة ، فقال لهم : يا بني عمي ، إني قد قصَّرتُ عن شَكَاةِ [5] العاتب، وجاوزت

---

(١) قال محقق س : القائل هو المبرد ، ولعل الوجه حذف " قال " .

(٢) سورة الجن : ١٥.

(٣) سورة المائدة : ٤٢ : وسورة الحجرات : ٩ ، وسورة الممتحنة ٨.

(٤) بكسر اللام ، وههنا موضع لحنه ، فالصواب فتحها .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : الشَّكاة والشِّكاية واحد ، قال أبو ذؤيب : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها يقال : شكوته أشكوه شكوًا وشكاية وشكاة " .

شكاة المستعتب ، حتى كأني لا موصول ولا محروم ، فاجعلوا لي فُرْجَةً أعش بها وهبوني امرءاً رجوتم نصره أو خفتم لسانه ، فرجعوا إليه ووصلوه ، وكلموا فيه المهلب فوصله .

وولّى الحجاج كَرْدَمًا فارس ، ووجهه إليها والحرب قائمة، فقال رجل من أصحاب المهلب :

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمَا	كَرْدَمَةَ العَيرِ أحَسَّ الضَّيْغَما

" **الضيغم** " : الأسد . و " **الكردمة** " : النفور .

* * *

فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصطخر ودَرَابَ جَرْدَ لأرزاق الجند ، ففعل ، وقد كان قَطَرِي هدم مدينة إصطخر ؛ لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره ، وأراد مثل ذلك بمدينة فسا ، فاشتراها منه أَزَاذْ مَرْدُ بن الهِرْبِذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها ، فواقعه المهلَّبُ فهزمه فنفاه إلى كرمان ، واتبعه المغيرة ابنه ، وقد كان دفع إليه سيفًا وجه به الحجاج إلى المهلب ، وأقسم عليه أن يتقلده ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلده،فرجع به المغيرة إليه وقد دمَّاه،فسر المهلب وقال:ما يَسُرُّني أن أكون كنت قد دفعته إلى غيرك من ولدي،اكفني جباية خراج هاتين الكورتين،وضم إليه الرُّقَاد، فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيئًا،ففي ذلك يقول رجل منهم،وأحسبه من بني تميم في كلمة له :

ولو علم ابن يوسف ما نُلاَقِي	من الآفات والكُرَبِ الشِّدَادِ
لفاضتْ عينه جزعا علينا	وأصْلَحَ ما استطاع من الفساد
ألا قُلْ للأمير جُزِيتَ خيرًا	أَرِحنَا من مُغيرةَ والرُّقَاد
فما رَزَقَا الجنودَ بها قفيزًا	وقد ساست مطامير الحصاد [1]

---

(١) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه : " زاد المدائني:

غزونا أرض فارس في جمادى	إلى شعبان نقطع كل واد
نخوض الثلج فوق ذرى جبال	ونـزل مرملين بغير زاد
ترى الشيخ النحيل على حمار	يسوق به فتى رخو النجاد

يقال " **ساس الطعام وأساس** " : إذا وقع فيه السوس ، و" **دَادَ وأَدَادَ** " من الدود وروى أبو زيد " **دِيدَ فهو مَدودٌ** " في هذا المعنى .

فحاربهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها إلى جِيرَفْتَ،واتّبعهم فنزل قريبًا منهم، واختلفت كلمتهم .

وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكري اتُّهِمَ بامرأة رجل نجار رأوه مرارًا يدخل منزله بغير إذن ، فأتوا قطريًا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عبيدة من الدين بحيث علمتم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ، فقالوا : إنا لا نُقَارُّ [1] على الفاحشة فقال : انصرفوا ، ثم بعث إلى عبيدة فأخبره وقال له قولهم : إنا لا نُقَارُّ على الفاحشة ، قال: بهتوني يا أمير المؤمنين ! فما ترى؟ قال : إني جامع بينك وبينهم ، فلا تخضع خضوع المذنب ، ولا تتطاول تطاول البريء ، فجمع بينهم ، فتكلموا ، فقام عَبِيدة فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم، لا تحسبوه شرًا لكم،بل هو خير لكم**﴾ الآيات[2] فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه ، وقالوا: استغفر لنا ، ففعل، فقال عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة : والله لقد خدعكم! فبايع عبد ربه الصغير منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدُّوا على عبيدة في إقامة الحد ثَبَتًا .

* * *

وكان قطري قد استعمل رجلاً من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة ، فأتوا قطريًا فقالوا : إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عُمَّالَهُ على مثل هذا ، فقال قطري إني استعملته وله ضِياع وتجارات ، فأَوْغَرَ ذلك صدورهم ، وبلغ المهلب ذلك ، فقال : إن اختلافهم أشد عليهم مني .

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال فلان قارٌّ أي ساكن وما يتقار في مكانه وفي الحديث : قاروا الصلاة ، ومعناه السكون ".

(٢) سورة النور : ١١ فما بعد .

قال محقق س : و" تحسبوه " ضبط في النسخ بكسر السين وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والكسائي من السبعة وكذا قرءوا هذا الفعل بكسر السين حيث وقع في القرآن إذا كان مستقبلاً، وفتح السين باقي السبعة . انظر السبعة لابن مجاهد ١٩١ ، والكشف لمكي ١/٣١٧ ـ ٣١٨ .

وقالوا لقطري : ألا تخرج بنا إلى عدونا ؟ فقال : لا ، ثم خرج، فقالوا :قد كذب وارتدا فاتبعوه يوماً فأحس بالشر ، فدخل دارًا مع جماعة من أصحابه، فصاحوا به: يا دابة اخرج إلينا!! فخرج إليهم ، فقال : رجعتم بعدي كفاراً ؟! فقالوا : أولست دابة ؟ قال الله عز وجل ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾[1] ولكنك قد كفرت بقولك أنا قد رجعنا كفارًا ، فتب إلى الله عز وجل . فشاور عبيدة ، فقال : إن تبت لم يقبلوا منك ، ولكن قل : إنما استفهمت فقلت أرجعتم بعدي كفاراً ، فقال ذلك لهم فقبلوا منه ، فرجع إلى منزله ، وعزم أن يبايع المقعطر العبدي ، فكرهه القوم وأَبَوْهُ فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم : ابغ لنا غير المُقعطر ، فقال لهم قطري : أرى طول العهد قد غيركم،وأنتم بصدد عدوكم ، فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم ، واستعدوا للقاء القوم ، فقال له صالح بن مخراق : إن الناس قبلنا قد ساموا عثمان بن عفان أن يعزل سعيد ابن العاصي عنهم ففعل ، ويجب على الإمام أن يعفي الرعية مما كرهت، فأبى قطري أن يعزله ، فقال له القوم : فإنا قد خلعناك وولينا عبد ربه الصغير ، فانفصل إلى عبد ربه أكثر من الشطر ، وجلهم الموالي والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القُرَّاء ، ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطري : هذه نفحة من نفحات الشيطان ، فأعفنا من المقعطر وسر بنا إلى عدوك ، فأبى قطري إلا المقعطر ، فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأَجَرَّه الرمح فقتله .

ومعنى" أجره " : الرمح طعنه وترك الرمح فيه ، قال عنترة :

وآخر منهم أجْرَرْتُ رُمْحي ... وفي البَجْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ [2]

---

(١) سورة هود : ٦ .

(٢) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه :" البجلي منسوب إلى بجلة من بني سليم . والمِعْبَلَةُ : السهم الذي نصله عريض ، والوقيع : الذي ضُرِب بالميقعة وهي المطرقة . والمُدَار النصل من السهام الحديد له سَرْوَة . أبو علي في النوادر : السروة : النصل إذا كان مدورًا مدملكًا لا عرض له " .

وبهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : بجلة بطن من العرب وهم حلفاء لبني سليم عنده وفي البجلي"بإسكان الجيم ، قال:وبجيلة حي من اليمن.وبنو بجالة بطن من بني ضبة،قال الأخفش......."

وقد أتى على قول الأخفش القطع في الورق وليته بقي وضاعت الحاشية كلها ، فقد سلف قول له في بجيلة شككنا ثمة أن يكون صحيحاً عنه ، فلو بقي قوله ههنا لاستبان لنا قوله ثمة .

البيت لعنترة في ديوانه ص ٨٥ .

فنشبت الحرب بينهم ، فتهايجوا ، ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم ، فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا ، فأجلت الحرب عن ألفي قتيل ، فلما كان الغد باكروهم القتال ، فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة ، وأقام عبد ربه بها ، وصار قطري خارجا من مدينة جيرَفْتَ بإزائهم ، فقال له عَبيدَة : يا أمير المؤمنين ، إن أقمت لم آمن هذه العبيد عليك إلا أن تخندق ، فخندق على باب المدينة ، وجعل يناوشهم .

وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ، ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له : أصلح الله الأمير ، عاجلهم قبل أن يصطلحوا ، فقال المهلب : إنهم لن يصطلحوا ، ولكن دعهم ، فإنهم سيصيرون إلى حال لا يفلحون معها ، ثم دس رجلاً من أصحابه فقال: إيتِ عسكر قطري فقل : إني لم أزل أرى قطريًا يصيب الرأي حتى نزل منزله هذا، فبان خطؤه ، أيقيم بين المهلب وعبد ربه ، يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا ؟! فنمى الكلام إلى قطري ، فقال : صدق ، تَنَحَّوا بنا عن هذا الموضع ، فإن اتبعنا المهلب قاتلناه، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون ، فقال له الصَّلتُ بن مُرَّةَ : يا أمير المؤمنين ، إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم ، وإن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا ، وأنشأ الصلت يقول :

قل للمُحِلِّينَ قد قَرَّتْ عُيونُكُمُ — بفُرْقَةِ القوم والبغضاء والهرب
كنا أناسا على دين ففرقنا — طولُ الجِدالِ وخَلْطُ الجِدِّ باللعب
ماكان أغنى رجالا ضَلَّ سعيهم — عن الجِدال وأغناهم عن الخطب
إني لأهونُكم في الأرض مُضْطَرَبًا — مالي سوى فرسي والرمح من نشب[1]

ثم قال : أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه ، فارتحل قطري وبلغ ذلك المهلب ، فقال لهريم بن عدي بن أبي طَحْمَةَ المُجَاشِعِيِّ : إني لا آمن أن يكون قطريٌّ كادنا بترك موضعه ، فاذهب فتعرف الخبر ، فمضى هريم في اثنى عشر فارسًا ، فلم ير في العسكر إلا عبدًا وعِلْجا ، فسألهما عن قطري وأصحابه ، فقالا : مضوا يرتادون غير هذا المنزل ،فرجع هُريم إلى المهلب فخبرَّه ، فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطري، فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة ، وأحيانًا بالعشي، ففي ذلك يقول رجل من بني سدوس، يقال له المُعْنِق [2]، وكان فارسًا :

---

(١) الأبيات أنشدها الجاحظ فى البيان والتبيين ٤٢/١ لزيد بن جندب الإيادى .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المعنق بالنون ، وبالتاء ، قال المدائني : معنق بن سلام أو سلام بن معنق" ووقع في بعض النسخ : " لمعتق " بالتاء .

ليت الحرائر بالعراق شهدننا ورأيننا بالسفح ذي الأجبال
فنكَحْنَ أهلَ الَجُزْءِ من فُرْساننا والضاربينَ جَماجِمَ الأبْطال [1]

ووجه المهلب يزيد إلى الحجاج يخبره بأنه قد نزل منزل قطري ، وأنه مقيم على عبد ربه ، ويسأله أن يوجه في إثر قطري رجلاً جلدًا في جيش فسر ذلك الحجاج سرورًا أظهره ، ثم كتب إلى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب ، وفي الكتاب :

أما بعد فإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلي ، فيرجعوا بعذرك وذلك أنك تسمع حتى تبرأ الجراح ، وتنسى القتلى ، ويَجِمَّ الناس ثم تلقاهم، فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك، من وحشة القتل ، وألم الجراح ، ولو كنت تقاتلهم بذلك الجد لكان الداء قد حُسِمَ ، والقَرْنُ قد قُصِمَ [2] ، ولعمري ما أنت والقوم سواء ، لأن من ورائك رجالاً وأمامك أموالاً ، وليس للقوم إلاّ ما معهم ، ولا يدرك الوجيف [3] بالدبيب ، ولا الظفر بالتعذير .

فقال المهلب لأصحابه : إن الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة : قطري بن الفجاءة ، وصالح بن مخراق ، وعبيدة بن هلال ، وسعد الطلائع ، وأنما بين أيديكم عبد ربه ، في خشارة [4] الشيطان ، تقتلونهم إن شاء الله .

---

(١) أهل الجزء : هم أهل الغَنَاء والكفاية في القيام بأمر الحرب . رغبة الآمل ١٠٥/٨ .
وأورد بهامش الأصل أبياتاً بعد هذين ، وهي :

فتركن أعناس الرجال بشكلهم عظماً وإن كانوا ذوي أموال
إنَّ الحرائر لو شهدن رأينني وعليَّ من رجع السيوف ظلال
أغشى الكتيبة معلَماً فأردها بالسيف دون حوامل الأنذال
وكذاك كان أبي سدوس في الوغي يعتام كل متوج رئبال"

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قصمت الشيء أقصمه قصمًا : إذا كسرته . جم الشيء جمامًا بفتح الجيم : إذا كثر ، وجم الفرس جمامًا : إذا ترك الضراب " .
(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الوجيف : ضرب من سير الإبل ،وجف البعير يجف وجفًا ووجيفًا ، وربما استعمل في الخيل " .
(٤) وبهاش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذن : قال الأموي : الخشار : الرديء من كل شيء، وقال أبو زيد : الخشارة:ما بقي على المائدة وغيرهما ما لا خير فيه . يقال : خشرت أخشر خشراً: إذا نقيت الرديء منه "

فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون ، فتصيبهم الجراح ، ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا عن مجلس كانوا يتحدثون فيه ، فيضحك بعضهم إلى بعض ، فقال عبيد بن موهب للمهلب : قد بان عذرك ، وأنا مخبر الأمير ، فكتب المهلب إليه :

أما بعد فإني لم أعط رسلك على قول الحق أجرًا ، ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى تلقين ، ذكرت أنى أُجمُّ القوم ، ولابد من راحةٍ يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت أن في ذلك الجمام ما ينسى القتلى ، وتبرأُ منه الجراح ، وهيهات أن يُنْسَى ما بيننا وبينهم ، يأبى ذلك قتلى لم تجن ، وقروح لم تتقرف ، ونحن والقوم على حالة ، وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملوا وقفوا ، وإن يئسوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونتحرَّز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والرأي كان القرن مقصوصًا، والداء بإذن ا لله محسومًا ، وإن أعجلتني لم أطعك و لم أعص، وجعلت وجهي إلى بابك ، وأنا أعوذ با لله من سخط ا لله ،ومقت الناس .

* * *

ولما اشتدَّ الحصار على عبد ربه قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ، فإنَّ المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره، والمسلم إذا صح توحيده عز بربه. قد أراحكم ا لله من غلظة قطرى ، وعجلة صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط عبيدة بن هلال ، ووكلكم إلى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية ، وانتقلوا عن منزلكم هذا، من قتل منكم قتل شهيداً ، ومن سلم من القتل فهو المحروم .

وقدم في هذا الوقت على المهلّب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي ، يستحثُّه بالقتال ، ومعه أمينان ، فقال له : خالفت وصية الأمير ، وآثرت المدافعة والمطاولة . فقال له المهلّب : ماتركت جهداً ، فلما كان العشي خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا ، فقال المهلّب لأصحابه : الزموا مصافّكم ، أشرعوا رماحكم[1] ودعوهم والذهاب، فقال له عبيد : هذا لعمري أيسر عليك ، فقال للناس: ردوهم عن وجههم ، وقال لبنيه : تفرَّقوا في الناس ، وقال لعبيد بن أبي ربيعة : كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشدَّ الأخذ وقال لأحد الأمينين : كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور،

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : يقال أشرع القوم الرماح : إذا صوبوها للطعن .

فاقتتلوا قتالا شديدًا ، حتى عقرت الدواب ، وصرع الفرسان ، و قتلت الرجال . فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشد قتال ، وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل ، وذلك مع المغرب، والمراديُّ يقول :

اللَّيْلُ لَيْلٌ فيهِ وَيْلٌ وَيْلُ وسالَ بالقوم الشُّراةِ السَّيْلُ

إنْ جازَ للأعْداءِ فينا قَوْلُ

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب إلى المغيرة : خل لهم عن الرمح عليهم لعنة الله ، فخلوا لهم عنه .

ومضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جِيرفْت ، ودخلها المهلّب، وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع ، وما خلّفوه من دقيق ، وختم عليه هو والثقفيُّ والأمينان ، ثم اتّبعهم ، فإذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها إلا قوي ، يأتي الرجل بالدَّلو قد شدها في طرف رمحه فيستقي بها ، وهناك قرية فيها أهلُها ، فغاداهم القتال ، وضم الثقفيَّ إلى يزيد ، وأحد الأمينين إلى المغيرة ، فاقتتل القوم،إلى نصف النهار، فقال المهلب لأبي علقمة العبدي ـ وكان شجاعاً عاتيًا ـ : أمدد بخيل اليحمد، وقلْ لهم: فليعيرُونا جماجمهم ساعة ، فقال له : إن جماجمهم ليست بفخّار فتعار وليستْ أعناقهم كرادن فتنْبت [قال أبو الحسن الأخفش[1] : تقول العرب لأعذاق[2] النخل : كرادن ، وهو فارسي أعرب [3]] وقال لحبيب بن عوف : كرَّ على القوم ، فلم يفعل ، وقال [4] :

يقولُ لي الأميرُ بغيرِ علمٍ تقدَّمْ حين جَدَّ به المِرَاسُ

---

(١) قال محقق س في أ وحدها . قوله : قال أبو الحسن الأخفش " ليس في د وي . وفي سائر النسخ " قال أبو العباس " ؟ ولا ريب أن هذا ليس من كلام المبرد . وقوله فتنبت مؤخر في ب و ي إلى ما بعد تمام كلام أبي الحسن .

(٢) قال محقق س كذا في أ و هـ . وفي سائر النسخ : " لأعناق"وقوله " تقول العرب لأعذاق النخل كرادن " لم أجده ، والمعروف أن الكرد ـ وأصله كردن ـ هو العنق أو أصله . انظر اللسان والتاج " كرد " .

(٣) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابن شاذان ، الكردُ : العنق ، وهو فارسي معرب ، وكان أصله الكردن ": .

(٤) البيتان بلا نسبة في البرصان والعرجان ٣١١ ، وزاد محققه تخريجهما من مجموعة المعاني ٤٣ ، وبهجه المجالس ٤٧٩/١ . وهما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١٨٣٩ ، والتبريزي ١٦٢/٤ ، ونقلاً بعض كلام المبرد .

فمـــالِي إن أطعتُـــكَ مـــن حيـــاةٍ   ومـــالِي غَـيْرَ هـذا الــرأسِ راسُ

نصب " غير " لأنّه استثناء مقدَّم ، وقد مضى تفسيره .

وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة : احمـل ، فقـال : لا ، إلاّ أن تزوجـني أمَّ مـالك بنت المهلب ، ففعل ، فحمل على القوم فكشفهم ، وطعن فيهم ، وقال :

ليـتَ مـنْ يَشْـتَري الغَـدَاةَ بمـالٍ   هُلْكـهُ اليـوم عندَنـا فيَرَانَـا

نَصـلُ الكَـرَّ عنَـد ذاكَ بطعـنٍ   إنَّ للمـوتِ عندَنـا ألْوَانـا

ثم جال الناس جولة عند حملةٍ حملها عليهم الخوارج ، فالتفت عند ذلك المهلّب فقال للمغيرة : ما فعل الأمين الذي كان معك ؟ قـال : قُتل ، وكـان الثقفيُّ قد هـرب، فقال ليزيد : ما فعل عبيد بن أبي ربيعة ؟ قال : لم أره منذ كانت الجولة ، فقـال الأمين الآخر للمغيرة: أنت قتلت صاحبي ، فلما كان العشيُّ رجع الثقفيُّ ، فقـال رجل من بني عامر بن صعصعة :

مـا زلـتَ يـا ثقفـيُّ تخطـبُ بيننـا   وتغمُّنـا بوصيَّـة الحجَّـاجُ

حتـى إذا مـا المـوتُ أقبـل زاخِـرًا   وسما لنـا صِرفًـا بغـير مـزاجِ

ولَّيـتَ يـا ثقفـيُّ غـير منـاظرٍ   تنسـابُ بـين أجـزَّةٍ وفجـاجِ

ليسـتْ مقارعـةُ الكُمـاةِ لَـدَى الوَغَـى   شُـرْبَ المُدَامـةِ في إنـاءِ زُجـاجِ

قوله " بين أجزَّة " هو جمع حزيرٍ ،وهو متن ينقـاد مـن الأرض ويغلـظُ و"الفجـاج": الطرق ، واحدها فجٌّ .

وقال المهلّبُ للأمين الآخر : ينبغي أن تتوجَّه مع ابني حبيب في ألف رجل حتى تبيِّتوا عسكرَهم ، فقال : ما تريد أيها الأمير إلا أن تقتُلني كما فعلت بصاحبِي قال: ذاك إليـك، وضحك المهلَّب . و لم تكن للقوم خنادقُ ، فكان كل حذراً من صاحبه ، غـير أنَّ الطعام والعدَّة مع المهلَّب ، وهم في زهاء ثلاثين ألفًا ، فلما أصبح أشرف على واد فإذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه بالدِّماء وهوينشد :

جزانـي دِوائِـي[1] ذُو الخِمَـار وصَنْعَـتي   إذا بـاتَ أطـواءً بـني الأصـاغرُ

---

(١) الدواء : مصدر داوى الفرس إذا عالجها بالتضمير والحنذ ونحوه .

أخـــادعَهم عنـــه ليُغبـــقَ دُونَهـــم وأعلـمُ غـيرَ الظَّـنّ أنّـــي مُغـاوِرُ
كـــأنّي وأبـــدانَ السِّـــلاح عَشـــيَّةً يمـرُّ بنـا في بَطْـنِ فيحـانَ طـائرُ(١)

فدعاه المهلَّب فقال : أتميمي أنت ؟ قال نعم ، قال : أحنظلي ؟ قال : نعـم ، قـال : أيربوعي ؟ قال : نعم ، قال : أثعلبي ؟ قال : نعم ، قال : أمن آل نويرة ؟ قال : نعم ، أنـا من ولد مالك بن نُويرةَ ، وسبحانَ الله أيُّها الأمير ! أيكون مِثْلِي في عسكرك لا تعرفـه ؟! قال : قد عرفتك بالشعر !!

قوله : " ذو الخِمَارِ " يعني فرساً . وكـان ذو الخمـار فـرس مـالك بـن نُويـرة ، قـال جرير (٢):

بـــيرْبوع فَخَـــرتُ وآل ســـعْدٍ فـلا مجـدي بلغـت ولا افتخــاري
بـــيربوع فـــوارسُ كـــلِّ يـــومٍ يُـواري شمسَـــهُ رَهَـــجُ الغُبَـــارِ
عُتيبـــةُ ، والأُخَيمْــرُ ، وابـــنُ عمـــروٍ وعَتّـابٌ ، وفـارسُ ذي الخِمـارِ (٣)

قوله : " أطواء " يقال : رجل طوي البطن ، أي منطوٍ ، يخبر أنّـه كـان يؤثـر فرسـه على ولده ، فيشبعه وهم جياع ، وذلك قوله :

أخادعهم عنه ليغبق دونهم

و"الغبوقُ " :شرب آخر النهار وهذا شيء تفخر به العرب ، قال الأسْعر الجعُفيُّ:

لكـــن قعيـــدةُ بيتنـــا مجفـــوّة بـادٍ جناجن صدرهـا ولهـا غنـى (٤)

---

(١) (فيحان) "بفتح الفاء وسكون الياء" موضع أو واد فى بلاد بنى سعد يضـاف إليـه القطـا شبه فرسه فى سرعة مره بالطائر .

(٢) بعض النسخ : قال جرير يهجـو الفرزدق .والأبيـات في تذييـل ديوانـه ق ١٤/١٤ ـ ١٦ جـ ٨٥٥/٢ .

(٣)بهامش بعض النسخ ما نصه:"المهلب:الرَّهج:الغبار،بفتح الهاء وتسـكينها.وعتيبـة بـن الحـارث بـن شهاب اليربوعي والأحيمر،بن أبي مليل اليربوعي،وابن قيـس،معقـل بـن قيـس اليربوعي وعتـاب ابـن هرمي اليربوعي . وفارس ذي الخمار : مالك بن نويرة اليربوعي " .
قال محقق س : قوله " الأخيمر وابن عمرو " كذا وقع ، روايـة النقـائض ٢٤٧ " وابـن قيـس " وهـي الموافقة لما نقلناه من هامش أ . ووقع في تذييل ديوان جرير" وابن سعد " وهو خطأ من المحقق فهو إنما نقل القصيدة من النقائض .

(٤) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبي : الجناجنُ : عظام الصدر التى تبدو مـن الإنسـان إذا هزل واحدها جِنجِنٌ وجَنجَن " .

تُقَفِّي بعيشة أهلها وثَّابة أو جُرشُعًا نهد المَرَاكِلِ والشَّوى[1]

المركل والمعدُّ : موضع رجل الفارس من الفرس[2] .

* * *

قال : فمكثوا أيامًا على غير خنادق ، يتحارسون ودوابهم مسرجة ، فلم يزالوا على ذلك حتّى ضعُف الفريقان ، فلما كانت الليلةُ التى قتل في صبيحتها عبدُ ربِّه جمع أصحابه وقال : يا معشر المهاجرين ، إن قطريًّا وعبيدةَ هربا طلب البقاء ،ولا سبيل إليه، فألقوا عدوَّكم ، فإن غلبوُكم على الحياةِ فلا يغلبُنَّكم على الموت،تلقَّوا الرماح بنحوركم، والسيوف بوجوهكم ، وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة .

فلما أصبحوا غادوا المهلب فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، نُسي به ما كان قبله ، فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلَّب :من يُبايعُنى على الموت ؟ فبايعه أربعون رجلاً من الأزد وغيرهم ، فصرع بعضهم ، وقتل بعض ، وجرح بعض . وقال عبد الله بن رزام الحارثيُّ لأصحاب المهلَّبِ : احملوا ، فقال المهلَّب : أعرابيٌّ مجنون ! وكان من أهل نَجْران ، فحمل وحده ، فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ، ثم رجع ، ثم كرَّ ثانية ، ففعل فعلته الأولى ، وتهايج الناس ، فترجَّلت الخوارج وعقروا دوابهم ، فناداهم عمرو القنا ، ولم يترجل هو وأصحابه من العرب ،وكانوا زهاء أربعمائة : موتوا على ظهور دوابِّكم ، ولا تعقروها ، فقالوا : إنا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار .

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه : رواية ابن شاذان :

تقفي بعيشة أهلها وثابة أو جرشـ ـعٌ ....

وقال : والجرشع المنتفخ الجنبين ويروى : عَبْل المحارم . والمراكل والمعدَّ : موضع رجل الفارس من الفرس " .

البيتان من الكامل ،والأول فى الأصمعيات صـ ١٤٤ ،ولسان العرب (٣/٣٦٠) (قعد) ،(١٣/١٠٠) (جنن)، وكتاب العين (١/١٤٣) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٥/١٠٨) والمخصص (٢/٢٢) .

(٢) في بعض النسخ : الجناجن أطراف ضلوع الصدر جنجن . ولها غنى أي مستغنية هي جرشع ممتلئ الجنبين . المركل والمعد موضع رجل الفارس من الفرس" .

فاقتتلوا ، ونادى المهلّب بأصحابه : الأرض الأرض ، وقال لبنيه : تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم ، ونادى الخوارجُ : ألا إنَّ العيال لمن غلب ، فصبر بنو المهلّب ، وصبر يزيد بين يدي أبيه ، وقاتل قتالاً شديداً أبلى فيه ، فقال له أبوه : يا بني إني أرى موطناً لا ينجو فيه إلا من صبر ، وما مرَّ بي يوم مثل هذا مُذْ مارست الحروب .

وكسرت الخوارج أجفان سيوفها،وتجاولوا ، فأجْلت جولتهم عن عبد ربه مقتولاً، فهرب عمرو القنا وأصحابه ، واستأمن قوم ، وأجلتِ الحربُ عن أربعة آلاف قتيلٍ، وجرحى كثيرٍ من الخوارج ، فأمر المهلّب بأن يُدفع كلُّ جريح إلى عشيرته، وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ، ثم انصرف إلى جِيرَفْت ، فقال : الحمد لله الذى ردنا إلى الخفض والدعة ، فما كان عيشُنا بعيشٍ ، ثم نظر إلى قومٍ في عسكره لم يعرفْهُم، فقال: ما أشدَّ عادة السِّلاح ! ناولُوني درعي ، فلبسها ، ثم قال خُذوا هؤلاء ، فلما صيِّرَ بهم إليه قال : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ جئنا لنطلُب غِرَّتك لنفتُك بك ، فأمر بهم فقتلوا .

* * *

ووجَّه كعب بن معَدانَ الأشقرِيَّ ، ومرَّة بن تليدٍ الأزديَّ من أزد شنوءة فوردا على الحجاج ، فلما طلعا عليه تقدَّم كعب فأنشده [1] :

يا حفصَ إنِّي عداني عنكُم السَّفَرُ وقد سَهِرْتُ فأَرْدَى نومي السَّهَرُ [2]

فقال له الحجاجُ : أشاعرٌ أم خطيبٌ ؟ قال : كلاهما ، ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال : خَبِّرني عن بني المهلب ؟ قال : المغيرةُ فارِسُهم وسيِّدهُم وكفى بيزيد فارسًا شجاعًا،وجوادُهم وسخيُّهم قبيصة،ولا يستحيي الشجاعُ أن يفرَّ من مدرك،وعبدُ الملك سُمٌّ ناقعٌ ، وحبيبٌ موتٌ زعافٌ، ومحمدٌ ليث غاب ، وكفاك بالمفضَّل نجدةً ،قال: فكيف خلَّفت جماعة الناس ؟ قال :خلَّفتهم بخيرٍ ، قد أدركوا ما أمَّلوا ، وأمنوا ما خافُوا ، قال: فكيف كان بنوُ المهلَّب فيهم؟ قال:كانوا حُماة السَّرح نهارًا، فإذا أَلْيلُوا ففُرسانُ البياتِ، قال : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحقلة المفرغة ، لا يدرى أين طرفاها ، قال:

---

(١) انظر شعر كعب فى شعراء أمويون ٣٩٦/٢ ، وسمط اللآلي ٥٨٩ ، والأغاني ٢٨٤/١٤ .

(٢) البيت فى الأغاني (٢٧٥/١٤) له ، ورواية الشطر الثانى

.... وقد سهرت فآذى عينى السهر .

ويروى :" فأردى عينى السهر " .

فكيف كنتم أنتم وعدُّوكم ؟ قال : كنّا إذا أخذنا عفوهَم طمعنا فيهم وإذا أخذُوا عفونا يئسنا منهم،وإذا اجتهدُوا واجتهدنا بلغنا فيهم آمالنا بإدراك الفرصة منهم فقال الحجاجُ: إن العاقبة للمتّقين ، كيف أفلتكُم قطريٌّ ؟ قال: كدناه ببعض ما كادنا به ، فصرْنا منه إلى التي نحب ، قال : فهلا اتبعتموه ؟ قال : كان الحد عندنا آثر من الفلِّ ، قال : فكيف كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال :كان لنا منه شفقة الوالد ، وله منا بر الولد ، قال : فكيف اغتباطُ الناس ؟ قال : فشا فيهم الأمنُ ، وشملهم النفلُ . قال : أكنت أعددت لي هذا الجوابَ؟ قال :لا يعلمُ الغيب إلاّ ا لله. قال : فقال : هكذا وا لله يكونُ الرِّجال ! المهلب كان أعلم بك حيث وجَّهك .

وكان كتابُ المهلب إلى الحجاج:

بسم ا لله الرحمن الرحيم . الحمد لله الكافى بالإسلام فقد ما سواه ، الذي وصل المزيدَ بالشُّكر والنعمة بالحمد وقضى ألا ينقطع المزيدُ منه حتى ينقطِعَ الشُّكر من عباده. أمَّا بعد ، فقد كان من أمرنا قد بلغك ، وكنا نحن وعدُّونا على حالين مختلَفين، يسُرُّنا منهم أكثرُ مما يسُوءُنا ،ويُسوءُهم مِنّا أكثر مما يسرُّهُم على اشتداد شوكتهم ، فقد كان عَلَنَ أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ، ونوِّم به الرضيع فانتهزتُ منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدنيتُ السَّواد من السَّواد ، حتى تعارفت الوجوه ، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتابُ أجله ﴿ فَقطعَ دَابرِ القوْمِ الّذينَ ظَلَمُوا والحْمدُ لله ربِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] .

فكتب إليه الحجاج :

أمَّا بعدُ ، فإنَّ ا لله عزَّ وجلَّ قد فعل بالمسلمين خيرًا، وأراحهم من حدِّ الجهاد، وكنتَ أعلمَ بما قِبَلَكَ، والحمد لله رب العالمين . فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقْسِم في المجاهدين فيْئَهم ، ونفِّل الناس على قدر بلائهم ، وفضِّل من رأيتَ تفضيله ، وإن كَانتْ بقيت من القوم بقية فخلف خيلاً تقوم بإزائهم ، واستعمل على كرمان من رأيت ، وولِّ الخيل شهماً من ولدك ، ولا ترخِّص لأحد في اللّحاق بمنزله دون أن تقدم بهم عليَّ، وعجل القدوم ، إن شاء ا لله .

فولّى المهلب ابنه يزيد كرمان ، وقال له : يا بنيٌّ ، إنك اليوم لست كما كنت، إنما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ، ولن تحتمل إلاّ على ما احتْمل عليه أبوك،

---

(١) سورة الأنعام : ٤٥ .

فأحسن إلى من معك ، وإن أنكرتَ من إنسانٍ شيئاً فوجهه إليَّ وتفضل علـى قومـك ، إن شاء ا لله .

وقدِمَ المهلَّب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه ، وأظهر إكرامه وبرَّه ، وقال : يا أهـل العراق ، أنتم عبيدُ المهلَّب ، ثم قال : أنت وا لله كما قال لقيطٌ الإيادي [1] :

وقلِّـــدوا أمركـــم لله درُّكـــم ... رحب الذِّراع بـأمْرِ الحَرْبِ مضطلعاَ [2]

لا يطعـمُ النـوم إلاَّ ريـث يبعثـه ... هـمٌّ يكـاد حشـاه يقصـم الضلعـا [3]

لا مترفًا إن رَخـاءُ العيـش سـاعَدَه ... ولا إذا عـضَّ مكـرُوةٌ بـه خشـعا

ما زال يحلُبُ هذا الدَّهـر أشطره [4] ... يكـونُ مُتَّبعًـا طـوراً ومتّبعـا

حتـى استمرَّت على شـزر مريرتُـه ... مُستحكِم الـرأي لا قحمـاً ولا ضرغـا [5]

فقام إليه رجل ، فقال:أصلحَ ا لله الأمير، وا لله لكأنيِّ أسمع الساعة قطريًّا وهو يقـول: المهلَّب كما قال لقيط الإياديّ، ثم أنشد هذا الشعر ، فسرَّ الحجاج حتى امتلأ سرورًا .

قوله "نفِّل" أي اقسم بينهم ، والنفل : العطيةُ التى تفضل ، كذا كان الأصـلُ ، وإنما تفضَّل ا لله عز وجل بالغنائِم على عباده ، قال لبيد [6] :

إنَّ تقـــوى ربِّنـــا خـــيرُ نفـــل .... [7]

وقال جل جلاله :﴿ يسئلُونَكَ عِنَ الأنْفَال ﴾[8] ويقال : نفَّلتُـك كـذا وكـذا أي: أعطيُتك ، ثم صار النفلُ لازماً واجبا.

---

(١) ديوانه ص ٤٧ - ٤٩ ، ٥٥ . وقد سلفت الأبيات غير الثاني .

(٢) رحب الذراع :واسع الصدر بالأمور . ومضطلع : محتمل " .

(٣) الحشا : البُهْر " .

(٤) يروي : ما انفك يحلب در الدهر " .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه :" المهلبى :هذا مثل لإحكامه . والقَحْم : الكبير : والضرغ : الصغير الضعيف ".

(٦) ديوانه ص ١٣٩ .

(٧) عجزه :

وبإذن ا لله ريثي وعجلْ

وقد ورد البيت بتمامه في بعض النسخ .

البيت من الرمل له فى ديوانه صـ١٧٤،ولسان العـرب (٦٧٠/١١) (نفـل)،ومقـاييس اللغـة (٤٦٤/٢)،وتاج العروس (نفل) وعجز البيت : وبإذن ا لله ريثى وعجل .

(٨) سورة الأنفال : ١ .

وقول الإيادي " رحب الذراع " فالرحب : الواسعُ ، وإنما هذا مثلٌ ، يريد : واسعَ الصدرِ ، متباعدَ ما بين الذراعين ، وليس المعنى على تباعُدِ الخَلق ،ولكن على سهولة الأمر عليه ، قال الشاعر :

رحيبُ الذراع بالتي لا تَشِينُهُ   وإن قيلَتِ العوراءُ ضاقَ بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز : ﴿ يجعلْ صدرَه ضيِّقًا حرجًا ﴾ [1]. وقوله "مضطلعًا" إنما هو "مفتعل" من الضليع ، وهو الشديد ،يريد أنه قوي على أمر الحرب ،مستقل بها.

وقوله :

يكون متَّبعًا طوراً ومتَّبعاً

أي قد اتَّبع الناسَ فعلم ما يصلُحُ به أمر الناس ، واتبع فعلم ما يُصلِحُ الرئيس ، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قد ألنا وإيل علينا ، أي قد أصلحنا أمور الناس، وأصلحت أمورنا .

وقوله : " على شزر " فهذا مثل ، يقال شزرتُ الحبل : إذا كرَّرت فتله بعد استحكامه راجعاً عليه ، والمريرةُ : الحبلُ . والضَّرعُ : الصغيُر الضعيف .

و " القحمُ " آخر سنِّ الشيخ ، قال العجَّاجُ :

رأينَ قحمًا شاب واقلحمَّا   طالَ عيه الدهرُ فاسلهمَّا

والمقلحم مثل القحم، وهو الجافُّ ، ويقال للصبيِّ مقحمٌ : إذا كان سيئ الغذاء، أو ابن هَرِمَيْنِ ، وكذلك يقال : رجلٌ إنقحلٌ وامرأة إنقحلةٌ : إذا أسنَّ حتى يبس ، والمسلهمُّ الضامر ، قال [2] :

لما رأتني خَلَقًا إنقحلا

ويقال في معنى قحم : قحر ، ويقال بعيٌر قحاريةٌ ، في هذا المعنى .

وقوله   **لا يطعمُ النومَ إلا رَيْثَ يبعثُه**

فريث وَعَوض [3] مما يضافُ إلى الأفعال ، وتأويلُه أنه لا يطعمُ النوم إلا يسيراً حتى يبعثه الهم، فمعناه مقدارُ ذلك . ومما يضافُ إلى الأفعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٥ .وقوله "حرجا " قرئ بفتح الراء وكسرها .

(٢) البيت بلا نسبة في خلق الإنسان للأصمعي (الكنز اللغوي ١٦٢) واللسان (قحل) .

(٣) قال محقق س قوله : " وعوض " كذا وقع ! ولا أعرف أحداً قال بإضافته إلى الفعل . فإن لم يكن هذا خطأً من الرواة فهو سهو من المبرد ، ولعله أراد " منذ " وهو مما يضاف إلى الفعل . انظر الكتاب ١/٤٦٠ .

﴿هذا يومُ ينفعُ الصادِقِينَ صدقُهُم﴾[1] فأسماء الزمان كلّها تضاف إلى الفعل ،نحو قولـك: آتيك يوم يخرجُ زيد ، وجئتك يوم قام عبدُ ا الله. وما كان منها في معنـى الماضي جـاز أن يضاف إلى الابتداء والخبر ، فتقول : جئتك يوم زيد أمير ، ولا يجـوز ذلـك في المستقبل، وذلك ؛ لأن الماضي في معنى إذ،وأنت تقول:جئتك إذ زيد أمير، والمستقبل فـى معنـى إذا، فلا يجوز أن تقول : أجيئك إذا زيد أمـير، فلذلـك لا يجوز أجيئـك يـوم زيـد أمـير . فأمـا الأفعال فى إذا وإذ فهى بمنزلة[2] واحدة ،تقول:جئتك إذ قام زيد، وأجيئـك إذا قـام زيـد، فهذا واضح بين .

ومما يضاف إلى الفعـل " ذو " في قولـك افعـل ذاك بـذي تسـلم ، وافعـلا ذاك بـذي تسلمان ، معناه ،: بالذي يسلمكما ، ومن ذلك " آية " في قوله [3] :

بآيــة تُقْدِمُــون الخَيْـــلَ شُـــعْثًا[4] كـأنَّ علـى سـنَابكها مُدَامَـا[5]

والنحو يتصل ويكثر ، وإنما تركنا الاستقصاء ؛ لأنه موضع اختصار [6] .

---

(١) سورة المائدة : ١١٩ .

(٢) قال محقق س كذا في أوحدها ، وهو الصواب . وفي سائر النسخ : " فأمـا الأفعـال ففـى إذا وإذ بمنزلة ؟ ولعل الصواب على ما فيها : فأما الأفعال فهى في إذا وإذ بمنزلة إلخ .

(٣) البيت في الكتاب ٤٦٠/١ (بولاق) و ١١٨/٣ (هارون) ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٢٧/٦ ، والخزانة ١٣٥/٣ . وهـو بلا نسبة في مطبوعة بولاق ، ووقع منسوباً إلى الأعشى في نسختين من النسخ التى اعتمد عليها الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب ، وكذا وقع فيما نقله البغدادي من كلام سيبويه ، وكذا وقع أيضًا في ثلاث نسخ من مخطوطات الكتاب التى وقف عليها الدكتور خالد عبد الكريم جمعة(انظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه ١٣٩ - ١٤٠).
وقال البغـدادي : والبيت الشـاهد لم أره منسـوباً إلى الأعشى إلا في كتاب سيبويه وفي غـيره غير منسوب إلى أحد وا الله أعلم .

(٤) (بآية تقدمون إلخ) نسبه سيبويه للأعشى يريد أبلغهم كذا بآية تقدمون الخيل شعثًا من السفر على الأعداء وشبه الدماء تسيل من الطعان على سنابكها بالحمرة والسنابك جمع سنبك "بضم السين والباء" مقدم الحافر .

(٥) البيت من الوافر وهو للأعشى في خزانة الأدب (٥١٢/٦،٥١٥)، ولسـان العرب (٢٩٢/١٢) (سلم)، وليس فى ديوانه، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة صـ٢٥٠، والدرر(٣٣/٥)،وشرح شواهد المغنى (٨١١/٢) ،وشرح المفصل (١٨/٣)،والكتاب (١١٨/٣)، ولسـان العرب (٦٢/١٤)(أيا) ، ومغنى اللبيب (٤٢/١) ،(٥٣٨/٢)،وهمع الهوامع (٥١/٢) .

(٦) في بعض النسخ : وإنما تركنا الاستقصاء ولو شئنا لأملينا ؛ لأنه موضع اختصار وقـد أتينـا علـى جميع هذا في الكتاب المقتضب . وفي د : الاستقصاء ولـه شعب ومشتقات ولـو شئنا لأملينـا نهايـة الاستقصاء ولكنا اختصرنا ؛ لأنه موضع اختصار .
وانظر المقتضب ١٧٦/٣ و ٣٤٧/٤ - ٣٤٨ .

فقال المهلب : إنا وا لله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ولكن دفع الحق الباطل، وقهرت الجماعة الفئة ، والعاقبة للتقوى،وكان من المطاولة خيراً لنا مما أحببناه من العجلة. فقال له الحجاج :صدقت ، اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم . فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج ، وقال لهم المهلب : ما ذخر ا لله لكم ـ إن شاء ا لله ـ خير لكم من عاجل الدنيا . ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء ، وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركًا وحبيبًا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا ، وقال إنه وا لله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ، ولولا أن أظلمهم لأخرتهم فقال الحجاج:صدقت، ما أنت أعلم بهم مني وإن حضرت وغبت ، إنهم لسيوف من سيوف ا لله.ثم ذكر معن ابن المغيرة بن أبي صفرة والرقاد وأشباههما ، فقال الحجاج : أين الرقاد ؟ فدخل رجل أجنأ ، فقال المهلب هذا فارس العرب ، قال الرقاء : أيها الأمير ، إني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس ، فلما صرت مع من يلزمني الصبر ويجعلني إسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء ، صرت أنا وأصحابي فرسانًا، فأمر المهلب الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم ، وزاد ولد المهلب ألفين ألفين ، وفعل بالرقاد وجماعة شبيهًا بذلك .

قال يزيد بن حبناء [1] من الأزارقة :

دعي اللوم إن العيش ليس بدائم ... ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم !
فإن عجلت منك الملامة فاسمعي ... مقالة معنى بحقك عالم
ولا تعذلينا في الهدية إنما ... تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره ... جلادًا ويُمْسي ليلُهُ غير نائم
يريد ثواب ا لله يوماً بطعنة ... غموس كشدق العنبري بن سالم
أبيت وسربالي دلاص حصينة ... ومغفرها والسيف فوق الحيازم[2]
حلفت برب الواقفين عشية ... لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان في القوم الذين لقيتهم ... بسابور شغل عن بزوز اللطائم
توقد في أيديهم زاعبية ... ومرهفة تفري شؤون الجماجم

---

(١) انظر شعر الخوراج ٨٦-٨٧ .

(٢) الدلص من كل شيء : البراق الأملس ، ومنه سميت الدروع دلاصًا " .

قوله : "من يكون نهاره جـلاداً ويمسـى ليلـه غـير نـائم " يريـد : يمسـى هـو في ليلـه ويكون هو في نهاره ، ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة ، وفي القرآن﴿**بـل مكـر الليل والنهار**﴾[1] والمعنى : بل مكركم في الليل والنهار ، وقال رجل مـن أهـل البحريـن من اللصوص :

أمـا النهـار ففـي قيـد وسلسـلة والليل في جـوف منحوت من السـاج

وقال جرير :

لقـد لمتنـا يـا أم غيـلان في السـرى ونمـت ومـا ليـلُ المطـي بنـائم

ولو قال : " من يكون نهاره جلادًا ويمسى ليله غير نائم " لكان جيـدًا ، وذلـك أنـه أراد : من يكون نهاره يجالد جلاداً ، كما تقول : إنما أنت سيرًا ، وإنما أنت ضربًا، تريـد: تسير سيراً ، وتضرب ضرباً ، فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرًا ،ولو رفعه على أن يجعل الجـلاد فـى موضـع المجـالد ، علـى أي قولـه أنـت سـير ، أي سـائر، كمـا قـالت الخنساء:

.... فإنمـا هـي إقبـال وإدبـارُ

وفي القرآن : ﴿ **قل أرأيتـم إن أصبـح مـاؤكم غـورًا** ﴾[2] أي غـائرًا ، وقـد مضـى تفسير هذا بأكثرمن هذا الشرح. ولو قال " **ويمسي ليله غير نائم** " لجاز " يضمر اسمـه في " **يمسي** " ويجعل " **ليله** " ابتداء ، و" **غير نائم** " خبره على السعة التي ذكرت لك.

وقوله " **غموس** " يريد واسعة محيطة . و " **العنبري بـن سـالم** " رجـل منهـم ، كـان يقال له الأشدق . و" **اللطائم** " واحدتها " **لطيمة** " وهي الإبـل التـى تحمـل البز والعطر وقوله : " **توقد في أيديهم زاعبية** " يعنى رمَاحًا ، والتوقد للأسـنة ، والزاعبيـة منسـوبة إلى زاعب ،وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح ، و " **تفري** " تقـد ، يقـال : فـري: إذا قطع ، وأفرى : إذا أصلح [3] .

---

(١) سورة سبأ : ٣٣.

(٢) سورة الملك : ٣٠ .

(٣) منهم من ذهب إلى أن فرى إذا قطع للإصلاح وأفرى إذا قطع للإفساد . انظر اللسـان (فـرى) والتنبيهات ١٦٤ .

وقال حبيب بن عوف من قواد المهلب :

أبـا سـعيد جـزاك ا لله صالحـة   فقد كفيت ولم تعنف على أحدِ!

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا   وكنت كالوالد الحاني على الولدِ[1]

وقالَ عَبيدةُ بنُ هلالٍ في هَرَبَهِمَ مع قطرَيٍ :

مـا زالـت الأقـدار حتـى قذفنـي   بقومس[2] بين الفرجان [3] وصـول

ويروى أن قاضي قطري وهو رجل من عبد القيس سمع قول عبيدة بن هلال [4] :

علا فوق عرش فوق سبع ودونه   سماء ترى الأرواح من دونها تجرى

فقال له العبدي : كفرت إلا أن تأتي بمخرج ، قال : نعم ؛ روح المؤمن تعرج إلى السماء ، قال : صدقت . وقال يذكر رجلاً منهم :

يهـوي وترفعـه الرمـاح كأنـه[5]   شلو تنشب فى مخالب ضارِ [6]

فثـوى صريعًـا والرمـاح تنوشـه   إن الشـراة قصـيرة الأعمـارِ

---

(١) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصه : " بعدهما :

لا تسـمعن مقـال الجـاهلين وقـم   فيمـا وليـت وقومهـم علـى السـدد

والـق العـدو إذا لاقيتهـم حـذراً   إذك العيـون ولا تغفـل عـن الرصـد"

(٢) (بقومس)" بضم القاف وكسر الميم" كورة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع فى ذيل جبل طبرستان وقصبتها المشهورة دامغان بين الري ونيسابور .

(٣) قال محقق س كذا في هـ وحدها . وفي الأصل وأ : " الفرخان " . وفي سائر النسخ: "الغُرجان" ؟ وذكره البكري في معجم ما استعجم ١٠١٨ ، ١١٠٣ نقلاً عن الكامل بروايتين: "الفرجان" بفتح الفاء و"القرحان" بقاف مضمومة ، وأنشد بيت عبيدة ، وهو في شعر الخوارج ٩٩. وصول مدينة في بلاد الخزر ، وقُومس كورة كبيرة في ذيل جبال طبرستان ، انظر معجم البلدان ٤٣٥/٣ ، و٤١٤/٤.

(٤) البيت من أبيات تنسب له ولسبرة بن الجعد ، انظر شعر الخوارج ٩٥ ، ١٢٤.

(٥) (شلو) هو العصفور والقطعة من اللحم وجمعه أشلاء وأشل كأظبٍ وأذلٍ .

(٦) الشلو : شِلْو الإنسان وغيره وهو جسد بعد بلاه ، والجمع أشلاء " . والبيتان في شعر الخوارج ٩٩.

"شلو" هو العضو والقطعة من اللحم وجمعه أشلاء ، وأشل كأظب وأذل " رغبة الآمل ١٢٤/٨ .

" تنوشه" :تأخذه وتتناوله، قال الله عز وجل ﴿وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾[1] أي التناول . ومثل بيته هذا قول حبيب الطائي:

فيم الشماتة إعلاناً بأسد وغى أفناهم الصبر إذ أبقاكم الجزعُ[2]

وقال أيضًا في شبيه بهذا المعنى :

إن ينتخل حدثان الموت أنفسكم ويسلم الناس بين الحوض والعطن
فالماء ليس عجيبًا أن أعذبه يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن[3]

وقال أيضاً :

عليك سلام الله وقفاً فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر[4]

وقال القاسم بن عيسى :

أحبك يا جنان فأنتِ مني مكان الروح من بدن الجبان [5]
ولو أني أقول : مكان روحي لخفت عليك بادرة الزمان [6]
لإقدامي إذا ما الخيل جالت وهاب كماتها حر الطعان[7]

وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى :

أكان الجبان يرى أنه يدافع عنه الفرار الأجلْ ؟
فقد تدرك الحادثات الجبان ويسلم منها الشجاع البطلْ

رجع الحديث . وقال رجل من عبد القيس ،من أصحاب المهلب :

سائلْ بنا عمرو القنا وجنوده وأبا نعامة سيد الكفار

أبو نَعَامة : قطري .وقال المغيرة بن حبناء [8] الحنظلي من أصحاب المهلب :

---

(١) سورة سبأ :٥٢ وفي الأصل : قال عز وجل ﴿وأنى لهم التناوش﴾ أي التناول من مكان بعيد .
(٢) البيت لأبي تمام من البسيط في ديوانه صـ ٣٧٧.
(٣) البيتان من البسيط لأبي تمام في ديوانه صـ٣٧٧ .
(٤) البيت من الطويل في ديوانه صـ٣٥٧ .
(٥) الأبيات في الأغاني ٢٤٨/٨، ، ومعجم الشعراء ٢١٦ ، وفي الأصل : من جسد الجبان .
(٦) ابن شاذان : بادرة الرجل:ما بدر منه من قول أو فعل فعجل به .
(٧) الأبيات في الأغاني (٢٥٦/٨).
(٨)شعره ـ شعراء أمويون ٩٩/٣ ـ ١٠٠ . وانظر الأغاني ٨٧/١٣.

إنـي امـرؤ كفـني ربـي وأكرمـني عن الأمـور التى في رعيها وخـم[1]
وإنما أنا إنسان أعيش كما عاشت رجال وعاشت قبلها أمـم
ما عاقني عن قفول الجند إذ قفلوا عـني بما صنعوا عجز ولا بكـم
ولو أردت قفولا ما تجهمني إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
إن المهلب إن اشتق لرؤيته أو امتدحه فإن الناس قد علموا
أن الأريب الذي ترجى نوافله والمستعان الذي تجلى به الظلم
القائل الفاعل الميمون طائره أبو سعيد إذا ما عدت النعم [2]
أزمان أزمان إذعض الحديد بهم وإذ تمنى رجال أنهم هزموا

قال أبو العباس : وهذا الكتاب لم نبتدئه ، لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شيء بشيء ، والحديث ذو شجون ، ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب،ويصده عن سننه ، ويزيله عن طريقه ، ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأنا له هذا الكتاب ، فإن مر من أخبار الخوارج شيء مر كما يمر غيره ، ولو نسقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذى يلي هذا خبر نجدة وأبي فديك وعمارة الرجل الطويل وشبيب ، ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصاً .

* * *

---

(١) البيتان من البسيط فى الأغانى (١٣/٩١-٩٢-٩٨) وفى روايتهما بعض اختلاف ، وبقية الأبيات (١٣/٩٩).

(٢) قال محقق س: هذا البيت على هذه الرواية ملفق من بيتين وهما:

إن الكريم من الأقوام قد علموا أبو سعيد إذا ما عدت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائرة أبو سعيد وإن أعداؤه رغموا

باب

في اختِصَار الخُطَبِ والتَّحْمِيدِ والمَوَاعِظِ

كان الحسن يقول : الحمدُ لله الذي كلَّفَنَا مالو كلفنا غيره لَصِرْنا فيه إلى معصيته ، وآجَرَنا على ما لا بُدَّ لنا منه . يقول : كلَّفنا الصَّبْرَ ، ولو كلَّفنا الجَزَعَ لم يُمْكِنّا أن نُقِيمَ عليه ، وآجَرَنا على الصبرِ ، ولا بدَّ لنا من الرجوع إليه .

وكان علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه* ـ يقول عند التعزية:عليكم بالصَّبْرِ،فإنَّ به يَأْخُذُ الحازمُ ، وإليه يعود الجازِعُ .

وقال للأشعث : إن صبرت جَرَى عليكَ القَدَرُ وأنتَ مأجورٌ ، وإنْ جَزِعْتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنت موْزورٌ .

وقال الخُرَيْمِيُّ : [1]

ولو شئت أنْ أبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عليه ، ولكِنْ ساحةُ الصَّبر أوْسَعُ[2]

وفي هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب :

وأعْدَدْتُهُ ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المَنَايَا بالذَّخائر مُولَع

وخطب [3] أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ في تَزْوِيجِهِ خديجة بنتَ خُوَيْلدٍ رحمة الله عليها ، فقال:الحمدُ لله الذي جَعَلَنا من ذرية إبراهيم وَزَرْعِ إسماعيلَ، وجعلَ لنا بلدًا حرامًا وبيتًا محجُوجًا ، وجعلَنا الحُكَّامَ على الناس ،ثم إنَّ محمدَ بنَ عبدِ الله ابنَ أخي مَنْ لا يُوَازَنُ به فَتًى من قريشٍ إلا رَجَحَ به بِرًّا وفَضْلا وكَرَمًا وعقلا ومَجْدًا ونُبْلا، وإنْ كانَ في المال قُلٌّ [4] فإنَّما المَالُ ظِلٌّ زائلٌ وعَارِيَّةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله في خديجةَ بنت خُويلدٍ رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتُم مِنَ الصَّدَاقِ فَعَلَيَّ . فهذه الخطبةُ من أقْصدِ خُطَبِ الجاهلية .

* * *

---

* فى س : صلوات الله عليه .

(١) ديوانه ق ٢١/٢٩ ص ٤٣ .

(٢) ولو شئت ...البيتان للخزيمى فى ديوانه ص٤٣ .

(٣) انظر الفاضل ١٨ .

(٤) القُلُّ : القليلُ . ومن كلامهم : له القُلُّ والذُّلُّ أي القلّة والذلّة " .

ومن جميلِ محاوراتِ العرب ما رُويَ لنا عن يحيى بن محمد بن عُرْوةَ عن أبيه عن جَدِّهِ قال : أقْحَمَتِ السَّنَةُ علينا النابغةَ الجَعْدي ، فلم يَشْعُرْ به ابنُ الزبير حين صلى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقول : [1]

حَكَيْتَ لنا الصِّدِّيقَ حين وَلِيتَنا	وعثمانَ والفاروقَ فارْتاحَ مُعْدِمُ
وسَوَّيْتَ بين الناس في العَدْلِ فاسْتَوَوْا	فعادَ صباحًا حالِكُ الليلِ مُظْلِمُ
أتاك أبو لَيْلَى يَشُقُّ به الدُّجى	دُجى الليلِ جَوَّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ
لِتَرْفَعَ منه جانبًا ذَعْذَعَتْ به	صُرُوفُ الليالي والزمانُ المُصمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى ! فأيسَرُ وَسائِلِكَ عندنا الشِّعْرُ ، أمّا صَفْوةُ أموالنا فلِبَني أسَدٍ ، وأمّا عَفْوتُها فلآلِ الصِّدِّيق ، ولك في بيت المالِ حَقّان : حقٌّ لصحبتك رسولَ الله ﷺ ، وحقٌّ لِحَقِّكَ في فَيْءِ المسلمين ، ثم أمر له بسبع قلائِصَ وراحلةٍ رَحِيلٍ ، ثم أمر بأن تُوقَرَ له حَبًّا وتمرًا ، فجعل أبو ليلى يأخذُ التمر فيَسْتَجْمِعُ به الحَبَّ فيأكلهُ ، فقال له ابن الزبير : لَشَدَّ ما بلغَ منك الجَهْدُ يا أبا ليلى ؟! فقال النابغة : أمَا عَلَى ذَلِك لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : " **ما اسْتُرْحِمَتْ قريشٌ فَرَحِمَتْ ، وسُئِلَتْ فأعطتْ ، وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ ، ووعَدَتْ فأنجزَتْ ، فأنا والنبيُّون على الحوض فُرَّاطٌ لِقَادِمِينَ** "[2] .

قوله : " أقْحَمَتِ السَّنَةُ " يكونُ على وجهين : يقال : " اقتَحَمَ " : إذا دخل قاصدًا ، وأكثرُ ما يقال من غير أن يَدْخُلَ ، ويكون من "القُحْمَةِ" وهي السَّنةُ الشديدة، وهو أشبه الوجهين ، والآخر حَسَنٌ . و " السَّنَةُ " : الجَدْبُ ، يقال : أصابتهم سَنَةٌ : إذا أصابهم جدب ، ومن ذا قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ **ولقد أخذْنا آلَ فِرْعَونَ بالسِّنِينَ** ﴾ [3] أي بالجدب .

---

(١) شعره ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) انظر الحديث في الإصابة ٦/٢٢١ برقم ٨٦٣٩ ، والفائق ٣/٢٠٠ ، والنهاية ٣/٤٣٤ و ٤/٧٣ ، ومجالس ثعلب ٢٦ - ٢٧ ، والأغاني ٥/٢٩ .
والذي في الحديث : " فُرَّاط لقاصفين " أو " فُرَّاط القاصفين " .
والفراط المتقدمون ، والقاصفون المزدحمون .

(٣) سورة الأعراف : ١٣٠ .

وقوله :"صَفْوَةٌ" فهو في معنى الصَّفْوِ ،وأكثرُ ما يُستعمل الكَسْرُ ، والبابُ في المصادر لِلحال الدائمة: الكَسْرُ ،كقولك :حسنُ الجِلْسَةِ والرِّكْبةِ والنِّيمَةِ ، كأنها خِلْقَةٌ.

و " العفْوَةُ " إنما هو ما عَفا ، أي ما فضلَ . و ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾[1] قالوا: الفضلَ، وكذلك قولُه جلَّ اسمُهُ : ﴿ ويَسْألُونَكَ ماذا يُنْفِقُون قُلِ العَفْوَ ﴾[2] .

وقوله : " عَثَمْثَمٌ " يريدُ : المُوثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ .

و " ذَعْذَعَتْ " أي أذهبتْ مالهُ وفرَّقَتْ حالَه .

وقوله : " راحلةٍ رَحِيلٍ "[3] أي قويةٍ على الرِّحْلةِ مُعَوَّدَةٍ لَها ، ويقالُ : فحلٌ فَحيلٌ، أي مُسْتَحكِمٌ في الفِحْلةِ ، وفي الحديث : أنَّ ابنَ عمر قال لرجلٍ : اشْتَرِ لي كبشًا لأُضَحِّيَ به أمْلَحَ واجْعَلْه أقْرَنَ فَحِيلا[4].

وقوله : " فأنا والنبيون على الحَوْضِ فُرَّاطٌ " " الفارط " : الذي يتقدمُ القومَ فيُصْلِحُ لهم الدِّلاءَ والأرْشيةَ وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يَرِدُوا ، ومن ذلك قولُ المسلمين في الصلاة على الطفل : " اللهم اجْعَلْهُ لنَا سَلَفًا وفَرَطًا "* وجاء في الحديث عن النبي ﷺ : " **أنَا فَرَطُكُم عَلَى الحَوْضِ** "[5].وكان يقال:يَكْفِيكَ من قريش أنها أقربُ الناسِ من رسول الله ﷺ نَسَبًا،ومن بيت الله بيتًا،ويقال:إنَّ دارَ أسَدِ بن عبدِ العُزَّى كان يقال لها : رَضِيعُ الكعْبَةِ ؛ وذلك أنها كانت تَفِيءُ عليها الكعبةُ صباحًا وتَفِيءُ على الكعبة عَشِيًّا،وإن كان الرجلُ من وَلَدِ أسدٍ لَيَطُوفُ بالبيت فينقطعُ شِسْعُهُ فَيَرْمِي بنعله في منزله فتُصْلَحُ له، فإذا عاد في الطواف رُمِيَ بها إليه.وفي ذلك يقولُ القائلُ :

---

(١) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٩ .

(٣) قال محقق س بهامش الأصل ما نصُّه :" الرحيلَ من الإبل : الصبورُ على السير ، ولم أسمع منه فعلاً ، إلا في النعوت ، ناقةٌ رحيلٌ وجملٌ رحيل . حاشية عند ف " يعني رواية ابن الإفليلي .

(٤)انظر النهاية ٤١٧/٣ ، واللسان (فحل) .

* أخرجه البخارى تعليقًا بصيغة الجزم (٢٤٢/٣ / فتح) فى كتاب الجنائز ، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة ، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة ، ولفظه :" وقال الحسن : يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول : اللهم اجعله لنا فرطًا وسلفًا وأجرًا " . وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٤٢/٣) "وصله عبد الوهاب بن عطاء فى "كتاب الجنائز" له ".

(٥) الحديث أخرجه البخاري في " الرقاق " باب : في الحوض ، (٤٧١/١١) ، "والفتن " برقم ٧٠٤٩ ، ومسلم في " الطهارة " باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء . برقم "٢٤٩" والإمارة برقم " ١٨٢٢" ، والفضائل برقم " ٢٢٨٩ " ، ٢٢٩٠ ، ٢٢٩٥ ـ ٢٢٩٧ ، ٢٣٠٥ .

لِهاشِـــمٍ وزُهَـــيرٍ فَـــرْعُ مَكْرُمَـــةٍ بحيثُ حَلّتْ نُجومُ الكَبْشِ والأسَـدِ
مُجاوِرُ البيتِ ذي الأركـانِ بيتُهمـا ما دُونَهُـمْ في جِوارِ البيتِ من أحـدِ

وقال آخر
سَـمِينُ قُرَيْـشٍ مـانعٌ منـكَ لَحْمَـهُ وغَـثٌّ قريشٍ حيثُ كـان سَـمِينُ[1]

وقال آخر :
وإذا مـا أصَبْتَـهُ مـن قريـشٍ هاشِمِيًّـا أصَبْـتَ قَصْـدَ الطريـقِ

وقال حرب بن أُميَّة لأبي مطرٍ الحضرميٍّ يدعوه إلى حِلْفِهِ ونزول مكة :
أبَـا مَطَـرٍ هَلُـمَّ إلى صَـلاحِ فَيَكْفِيكَ[2] النَّدامـى مـن قُرَيْـشٍ[3]
وتَـأْمَنَ وَسْـطَهُمْ وتَعِيـشَ فيهـم ـ أبَـا مَطَـرٍ هُدِيـتَ ـ بخَـيْرِ عَيْـشِ
وتَسْـكُنَ بلـدةً عَـزَّتْ قديمًـا وتَـأْمَنَ أنْ يَـزُورَك رَبُّ جَيْـشِ

" صَلاَحِ " اسمٌ من أسماء مكةَ[4] . وكان مكةُ بلدًا لَقَاحًا ، واللَّقاحُ : الذي ليس في سلطانِ مَلِكٍ ، وكانت لا تُغْزَى تعظيمًا لها ، حتى كان أمرُ الفِجَار ،وإنما سُمِّيَ الفِجارَ لفُجُورهم إذْ قاتَلوا في الحَرَمِ ، وكانتَ قريـشٌ تُعِز الحَليـفَ وتُكْـرِمُ المَوْلـى وتكـادُ تُلْحِقُـهُ بالصَّمِيمِ ، وكانت العربُ تفعلُ ذلك ، ولقريش فيه تَقَدُّمٌ .

* * *

---

(١) رواية البيـت :-
سمين قريش مانع منك نفسه وغث قريش حيث كـان سمين
البيت لأبن ميادة فى الأغاني ٢/ ٣٠٨ .

(٢) وبهامش بعض النسخ ما نصُّه :" في رواية ابن شاذان : فتكفيك الندامى من قريش وفى سـائر النسخ : " فتكنفك " ، ولعله تحريف .
وانظر اللسان (صلح) ومعجم البلدان (صلاح) ٣/ ٤١٩ .

(٣) الأبيات مـن الوافـر ،وهـو لحـرب بـن أميـة أو للحـارث بـن أميـة فـى لسـان العـرب ٢/ ٥١٧(صلح)،وتاج العروس٦/ ٥٤٩ (صلح) والتنبيه والإيضـاح ١/ ٢٥٣، ولحرب بـن أمية فـى أساس البلاغة (صلح) وبلا نسبة فى المخصص ١٣/ ١٨١،وجمهرة اللغة صـ٥٤٣ .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه فى الأصل : صلاحٍ ، بالتنوين . قال المهلبيُّ : صلاحِ ، بغير تنوين ، وهو اسم لمكة ويروى صَلاحُ بالضم . ابنُ شاذان : هي صلاحِ في وزن حذام وقطـام :اسـم من أسماء مكة".

ودخل سُدَيْفٌ مَوْلَى أبي العباسِ السَّفَّاحِ على أبي العباس أميرِ المؤمنين ، وعنده سليمانُ بنُ هشامِ بن عبد الملك ، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقبَّلها ، فلمَّا رأى ذلك سُدَيْفٌ أقبلَ على أبي العباس فقال :

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من رجالٍ ... إنَّ تحتَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيًّا

فَضَعِ السَّيفَ وارْفَعِ السَّوطَ حتَّى ... لا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِها أُمَوِيًّا[1]

فأقبلَ عليه سليمانُ فقال : قَتَلْتَني أيها الشيخُ قَتَلَك اللهُ! وقام أبو العباس فدخلَ، فإذا المنديلُ قد أُلْقِيَ في عُنُقِ سليمانَ ثم جُرَّ فقُتِلَ .

ودخل شِبْلُ بنُ عبدِ اللهِ مولى بني هاشمٍ على عبدِ اللهِ بن عليٍّ [2] وقد أجْلَسَ ثمانين رجلاً من بني أميةَ على سُمُطِ الطعامِ ، فَمَثَلَ بين يديه فقال :

أَصْبَحَ المُلْكُ ثابتَ الأَسَاسِ ... بالبَهاليلِ من بني العَبَّاسِ[3]

طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فشَفَوْهَا ... بعد مَيْلٍ من الزمانِ ويَاسِ

لاَ تُقِيلَنَّ عبدَ شَمسٍ عِثارًا ... واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وأَوَاسِي

ذُلُّها أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ منها ... وبها منكُمُ كَحَزِّ المَوَاسِي

ولقد غاظَنِي وغاظَ سَوَائِي ... قُرْبُهُمْ من نَمَارِقَ وكَرَاسِي

أَنْزِلوهَا بحيثُ أَنْزَلَهَا اللـ ... ـهُ بدارِ الهَوَانِ والإتْعَاسِ

واذْكُرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزيدًا ... وقَتيلاً بجانبِ المِهْرَاسِ

---

(١) البيتان في الأغاني ٣٤٨/٤ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٤٠ ،وأنساب الأشراف ١٦٢/٣ - ١٦٣.

(٢) قال محقق س : وهو عمّ أبى العباس السفّاح .
وفي الأصل : " عبد الله بن محمد بن علي ". وهو أبو العباس السفاح ، ولم يرده المبرد ولو أراده لصرح بكنيته ولقبه كما فعل قبل قليل . وأغلب الظن أن ما في الأصل مغير .
هذا والذي رواه ابن المعتز وأبو الفرج والبلاذري أنَّ سديفاً مولى بني هاشم دخل على أبي العباس السفاح ، وساقوا ما حكاه المبرد والأبيات السينية لسديف ، وحكى ابن عبد ربه أن شبلاً دخل على أبي العباس السفاح وساق الخبر والأبيات عنده لشبل .
انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨ - ٣٩ ، والأغاني ٣٤٤/٤ - ٣٤٦ ، وأنساب الأشراف ١٦١/٣ - ١٦٢ ، والعقد الفريد ٤٨٥/٤ - ٤٨٦ .

(٣) الأبيات من الخفيف والأول فيهم للحافظ ابن حجر فى تاج العروس (بهل) .

والقَتيـلَ الـذي بِحَـرَّانَ أَضْحـى ثَاوِيًـا بيْـنَ غُرْبَـةٍ وتَناسِـي

نِعْـمَ شِـبْلُ الهِـراشِ مـولاكَ شِـبْلٌ لـو نَجـا مـن حبَائِلِ الإفْـلاَسِ[1]

فأمر بهم عبد الله فشُدِخُوا بالعَمَدِ ، وبُسطتِ البُسُـطُ عليهـم ، وجلس عليها ، ودعا بالطعام ، وإنَّه ليَسْمَعُ أنين بعضهم ، حتى ماتوا جميعًا ، وقال لشبل : لولا أنك خَلَطْتَ كلامكَ بالمسألة لأغنمتُكَ جميعَ أموالهم ، ولعقدتُ لك على جميع موالي بني هاشم.

قوله : " الآساس " واحدها " أُسٌّ " وتقديرها "فُعْلٌ وأفْعالٌ " وقد يقال للواحد " أَسَاسٌ " وجمعه " أُسُسٌ " .

و " البُهْلُولُ " " الضَّحَّاكُ .

وقوله : بعد ميلٍ من الزمان ويَاسِ

يقال : فيك مَيْلٌ علينا ، وفي الحائط مَيَلٌ ، وكذلك كلُّ مُنْتَصِبٍ[2].

وقوله : " واقْطَعَنْ كل رَقْلَةٍ " الرَّقْلَةُ : النخلة الطويلة ، ويقال إذا وصفَ الرجلُ بالطُّول : كأنه رَقْلَةٌ .

و " الأوَاسِيُّ " ياؤه مشدَّدَةٌ في الأصل ، وتخفيفها يجوزُ ، ولو لم يَجُزْ في الكلام لجاز في الشعر ؛ لأن القافية تَقْتَطِعُه ، وكلُّ مُثَقَّلٍ فتخفيفهُ في القوافي جائزٌ ، كقوله:

أَصَحَـوْتَ اليَـومَ أَمْ شَـاقَتْكَ هِـرْ . . . .[3]

وواحدُها " آسِيَّةٌ " وهي أصلُ البناء بمنزلة الأساس .

---

(١) رواية الأغانى للبيت :

نعـم كلـب الهـراش مـولاك لـولا أودٌ مـن حبـائل الإفـلاس

(٢) قال الشيخ المرصفي : " فرق بين الميل بالسكون مصدر مال يميل فهو مائل ، و بين الميل بالتحريك مصدر مَيِلَ كطرب فهو أميل ، فالأول فيما حدث وتجدد مثل ظل الشمس وجور الظالم، والثاني فيما ثبت خلقة أو صناعة مثل سنام البعير وعنق الظليم والحائط وكل منتصب " رغبة الآمل ١٣٦/٨ ..

(٣) البيت من الرمل وهو لطرفة بن العبد فى ديوانه صـ ٥٠ ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ١٥٩/١،والخصائص ٢٢٨/٢ ، ورصف المبانى صـ ٤٣٦ ،ولسان العرب ٢٦١/٥ (هرر).

وقوله : " وغَاظَ سَوَائِي " تقول : ما عندي رجلٌ سِوى زيد ، فَتَقْصُرُ إذا كسرتَ أولَه، فإذا فتحتَ أوله على هذا المعنى مددتَ ، قال الأعشى:

تَجانَفُ عَنْ جَوِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي وما قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِها لِسَوَائِكا[1]

و "السَّواءُ" ممدود في كل موضع وإن اختلفتْ معانيه؛فهذا واحدٌ منه، و"السواء" الوَسَط ، منه قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾[2] وقال حَسَّان :

يا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ ورَهْطِهِ بعدَ المُغَيَّبِ في سَوَاءِ المُلْحَدِ[3]

و " السَّواءُ " العدلُ والاستواءُ ، منه قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ ﴾[4] ومن ذلك : زيدٌ وعمرو سَواءٌ ، و " السَّوَاءُ " : التَّمَامُ ، يقال : هذا درهمٌ سواءٌ ، وأصله من الأول ، وقوله عز وجل : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾[5] معناه تمامًا ، ومن قرأ ﴿ سَوَاءٍ ﴾[6] فإنما وضعه في موضع مُسْتَويَاتٍ . و" النَّمَارِقُ " واحدتها نُمْرُقَةٌ : وهي الوسائد ، قال الفرزدق :

---

(١) رواية البيت

تجانف عن جُل اليمامة ناقتى وما قصدتْ من أهلها لسوائكا

البيت من الطويل ،وهو للأعشى فى ديوانه ص١٣٩ ، والأشباه والنظائر ١٦٤/٥،١٧٢،والأضداد ص٤٤،صـ١٩٨، وخزانة الأدب ٤٣٥/٣، ٤٣٨ ، ٤٤١،والدرر ٩٤/٣،وشرح أبيات سيبويه ١٣٧/١،والكتاب ٣٢/١،٤٠٨، ولسان العرب ٣٣/٩(جنف)، ٤٠٨/١٤،٤١٢،٤١٣ (سوا)، وأساس البلاغة صـ ٦٦ (جنف) ، وتاج العروس (سوا) وبلا نسبة فى الإنصاف ٢٩٥/١،وشرح المفصل ٨٤/٢، والصاحبى فى فقه اللغة صـ ١٥٤، والمحتسب ١٥٠/٢ ، والمقتضب ٣٤٩/٤ وهمع الهوامع ٢٠٢/١ .

(٢) سورة الصافات : ٥٥.

(٣) البيت من الكامل ،وهو لحسان بن ثابت فى ديوانه ص٢٠٩ (الهامش)، ولسان العرب ٤١٢/١٤(سوا)، وبلا نسبة فى المقتضب ٢٧٤/٢.

(٤) سورة آل عمران : ٦٤.

(٥) سورة فصلت : ١٠ . وسواء بالنصب قراءة الجمهور .

(٦) بالجر ، وهي قراءة زيد بن على والحسن وابن أبي إسحاق وعمرو بن عبيد وعيسى ويعقوب. انظر البحر ٤٨٦/٧.

وإنّا لَتَجْـري الكَـأسُ بـين شُـرُوبِنَا   وبـينَ أَبي قَـابُوسَ فـوقَ النّمـارِقِ[1]

وقال نُصَيْبٌ [2]:

إذا مـا بِسَـاطُ اللّهْـوِ مُـدَّ وقُرِّبَـتْ   لِلَذّاتِــهِ أَنْمَاطُــهُ ونَمَارِقُــهْ

وقوله : " مَصْرَعَ الحَسَيْنِ وزَيْدًا " يعني زيدَ بنَ عليٍّ بـن الحسين ، وكـان خـرجَ على هشام بن عبد الملك ، وقتلـه يوسـفُ بـنُ عُمـر الثقفـي وصلبـه بالكناسـة عُرْيانًـا هـو وجماعةً من أصحابه .

وروى الزبيريون أنه كان بين يوسف وبين رجلٍ إِحْنَةٌ ، فكان يطلب عليـه عِلّةً ، فلما ظفر بزيد بن عليٍّ وأصحابه أَحَسُّوا بالصَّلْبِ فـأَصْلَحُوا مِـنْ أبدانهـم واسْتَحَدُّوا [3]، فصُلِبوا عُراةً ، وأخذ يوسفُ عَدُوَّه ذلك فَنَحَلَهُ أنه كان من أصحاب زيـدٍ فقتله وصلبـه ، ولم يَكُنِ استَحَدَّ ؛ لأنه كان عند نفسه آمِنًا . وكان بالكوفة رجلٌ معتـوهٌ عَقْـدُه التَّشَيُّعُ ، فكان يجيءُ فيقفُ على زيدٍ وأصحابه فيقولُ : صلـى ا لله عليـك يـابنَ رسـول ا لله ، فقـد جاهدتَ في ا لله حقَّ جهادِه ، وأنكرتَ الجَوْرَ ودَافعـتَ الظـالمين، ثـم يُقْبِـلُ عليهـم رجـلاً رجلاً فيقـولُ : وأنـتَ يـا فـلانُ ،فجـزاكَ ا لله خـيرًا ،فقـد جـاهدتَ في ا لله حـق جهـادِه، وأنكرتَ الجَوْرَ ونصرتَ ابنَ رسولِ ا لله ﷺ ، حتى يَقِفَ على عَدُوٍّ يوسفَ فيقـولُ: فأمّـا أنتَ يا فلانُ فَوُفُورُ عَانَتِكَ يَدُلُّ على أنك بَرِيءٌ مما قُرِفْتَ به ! .

وقال حبيبُ بن جَدَرَةَ ، ويقال : جُـدْرَةَ ــ وهـي السَّلْعَةُ في الأصـل [4]ــ الهِـلاَليُّ [قال الأخفش : الصحيحُ عندنا " ابن خِدْرة " بالخاء وكسرها ، وقال المبرِّدُ : لم أسمعـه إلاّ " جَدَرَةَ " ويقال : " جُدْرةُ "[5]] وهو من الخوارج ، يعني زيدَ بنَ علي:

يَابَـا حُسَـيْنٍ لـو شُـرَاةُ عِصَابـةٍ   صَحِبُـوكَ كَـانَ لِوِرْدِهِـمْ إصْـدَارُ

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ٥٤/٢،ورواية عجزه : " بين سراتنا...".

(٢) شعره ص ١١٠ ، عن هذا الكتاب " الكامل " .

والبيت أنشده أبو الفرج في الأغاني ١٤٠/١٠ ثالث ثلاثة للنميري وهو محمد بن نمير الثقفي .

(٣) الاستحدادُ حلق الشيء بالشيء ".كذا وقع ولا معنى له.والاستحداد:حلق شعر العانة بالحديد.

(٤) والسّلعة غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت.

(٥) قال محقق س : حكى العسكري عن أبي العباس بن عمار أنّ المبرد صحّف في كتاب الروضة له عند ذكر حبيب بن خدرة فقال " ابن جَدَرة " انظر شرح ما يقع فيه التصحيف ٣٣ ، ١٥٠ .

يَابَـا حُسَـيْن والجديـدُ إلى بلـىً   أَولادُ دَرْزَةَ أَسْـلَمُوكَ وطَـارُوا[1]

تقول العربُ للسفلة والسُّقاطِ " أولادُ دَرْزَةَ " وتقول لمن تَسُبُّهُ : " ابنُ فَرْتَنى "، و " أولادُ فَرْتَنَى " . وتقول للصوص : " بنو غبراءَ " ، وفي هذا بابٌ

ويروى أن شاعرًا لبني أُميةَ قال معارضًا للشِّيعِ في تسميتهم زيدًا المهدي [2] :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعِ نَخْلَـةٍ   ولَمْ نَـرَ مَهْدِيًّـا على الجذْعِ يُصْلَـبُ

ونُظِرَ بعد زُمَيْنٍ إلى رأسِ زيدٍ مُلْقًى في دار يوسف وديكٌ ينقره ، فقـال قـائلٌ مـن الشيعة :

أُطْـرُدُوا الدِّيـكَ عَـنْ ذُؤَابـةِ زيـدٍ   طـالَ مـا كـانَ لا تَطَـاهُ الدَّجَـاجُ

وقولُه :"وقتيلاً بجانبِ المِهْرَاس " يعني حمزةَ بنَ عبد المطَّلب ، والمِهْرَاسُ ماءٌ بـأُحُدٍ، ويُروى في الحديث " أن رسول الله ﷺ عَطِشَ يومَ أُحُدٍ فجاءه عليٌّ في دَرَقَةٍ [3] بمـاءٍ مـن المِهْرَاسِ ، فعافه فَغَسَلَ به الدم عن وجهه " وقال ابنُ الزِّبَعْرَى [4] في يومِ أُحُدٍ :

ليـتَ أشـياخِي ببَـدْرٍ شَـهِدُوا   جَـزَعَ الخَـزْرَجِ مـن وَقْـعِ الأَسَـلْ

فَسَـلِ المِهْـرَاسَ مَـنْ سَـاكِنُهُ   بعـدَ أَبْـدَانٍ وهَـامٍ كـالحَجَلْ

وإنما نَسَبَ شِبْلٌ قتلَ حمزةَ إلى بني أميةَ ؛ لأن أبا سفيانَ بن حربٍ كان قائد الناسِ يوم أُحُدٍ .

و " القتيل الذي بحران " يعني إبراهيم بن محمـد بـن علي ، وهـو الـذي يقـال لـه الإمام ، وكان يقال : ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء ، وضحى بنو مـروان بـالمروءة يوم العقرِ ؛ فيومُ كربلاءَ يومُ قتلِ الحسينُ بن علي وأصحابه . ويومُ العَقْرِ يومُ قتل يزيدُ بـن المهلب وأصحابهُ . وإنما ذكرنا هذا لتقدم قريش في إكرام مواليها .

---

(١) ويروى البيـت بلفـظ :

يابا حسين والجديدُ إلى بلى   أولاد درزة أسلموك وطاروا

والبيت من الكامل ؛ وهو لحبيب بن جدرة الهلالى فـى أسـاس البلاغـة (درز)،وبـلا نسبة فـى لسان العرب ٣٤٨/٥(درز) ومقاييس اللغة ٢/ ٣٦٧ .

(٢) بعده في بعض النسخ : " والشاعر هو الأعور الكلبيُّ" .

(٣) الدرقة : ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . وفي الأصل : في دورقة . وهو خطأ.

(٤) شعره ق ١١/١٥ ، ١٠ ، ص ٤٢.

وَلّى رسولُ الله ﷺ جيشَ مُوتَةَ زيدًا مولاه ، وقال : إنْ قُتِلَ فأميرُكم جعفرٌ ، وأمَّرَ أُسامةَ بن زيد ، فبلغه أن قومًا قد طَعَنُوا في إمارته ، وكان أمَّرَهُ على جيشٍ فيه جِلَّةُ المهاجرينَ والأنصار ، فقال عليه السلامُ : " **إنْ طَعَنتُم في إمارَته لَقَدْ طَعَنتُمْ في إمارة أبيه قبلَهُ ، ولقد كان لها أهلاً ، وإنَّ أُسامةَ لها لأَهْلٌ** "[1] . وقالت عائشةُ : لو كان زيدٌ حَيّـًا ما استخلَفَ رسولُ الله غيرَه . وقال عبد الله بنُ عُمَرَ لأبيه : لِمَ فَضَّلْتَ أسامةَ عليَّ وأنا وهو سِيَّان ؟ فقال :لأنّه كان أبوه أَحَبَّ إلى رسول الله من أبيكَ ، وكان أحبَّ إلى رسول الله منكَ . وأَوْصى رسولُ الله ﷺ بعضَ أزواجه لِتُميطَ عن أُسامةَ أَذًى من مُخاطٍ أو لُعابٍ ، فكأنها تَكَرَّهَتْهُ ، فَتولّى ذلك رسولُ الله ﷺ منه بيده ، وقال له يومًا، ولم يَكُنْ أُسامةُ من أجملِ الناسِ :" **لو كنتَ جاريةً لنَحَلْناكَ وحَلَّيْناكَ حتى يَرْغَبَ الرجالُ فيكَ** ". وفي بعض الحديث أنه قال : " **أسامةُ مِنْ أَحبِّ الناسِ إليَّ** "[2]. وكان ﷺ أَدَّى إلى بني قُرَيْظَة مكاتبةَ سَلْمانَ ، فكان سلمانَ مَوْلَى رسول الله ﷺ ، فقال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : سلمانُ مِنّا أهلَ البيتِ .

ويُرْوَى أن المهدي نُظِرَ إليه ويَدُ عُمَارةَ بنِ حمزةَ في يده ، فقال له رجلٌ : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أخي وابنُ عَمّي عُمارةُ بنُ حمزةَ ، فلما وَلّى الرجلُ ذَكَرَ ذلك المهديُّ كالممازحِ لُعمارةَ ، فقال له عمارةُ: انتظرتُ أن تقولَ " ومولايَ " فَأَنْفُضَ والله يَدَكَ من يدِي ، فتبسمَ أميرُ المؤمنين المهديُّ .

ولم يَكُنِ الإكرامُ للموالي في جُفاة العربِ . زَعَمَ الليثي [قال أبو الحسن : الليثي هو الجاحظ] أنه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مِسْمَعِ بن كِرْدِينَ منازعةٌ ، وبين يدي مِسْمَعٍ مَوْلًى له ، له بَهاءٌ ورُواءٌ وَلَسَنٌ ، فوجه جعفر إلى مسمع مولى له لِيُنازعَه ، ومجلسُ مِسْمَعٍ حافلٌ ، فقال : إن أنصفني والله جعفرٌ أنصفتُه ، وإن حضر حضرت ، وإن عَنَدَ

---

(١) الحديث بنحوه أخرجه البخاري في المناقب باب : مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ .برقم (٣٧٣٠) والمغازي برقم (٤٢٥٠) ، (٤٤٦٩) "والإيمان والنذور " برقم (٦٦٢٧) " الأحكام " برقم (٧١٨٧) ومسلم في فضائل الصحابة باب : فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما . كلاهما عن عبد الله بن عمر. برقم " ٢٤٢٦ " .

(٢) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير ١٢٦/١ برقم ٩٦٤ ، وهو في فيض القدير ٤٨٣/١ برقم ٩٦٤ ، وعزاه السيوطي لأحمد والطبراني عن ابن عمر ، وزاد صاحب فيض القدير نسبته إلى الطيالسي عن ابن عمر ، ثم قال : رواه عنه أيضاً الحاكم وقال : على شرط مسلم وأقره الذهبي ، ومن ثم رمز المصنف لصحته .

عن الحق عَنَدْتُ عنه ، وإنْ وجه إليَّ مولى مثل هذا ـ وأَوْمَأَ إلى مولى جعفرٍ ، فقال : مولًى مثل هذا عاضًّا لما يَكْرَهُ ـ وَجَّهْتُ إليه ـ وأومأ إلى مولاه ـ مولى مثل هذا عاضًّا لما يَكْرَهُ، فَعَجِبَ أهلُ المجلس من وضعه مولاه ذلك الذي تبْهَى بمثله العربُ !!

وقد قيل : الرجلُ من أبيه ، والمولى من مواليه . وفي بعض الحديث " **إن المُعْتَقَ من فَضْلِ طِينَةِ المُعْتِقِ** " . ويُرْوَى أن سَلْمَانَ أَخَذَ من بين يَدَيْ رسولِ الله ﷺ تمرةً من تمرِ الصدقة فوضعها في فيه ، فانتزعها منه رسولُ الله ﷺ ، وقال : " **يا أبا عبد الله إنّما يَحِلُّ لك من هذا ما يَحِلُّ لَنَا** " .

ويُرْوَى أن رجلاً من موالي بني مازن يُقال له عبدُ الله بنُ سليمان ، وكان من حلقِ الرجال ، نازعَ عمرَو بن هَدَّابٍ المازني،وهو في ذلك الوقت سَيِّدُ بني تميمٍ قاطبةً، فظهرَ عليه المولى حتى أُذِنَ له في هدم دارِه ، فأَدْخَلَ الفَعَلَةَ دارَ عَمْرو ، فلما بلغَ من سَطْحِهِ سَافًا كَفَّ عنه ، ثم قال : يا عَمرُو ، قد أَرَيْتُكَ القُدْرةَ وسأُريكَ العفوَ .

وقد كان من قريشٍ من فيه جفوةٌ ونبوةٌ . كان نافع بن جُبيرٍ أحدُ بني نوفلِ بن عبد مناف إذا مُرَّ عليه بالجنازة سأل عنها ،فإن قيل قرشيٌّ قال : واقوماهُ ! وإن قيلَ : عربيٌّ قال : وامَادَّتَاه ! وإن قيل مَوْلًى أو عَجَميٌّ قال : اللهم هُمْ عبادُكَ تأْخُذُ منهم من شِئْتَ وتَدَعُ مَنْ شِئْتَ !!

ويُرْوى أن ناسكًا من بني الهُجَيْمِ بن عمرو بن تميم كان يقولُ في قَصَصِهِ : اللهم اغْفِرْ للعربِ خاصّةً وللموالي عامةً ، فأمّا العَجَمُ فهم عَبِيدُكَ والأَمْرُ إليك !!

وزعم الأصمعي قال : سمعت أعرابيًا يقول لآخر : أَتُرَى هذه العَجَم تَنْكِحُ نساءَنَا في الجنة ؟ قال : أرى ذلك والله بالأَعْمَالِ الصالحةِ ، قال : تُوطَأُ والله رقابُنا قبلَ ذلك !!

وهذا بابٌ لم نكن ابْتَدَأْنا ذِكْرَهُ ، ولكنَّ الحديثَ يَجُرُّ بعضهُ بعضًا ، ويُحْمَر بعضه على لفظ بعضٍ .

* * *

ثم نعود إلى ما ابتدأناه إن شاء الله ، وهو ما نختارُه من مختصرات الخُطَبِ وجميلِ المَوَاعِظ ، والزُّهدِ في الدنيا ، المتصل بذلك ، وبالله التوفيقُ .

* * *

بسم ا لله الرحمن الرحم

قد ذكرنا في صدر كتابنا أنَّا نذكر فيه خُطبًا ومواعظ . فممَّا نَذْكُره من ذلك أمرُ التعازي والمراثي ؛ فإنهُ بابٌ جامعٌ ، وقد قيل : إنه لم يُقَلْ في شيءٍ قطٌّ كما قيل في هذا الباب ؛ لأن الناسَ لا ينفكون من المصيبات ، ومن لم يَثْكَلْ أخاه ثكلهُ أخوه ، ومن لم يعدم نفيسًا كان هو المعدومَ دون النفيس ، وحقُّ الإنسان الصَّبْرُ على النوائب ، واستشعار ما صدَّرْناه ، إذْ كانت الدنيا دارَ فِراقٍ ودارَ بوارٍ ، لا دار استواء . على أنَّ فراق المألوفِ حُرْقَةٌ لا تُدْفَعُ ، ولوعةٌ لا تُرَدُّ ، وإنما يتفاضل الناس بصحة الفكرِ ، وحُسْنِ العَزاء، والرَّغْبَةِ في الآخرة ، وجميلِ الذِّكْرِ،فقد قال أبو خراشٍ الهُذَلِيُّ ، وهو أحدُ حُكماء العربِ، يَذْكُر أخاه عروةَ :

تَقُولُ أَرَاهُ بعدَ عُرْوَةَ لاَهِيًا ... وذلكِ رُزْءٌ لو عَلِمْتِ جَلِيلُ[1]

فلا تَحْسِبَي أَنِّي تناسَيْتُ عهدَه ... ولكنَّ صَبْري يا أُمَيْمَ جَمِيلُ[2]

وقال عمرو بن معدي كرب[3] :

كَمْ مِنْ أَخٍ لي حَازم ... بوَّأْتُهُ بيَدَيَّ لَحْدَا[4]

أَعْرَضْتُ عَنْ تَذْكَارِهِ[5] ... وخُلِقْتُ يومَ خُلِقْتُ جَلْدَا[6]

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه :" رواية المهلبيّ : أراه، بفتح الهمزة ، ورواية ابن شاذان : أراه ، بضمها . ابن شاذان : لاهيًا : لاعبًا " .

(٢) انظر ديوان الهذليين ١١٦/٢، والتعازى والمراثى ص٥.

(٣) شعره ق ١٣/١٦ ، ١٥ص ٦٥ - ٦٦.

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال ابنُ شاذان :قال لي أبو عُمَر : الروايةُ :بتديَّ لحداً، وقال: تَديّ اسم موضع " .

قلت كذا وقع و لم أجده في البلدان. وإن صح أن تدي رواية فهي مصحفة ، ولا وجه للمكان هنا .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ألبستهُ أثوابه . ويروى : ألبسته أكفانه " . والرواية في شعره : ألبسته أثوابه ، قال المرصفي : " ورواية أبي العباس أجود " . رغبة الآمل ١٤٩/٨.

(٦) ويروى البيت الأول بلفظ :

كم من أخ لى ماجد ... بوأته بيدى لحدا

وكان يقال:من حدَّثَ نفسَه بالبقاء ، ولم يُوَطِّنها على المصايب فعاجزُ الرَّأْيِ .

وعَزَّى رجلٌ رجلاً عن ابنه فقال : أكانَ يَغيبُ عنك ؟ قال : كان غَيْبَتُه أكْثَرَ من حضوره ، قال : فأنْزِلْهُ غائبًا عنك ، فإنه إن لَمْ يَقْدَمْ عليك قَدِمْتَ عليه .

وقال إبراهيم بن المهدي يذكر ابنهُ :

وإنّي وإن قُدِّمْتَ قَبْلِي لَعَالِمٌ   بأنّي وإنْ أبطَأتُ مِنكَ قَريبُ

وإنَّ صَباحًا نَلْتَقِي في مَسَائِهِ   صباحٌ إلى قَلْبِي الغَدَاةَ حَبيبُ

وكفى باليأسِ مُعَزِّيًا وبانقطاعِ الطَّمَعِ زاجِرًا ، كما قال الشاعرُ [1]:

أيَا عَمْرُو لَمْ أصْبِرْ ولِي فيكَ حِيلَةٌ   ولكنْ دَعاني اليأسُ منكَ إلى الصَّبْرِ

تَصَبَّرْتُ مَغْلُوبًا وإنِّي لَمُوجَعٌ   كما صَبَرَ العطشانُ في البَلَدِ القَفْرِ

وقال بعضُ المحدثين [قال أبو الحسن: هو أبو تمام الطائيُّ] وليس بناقصه حظه من الصواب أنه مُحْدَثٌ ، يقوله لرجلٍ رثاهُ :

عَجِبْتُ لِصَبْري بعدَه وهْوَ مَيِّتٌ   وقد كنتُ أبْكيهِ دَمًا وهْوَ غائِبُ

على أنّها الأيامُ قد صِرْنَ كلُّها   عجائبَ حتى ليسَ فيها عجائبُ[2]

وحُدِّثْتُ [3] أن عُمَرَ بنَ عبد العزيز لَمَّا مات ابنُه عبدُ الملك خطَبَ الناسَ فقال: الحمدُ لله الذي جَعَلَ الموتَ حَتْمًا وَاجبًا على عباده ، فسوَّى فيه بين ضعيفِهم وقويِّهم، ورَفيعِهم ودَنِيِّهم [4]، فقال تبارك وتعالى : ﴿ كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموْتِ ﴾ [5] فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النُّهى منهم أنَّهم صائرون إلى قبورهم ، مُفْرَدُون بأعمالهم،واعلموا أنّ لله مسألةً فاحصةً،

والبيت من مجزوء الكامل وهو لعمرو بن معد يكرب الزبيرى فى ديوانه صـ٨١ وكتاب العين (١٠٧/١) ،وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى صـ١٧٩ .

(١) البيتان بلا نسبة في الأمالي ٢/٢ أنشدهما القالي عن ابن درستوريه عن المبرد ، وأدخلهما البكري في أبيات أراكة الثقفي الآتية ١٣٨٦ ونسبها لابنه عبد الله ، انظر السمط ٧٢٧ .

(٢) البيتان فى شرح ديوان أبى تمام صـ٣٣٧.

(٣) انظر التعازي والمراثي ٤٦ .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :" دَنَأَ الرجلُ دناءةً ، ودَنُوَ يدنأ فهو دنيءٌ : لا خير فيه " .

(٥) سورة آل عمران : ١٨٥ . وسورة الأنبياء : ٣٥، وسورة العنكبوت : ٥٧.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهمْ أَجْمَعِينَ عَمّا كانوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]. وله يقولُ القائلُ[2]:

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فإنَّهُ ... لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ ويُولَدُ

هَلِ ابْنُكَ إلاَّ مِنْ سُلالةِ آدَمٍ ... لِكُلّ على حَوْضِ المَنِيَّةِ مَوْرِدُ[3]

وقال رجلٌ من قريش يرثي ابنه [قال أبو الحسن : هو العُتْبيُّ] :

بِأَبي وأُمِّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ ... بِيَدِي وودَّعَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ[4]

كيفَ السُّلُوُّ وكيفَ صَبْرِي بعدَه ؟ ... وإذَا دُعِيتُ فإنما أُكْنَى بِهِ

وقال ابنٌ[5] لعمرَ بنِ عبد العزيز يرثي عاصِمَ بن عُمَرَ :

فإنْ يَكُ حُزْنٌ أَوْ تَجَرُّعُ غُصَّةٍ ... أَمَارَا نَجيعًا مِنْ دَمِ الجَوْفِ مُنْقَعَا[6]

تجرّعْتُهُ في عاصِمٍ واحتَسَيْتُه ... لأَعْظَمُ منه ما احْتَسى وتَجرّعَا

وقال أبو سعيد إسحاقُ بنُ خلَفٍ يرثي ابنةَ أختهِ ، وكانت تَبَنّاها ، وان حَدِبًا عليها كَلِفًا بها :

أَمْسَتْ أُمَيْمَةُ مَعْمُورًا بها الرَّجَمُ[7] ... لَقًى صَعِيدٍ عليها التُّرْبُ مُرْتَكِمُ

يا شِقَّةَ النَّفسِ[8] إنَّ النَّفسَ وَالِهَةٌ ... حَرَّى عليكِ ودمعُ العينِ مُنْسَجِمُ[9]

---

(١) سورة الحجر : ٩٢ - ٩٣.

(٢) البيتان في التعازي والمراثي ٤٧ .

(٣) السلالة : ما انسل من الشيء " .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " المهلبيُّ : عبأت الطيبَ عبأ : إذا صنعته وخلطته . وعبَأْتُ المتاعَ عبأ : إذا هيأته ، وعبَّأْتُه تعبئةً . قال الخليل : الحَنوط بفتح الحاء : طيبٌ يخلط للميت خاصة، قال : وفي الحديث أن ثموداً لما استيقنوا بالعذاب تكفنوا بالأنطاع وتحنّطوا بالصَّبر " .

(٥) هو عبد الله يرثي عاصماً أخاه كما في التعازي والمراثي ٦٠ ، والفاضل ٦٣.

(٦) مار يَمُورُ موْراً :إذا جاء وذهب ، ومار التِرابُ على الأرض : إذا نَسَفَتْه الريح وأمَالته وأجَالَته".

(٧) البيتَ من الطويل لليلى الأخيلية فى الأغانى ١١/ ٢٣٦.

(٨) (يا شقة النفس)" بكسر الشين" وهى نصف الشيء إذا شق كالشق.

(٩) ولَهِتِ المرأةُ تَوْلَهُ وَلَهَاً فهي والهٌ والجمعُ وُلَّهُ : إذا استخفَّها الحزنُ . ورجل وَلِهٌ ووالهٌ ووَلْهان ونساءٌ ولهات الواحدة وَلْهةٌ ووالهةٌ " .

قد كنتُ أَخْشى عليها أنْ تُقَدِّمَنِي | إلى الحِمَام فَيُبْدِي وجْهَها العَدَمُ
فالآنَ نِمْتُ فلا هَمٌّ يُؤَرِّقُنِي | يَهْدَا الغَيورُ إذا ما أَوْدَتِ[1] الحُرَمُ
لِلْمَوْتِ عندي أَيادٍ لستُ أُنْكِرُهَا | أَحْيَا سرورًا وبي مِمَّا أَتَى أَلَمُ

وهذه المرثية ليستْ مما يقع مع الجزع القراح والحزن المفرط ولكنه باب للمراثي يجمعُ إفراط الجزع ، وحُسْنَ الاقتصاد ، والميل إلى التشكي ، والركون إلى التعزي ، وقولِ من كان له واعظٌ من نفسه ، أو مُذَكِّرٌ من رَبِّه ، ومن غلبت عليه الجساوة [2]، وكان طبعه إلى القساوة ، فقد اختلطَ كُلٌّ بكلٍّ .

وقال رجل من المحدثين يرثي أباه :

تَحُلُّ رَزِيَّاتٌ وتَعْرو مَصايبٌ | ولا مِثْلَ ما أَنْحتْ علينا يَدُ الدَّهْر
لقد عَرَكَتْنَا للزمان مُلِمَّةٌ | أَذَمَّتْ بمَحْمُودِ الجَلادَةِ والصَّبْر[3]

فهذا يَحْسُن من قائله ؛لأن الرُّزْءَ كان جليلاً بإجماع،فللقائل أن يتفسح في القول فيه.وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس،وكان عبد الرحيم من حلة أهله لَسَنًا[4]ونعمةً وسنًّا وولايةً،ومات معزولاً عن اليمن في حبس الخليفة،وأُمُّ جعفر بن سليمان أمُّ حَسَنٍ بنتُ جعفر بن حسن بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم؛فلذلك يقولُ عبد العزيز في هذه القصيدة :

بموتِك يا عَبْدَ الرَّحِيم بنَ جَعْفَر | تَفاحَشَ صَدْعُ الدِّين عَنْ أَلأَم الكَسْر[5]

---

(١)(أودت) هلكت و(الحرم) جمع حرمة وهي عيال الرجل ومايلزمه أن يحميه.

(٢)جسا الشيء يجسو جُسُواً وجَسَاوَةَ : إذا غَلُظَ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : يقال عراه يعروه عروًا : إذا حل به . قال : وقوله عركتنا أصل العرك عرك الأديم وغيره وهو الدلك،وتعارك القوم فى الحرب تعاركًا ومعاركة وعراكًا. قال : ويقال أنحى عليه يُنحى : إذا أقبل عليه ضربًا ، وكل من جَدَّ فى أمر فقد انتحى فيه ينتحى كالفرس ينتحى فى عدوه " . وزاد بعد البيت فى ف :" وهذا كما قال :

والصبر يحمد فى المواطن كلها | إلا عليك فإنه مذموم "

(٤) رجلُ لَسِنٌ: إذا كان حديد اللسان .

(٥) قال محقق س:كذا في " أ "وحدها،وفي سائر النسخ : "عن ألم " وهو تحريف . ورواية التعازي.

تزايل شعب الملك عن أفحش الكسر

فَيا بْنَ النَّبيِّ المُصْطَفَى وابنَ بنْتِهِ ... ويا بْنَ عَلِيٍّ والفَوَاطِم والحَبْر
ويا بْنَ اخْتِيار الله مِنْ آل آدم ... أبًا فَأبًا طُهْرًا يُؤَدِّي إلى طُهْر
ويا بْنَ سُلَيْمانَ الذي كان مَلْجَأً ... لِمَنْ ضاقتِ الدنيا به مِنْ بَنِي فِهْر
ومَنْ مَلأَ الدنيا سَماحًا ونائلاً ... ورَوَّى حجيجًا بالمُلَمَّعَةِ[1] القَفْر[2]
لَعَزَّ بما قد نَالَنَا مِن رَزِيئَةٍ ... بموتِكَ محبوسًا عَلَى صاحِبِ القَبْر
فإن تُضْحِ في حَبْس الخليفة ثاويًا ... أبيًّا لِمَا يُعْطِي الذَّلِيلُ على القَسْر
لَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ للخليفةِ قَدْ هَوى ... بكَفَّيْكَ أَوْ أَعْطَى المَقادَةَ عن صُغْر
فَوَاحَزَنَا لَوْ في الْوَغَى كان مَوْتُهُ ... بَكَيْنَا عليه بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْر
وكنّا وَقَيْناه القَنَا بنُحُورنَا ... وفاتَ كذا في غَيْر صَيْح[3]ولا نَفْر

وحُدِّثْتُ أنَّ عمرَ بن الخطاب لمّا وَلَّى كَعبَ بنَ سُورٍ الأزْدِيَّ قضاءَ البصرةِ أقام عاملاً عليها إلى أن استُشْهِدَ ، على أنّه كان قد عزَله ثم رَدَّهُ ، فلما قام عثمانُ بنُ عفَّانَ أَقَرَّه ، فلما كان يومُ الجملِ خرج مع إخوة له ، قالوا : ثلاثةٌ ، وقالوا أربعةٌ ، وفي عنقه مُصْحَفٌ ، فَقُتلوا جميعًا ، فجاءت أُمُّهم حتى وقفتْ عليهم فقالت[4]:

يا عَيْنُ جُودِي بدمعٍ سَرِبْ ... على فِتْيَةٍ مِنْ خِيار العَرَبْ
وما لُهم غَيْرَ حَيْن النُّفو ... س أيُّ أَمِيرَيْ قريش غَلَبْ ؟

هذه الروايةُ " سرب " وقالوا : معناه : جارٍ في طريقه ، من قولهم : " انْسَرَبَ في حاجته " وبيت ذي الرمة يُخْتارُ فيه الفتحُ :

(١) (أودت) هلكت و(الحرم) جمع حرمة وهى عيال الرجل ومايلزمه أن يحميه .

(٢) يقال أرض مُلَمَّعةٌ ومُلْمعَةٌ ولَمّاعةٌ : يلمع فيها السراب .

(٣) وبهامش بعض النسخ ما نصه :" " ابن شاذان : الهيجُ والهياجُ اسمان للحرب . والنفر مصدر نفَر ينفُر وينفِر والنفير : القوم النافرون للحرب أو غيرها والصَّيح والصياح واحد .

(٤) البيتان لها في التعازي ٦٥ . وأنشدهما صاحب الأغاني ٢٦٧/١٣ بسنده عن أبي عبيدة لعبد الرحمن بن الحكم .

. . . . كأنَّـهُ مِـنْ كُلَـى مَفْرِيَّـةٍ سَــرَبُ[1]

لأنه اسمٌ ، والأولُ المكسورُ نعتٌ ، ويقبح وضعُ النعـتِ في موضـع المنعـوتِ غـيرِ المَخْصُوص . [قال أبو الحسن : حقُّ النعتِ أن يأتيَ بعدَ المنعوت ، ولا يقع في موقعه حتى يَدُلّ عليه فيكونَ خاصًّا له دون غيره ، تقول : جاءني إنسانٌ طويـلٌ ، فـإن قلت جـاءني طويلٌ لم يَجُزْ ؛ لأن طويلاً أعمُّ من قولك إنسان،فلا يدلُّ عليه ، فإن قلت: جاءني إنسـانٌ متكلمٌ ثم قلت بَعْدُ : جاءني متكلمٌ جاز ؛ لأنك تَدُلُّ به على الإنسان ، فهـذ شـرحُ قولـه المخصوص] .

وقولها : " غَيْرَ حَيْنِ النُّفوس " نَصْبٌ على الاستثناء [2] الخـارج مـن أول الكـلام، وقد ذكرناه مشروحًا .

والمراثي كثيرةٌ كما وصفنا ، وإنما نكتُب منها المختارَ والنادرَ والمُتَمَثَّلَ به السائرَ .

فمن مَليح ما قيل قولُ رجلٍ يرثي أباه [قـال أبـو الحسـن : يقـال : إنّـه ابـنُ أبـي العتاهية] :

قَلْــبِ يــا قَلْــبِ أَوْجَعَــكْ ... مَــا تَعَــدَّى فَضَعْضَعَــكْ[3]

يَــا أَبِــي ضَمَّــك الـثَّرى ... وطَــوَى المَــوْتُ أَجْمَعَــكْ

ليتَــنِي يَــومَ مِــتَّ صِــرْ ... تُ إِلَــى حُفْــرَةٍ مَعَــكْ

رَحِــمَ ا للهُ مَصْرَعَــكْ ... بَــرَّدَ ا للهُ مَضْجَعَــكْ

وقال إبراهيم بن مهدي[4] يرثى ابنه ، وكان مات بالبصرة :

نَـأَى آخِـرَ الأيـامِ عنـكَ حَبِيـبُ ... فلِلْعَيْـنِ سَـحٌّ دائـمٌ وغُـرُوبُ[5]

دَعَتْـهُ نَـوًى لاَ يُرْتَجَـى أَوْبَـةٌ لهـا ... فقَلْبُـكَ مَسْـلُوبٌ وأنـتَ كَئِيـبُ

يَئُـوبُ إلى أَوْطَانِـهِ كـلُّ غـائبٍ ... وأَحْمَـدُ في الغُيَّـابِ ليـسَ يَئُـوبُ

---

(١) تقدم .

(٢) في بعض النسخ : نصب على الاستثناء .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه :"ابنُ شاذان : قوله ضَعْضَعَك ، أي أضْعَفَك . تضَعْضَـع الرجـلُ . إذا ضعُف وخفَّ جسمُه " .

(٤) انظر التعازي والمراثي ١٥٣ .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه:"ابنُ شاذان:السَّحُّ:الصَّبُّ.وغَرْبُ الدمع: سيلُه ، والجميع غُرُوبُ".

تَبـــدَّلَ دَارًا غـــيرَ دَارِي وجِـــيرَةً سِـــوَايَ وأحـــداثُ الزمـــانِ تَنُـــوبُ
أَقَـامَ بهـــا مســـتوطِنًا غـــيرَ أنَّـــه على طُـــولِ أيَّـــامِ الْمُقـــامِ غَرِيـــبُ
كَأنْ لم يكُـنْ كـالْغُصنِ في مَيْعَةِ الضُّحـى سَقاهُ النَّـدَى فـاهْتَزَّ وهْـوَ رَطِيـبُ[1]
كَأنْ لَـمْ يَكُـنْ كـالدُّرِّ يَلْمَـعُ نُـورُهُ بأَصْدَافِـهِ لَمّـا تشِـنْهُ ثُقُـوبُ
كـأنْ لم يكـن زَيْـنَ الفِنَـاء ومَعْقِـلَ النـــ ساءِ إذَا يـومٌ يكـونُ عَصِيـبُ[2]
ورَيْحَـانَ صَـدْرِي كـانَ حِـينَ أَشَـمُّهُ ومُؤْنِـسَ قَصْرِي كـانَ حـينَ أَغِيـبُ
وكـانتْ يَـدِي مَـلأَى بـهِ ثـمَّ أصبَحَـتْ بِحَمْـدِ إلهِـي وهْـيَ مِنْـهُ سَـلِيبُ
قليـلاً مـن الأيّـام لم يَـرْوَ نـاظِرِي بهـا مِنْـهُ حَتَّـى أعْلَقَتـهُ شَـعُوب[3]
كَظِـلِّ سَحَابٍ لم يُقِـمْ غَـيْرَ سـاعةٍ إلى أنْ أطاحَتْـهُ فطَـاحَ جَنُـوبُ
أَوِ الشَّـمْسِ لَمّا مِنْ غَمامٍ تَحَسَّـرَتْ مَسـاءً وقـد وَلَّـتْ وحـانَ غُـرُوبُ
سَأبكيكَ ما أَبْقَـتْ دموعـيَ والبُكـا بعَيْنَـيَّ مـاءً يـا بُنَـيَّ يُجِيـبُ
ومـا غـارَ نَجْـمٌ أَوْ تَغَنَّـتْ حمامـةٌ أَوِ اخْضَـرَّ في فَـرْعِ الأَرَاكِ قَضِيـبُ
حياتِيَ ما دامـتْ حَيـاتِي فـإنْ أَمُـتْ ثَوَيْـتُ وفي قلـبِي عليـك نُـدُوبُ[4]
وأُضمِـرُ إنْ أَنفَـدْتُ دَمْعِـيَ لَوْعَـةً عليـك لهـا تحـتَ الضُّلـوعِ وَجِيـبُ
دَعَـوتُ أَطِبَّـاءَ العِـراقِ فلـم يُصِـبْ دَوَاءَكَ منهـم في البـلادِ طَبِيـبُ
ولَـمْ يَمْلِـكِ الآسُـونَ دفعًـا لِمُهْجَـةٍ عليهـا لأَشْـرَاكِ المَنُـونِ رَقِيـبُ
قَصَمْـتَ جناحِي بعدَ ما هدَّ مَنْكِـبِي أَخُـوكَ ، فَرَأْسِي قـد عـلاه مَشِـيبُ

(١) مَيْعَةُ كل شيء : أَوَّلُه وميعةُ الشباب : حدَّتُه وأوله.

(٢) يومٌ غَصيبٌ:شديدٌ في الشر خاصة.ويومُ عصَبْصَبٌ مثلهُ ".

(٣) شَعُوبُ : اسمٌ من أسماء المَنيَّة ، لا يدخلُها [جعلها رايت :لا يدخله] الألف واللام .

(٤) ابنُ شاذان : النَّدَبُ : الأَثَرُ في الجلد ، ندبَ يَنْدَبُ نَدَباً ، والجمع نُدُوبٌ وأَنْدابٌ . قال: ويقـال: وَجَبَ قلبُ الرجل وَجيباً : إذا خفق من فَزَع " .

فَـأَصبَحْتُ في الهُـلاَّكِ إلاَّ حُشاشـةً تُـذَابُ بنـار الحُـزْنِ فَهْـيَ تَـذُوبُ

تَوَلَّيْتُمَـا في حِقْبَـةٍ[1] فَتَرَكْتُمَـا صَـدًى يَتَوَلَّـى تَـارَةً وَيَئُـوبُ

ولا مَيْـتَ إلا دونَ رُزْئِـكَ رُزْؤُه[2] ولـو فُتِّتَـتْ حُزْنًـا عليـه قلـوبُ

وإنِّـي وإنْ قُدِّمْـتَ قَبْلِـي لَعـالِمٌ بِـأَنِّي وإنْ أَبْطَـأْتُ منـكَ قَرِيـبُ

وإنَّ صَبَاحًـا نلتقـي في مَسَـائِهِ صباحٌ إلى قلبِـي الغَـداةَ حَبِيـبُ [3]

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ [4] وتتابعَ له بُنونَ :

كَلَّ لسانِي عَـنْ وَصْـفِ مـا أَجِـدُ وذُقْـتُ ثُكْـلاً مـا ذاقَـهُ أَحَـدُ

وأُوطِنَـتْ حُرْقَـةً حَشَـايَ فَقَـدْ ذابَ عليهـا الفُـؤادُ والكَبِـدُ

مـا عـالَجَ الحُـزْنَ والحَـرارَةَ في الْـ أَحشـاءِ مَـنْ لَـمْ يَمُـتْ لَـهُ وَلَـدُ

فُجِعْـتُ بِـابْنَيْنِ ليـس بينهمـا إلاَّ لَيَـالٍ ليسـتْ لـه عَـدَدُ

فَكُلُّ حُـزْنٍ يَبْلَـى عَلَـى قِـدَمِ الـد دَهْـرِ وحزنِـي يُجِـدُّه الأَبَـدُ[5]

وذكر [6] بعض الرواة أن عُبيدَ الله بن العباس بن عبد المطلب كان عاملاً لعلي بن أبي طالب على اليمن ، فَشَخَص إلى عليٍّ واستخلفَ على اليمن عمرو بن أراكةَ الثقفي ، فوجه معاويةُ إلى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي ، فقتل عمرو بن أراكة ، فجزع عليه أخوه عبدُ الله جزعًا شديدًا ، فقال أبوه [7]:

---

(١) بكسر فسكون" هى السنة والجمع حقاب وحقوب .رغبة الآمل (٨/١٥٥) .

(٢)وبهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : الرُّزْءُ : المصيبةُ ".

(٣) انظر التعازى ص١٥٣ .

(٤) انظر التعازي والمراثي ١٦٥ .

(٥) انظر التعازى ص١٥٦ .

(٦) الخبر والأبيات في التعازي والمراثي ٣ ، ٦٩ ، والفاضل ٦٥ ، وسمط اللآلي ٦٢٧ ، والمؤتلف والمختلف ٥٣.

(٧)الأبيات لأراكة بن عبد الله بن سفيان بن الحارث الثقفى في التعازي والفاضل ، والمؤتلف والمختلف والعقد ٣/٣٠٦ ، والحماسة البصرية ١/٢٧٦ ، وهو الصواب ، والمخاطب بها ابنه عبد الله . ونسبت لعبد الله بن أراكة في الحماسة الشجرية ١/٤٧٩ ، وأمالي المرتضى ١/٤٦١ ، وسمط اللآلي ، وهي بلا نسبة في أمالي الزجاجي ٩. وفي التعازي ٣ : أن المخاطب بها عبد الله بن عبد الله أخو أراكة ، وقائلها أراكة بن عبد الله ، ووقع فيها عبد الله بن أراكة ، وهو وهمٌ .

لَعَمْري لَئِنْ أَتْبَعْتَ عينيكَ ما مَضى | بِهِ الدَّهْرُ أو ساقَ الحِمامُ إلى القَبْرِ
لَتسْتَنْفِدَنْ مَاءَ الشُّئُونِ بأَسْرِهِ | ولو كنتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَجِ البَحْرِ
لعمري لَقَدْ أَرْدى ابنُ أرطاةَ فارسًا | بصَنْعَاءَ كالليث الهِزَبْرِ[1] أبي الأَجْرِي
وقلتُ لعبد الله إذْ حَنَّ باكيًا | تَعَزَّ ، ومَاءُ العين مُنْهَمِرٌ يَجْرِي
تبَيَّنْ فإنْ كان البُكا رَدَّ هالِكًا | على أحدٍ فاجْهَدْ بُكاكَ على عَمْرِو
ولا تَبْكِ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ | عليٌّ وعباسٌ وآلُ أبي بَكْرِ[2]

* * *

قوله : " من ثَبَجِ البحر " فَثَبجُ كلِّ شيءٍ وَسَطُهُ ، ويروى في الحديث : وكنتُ إذا فاتحتُ الزُّهْرِيَّ فَتَحْتُ منه ثَبَجَ بَحْرٍ[3] .
وقوله : " تَمْرِيهنَّ " فإنّما هو مَثَلٌ ، يقال : " مَرَيتُ الناقةَ " إذا مسحتَ ضَرْعَها لِتَدُرَّ، فإنّما هو استخراجُ اللبن ، ويقال : " مَرَيَتُ برجلي الأرضَ " إذا مسحتَها ، والأصل ذلك ؛ فإنّما أراد : ولو كنتَ تستخرجُ الدموعَ من ثبج البحر . وكان بُسْرُ بن أرْطَاةَ في تلك الحروب أرْشَدَ على ابنينِ لعُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهما طفلان، وأمُّهما من بني الحارث بن كعبٍ ، فوارتْهما ،فيقال إنّه أخذهما من تحت ذَيْلها فقتلهما، ففي ذلك تقول الحارثيّةُ[4] :

أَلاَ مَنْ بينَ الأخوَيْـنِ أُمُّهما هي الثَّكْلَى
تُسائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا وتَسْتَبْغي فَما تُبْغَى

* * *

(١)(الهزبر) : من أسماء الأسد وأجر ، جمع جر :" مثلث الجيم" وهو ولد الأسد والكلب والسباع ويجمع أيضا على أجراء وجراء الأنثى جزوة . رغبة الآمل (١٥٧/٨) .
(٢)الأبيات فى التعازى والمراثى ص٦٩، والفاضل ٦٥،والسمط ٦٢٧،والمؤتلف والمختلف ٥٣،والعقد ٣٠٦/٣ ، والحماسة البصرية ٢٧٦/١ .
(٣) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصه :" إنما قاله الزهريُّ في عروة لا عروة في الزهري . حكى يحيي بن معين عن الأصمعي قال : أنبأنا مالك قال : ثم تحولتُ إلى عروة ففجرت به ثبج بحر". قلت كذا وقع وفيه سقط وتمامه كما في سير أعلام النبلاء ٤٢٥/٤ : " الأصمعي عن مالك عن الزهري قال : سألتُ ابن صُعَيْرٍ عن شيء من الفقه ، فقال : عليك بهذا ، وأشار إلى ابن المسيب ، فجالسته سبع سنين لا أرى عالمًا غيره ، ثم تحولت إلى عروة ففجّرت به ثبج بَحْر " .
(٤) الخبر والأبيات في الفاضل ٦٥-٦٦ ، والأغاني ٢٦٥/١٦ ، وفيه أنها جويرية بنت خالد بن قارظ الكنانية وتكنى أم حكيم .

وفي ذلك تقول أيضًا :

يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللذَّيْنِ هما[1]	كالدرتين تَشَظَّى عنهما الصَّدَفُ
يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللذَّيْنِ هما	سمعي وطَرْفِي فَطَرْفِي اليومَ مُخْتَطَفُ
يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللذَّيْنِ هما	مُخُّ العظام فَمُخِّيَ اليومَ[2] مُزْدَهف
نُبئت بُسْرًا ، وما صَدَّقْتُ ما زعَموا	من قولهم ومِنَ الإفْكِ الذي اقْترفُوا
أنْحى على وَدَجيْ طِفْليَّ مرْهَفَةً	مَشْحوذةً ، وعظيمُ الإفْك يُقْترف
مَنْ دَلَّ وَالهةً حَرَّى مُفَجَّعةً	على صَبِيَّيْن غابا إذْ مضى السَّلَفُ[3]

ويروى

أنَّ معاوية لمَّا أتاه موت عُتْبَةَ تَمَثَّلَ :

إذا سارَ منْ خَلْفَ امْرِيءِ وأَمامَه	وأُوحِشَ من أَصْحابهِ فهو سائرُ

فلما أتاه موت زيادٍ تَمَثَّلَ

وأفْرِدْتُ سَهْماً في الكِنانة واحداً	سَيُرْمى بهِ أو يَكْسِرَ السَّهْمَ كاسِرُ[4]

وماتت امرأةٌ للفرزدق بَجُمْعٍ ، ومعنى "جُمْعٍ"ولدها في بطنها ، فقال الفرزدق:

وجَفْنِ سِلاحٍ قد رُزِئتُ فلم أَنحْ	عليه ولم أَبْعَثْ عليه البَواكيَا

---

(١) (تشظى): تشقق وتفرق شظايا . رغبة الآمل (١٥٨/٨). بهامش بعض النسخ ما نصه :"ابن شاذان : يقال :شظى الشيء عن موضعه وتشظى : إذا زال . والشظا : عظيم لاصق بعظم الذراع فإذا زال عن موضعه قيل شظى . وقيل الشظا........".

وبهامش نسخةٍ أيضاً ما نصه : ابن شاذان : يقال : حسَّ يحس حساً وأحس من قولهم : حسست الشيء وأحسسته والمصدر الحسُّ والحسيس " .

(٢) (مزدهف) من ازدهف الشيء بالبناء لما لم يسم فاعله ذُهب به ورواه ابن برى : يامن أحس بنيَّيَّ اللذين هما عقلى وقلبى ،فقلبى اليوم مزدهف

"بكسر الهاء" قال وحقيقة الازدهاف استطارة القلب من جزع أو حزن رغبة الآمل (١٥٨/٨ ، ١٥٩) .

(٣) هذا البيت نسبه البحترى في حماسته ٣٢٧ لمسعود بن سلامة العبدي ، ونسب في المعارف ، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٠٥/٧ لأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني ، والذي في الأغاني ١٥١/١٥ أن أبا الطفيل تمثل به (والرواية في الأغاني والمعارف مغيرة) . والأول بلا نسبة فى عيون الأخبار ٦١/٣ ، والبيتان بلا نسبة في التعازي ٥٢ ، والحماسة الشجرية ٤٨٨.

(٤) البيتان فى التعازى والمراثى ص ٨١.

وفي جَوْفِه مـنْ دارمٍ ذو حَفيظَـةٍ لَـوَ انَّ المَنايـا أنسـاتهُ لياليَـا

وهذا من البغي في الحكم والتقدم.

وقال رجل من المحدثين في ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا في يوم واحد وهما طفلان، شبيهاً بهذا ، ولكنه اعتذر فَحَسُنَ قوله وصح معناه باعتذراه ، وهو الطائي[1]:

لهفـي علـى تلـك الشـواهد فيهمـا لـو أمهلـت حتّـى تَكُـونَ شمـائلاَ
إن الهِـلالَ إذا رأيـتَ نمـوه أيقنـتَ أن سـيكونُ بـدراً كـاملاَ

وقال الفرزدق [2] يرثي حدراء الشيبانية :

يقـول ابـنُ صفـوانٍ بكيـتَ ولم تَكُـنْ على امـرأةٍ عَيْنِي إخالُ لِتَدْمَعَا [3]
يقولـون زُرْ حَـدْرَاءَ ،والـتربُ دُونَهـا وكيـفَ بشـيءٍ عَهْـدُهُ قـد تَقَطَّعَـا
ولَسْـتُ وإنْ عـزَّتْ عَلَـيّ بزائِـرٍ تراباً على مَرْمُوسَةٍ[4] قد تَضَعْضَعَا
وأَهْـوَنُ مَفْقُـودٍ إذا المـوْتُ نالَـهُ على المَرْءِ من أَصْحابِـهِ مَنْ تَقَنَّعَـا
ومـا مـاتَ عنـدَ ابـنِ المَراغـةِ مِثْلُهـا ولاَ تَبِعَتْـهُ ظاعِنًـا يـوم وَدَّعَـا

وقال جَريرُ يرثى امرأته[5] :

لـولا الحَيـاءُ لَهَـاجَنِي اسْـتِعْبَارُ ولَـزُرْتُ قَـبْرَكِ والحبيـبُ يُـزارُ
نِعْـمَ الخَليـلُ وكُنْـتِ عِلْـقَ مَضِنَّـةٍ ولَـدَيَّ منـكِ سَـكينةُ ووَقـارُ
لـن يُلْبِـثَ القُرَنَـاءَ أنْ يَتفرَّقـوا ليـلٌ يَكُـرُّ عليهـمُ ونهـارُ
صلَّـى الملائكـةُ الذيـن تُخُـيِّرُوا والصَّـالُحُونَ عليـكِ والأَبْـرارُ
أَفَـأُمَّ حَـزْرَةَ يـا فـرزدقُ عِبْتُـمُ غَضِـبَ المَليـكُ عليكـمُ الجَبَّـارُ

وقال رجلُ من خُزاعةَ ـ ويُنْحَلُهُ كُثَيِّرُ ـ يرثِي عبدَ العزيز بنَ مَرْوان [قال أبـو الحسـن: الذي صَحَّ عندنا أن هذا الشعر لقُطْرُبٍ النحوي [6]] :

---

(١) يريد أبا تمام : والبيتان فى ديوانه ص ٣٦٨ .
(٢) ديوانه ٤٢٢/٢ .
(٣) في الديوان : يقول: ابن خنزير .
(٤) (مرموسة) من رمس الميت يرمسه " بالضم" رمسا دفنه (علق مضنة) العلـق :"بالكسـر" النفيس من كل شيء تعلق به القلوب ومضنة" بكسر" الضاد وفتحها " يضن به" يلبث من ألبثه .
(٥) تذييل ديوان جرير ٢/ ٨٦٢-٨٦٥ .
(٦) نسبت الأبيات لقطرب يرثي محمد بن منصور ، ونسبت لكثير ، ولعبد الله بن أيوب التيمي ، ولشمردل الليثي، ولبعض الأعراب . انظر ديـوان كثـير ــ مـا نسـب إليـه ص ٥٢٩، والفـاضل ٦٢ وتخريجها فيه وزاد عليه التعازى المراثي ١٩ ، والمقاصد النحوية ١٠٣/٢ .

جلّتْ رَزيئتُهُ فَعَمَّ مُصابُهُ ... فالنّاسُ فيه كلُّهمْ مأجورُ
والنّاسُ مأْتمُهُمْ عليه واحدٌ ... في كُلِّ دار رَنّةٌ وزَفيرُ
يُثْنِي عليك لسانُ مَنْ لم تُولِهِ ... خيراً لأنّك بالثّناء جَديرُ [1]

ومثله قولُ عُمارةَ يمدح خالدَ بنَ يَزيدَ بن مَزْيَدٍ :

أرَى الناسَ طُرًّا حامدينَ لخالدٍ ... وما كلُّهم أفْضَتْ إليه صَنائعُهْ
ولن يَتْرُكَ الأقوامُ أنْ يَحْمَدُوا الفتَى ... إذا كَرُمَتْ أخْلاقُه وطَبائعُهْ
فتى أَمْعَنَتْ ضَرّاؤُهُ في عَدوِّهِ ... وخَصَّتْ وعَمَّتْ في الصديق منافِعُهْ

ومن قوله : والناسُ مَأْتمُهم عليه واحدُ

أخذَ الطائيُّ في مَرْثِيَتِهِ ابنَ حُمَيْدٍ :

لِئِنْ أَبْغضَ الدهرُ الخئُون لِفَقْدِهِ ... لَعَهْدِي به حَيًّا يُحَبُّ له الدَّهرُ
لئن عَظُمَتْ فيهِ مُصيبةُ طَيِّئٍ ... لَمَا عَرِيَتْ منها تَميمٌ ولا بَكرُ [2]

وقال القرشي [3] :

قد كنتُ أبكي على مَنْ فاتَ من سَلَفِي ... وأَهْلُ وُدِّي جميعٌ غيرُ أَشْتاتِ [4]
فاليومَ إذْ فَرَّقَتْ بيني وبينَهمُ ... نَوًى بكيتُ على أَهْلِ المُرُوآتِ

---

(١) زاد بعده في الأصل وبعض النسخ :

أما القبور فإنهن أوانس ... بجوار قبرك والديار قبور
ردت صنائعه إليه حياته ... فكأنه من نشره منشور

قال محقق س : وبهامش الأصل ما نصه : " وقع نسق هذا الشعر في كتاب ف [يعني ابن الإفليل] بتقديم جلت رزيته ويتلوه :الناس مأتمهم..... البيت ويتلوه : يثنى عليك لسان : البيت ويتلوه: أما القبور فإنهن أوانس طيئ البيت ويتلوه: ردت صنائعه ".

(٢)البيتان لأبى تمام فى ديوانه صـ٣٥٦، فى رثاء محمد بن حميد الطوسى ، ورواية البيتين:

لئن أبغض الدهر الخئون لفقده ... لعهدى به ممن يحب له الدهر
لئن ألبست فيه المصيبة طيىء ... فما غريت منها تميم ولا بكر

(٣) هو أبو عبد الرحمن العتبي،انظر التعازى والمراثى ص١٩،والفاضل ٦٢ وفى رواية:أهل المودات.

(٤) كذا في نسختين: مات من سلفي ، وفي هامش الأولى : كان من سلفي .وفي بعض النسخ:ودي جميعًا .

وما بقاءُ امرئٍ كانَتْ مَدامِعُهُ مقسومةً بين أحياءٍ وأمواتِ

ويروى[1] أن عليَّ بن أبي طالبٍ ـ رضوانُ الله عليه ـ تمثّل عند قبرِ فاطمة عليها السلام:

وإنَّ افتقادِي واحدًا بعدَ واحدٍ دليلُ على ألاّ يَدومَ خَليلُ [2]

وقال عقيل بن علفة المري من غطفان [3] :

لَعَمري لقد جاءَتْ قَوافِلُ خَبَّرَتْ بأَمْرٍ منَ الدُّنْيا عليَّ ثَقيلِ
وقالوا ألا تَبْكِي لَمِصْرَعِ هالِكٍ أصابَ سبيلَ الله خيرَ سَبيلِ
كأنَّ المَنايا تبْتَغِي في خيارِنَا لَهَا ترة أو تَهْتَدِي بدَليلِ
لتأتِ المنايا حيثُ شاءتْ فإنَّها مُجَلَّلةٌ بعدَ الفَتى ابنِ عَقيلِ
فَتىً كان مولاه يَحُلُّ بنَجْوَةٍ فَحَلَّ المَوَالِي بعدَه بَمَسيلِ

وتمثّلتْ عائشةُ عندَ قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ [4] :

وكُنّا كَنَدْمَانَيْ جَذيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قيلَ لن يَتَصَدَّعا
وعِشْنا بخَيرٍ في الحياةِ وقَبْلَنا أصابَ المنايا رهط كسرْى وتُبَّعَا

---

(١) الخبر في التعازي والمراثي ٢٠٥ ، والعقد ٢٤١/٣ ، وزهر الآداب ٤٥/١.

(٢) قال محقق س : قبله في بعض النسخ والأصل : أي هو ثابت في روايتي أبي علي وابن الإفليلي ـ ونسب هذان البيتان في " تعليق من أمالي ابن دريد " ص ٩٨ لشقران العذري ـ

لكل اجتماع من خليلين فرقة وإن الذي دون الفراق قليل

وبهامش الأصل ما نصه :يقال : إن هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب وأولها : ـ

أرى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
إذا ما انقضت عنى من العيش مدّتي فإن عناء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

وبعد البيتين اللذين في الكتاب : ـ

كذلك جسمي لا يواتيه مضجع وللصدر من حر الفؤاد غليل
وليس جليلاً رزء مال [فقدته] ولكن فقد الأكرمين جليل

(٣) انظر الأغاني ٢٦٨/١٢ ، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٩٨٧ .

(٤) المفضليات ق ٢١/٦٧ ، ١٩ ، ٢٠ ص ٢٦٧ . وستأتي في كلمته .

فلمَّــا تفرَّقنــا كــأنّي ومالكًــا لطُـولِ اجْتِمـاعٍ لم نَبِــتْ ليلــةً مَعَــا[1]

ومات [2] صديق لسليمانَ بن عبد الملك ، يقال له شرَاحِيلُ ، فتمثّل عندَ قبرِه :

وهَوَّنَ وجْـدي عـن شَـرَاحيلَ أنَّـني إذا شئتُ لاقَيْتُ امْـرَأً مـات صاحِبُــهْ [3]

وقال أعرابي [4]

ألاَ لَهْــفَ الأَرامــلِ واليَتَــامَى ولَهْــفَ الباكِيــاتِ علــى قُصَــيٍّ

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ على قُصَـيٍّ مَتَــالِفَ بَيْــنَ حَجْــرٍ والسُّــلَيِّ

ولكِنّــي خَشِـيتُ علــى قُصَــيٍّ جَرِيــرَةَ رُمْحِــهِ في كُــلِّ حَــيِّ

فَتَــى الفِتْيــانِ مُخْلَــوْلٍ مُمِــرٌّ وأَمَّــارٌ بِإرْشــادٍ وغَــيِّ

هذا الشعرُ من أجْفَى أشعار العـرب ، يُنْبِـيءُ صاحبُـه أنَّ تقديرَه في المَرْثـيِّ أن تكـون منيَّتُه قتلاً ، ويتأسَّفُ من موته حَتْفَ أنفِه ، ويقول في مدحه :

وأَمَّارٌ بِإرْشادٍ وغَيِّ

وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد ، لما أصابته الصاعقة وأصابت عامراً الغـدة بدعـوة رسول الله ﷺ ، وكان عامر قد قدم على رسول الله ﷺ ومعه أربد ، فقـال لأربـد : أنـا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائـه ، فدعـاه رسـول الله ﷺ إلى الإسـلام علـى أن يجعل له أعنة الخيل ، فقال عامر : ومن يمنعها مني اليوم ، ولكن إن شئت فلك المـدر ولي الوبر ، أو لي المدر ولك الوبر ، فأعرض عنه رسول الله عليه الصـلاة والسـلام ، فقـال: فاجعل هذا الأمر لي بعدك ، فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن ، قال : فأبشـر بخيـل أولهـا

---

(١) الأبيات من الطويل ،وهى لمتمـم بـن نويـرة فـى ديوانـه ١١،وتـاج العـروس ٥١٢/١٠ (حبر)، ٣٢٦/٢١(صدع).

(٢) الخبر في التعازي والمراثي ١٩٨ - ١٩٩ وفيه أن شراحيل كان صديقاً لمسلمة بن عبد الملك .

(٣) البيت لنهشل بن حري من أبيات أنشدها أبو تمام في ديوانه الحماسة بشرح المرزوقي ٨٧٠ - ٨٧٢ والتبريزي ١٧٤/٢ . وروايته .

وهـوَّن وجـدى عـن خليلـى أنــه إذا شــئت لاقيــت امــرأ مــات صاحبــه

(٤) بهامش بعض النسخ مانصه :"ينسـب إلى كعـب بـن زهـير.ويـروى في مكـان " قصـي" " أبـي" والأبيات بـلا نسبة في التعـازي والمراثـي ٢٦ - ٢٧ ، ١٦٣ . وألحقـت بديـوان كعـب ص ٢٥٥- ٢٥٦ ،وانظر مصادرها هناك . ونسبت لأبي خراش ولقرانة بن غوية الضبي ولامـرأة في أبيهـا ، انظـر تعليق العلامة الميمني على التنبيهات ١٦٤ . وحجر مدينة اليمامة ، والسلي : واد بهـا ، وقيـل غـير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢٤٤/٣ .

عندك وآخرها عندي ، فقال رسول الله ﷺ : " يأبى الله ذلك وابنا قيلة "[1]، يعني الأوس والخزرج .

ويروى أن سعد بن عبادة قال : يا رسول الله ، علام يسحب هذا الأعرابي لسانه عليك ؟ ! دعني أقتله .

ويروى أن عامراً قال للنبي عليه السلام : لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء، فلما قال قال رسول الله ﷺ : "اللهم اكفنيهما" . وتروي قيس أنه قال "اللهم إن لم تهد عامرًا فاكفنيه". وقال عامر لأربد : قد شغلته عنك مراراً فألا ضربته ؟ فقال أربد:أردت ذلك مرتين فاعترض لي في إحداهما حائط من حديد،ثم رأيتك الثانية بيني وبينه، أفأقتلك؟ فلم يصل واحد منهما إلى منزله ، أما عامر فغد في ديار بني سلول بن صعصعة، فجعل يقول : أغدة كغدة البعير وموتاً في بيت سلولية ؟ ! وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته، وكان أخا لبيد لأمه، فقال[2] يرثيه :

أَخْشَى علَى أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا ... أَرْهَبُ نَوء السِّمَاكِ والأَسَدِ

مَا إنْ تُعَرِّي المَنُونُ[3] مِنْ أَحَدِ ... لا والِدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدش

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْـ ... فارسِ يومَ الكريهَةِ النَّجُدِ[4]

يا عَيْنُ هَلاَّ بكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمنَا وقامَ العَدُوُّ في كَبَدِ[5]

---

(١) قصة عامر بن الطفيل أصلها عند البخارى أخرجها فى " المغازى" باب:غزوة الرجيع، (٤٤٥/٧)،(ح٤٠٩١)، وأورده الحافظ الهيثمى فى " المجمع"،(١٢٦/١٢٥/٦) بلفظ يكفينيك الله وابنا قيلة .." وقال :" رواه الطبرانى ، وفيه عبد المهيمن بن عباس وهو ضعيف .
الخبر رواه ابن هشام فى السيرة ، وعنه نقله الحافظ البيهقي فى " الدلائل "(٣١٨/٥ ، ٣٢١) ، وكذا الحافظ ابن كثير فى البداية "(٥٦/٥ ، ٦٠) ، والطبرى فى تاريخه، وابن سعد فى طبقاته ، كما رواه ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وأبو نعيم وابن فردويه ، عن ابن عباس والحاكم عن سلمة بن الأكوع، وأبو نعيم أيضا عن عروة .

(٢) ديوانه ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣) (تعرى المنون) : للبناء للمفعول تترك وتهمل ويقال لكل شيء أهملته وخليت سبيله قد عريته.

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال : رجل نجد ونجُد نجدٌ بيّن النجدة : إذا كان جلداً قوياً . قال : والكبد : الشدة والمشقة ، هكذا فسر أبو عبيدة قولَ الله تعالى:" لقد خلقنا الإنسان في كبد " . اهـ . وقوله " يا عين " ضبط في النسخ بكسر النون ، وزدنا ضمها .

(٥) الأبيات من المنسرح ،وهى للبيد فى الأغانى ٥٩/١٧،٦٠، ٦٧ .
قال على بن حمزة فى التنبهات ١٦٤ - ١٦٥ عقب نقله أبيات الأعرابي ألاهف الأرامل وكلام المبرد عقبه إلى قولهِ وشبيه بهذا قول لبيد أخشى على أربد قال : " وهذا الشعر من أرق أشعار العرب وأحسنها لفظاً . ومعنى ، ولم يتأسف على موته حتف أنفه كما ظن ، وإنما تعجب منه مع قتله في كل حي . وبين التأسف والتعجب فرقان لم يعرفه أبو العباس ، وعيبه له بأن مدحه بأنه أمار بإرشاد

وقال [1] أيضًا:

ذهــبَ الــذى يُعــاشُ في أكْنَــافِهِمْ ... وبَقيــتُ في خَلْـفٍ كَجلْـدِ الأجْـرَب
يتحدَّثــون مَخانَــةً ومَــلاذَةً ... ويُعــابُ قــائلُهُم وإنْ لم يَشْــغبِ
يَــا أَرْبَــدَ الخَــيْرِ الكَريــمَ جُــدُودُهُ ... غــادَرْتَنِي أَمْشِــي بقَــرْن أَعْضَــبِ
إنَّ الرَّزِيئَــةَ لا رَزِيئَــةَ مثلُهــا ... فِقْدانُ كـلِّ أخٍ كَضَـوْءِ الكَوْكَـبِ[2]

قوله : " في خلف "يقال:هو"خلف فلان " لمن يخلفه من رهطه ، وهؤلاء "خلف فلان " إذا قاموا مقامه من غير أهله ، وقلما يستعمل " خلف " إلا في الشر .

وأصله ما ذكرنا .

و " المخانة " مصدر من الخيانة .

و "الملوذ": الذي لا يصدق فى مودته،يقال:رجل ملوذ وملذان،و"ملاذة" مصدره .

و " الأعضب " : المقطوع ، وفي الحديث : " لا يُضحى بأعضب [3] " .

ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة فى مرضه : لولا ما من الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد :

ذَهَبَ الذيـن يُعـاشُ في أكْنـافِهِمْ ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجلْدِ الأجْـرَبِ[4]

فقال له مَعْنُ : إنما تَذْكُر أني سُدْتُ حين ذهبَ الناسُ ! فهلاَّ قلت كما قال نهارُ ابنُ تَوْسِعَةَ :

قَلَّدَتْــهُ عُــرى الأمُــورِ نِــزَارُ ... قبـلَ أنْ تَهْلِـكَ السَّـرَاةُ البُحــورُ [5]

وغي غلط منه ؛ لأن للشاعر في قوله وجهين صحيحين حسنين ، أحدهما أن يكون أراد أنه يأمر برشد لوليه وغي لعدوه ....والآخر أن يكون أراد مطاوعته لقبيله أو لرفقائه على الرشد والغي.....وليس بين الشعر الأول وشعر لبيد الذي شبهه به تناسب ؛ لأن لبيد قال : كنت أخشى المنون على أربد و لم أظن أنه تصيبه صاعقة ، وليس من قول الأول في شيء " .
قلت : وهذا المبرد نفسه استحسن الأبيات في التعازي ٢٦ - ٢٧ .
(١) ديوانه ص ٣٤ - ٣٥ .
(٢) الأبيات من الكامل ،وهى للبيد فى الأغانى ٧٠/١٧ .
(٣) يريد حديث على رضى الله عنه :" نهى رسول الله ﷺ ، أن يضحى بأعضب الأذن والقرن".
وهو "ضعيف" أخرجه أبو داود (٢٨٠٥)، والنسائى ،(٢٠٤/٢)والترمذى (٢٨٤/١)، وابن ماجه (٣١٤٥)، والطحاوى فى مشكل الآثار (٢٩٧/٢)، والحاكم٢٢٤/٤) ، والبيهقى فى الكبرى (٢٧٥/٩) ، وأحمد فى " المسند" (٨٣/١،١٠١،١٢٧)، وأبو يعلى فى مسنده ، وأورده الشيخ الألبانى فى ضعيف ابن ماجه (ح٦٧٨)، وضعيف الجامع(ح ٢٩ . ٦)، وراجع الإرواء (ح١١٤٩).
(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : قال : " إنما يقال : فلان خلفَ صالح وفلان خلف سوء وهم خلاف صدق وأخلاف صدق " .
(٥) البيت من أبيات له في الأغاني ١٩/١٦ .

ثم نرجع إلى ذكر المراثي .

قال أعرابي [1] :

لَعَمْرِي لقد نـادَى بـأرفعِ صوتِـه نَعِـيُّ حُيَـيّ أنَّ سـيدَكُم هَـوَى

أَجَلْ صادقًـا والقائلُ الفاعلُ الـذي إذا قـال قـولاً أنبـطَ المـاءَ في الـثَّرَى [2]

فتًى قَبلٌ لم تُعْنِسِ [3] السِّنُّ وَجْهَهُ سِوَى وَضَحٍ في الرَّأسِ كالبَرْقِ في الدُّجَى [4]

أشارتْ لَهُ الحرْبُ العَوَانُ فجاءَها يُقَعْقِـعُ بـالأقرابِ أوَّلَ مَـنْ أتـى

ولم يَجْنِهَـا لكـنْ جَناهـا وَلِيُّـهُ فآسَـى وآداهُ فكـان كَمَـنْ جَنَـى [5]

ويروى [6] أن عائشة - رضي الله عنها - نظرت إلى الخنساء وعليها صدار [7] من شعر، فقالت : يا خنساء ، أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله ﷺ عنه ؟ فقالت: لم أعلم بنهيه ، ولكن لهذا الصدار سبب ، فقالت سبب،وما هو ؟ فقالت لها: كان زوجي رجلاً متلافاً فأخفق ، فأراد أن يسافر ، فقلت له: أقم وأنا آتي صخراً أخي فأساله ، فأتيته فشاطرني ماله ، فأتلفه زوجي ، فعدت له فعاد لي بمثل ذلك ، فأتلفه زوجي ، فعدت له،

---

(١) الأبيات لسويد الحارثي: كما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٨٤٠ والتبريزي ١٦٥/٢ ، والرابع والخامس له في التنبيهات ٩٤ ، والثالث له في اللسان (عنس) . والثالث والرابع والخامس مع آخر لأبي ضب اللحياني في شرح أشعار الهذليين ٧٠٥ ، وهي بلا نسبة في التعازي والمراثي ١٦٢-١٦٣ .

(٢) (أنبط الماء فى الثرى) مثل لإنجاز ذلك الوعد وإنباط الماء : استخراجه كاستنباطه واسم ذلك الماء النبط" بالتحريك " ومنه حديث بعض العرب وقد سئل عن رجل فقال ذاك قريب الثرى بعيد النبط قرب الوعد بعيد الإنجاز.

(٣) قال محقق س في الأصل وبعض النسخ :" تعبس" وكذا وقعت في ديوانه الحماسة وشرحها الإمام المرزوقي ، ولا أراها إلا تصحيفاً لا يقوم بها معنى . وأعنست السن وجهه : غيرته إلى الكبر.

(٤) يقول الشاعر:هو فتى مقتبل الشباب لم تغير السن وجهه إلى الكبر وقوله وضح يريد بياض الشيب .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان: القعقعة :اضطراب السلاح بعضه ببعض . والقرب : الكشح وهو الخصر ، وجمعه أقراب . ويقال : هذا وليُّ الأمر دون فلان وهو الأولى ، ويقال : آساه وواساه وآداه إيداء : أي أعانه " .

(٦) الخبر في التعازي والمراثي ٤٨ .

(٧) بهامش بعض النسخ ما نصه :" المهلبي :الصدار : ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر والمنكبين تلبسه المرأة ، وأنشد :

وتدمع حتى اخضل منها صدارها " .

فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته: إن هذا المال متلف، فامنحها شرارها ، فقال صخر:

وا لله لا أَمْنَحهـا شـرارَها ولـو هَلَكـتُ خَرَّقَـتْ خِمَارهـا

واتَّخَذَتْ مِنْ شَعَرٍ صدَارَها

فلما هلك اتَّخَذْتُ هذا الصِّدارَ . وكان صخرُ أخَا الخنساء لأبيها فقط .

ويروى عن بعض نساء بني سليم أنها نظرت إليها فى صدار وهي تصنع طيباً لابنتها لتنقلها إلى زوجها ، فقاولتها فى شيء كرهته الخنساء ، فقالت لها : اسكتي ، فوا لله لقد كنت أبسط منك عرفاً [١] ،وأطيب منك ورساً [٢] ،وأرق منك نعلاً،وأكرم منك بعلاً

وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعراً قط إلا تبين الضعف فيه ، فقيل له : أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربع خصى !! .

وقال القرشي [٣] وتابع له بنون :

أَسُكَّانَ بَطْنِ الأرضِ لو يُقْبَلُ الفِدَا فُدِيتُمْ وأَعْطَيْنَا بكُم ساكِنِي الظَّهْرِ

فيا ليتَ من فيها عليها وليت مَنْ عليها ثَوَى فيها مُقيماً إلى الحَشْرِ

فماتُوا كأنْ لم يعْرِفِ الموتُ غيرَهم فَثُكْلُ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قَبْرِ

لقد شَمِتَ الأعداءُ بي وتَغَيَّرَتْ عُيونٌ أراها بعد موتِ أبي عَمْرِو [٤]

تَجَرّى عليَّ الدهرُ لَمَّا فَقَدْتُهُ ولو كان حَيًّا لاجْتَرَأْتُ على الدَّهْرِ

وقاسَمَنِي دهرى بَنِيَّ مُشاطِراً فلمّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مالَ فى شَطْري [٥]

وحدثني العباس بن الفرج الرياشيُّ قال : قدم رجل [٦] من البادية ، فلما صار بجبل سنام مات له بنون ، فدفنهم هناك وقال :

دَفَنْتُ الدافعِينَ الضَّيْمَ عنِّى برابيةٍ مُجاورةٍ سَنَاماَ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : شممت منه عرفاً طيباً أي أريجًا " .

(٢) زاد في بعض النسخ : وأحسن منك عرساً " .

(٣) هو أبو عبد الرحمن العتبي كما في التعازي والمراثي ١٨٧-١٨٣،وبعضها في الوحشيات ١٣٩.

(٤) أبو عمرو كنية ابنه الذي مات فى آخر ولده .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : الشّطر : النصف من كل شيء "

وبهامش نسخة ما نصه " وقع هذا البيت الأخير فى قطعة منسوبة إلى وهب بن طريف العبسى ".

(٦) هو المرقع بن العلاء أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة كما في التعازي والمراثي ٢١٠ .

أقـولُ إذا ذَكـرتُ العَهــدَ منهــمْ بنفســي تلــك أصْــداءً وهَامَــا[1]

فلــم أرَ مثلَهــم مــاتوا جميعــاً ولم أرَ مثــلَ هــذا العــامِ عامــا

فلَيْــتَ حِمــامَهُمْ إذ فــارقوني تَلَقَّانَــا فكــانَ لنــا حمَامَــا [2]

ويروى[3] أن رجلاً كـان لـه بنـون سبعة ، يـروي ذلـك أبـو الحسن المدائني،قـال : فاختلف عليَّ فيهم ، فقال قوم : كانوا تحت حائط ، وقال قوم آخرون: بـل حلـب لهـم في علبة فمجت [4] فيها أفعى فبعث بها إليهم فشربوها فمـاتوا جميعـاً ، والرجـل يقـال لـه الحارث بن عبد الله الباهلي [5] ، وهلكت لجار له شاة فجعل يعلن البكـاء عليهـا ! فقـال قائل : [6]

يــا أيُّهــا البــاكِي علــى شَــاتِهِ يَبْكــي جهــارًا غــيرَ إسْــرَارِ

إنَّ الرَّزيئَــاتِ وأمثالَهَــا مَــا لَقِــي الحَــارثُ في الــدَّارِ

دَعَــا بــني مَعْــن وإخوانَهُــمْ فكلُّهــم يَغْــدُو بمِحْفَــارِ [7]

* * *

قال أبو العباس : والمصائب ما صغر منها وما عظم تقع على ضربين فـالحزم التسـلي عنما لا يعني الغم فيه ، والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة .

---

(١) (سناما) فقال هـو جبـل بـين البصـرة واليمامـة لبنـى دارم (بنفسـى) معمـول أفـدى محذوفـة والأصداء جمع صدى وهو هنا ما يبقى من جثة الميت فى قبره والهام جمع هامة وهى الرأس .

(٢) ورد في هذا البيت في بعض النسخ على أنه من زيادات أبى الحسن ، ففيها بعد البيت الثالث : "قال أبو الحسن الأخفش : وفيها عن غير أبي العباس :

فليــت حمــامهم إذ فــارقونى تلقانــا فكــان لنــا حمامــا " .

والأبيات الأربعة ثابتة فى التعازي والمراثي ٢١٠ وقال المبرد عقبها : " أنشدني الرياشـي ثلاثـة أبيـات منها و لم ينشدني الرابع " .

(٣) الخبر والأبيات فى التعازى والمراثي ٥٣ . وفي بعض النسخ : قال أبو العباس ويروى .

(٤) ومجت فيها : رمت فيها بسمها .

(٥) في التعازي والمراثي : الحارث بن حبيب الباهلي .

(٦) الذي في التعازي والمراثي أن الحارث بن حبيب هو القائل .

(٧) (بمحفار) هو نحو المسحاة وهى الجرفة من حديد ويقال له المحفر والمحفرة. رغبة الآمل (١٧٢/٨).

ومن أحسن القول في هذا المعنى فى الإسلام قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام،حين مات ابنه فلم ير منه جزع، فسئل عن ذلك، فقال:أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره، وفي هذا زيادة تنتظر، وفضل تسليم لقضاء ا لله عز وجل .

والعرب تقول : الحذر أشد من الوقيعة .

وقال رجل من الحكماء:إنما الجزع والإشفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرضا والتسليم .

ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه ا لله : إذا استأثر ا لله بشيء فاله عنه. يقال: "لهيت عن الأمر ألهي": إذا أضربت عنه[1] "ولهوت ألهو"من اللعب .

ومن أقدم ما قيل فى هذا المعنى قول أوس بن حجر الأسيدي [2] ، من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، يرثي فضالة بن كلدة أحد بني أسد بن خزيمة [3] :

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أجْمِلي جَزَعا ... إنَّ الذي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعا
إنَّ الذي جَمَّعَ السَّمَاحَةَ والنـ ... ـجْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعَا
الألْمعيُّ الذي يَظُنُّ لَكَ الظَّنْـ ... ـنَ كأنْ قَدْ رَأى وقَدْ سَمِعَا
والمُخْلِفُ [4] المُتْلِفُ المُرَزَّأُ لَمْ ... يُمْتَعْ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعَا
والحافظُ النَاسَ في تَحُوطَ إذَا ... لم يُرْسِلوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعَا

---

(١) يقال أضرب فلان عن الشيء : إذا كف عنه " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه : " النسب إلى أسيد أُسيدي بالتخفيف لا غير " .

(٣) بعده في زيادات :

أودى فما تنح الإساعة من ... شيء لمن قد تحاول البدعا

كذا وقع وفيه تصحيف . وبهامش الأصل بحذاء البيت ما نصه :

أودى فما تنع الإشاحة من ... شيء لمن قد يحاول البدعا

ليس البيت من الكتاب وهو جواب قوله " إن الذي جمع السماحة " . أودى : هلك . والإشاحة هھنا : الحذر، وفي موضع آخر تكون الحرص على القتال والجد فيه . يقول : من مات وحوادث الدهر [كذا] لم تنفعه من ذلك الإشاحة . والبدع : ما جلب الدهر مما لا يعرف " .

(٤) كذا في نسخة . وفي سائر النسخ " المخلف " بلا الواو .

وعَــزَّتِ الشَّـــمْأَلُ الرِّيَـــاحَ وقَـــدْ أمْسَـــى كَميـــعُ الفَتَـــاةِ مُلْتَفِعــــا

وشُبِّهَ الهَيْـدَبُ العَبَـامُ مِـنَ الْـ أقْـوَامِ سَـقْباً مُلَبَّسـا فَرَعَـا

وكَـانتِ الكَـاعِبُ المُمَنَّعَـةُ الْـ حَنْسـاءُ فـى زَادِ [1] أهلِهـا سَـبُعَا

لِيَبْكِـكَ الشَّـرْبُ والمُدامَـةُ والْـ فِتْيانُ طُـرًّا وطَـامِعُ طَمعَـا

وذاتُ هِـدْمٍ عـارٍ نَوَاشِـرُهَا تُصْمِـتُ بالمـاء تَوْلَبًـا جَدِعَـا

وفيها زيادة ولكنا اخترنا .

قوله :

الألمعي الذي يظن لكَ الظَّـنْـ ـنَ كَـأنْ قـد رأى وقـد سمعـا

"الألمعي" : الحديد اللسان والقلب ، وقد أبانه بقوله :

..........الذي يظن لك الظنْـ ـن كـأنْ قـد رأى وقـد سمعـا

وقوله:" المخلف المتلف " أراد أنه يتلف ماله وكرمًا ويخلفه نجدة ، كما قال: [2]

ناقَتُـهُ تُرْقِـلُ فِي النقـالِ [3] مُتْلِـف مـالٍ ومُفيـدُ مـالِ

وقال آخر :

---

(١) فى بعض النسخ : في بيت . وفي بعض النسخ وهامش نسخة : " في دار ". وبهامش نسخة أيضا كما فى المتن .وانتهى ههنا الخرم الذي وقع في نسخة .

(٢) البيتان من أبيات للقتال الكلاني في الأغاني ١٩/٢٤ ، والرواية :

متلف مال ومفيد مال ولا تزال آخر الليالي

قلوصه تعثر فى النقال

(٣) يقال :أرقلت الناقة إرقالاً ، وهو ضرب من المشي، وناقة مرقل من إبل مراقيل ، ابن شاذان: النقل الحجارة،وناقلت الناقة نقالاً إذا جرت كأنها تتقي ذلك،لا يكون إلا في أرض ذات حجارة".

فأتلف ذاك متْلافٌ كَسُوبُ

و" المُرَزَّأُ " الذي تناله الرزيئات في ماله لما يعطي ويسأل .

و"الإمتاع " : الإقامة ، فيقول : لم يقم وهو ضعيف .

و" الطبع " : أسوأ الطمع ، وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنيئة فيركبه كالحائل بينه وبين الفهم ، لقبح ما يظهر منه ، وهذا مثل ،وأصله في السيف ، وما أشبهه ، يقال:" طبع السف " : إذا ركبه صدأ يستر حديد و ﴿ **طبع ا لله على قلوبهم** ﴾ [(١)] من ذا :

و" تحوط " و" قحوط " اسمان للسنة الجدبة ،كما يقال : جحرة وكحل

وقوله :

لم يُرْسِلُوا خَلْفَ عائِذٍ رُبَعَا

فالعائذ : الحديثة النتاج ، و" الربع " : الذي ينتج فى الربيع ، ومن شأنهم في سنة الجدب أن ينحروا الفصال ، لئلا ترضع فتضر بالأمهات .

وقوله : و" عزت الشمأل الرياح " يقول غلبتها ، وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار[(٢)]، ومن ذلك قولهم : " مَنْ عَزَّ بزَّ " أي مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ ، وفي القرآن: ﴿**وَعَزَّنِى فِي الخِطابِ**﴾ [(٣)] أي غَلَبَني في المخاطبة .

* * *

---

(١) سورة النحل : ١٠٨ ، وسورة محمد : ١٦ .

(٢) انظر التنبيهات ص ١٦٦ وتعليق العلامة الشيخ الميمني رحمه ا لله .

(٣) سورة ص : ٢٣ .

وقولُه : " وقد أمْسى كميعُ الفَتَاة " فالكميعُ : الضَّجيعُ ، وهو الكمْعُ ، قال :

ومَشْحُوذُ الغرارِ يبيتُ كمْعي

يعني السيف ، أي يبيتُ مضُاجعي .

"مُلْتفعاً " يقال : تَلَفَّعَ في مُطْرَفِهِ وفي كسائه : إذا تَلَفَّفَ وتَزمَّلَ فيه ، فيقول : من شدَّة الضرِّ يَلتفع دون ضجيعه .

و " الكاعبُ " : التى قد كَعَبَ ثَدْيُهَا ، يقول : تصيرُ كالسَّبُعِ في زاد أهلها بعد أن كانت تعافُ طَيِّبَ الطعام .

وقوله " وذاتُ هدْمٍ " يعني امرأةً ضعيفةً ، و" الهدْمُ " : الكساءُ الخَلقُ الرَّثُ .

وقوله : " عارٍ نَوَاشِرُها " ، " النواشِرُ " عروقُ السَّاعِدِ .

و " التَّوْلَبُ " : الصغيرُ ، و " الجَدَعُ " : السَّيِّيءُ الغِذَاءِ ، وهو الجَحِنُ والقَتِينُ .

وقال أعرابيٌّ :

خَلِيلَيَّ عُوجَا بارَكَ اللهُ فيكما	**على قبرِ أهْبَانَ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ**
فَذَاكَ الفتَى كلُّ الفَتَى كان بينَه	**وبينَ المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ**
إذا نازعَ القومَ الأحاديثَ لم يكنْ	**عَيِيًّا ولا عِبْئًا على مَنْ يُقَاعِدُ**

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّةُ : [1]

دَعَا قابضًا والمُرْهَفَاتُ يَنُشْنَهُ	**فَقُبِّحْتَ مَدْعُوًّا ولَبَّيْكَ دَاعِيَا**
فَلَيْتَ عُبَيْدَ اللهِ كانَ مكانَه	**صَرِيعًا ولم أسمعْ لِتَوْبَةَ ناعِيَا**

وكان سببُ هذا الشعر أن تَوْبَةَ بنَ حُمَيِّرٍ العُقَيْلِيَّ ثُمَّ الخَفَاجِيَّ غَزَا فغَنِمَ ، ثم انصرف فَعَرَّسَ في طريقه فأمِنَ فَقَالَ [2]، فَنَدَّتْ فرسُه ، فأحاط به عدُّوه ، ومعه عبيدُ اللهِ أخوه وقابضٌ مولاه ، فدعاهما فذبَّبَ عُبيدُ اللهِ شيئًا وانهزَما وقُتِلَ توبةُ ، ففي ذلك تقول ليلى [3] :

---

(١) ديوانها ق ص ١٢٣ ، والتعازي والمراثي ص ٧٤ .

(٢) وبهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : يقال : قال الرجل يَقيل قيْلاً من القيلولة والقائلة ، وهو نوم نصف النهار ، والقَيْلَ : شرب نصف النهار ، تقيّل الرجلُ وقال : إذا شرب في وقت المقيل ، قال الراجز :

إن قال قيلوا لم أكن في القُيَّلِ

ويروي : إن قيل قيلوا " .

(٣) ديوانها ق ١/١٨ ـ ٦ ، ١٧ ، ١٦ ص ٧١ - ٧٤ ، والتعازي والمراثي ٧٤ - ٧٥ . وسلف البيتان ٤ و ٦ ص ٩٥٣ .

أعَيْنِي أَلاَ فابْكِي على ابْنِ حُمَيِّرِ ... بدمعٍ كَفَيْضِ الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ

لِتَبْكِ عليه من خَفَاجَةَ نِسْوَةٌ ... بماءِ شُئونِ العَبْرَةِ المُتَحَدِّرِ

سَمِعْنَ بهَيْجَا أرجَفَتْ فَذَكَرْنَهُ ... وقد يَبْعَثُ الأحزانَ طولُ التَّذَكُّرِ

كأنَّ فَتَى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ ... بنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ

ولم يَرِدِ الماءَ السِّدامَ إذَا بَدَا ... سَنَا الصُّبحِ في أعقابِ أخْضَرَ مُدْبِرِ

ولم يَقْدَعِ الخَصْمَ الأَلَدَّ ويَمْلإِ الْـ ... ـجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نَكْبَاءَ صَرْصَرِ (١)

أَلاَ رُبَّ مَكْرُوبٍ أَجَبْتَ وخائِفٍ ... أجَرْتَ ومَعْرُوفٍ لديكَ ومُنْكَرِ

فيَا تَوْبَ لِلْمَوْلَى ويا تَوْبَ لِلنَّدَى ... ويَا تَوْبَ للمُسْتَنْبِحِ المُتَنَوِّرِ (٢)

قولها :

لِتَبْكِ عليه من خَفَاجَةَ نِسْوَةٌ

تعني خَفَاجةَ بنَ عُقَيلِ بن كعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعةَ .

و" الهيجاءُ " تُمد وتُقصر ، وقد مَرّ هذا .

وقولها :

" بنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ "

فالنَّجْدُ كلُّ ما أَشْرَفَ من الأرض ، والغَوْرُ كل ما انخفض .

ويقال : " ماءٌ سِدَامٌ ومياهٌ سُدُمٌ " (٣) وهي القديمة المُنْدَفِنَةُ ، قال الشاعرُ :

وعِلْمِي بأسْدَامِ المياهِ فلم تَزَلْ ... قَلائِصُ تُخْدَى في طَرِيقٍ طَلاَئِحُ (٤)

و " سَنَا الصُّبح " : ضَوْءُه ، وهو مقصورٌ ، فإذا أردتَ الحَسَبَ مَدَدْتَ .

---

(١)بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : حدثني أبو عمر عن ثعلب : يقال : ريحٌ صَرْصَرٌ أي باردة ".

(٢)الأبيات من الطويل لليلى الأخيلية في الأغاني ١١/٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) قال محقق س في نسخة :"ماء سدام ومياه سدام، وفي نسخة :ماء سدام ومياه سدام ومياه سُدْم، وفي نسخة:ماء سدام ومياه أسدام ومياه سُدُم ، وفي نسخة : ماء سدام ومياه سُدْم ومياه أسدام".

(٤) البيت من الطويل وهو لتميم بن مقبل في ديوانه ٤٥-٤٦،وشرح سيبويه ٢/١١٦ والكتاب ٣/٦٣٤ .

و " الأَخْضَرُ " الذي ذكرتْ : اللّيْلُ ، والعربُ تسمّي الأسود أخْضَرَ . وقولها : " ولم يقْدَعِ الخَصْمَ الألَدَّ (١) " فالأَلَدُّ : الشَّدِيدُ الخصامِ .

و " السَّدِيفُ " : شِقَقُ السَّنَامِ .

و " النَّكْباءُ " : الريحُ بين الرِّيحَيْنِ الشديدةُ الهُبوبِ .

و " الصَّرْصَرُ " : الشديدةُ الصَّوْتِ .

و " المُسْتَنْبحُ " : الذي يَسْرِي فلا يَعْرِفُ مَقْصِدًا ، فَيَنْبَحُ لِتَنْبحَهُ الكلابُ فيَقْصِدُها.

و " المُتَنَوِّرُ ": الذي يلتمسُ ما يَلوحُ له من النار فيَقْصِدُه (٢)، قال الأخطلُ يُعَيِّرُ جَرِيرًا:

قومٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ ... قالوا لأُمِّهِمُ : بُولِي على النّارِ (٣) .

فيقال : إنَّ جريرًا توجَّع من هذا البيت ، وقال : جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبًا من الهجاء والشتم ، منها البخلُ الفاحشُ ، ومنها عقوقُ الأُمِّ في ابتذالها دون غيرها ، ومنها تقذيرُ الفِنَاء ، ومنها السَّوْأَةُ التي ذكرها من الوالدة (٤). وقال آخرُ :

وإنّي لأَطْوي البَطْنَ من دُون مِلْئهِ ... لِمُخْتَبِطٍ في آخر الليل نَابح

وإن امْتِلاءَ البَطْنِ في حَسَبِ الفَتَى ... قليلُ الغَنَاء وهو في الجسم صالح (٥)

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ:

---

(١)قَدَعْت الإنسان وغيره أقْدَعُه قَدَعاً : إذا كففْته عمّا يريد ، وقدعتُ الفرس باللجام " .

(٢) قال محقق س: قال البغدادي في الخزانة ٢٨/١ : " ردَّ عليه أبو الوليد الوقشي في شرحه عليه بأنَّ المتنوّر إنما هو الناظر إلى النار من بُعد أراد قصدها أو لم يرد كما قال امرؤ القيس :

تنّورتها من أذرعات..........

ولم يرد أن يأتيه كما لم يرد القائل :

وأشرف بالقور اليفاع لعلني ... أرى نار ليلى أو يراني بصيرها

والنظر إلى نارها إنما هو ينظر قلبه تشوقاً إليها " . وكان في الخزانة " بالنور اليفاع " . محرفاً .

(٣) البيت من البسيط ،وهو للأخطل فى ديوانه ٢٣٤ ،ولسان العرب ٤١٦/١(ردب) ، وتاج العروس ٤٩٤/٢ (ردب)،١٦١/٧(نبح) وبلا نسبة فى لسان العرب ٦١٠/٢ (نبح) .

(٤) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصُّه : " و قلّةُ النار ، وشبههم بالمجوس ؛ لأنهم لا يطفئون نارهم بالماء . قاله الحاتميُّ " .

(٥) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابنُ شاذان : قال أبو عُمَر : الغَنَاء الإجْزاءُ ، يقال : ما يغني عنك غَنَاء : ما يُجزئ عنك . ومُغْنٍ مُجزئٌ ، والفعل غني فهو غان ، قال طرفة:

وإن كنت عنها غانياً و[ازْدَدَ] .

نَظَرْتُ ورُكْنٌ مِنْ بُوَانَـةَ [1] دونَنَـا وأركـانُ حِسْمَى أيُّ نَظْـرَةِ [2] نـاظِرِ

إلى الخيـلِ أجْلَـى شَأْوُها عن عَقِـيرةٍ لعاقِرِهـا فيهـا عَقِـيرَةُ عـاقِرِ

كـأنَّ فتـى الفِتْيـان تَوْبَـةَ لَـمْ يُنِـخْ قَلاَئِـصَ يَفْحَصْنَ الحَصَـى بـالْكَرَاكِرِ

ولَـمْ يَبْـنِ أَبْـرادًا رِقاقًـا لِفِتْيَـةٍ كِـرامٍ ويَرْحَـلْ قَبْـلَ فَـيْءِ الهَوَاجِـرِ

فتـى لا تَخَطَّـاهُ الرِّفَـاقُ ولاَ يَـرَى لِقِـدْرٍ عِيَـالاً دونَ جـارٍ مُجـاوِرِ

وكنـتَ إذا مَـوْلاَكَ خـاف ظُلاَمَـةً دعـاكَ ولم يَقْنَـعْ سِـواكَ بنَـاصِرِ [3]

قولها : " أيُّ نَظْرَةِ ناظِرِ " يصلح فيـه الرفعُ والنصبُ ، على قولـه : نظرتُ أيَّ نظرةٍ وأيَّةَ نظرة وأيَّتما نظرةٍ وأيَّما نظرةٍ ، كما تقول : مررتُ برجلٍ أيِّما رجلٍ ، وتأويله مررتُ برجلٍ كاملٍ ، فأيُّما في موضع كاملٍ ، وتقـول : مـررتُ بزيـدٍ أيَّمـا رجـلٍ ، على الحال . ومن قال : " أيُّ نظرةِ ناظِرِ " فعلى القَطْعِ والابتداء ، والمَخْرَجُ مَخْرَجُ استفهام ، وتقديره : أيُّ نظرةٍ هي ؟ كما تقول : سبحانَ الله أيُّ رجـل زيـدٌ ؟ وهـذا البيت يُنْشَدُ على وجهين:

فَأَوْمَـأْتُ إيمـاءً خَفِيًّـا لِحَبْـتَرٍ وللهِ عَيْنَـا حَبْـتَرٍ أَيُّمَـا فَتَـى [4]

و " أيَّما " إنْ شئتَ على ما فسرنا .

وقولها : إلى الخَيْلِ أجْلى شَأْوُها عن عقيرة

شأْوُها : طَلَقُها .

وقولُها : لِعَاقِرها فيها عَقِيرَةُ عَاقِرِ

أي قد أصابوا عقيرةً نَفِيسـةً ، كقـول القـائل : نِعْـمَ غَنِيمـةُ المُغْتَنِمِ ، وكقولهـم : عَقِيرةٌ وكما تَكُون ، وهذا نظيرُ قوله :

---

(١) في التعازي : من أبانين . ويروى من ذقانين ، ومن عماية . انظر الديوان .

(٢) قال محقق س: ضبط في الأصل بكسر الحاء وضمها ، وعليه " معاً " ولم أجده بالضم . انظر معجم البلدان ٢٥٨/٢ .

(٣) الأبيات من الطويل ،وهى لليلى الأخيلية فى الأغانى ٢٢٨/١١-٢٣٢.

(٤) البيت من الطويل ،وهو لـلراعى النميرى فـى ديوانـه ٣، وتذكـرة النحـاة ٦١٧،وخزانـة الأدب ٣٧٠/٩، ٣٧١،والدرر ٣٠٧/١،وشرح أبيات سـيبويه ٤٤٢/١، والكتـاب ١٨٠/٢ ،ولسـان العـرب ٢٤٦/١(ثوب)، ١٦٢/٤(حبتر)، ٥٩/١٤(أيا)، والمقـاصد النحويـة ٤٢٣/٣، وبـلا نسبة فـى شـرح الأشمونى ٧٨/١، ٣١٨/٢ ، وشرح ابن عقيل ٣٩١ .

ولمّا أصابوا نَفسَ عمرو بنِ عامرٍ أصابوا بـه وِتْـرًا يُنِيـمُ ذَوِي الوِتْـرِ

يقال : " ثأرٌ مُنِيمٌ " إذا أصابه المُثْئِرُ هَدَأَ واستقرَّ ؛ لأنه أصاب كُفْئًا ، وهذا خلافُ قول الآخرِ [1] :

قومٌ إذا جَرَّ جَاني قَوْمِهِمْ أمِنُوا من لُؤْمِ أحسابِهِمْ أنْ يُقْتَلُوا قَوَدَا

وخلافُ قول الحَارث بنِ عُبَادٍ :

لا بُجَيْرٌ أغنَى قَتيلاً ولا رَهْـ ـطُ كُلَيْبٍ تَزاجَرُوا عن ضَلاَلِ [2]

ولكنْ كما قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ :

قَتَلْتُ بعبدِ الله خيرَ لِدَاتِهِ ذُؤَابًا فلم أَفْخَرْ بذاكَ وأَجْزَعا [3]

وكما قال عُبيدُ الله بنُ زيادِ بن ظَبْيَانَ التَّيْمِيُّ ، من بني تَيْمِ اللاَّت بنِ ثَعْلبةَ ، حيثُ قَتَلَ مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْر بأخيه النَّابي بن زياد :

إنَّ عُبَيْدَ اللهِ مَا دامَ سَالِمًا لَسَارٍ عَلَى رَغْمِ العدوِّ وغَادِي

ونحن قَتَلْنَا ابنَ الزُّبيرِ ورأسَهُ حَزَزْنَا برأسِ النابِي بن زيادِ

كَسَرَ الياء على الأصل ، كما قال ابن الرقيات :

لا بَارَكَ اللهُ في الغَوانِي هَلْ يُصْبِحْنَ إلاّ لَهُنَّ مُطَّلَبُ [4]

ومن أخذه من " نَبَأْتُ على القوم " أي طلعتُ عليهم ، فلا عِلَّة فيه ولا ضرورة .

[قال الأخفش : [5] المعروفُ فيه الهمزُ ، والمُبَرّدُ لم يَهْمِزْهُ ، فإنما أخذَه من " نبا يَنْبُو فصار مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما] .

---

(١) سلف البيت مع آخر .

(٢) البيت من الخفيف ،وهو للحارث بن عباد فى ديوانه٥١٤ ، وأساس البلاغة (زجر).

(٣) البيت من الطويل ،وهو لدريد بن الصمة فى ديوانه ٩١، والأغانى ١٣/١٠،والحماسة الشجرية ٤٥/١،والرد على النحاة ١٢٨،والشعر والشعراء ٧٥٦/٢،والكتاب ٤٣/٣،وبلا نسبة فى لسان العرب ٥٤٧/١(قتل) .

(٤) البيت من المنسرح ،وهو لعبيد الله بن قيس الرقيات فى ديوانه ٣، والأزهية ٢٠٩، والدرر١/١٦٨، وشرح أبيات سيبويه ٥٦٩/١،وشرح شواهد المغنى ٦٢، وشرح المفصل ١٠١/١٠ والكتاب ٣١٤/٣ ، ولسان العرب ١٣٨/١٥ (غنا) ، والمقتضب ١٤٢/١، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ٣٣٦/٢، ورصف المبانى ٢٧٠، وما ينصرف ومالا ينصرف ١١٥، والمحتسب ١١١/١ والمنصف ٦٧/٢، ٨١ ، ومغنى اللبيب ٢٤٣، والمقتضب ٣٥٤/٣ وهمع الهوامع ٥٣/١ .

(٥) قول الأخفش من هامش نسخة وحدها . وزادت رايت قوله " المبرد لم " ومثل رام "جعل" أشبهه" أشبههما ؛ لأنها لم تستبن في الأصل .

وقال أبو الأسَدِ مَوْلَى خالدِ بن عبد الله القَسْرِيِّ ، لمّا قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله :

فـإنْ تَقْتُلُـوا مِنّـا كَرِيمًـا فإنَّنَـا قَتَلْنَـا أمـيرَ المؤمنـينَ بخَـالِدِ

وإن تَشْـغَلُونا عـن نِدَانـا [1] فإنَّنـا شَـغَلْنا وَليـدًا عـن غِنَـاء الوَلاَئِـدِ

تَرَكْنَـا أمـيرَ المؤمنـينَ بخَـالدٍ مُكِبًّـا علـى خَيْشُومِهِ غيـرَ ساجدِ

وقال الخُزاعيُّ [2] بعدُ :

قَتَلْنَـا بـالفَتَى القَسْـريِّ منهـمْ وَليدَهُـمُ أمـيرَ المُؤْمِنينَـا

ومَرْوانًـا قتَلْنَـا عَـنْ يزيـدٍ كـذاكَ قضاؤُنـا في المعتدينَـا

وبـابْنِ السِّـمْطِ منّـا قـد قَتَلْنـا محمـدًا بـنَ هـارونَ الأمينَـا

فمـن يَـكُ قَتْلُـهُ سُـوَقًا فإنّـا جَعَلْنَـا مَقْتَـلَ الخُلَفـاء دِينَـا

وقولها : " ويَرْحَلْ قَبْلَ فَيْءِ الهَوَاجِرِ " تريد أنه متيقِّظٌ ظَعَّانٌ .

و " المَوْلَى " في قولها : " إذا مولاكَ خاف ظُلاَمَةً " يحتمل ضروبًا ، فالمولى ابنُ العَمِّ ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾[3] يعني بني العم قال الفضلُ بنُ العباسِ : [4]

مَهْـلاً بَنِـي عَمِّنَـا مهـلاً مَوالِينَـا لا تَنْبُشُـوا بينَنَـا ماكـان مَدْفُونـا

ويكونُ المولى المُعْتَقَ ، ويكون المَوْلَى الوَلِيَّ من قوله جَلَّ ثناؤه ﴿وأنَّ الكـافرينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾[5] ويكون المَوْلَى الـذي هـو أحقُّ وأوْلَـى ، منه قولـه ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِـي مَوْلاَكُمْ ﴾ [6] أي هي أوْلَى بكم ، والمَوْلى : المالكُ .

---

(١) قال المرصفي " يريد عن ندائنا وهو الأذان . وقد روي : فإن تشغلونا عـن أذانٍ " رغبة الآمل ١٨٢/٨.

(٢) هو دعبل . ديوانه ص ١٥٠ .

(٣) سورة مريم : ٥ .

(٤) البيت من أبيات له في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٢٢٤ ، ومعجم الشعراء ١٧٨ ، والمؤتلف والمختلف .

(٥) سورة محمد : ١١.

(٦) سورة الحديد : ١٥ .

وقولها : " ولم يَبْنِ أَبْرَادًا " تريدُ الخِيَامَ .

* * *

قال أبو العباس : وكانت الخَنْسَاءُ ولَيْلَى بائِنَتَيْنِ في أشعارِهما متقدِّمَتَيْنِ لأكثر الفحول، ورُبَّ امرأةٍ تَتَقَدَّمُ في صناعةٍ، وقلَّما يكونُ ذلك، والجملةُ ما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أوَ مَنْ يَنشَأُ في الحِلْيَةِ وهو في الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [1] وقال النبيُّ ﷺ : " إنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلْعٍ عَوْجاءَ ، وإنَّك إنْ تُرِدْ إقامَتَها تَكْسِرْها ، فدَارِها تَعِشْ بها " [2] .

فمِمَّنْ نَدَرَ [3] من النساء في بابٍ من الأبواب : أُمُّ أيوبَ الأنصارية ، وأُمُّ الدَّرْداءِ ورابعةُ القَيْسِيَّةُ ، ومُعَاذَةُ العَدَوِيَّةُ ، فإن هؤلاء النسوةَ تَقَدَّمْنَ في الفضلِ والصَّلاحِ ، على تَقَدُّمِ بعضِهِنَّ بعضًا .

حدثني الجاحظُ عن إبراهيم بن السِّنْدِيِّ قال : كانت تصيرُ إليَّ هاشِمِيَّةٌ جاريةُ حَمْدُونَةَ بنتِ غَضِيض [4] في حاجاتِ صاحبتها ، فأَجْمَعُ نفسي لها وأطرُدُ الخَوَاطِرَ عن فكري وأُحْضِرُ ذِهْنِي جُهْدِي ؛ خوفًا من أن تُورِدَ عليّ ما لاأفهمهُ ، لبُعْدِ غَوْرِها واقتدارِها على أن تُجْرِيَ على لسانِها ما في قلبها .

وكذلك ما يُؤْثَرُ عن خالِصَةَ وعُتْبَةَ جارِيَتَيْ رَيْطَةَ بنتِ أبي العباس .

فأمَّا النساءُ الأشرافُ فإنَّ القول فيهنّ كثيرٌ مُتَّسِعٌ .

فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولُها ترثي صخرًا:

يا صَخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَهُ ... أهلُ المياهِ وما في وِرْدِهِ عارُ

---

(١) سورة الزخرف : ١٨ . وقرئ يُنَشَّأ . وقد سلف التعليق على القراءة .

(٢) الحديث بنحوه أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب : خلق آدم وذريته ، برقم (٣٣٣١) والنكاح برقم " ٥١٨٤ " " ٥١٨٦ " ومسلم في الرضاع باب : الوصية بالنساء برقم(١٤٦٨) .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان : كلُّ شيء زال عن مكانه فقد نَدرَ يَنْدُر نَدْراً فهو نادرٌ ، وبه سمي نوادر الكلام؛ لأنه كلامٌ نَدرَ وظَهَر من بين الكلام " .

(٤) قال محقق س : يوخذ مما في المصادر أنها أم محمد بنت الرشيد . وعليه فـ" غضيض " أُمُّها . انظر تاريخ الطبري ٣٦٠/٨ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، والكامل في التاريخ ١٢٦/٦ ، ٣٩٥ ، والأغاني ٢٨٢/١٢ ، والبيان والتبيين ٢٣٢/٢ ، والعقد ١٦٢/٦ ، والمشتبه ٢٤٩/١ . وظاهر عبارة الخطيب في تاريخ بغداد ٣٩٢/٣ والسمعاني في الأنساب ٢١٥/٤ و ١٥٨/٩ وابن الأثير في اللباب ٣٨٧/١ و ٣٨٤/٢ أن حمدونة بنت غضيض أم ولد الرشيد ، ولعله وهمٌ . ووقع في غير بعض النسخ وعصيص مصحفاً و " بنت غضيض " ليس في نسخة .

مَشْيَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاءَ [1] مُعْضِلَةٍ ... لــه سـلاحان : أنيــابٌ وأظفــارُ

ومـا عَجُـولٌ علـى بَـوٍّ تَحِـنُّ لــه ... لهــا حَنينــان : إعْـلانٌ وإسْــرارُ

تَرْتَـعُ مـا غَفَلَـتْ حتّـى إذَا ادَّكَـرَتْ ... فإنمــا هـــي إقْبــالٌ وإدْبــارُ

يومًـا بـأَوْجَعَ مِنِّــي يــومَ فـارَقَني ... صَخْـرٌ ، ولِلْعيـش إحْـلاءٌ وإمْـرَارُ

وإنَّ صخــرًا لَوالِينَــا وســيِّدُنا ... وإنَّ صخــرًا إذَا نَشْـتُوا لَنَحَّــارُ

وإنَّ صخــرًا لَتَــأْتَمُّ الهُـداةُ بــه ... كأنَّــه عَلَــمٌ في رَأْسِــهِ نــارُ

لم تَــرَهُ جــارةٌ يَمْشِــي بســاحَتِها ... لريبَــةٍ حــينَ يُخْلِـي بيتَــهُ الجـارُ [2]

قولها :

يـا صَخْـرُ وَرَّادَ مــاء قــد تَنــاذَرَه ... أهــلُ الميــاهِ ومــا في وِرْدِهِ عَــارُ

تعني الموتَ ، أي لإقدامِهِ على الحرب .

و " السَّبَنْتَى " و " السَّبَنْدَى " واحدٌ ، وهو الجريءُ الصَّدْر ، وأصلُه في النَّمِرِ .

والعَجُولُ " التي قد فارَقَها ولدُها .

و " البَوُّ " قد مضى تفسيره . وكذلك " فإنما هي إقبالٌ وإدْبارُ " وقد شرَحْنا كيف مَذْهَبُه في النحو .

وقولها : " إلى هيجاءَ مُعْضِلَةٍ " تعني الحربَ .

وقولها : كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسه نارُ .

فالعَلَمُ الجبلُ ، منه قولُ الله جلَّ وعزَّ ﴿ ولـه الجَـوارِ المُنْشَـآتُ في البَحْـرِ كالأَعْلَامِ ﴾ [3] وقال جريرٌ

إذا قَطَعْــنَ عَلَمًــا بَــدَا عَلَــمْ [4]

يعني الإبلَ .

---

(١) وبهامش بعض النسخ ما نصه :" الهيجاء : الحرب ، بالمد والقصر " . وفي بعض النسخ : مَشَى السبنتى .

(٢) الأبيات من البسيط للخنساء ص٣٩،٤٠ .

(٣) سورة الرحمن : ٢٤ .

(٤) الرجز لجرير فى ديوانه ٥١٢-٥١٣،ولسان العرب ٤٢٠/١٢ (علم) وتهذيب اللغة ١٨/٢ ، وتاج العروس (علم) .

ومن حَسَنِ شعرِها قولُها:

أَعَيْنَـــيَّ جُـــودَا ولا تَجْمُـــدا ... أَلاَ تبكيـــانِ لِصَخْـــرِ النَّـــدَى

أَلاَ تبكيـــانِ الجَـــرِيءَ الجَميـــلَ ... أَلاَ تبكيـــانِ الفَتَـــى السَّـــيِّدَا

طويـــلَ النِّجَـــادِ رَفيـــعَ العِمَـــا ... دِ ســـادَ عَشـــيرَتَهُ أَمْـــرَدَا

إذَا القَـــومُ مَـــدُّوا بـــأيديهِمُ ... إلى المَجْـــدِ مَـــدَّ إليـــه يَـــدَا

فنـــالَ الـــذي فـــوقَ أيديهِـــمُ ... مِـــنَ المَجْـــدِ ثـــم مَضَـــى مُصْعِـــدَا

يُكَلِّفُـــهُ القَـــوْمُ مـــا عـــالَهُمْ ... وإنْ كـــانَ أَصْغَرَهُـــم مَوْلِـــدَا

تَـــرَى الحَمْـــدَ يَهْـــوِي إلى بَيْتِـــهِ ... يَرَى أَفْضَلَ الكَسْـبِ أن يُحْمَـدَا[١]

قولها : " طويلُ النِّجاد " ، " النِّجادُ " :حَمائِلُ السَّيْفِ ، تريدُ بطـولِ نجادِهِ طـولَ قامتِه ، وهذا مما يُمْدَحُ به الشريفُ ، قال جريرٌ :

فإني لأَرْضَى عبدَ شَـمْسٍ وما قَضَتْ ... وأَرْضَى الطِّوَال البيضَ مِنْ آلِ هاشِمِ[٢]

وقال مَرْوانُ لأمير المؤمنين المهْدِيِّ :

قَصُـرَتْ حَمَائِلُـهُ عليـه فَقَلَّصَـتْ ... ولَقَـــدْ تَـــأَنَّقَ قَيْنُهَـــا فأَطَالَهَـــا

وقال رجلٌ من طَيِّئ :

جَديـــرٌ أن يُقِـــلَّ الســـيفَ حتَّـــى ... يَنُـــوسَ إذا تَمَطَّـــى في النجـــادِ[٣]

وقال الحَكَمِيُّ :

سَـبِطُ البَنـــانِ إذا احْتَبَـــى بِنجـــادِهِ ... غَمَـــرَ الجَمـــاجِمَ والسِّـــماطُ قِيـــامُ

وقال عنترة :

بَطَـــلٍ كَـــأَنَّ ثيابَـــهُ في سَـــرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْأَمِ[٤]

---

(١) الأبيات من المتقارب للخنساء صـ٣٥،٣٦ .
(٢) البيت من الطويل لجرير في ديوانه صـ٤٢١.
(٣) قال محقق س: بهامش نسخة ما نصه :" قال ابنُ دريد ، النَّوْسُ مصدرُ ناسَ يَنُوس نَوْساً وهـو الاضطراب، وبه سمي ذو نواس ملك من ملوك حمير بذؤابتين كانتا له تنوسان على ظهره " اهـ ، وانظر الاشتقاق ١٩١، والجمهرة ٣/ ٢٩٤ .
وبهامش نسخة ما نصه : " ابنُ شاذان : النَّوْسُ : الحركةُ والاضطراب ، ناس يَنُوسُ نَوْساً " .
وأقل السيف : رفعه وحمله .
(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :"ويروى بطلٌ بالرفع كالـ ...[والسَّرْحَةُ]شجرة.وفي ههنا بمعني [على فكان] المعنى : كأن ثيابه على [سرحة] من طوله . والسِّبْتُ . الجلود المدبوغة . وقوله ليس بتوأم أي لم يولد مع آخر فيكون ضعيفا " .

وقولُها : " رَفِيعَ العِمَادِ " إنما تريدُ ذاك ، يقال : رجل " مُعْمَدٌ " أي طويل ، منه قولهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إرَمَ ذاتِ العِمادِ ﴾ [1] أي الطِّوَال .

وقولها : " ما عَلَهُمْ " أي نَابَهُمْ ونَزَلَ بهم [2]، تقول العربُ : " ما عالَكَ فهو عَائِلي " أي ما نَابَكَ فهو نائِبي ، ومِنْ ذا قولُ كُثَيِّر [3] :

يا عَيْنِ بَكِّي لِلَّذِي عالَنِي ... مِنْكِ بدَمْعٍ مُسْبَلٍ هامِلِ

ومن جَيِّدِ قولِها [4] :

أَبَعْدَ ابنِ عَمْرٍو مِنَ آلِ الشَّرِيـ ... ـدِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَها

لعمرُ أبيهِ لَنِعْمَ الفَتَى ... إذا النفسُ أعجَبها ما لَهَا [5]

فإن تَكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ بِهِ ... فَقَدْ كانَ يُكْثِرُ تَقْتالَها

فَخَرَّ الشَّوامِخُ مِنْ فَقْدِهِ ... وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها

هَمَمْتُ بِنَفْسِي كلَّ الهُمومِ ... فَأَوْلَى لِنفسِي أَوْلَى لَها [6]

لأَحْمِلَ نفسِي على آلةٍ ... فَإمَّا عليها وإمَّا لَها [7]

قولها : " حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها " حلَّتْ من الحَلْيِ ، تقولُ : زَيَّنَتْ به الأرضُ الموتى ، وقال المفسرون في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَها ﴾[8] قالوا: المَوْتَى .

البيت من الكامل ، وهو لعنترة فى ديوانه ٢١٢، وأدب الكاتب ٥٠٦، والأزهية ٢٦٧، وجمهرة اللغة ٥٢١، ١٣١٥، وخزانة الأدب ٩/٤٨٥، ٤٩٠، وشرح شواهد المغنى ١/ ٤٧٩، والمنصف ٣/١٧، ولسان العرب ٢/٤٨٠(سرح) ، وبلا نسبة فى الخصائص ٢/٣١٢ ورصف المبانى ٣٨٩، وشرح الأشمونى ٢/٢٩٢،وشرح المفصل ٨/٢١، ومغنى اللبيب ١/١٦٩ .

(١) سورة الفجر : ٧ . وانظر مجاز القرآن ٢/٢٩٧ ، وتفسير القرطبي ٢٠/٤٥ .

(٢) قال أبو عُمَر : العَوْلُ : الثقلُ ، يقال : عالنى الأمر يعولني عَوْلاً أي أثقلني " .

(٣) ديوانه ص ٤٩٣ .

(٤) ديوانها ص ٨٣ ، والتعازي والمراثي ٩٦ - ٩٩ ، و الأغاني ١٥/٩٢ . وهي من كلمة ترثي بها صخرا وقيل معاوية ولعله الصواب .وفي الرواية تقديم وتأخير .

(٥) قال محقق س بهامش نسخة ما نصه : " حاشية في كتاب ف [يعني ابن الإفليلي] تحش به الحرب أحذالها " . وهي الرواية في الديوان والتعازي " .

(٦) قال محقق س : بهامش نسخة ما نصه : " قال الأثرم : قولُها هممتُ بنفسي كل الهموم كأنها أرادت أن تقتل نفسها . قال أبو عبيدة : هذا الكلام تَوَعُّدٌ . ويروى : كلَّ الأمور " . وهذا منقول من الأغاني ١٥/٩٤ .

(٧) الأبيات من المتقارب .

(٨) سورة الزلزلة : ٢ . وانظر تفسير ابن كثير ٨/٤٨٠ .

وقولها : " لَنِعْمَ الفَتَى إذا النفس أَعجَبها مالَها " تقول : يَجودُ بما هُوَ له في الوقتِ الذي يُؤْثِرُهُ أهلُهُ على الحمدِ .

و " الشوامخُ " : الجبالُ ، والشامخُ : العالي ، ويقال للمتكبر : شَمَخَ بأنفه .

وقولها " على آلةٍ " أي على حالةٍ وعلى خُطَّةٍ هي الفَيْصَلُ ، فإمَّا ظَفِرْتُ وإمَّا هَلَكْتُ .

وقولها :

فأَوْلى لِنَفسِي أَوْلَى لها

يقولُ الرجلُ إذا حاول شيئًا فأفلَتَهُ من بعدِ ما كادَ يصيبهُ : "أَوْلَى له " وإذا أَفلَتَ من عظيمةٍ قال " أَوْلَى لِي " ! ويُروى عن ابن الحَنَفِيَّة أنَّه كان يقول إذا مات ميِّتٌ في جُوارِه أو في داره: أَوْلَى لِي ، كِدْتُ وا لله أكونُ السَّوادَ المُخْتَرَمَ ، وقد مضى هذا مُفَسَّرًا وأُنْشِدَ لرجلٍ يَقْتَنِصُ ، فإذا أفلتهُ الصيدُ قال : أَوْلَى لكَ ، فكثر ذلك منه فقال :

فلو كان "أَوْلَى" يُطْعِمُ القومَ صِدْتُهُمْ ... ولكنَّ "أَوْلَى" يَتْرُكَ القومَ جُوَّعَا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو ـ وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها، وكان صخر أخاها لأبيها ، وكان أحبَّهما إليها، وكان صخرٌ يَسْتَحِقُّ ذلك منها بأمور منها: أنَّه كان موصوفًا بالحِلْم ، ومشهورًا بالجُودِ ، ومعروفًا بالتقدُّم في الشجاعة، ومَحْظوظًا في العَشيرةِ :

أَرِيقِي من دُمُوعِكِ واسْتَفِيقِي ... وصَبْرًا إنْ أَطَقْتِ ، ولَنْ تُطِيقِي

وقُولي : إنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْم ... وفارسَهم بصَحْراء العَقيقِ

ألاَ هَلْ تَرْجعَنَّ لَنَا اللَّيالِي ... وأيامٌ لنا بِلِوَى الشَّقِيقِ

وإذْ نحنُ الفَوارسُ كلَّ يوم ... إذا حَضروا وفِتْيانُ الحُقُوقِ

وإذْ فِينَا معاويةُ بنُ عَمْرو ... على أَدْمَاءَ [1] كالجَمَل الفَنِيقِ

فَبَكِّيهِ فقد أَوْدَى حَميدًا ... أَمِينَ الرَّأْي محمودَ الصَّدِيقِ

فلا وا لله لا تَسْلاَكَ نفسِي ... لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتَ ولا عُقُوقِ

---

(١) (على أدماء) : نريد على ناقة أدماء وقد سلف أن الأدمة في الإبل البياض مع سواد المقلتين والجمل الفنيق : المكرم على أهله لا يركب ولا يهان . رغبة الآمل ص ١٩١/٨ .

ولكنّـــي رأيـــتُ الصَّـــبْرَ خـــيرًا   مِـنَ النَّعْلَيْـــن والـــرأس الحَليـــقِ[1]

قولها :   أريقي من دموعك واستفيقي

معناه أَنَّ الدمعة تُذْهبُ اللَّوْعةَ .

ويُروى [2] عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حَيْوَة: إني لأجدُ في كَبِدِي جَمْرَةً لا تُطْفِئُها إلاّ عَبْرَةٌ ، فقال عمرُ : اذْكُرِ ا لله يا أمير المؤمنين وعليك الصبرَ ، فنظر إلى رجاء بن حَيْوَةَ كالمستريح إلى مَشْورَتِهِ، فقال رجاءٌ : أَفِضْهَا يا أميرَ المؤمنين فما بذاك من بأسٍ ، فقد دَمَعَتْ عينا رسول ا لله ﷺ على ابنه إبراهيمَ ، وقال : " العينُ تَدْمَعُ ، والقلبُ يُوجَعُ ، ولا نقولُ مَا يُسْخِطُ الربَّ، وإنَّا بكَ يا إبراهيمُ لمَحْزُونونَ"[3] . فأرسل سليمان عينه فبكَى حتى قَضَى أرَبًا ، ثم أَقْبَلَ عليهما فقال : لو لم أَنْزِفْ هذه العَبْرَةَ لانْصَدَعَتْ كَبِدِي ، ثم لم يَبْكِ بعدَها ؛ ولكنّه تمَّلَ عند قبره لمَّا دَفَنَه وحثَا على قبره التراب وقال : يا غلام دابَّتِي ، ثم الْتَفَتَ إلى قبره فقال:

وَقَفْـتُ علـى قَـبْرٍ مُقيـم بقَفْـرَةٍ   مَتـاعٌ قليـلٌ مـن حَبيـبٍ مُفـارقِ

رجعنا إلى تفسير قولها :

وصبرًا إن أطقتِ ولن تُطِيقِي

كقول القائل : إن قَدَرْتَ على هذا فافعل ، ثم أبانت عن نفسها فقالت : " ولن تُطِيقي " .

وقولها :   فلا وا لله لا تَسْلاكَ نفسِي

تريد : لا تَسْلُو عنك ، كقوله عزَّ وجلَّ :﴿وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وزَنُوهُمْ يُخْسِرُون ﴾[4] أي: كَالُوا لهم ، أو وَزَنُوا لهم .

---

(١) الأبيات من الوافر فى ديوانها صـ٧٢،٧٣.

والبيت الأول فى لسان العرب ٣١٨/١٠(فوق)،وتهذيب اللغة ٣٣٨/٩،وتاج العروس (فوق) .

وله رواية : هريقى من دموعك واستفيقى . وصبرا إن أطقت ولن تطيقى .

(٢) الخبر في التعازي والمراثي ١٤٤ .

(٣) الحديث بنحوه أخرجه البخاري في " الجنائز " باب : قول النبي ﷺ " وإنا بك لمحزنون " : برقم (١٣٠٣) في " الفضائل مسلم " باب : رحمته ﷺ بالصبيان وتواضعه وفضل ذلك "برقم" ٢٣١٥ .

(٤) سورة المطففين : ٣ .

وقولها : لفاحشةٍ أتيتَ ولا عُقُوق

معناه : لا أَجِدُ فيك ما تسلُو به نفسِي عنك،ثم اعتذرتْ من إِقْصَارِها بفضلِ الصَّبْرِ فقالت:

ولكنِّي رأيتُ الصَّبْرَ خيرًا مِنَ النَّعْلَيْنِ والرأسِ الحَليقِ

تأويلُ " النعلينِ " أنَّ المرأة كانت إذا أُصِيبَتْ بحَميمٍ جعلتْ في يديها نعلين تُصَفِّقُ بهما وجهَهَا وصدرَها ، قال عبدُ منافِ بن رِبْعٍ الهُذَلِيُّ [1] :

ماذَا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعٍ عَوِيلُهُما لا تَرْقُدَانِ ولا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا

كلتاهما أُبْطِنَتْ أحشاؤُها قَصَبًا من بَطْنِ حَلْيَةَ لا رَطْبًا ولا نَقِدَا

إذا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قامتَا معَهُ ضَرْبًا أليمًا بسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلدَا[2]

قوله : ماذَا يغِيرُ ابْنَتَي رِبْعٍ عَوِيلُهُما

يعني أُخْتَيْهِ ، يقولُ : ماذا يَرُدُّ عليهما العويل والسهرُ .

وقوله : كلتاهما أُبطنت أحشاؤُها قصبًا

أراد لترديد النائحة صوتًا كأنه زَميرٌ،وإنما يعْني بالقَصَبِ المزاميرَ،كما قال الراعي:

زَجِلُ الحُداءِ كأنَّ في حَيْزُومِهِ قَصَبًا ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجُولاَ

[قال الأخفش[3]:" الزجلُ " : اختلاط الصوت ، والزَّجِلُ :الذي لصوتِه تطريبٌ، و "الحَيْزُومُ": الصَّدْرُ ، و " قَصَبًا " يعني مِزْمَارًا ، شبه صوت الحادي بالمِزْمار، و"مُقْنِعَة" أرادَ وصوت مُقْنِعَةٍ ، يعني ناقةً ، ثم حذف الصوت وأقام " مُقْنِعَة " مقامَه] وقال عنترةُ:

---

(١) ديوان الهذليين ٣٨/٢ - ٣٩ ،وشرح أشعار الهذليين ٦٧١/٢ - ٦٧٢ ، وسلف الثالث ٦٩٢ .

(٢) قال محقق س بهامش الأصل ما نصه : " يروى : تلوّب نوح ، وتأوّب نوح ، وتجاوب نوح، وتجرّد نوح . والنوح النساء النائحات قياماً . تلوب من لاب يلوب لوباً ولوباناً ولولباً . إذا قام على الماء ليشرب ، وتأوب من آب يئوب أوباً وإياباً إذا رجع وتجردّ : تهيأ " . وحَلْيَة واد بتهامة ، انظر معجم البلدان ٢٩٧/٢ .

البيت من البسيط ،وهو لعبد مناف بن ربع الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٦٧١،ولسان العرب ٣٥٧/٢ (لعج)،٤٠/٥ (غير)،وتاج العروس ١٨٨/٦(لعج)،٢٨٨/١٣(غير)، ولساعدة بن جؤية الهذلي في تاج العروس ٤٢/٢١(ربع)،وللهذليين في تهذيب اللغة ١٨٢/٨، وبلا نسبة في كتاب العين ٤٤٣/٤ومقاييس اللغة ٤٠٤/٤،والمخصص ٢٠/١٤، وديوان الأدب ٤٠٥/٣ .

(٣) قال محقق س : قال الأخفش من أ : " وكان قبله ": الرواية زجلَ [بالنصب] ......قال الأخفش ....والزَّجَلُ " فثمة سقط ، ولعله تفسير لوجه الرواية بالنصب ، وهو منصوب ؛ لأنه صفة " ربذاً " في بيت قبله . وزدت في قول أبي الحسن "والزجل" وكان دي غويه قد رأى زيادته. وكان فيها " يعني زماراً " فأصلحته .

بَرَكَتْ على ماءِ الرِّدَاعِ كأنّما بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

قال الأصمعي : هو نَرْمَنَايْ .

وقوله " لا رَطْبًا ولا نَقِدًا " يقول : ليس برطْبٍ لا يَبِينُ فيه الصوت ، ولا بِمُؤْتَكِلٍ ، يقال : " نَقِدَت السِّنُّ " : إذا مَسَّها ائتكالٌ ، وكذلك القَرْنُ ، قال :

. . . . يَـألَمُ قَرْنًا أَرُومُهُ نَقِدُ

وقوله "بسِبْتٍ"يعني النعلَ المُنْجَرِدَةَ ،و" يَلْعَجُ " يُؤَثِّرُ . واحتاج إلى تحريك " الجِلْدِ " فأَتْبَعَ آخرهَ أولَه ، وكذلك يجوزُ في الضرورة في كل شيء ساكن ، وأمَّا قول الفرزدق:

خَلَعْنَ حُلِيَّهُنَّ فهُنَّ عُطْلٌ وبِعْنَ بهِ المُقَابَلَةَ التُّؤَامَا[1]

يعني اشترَيْنَ النعال ، فليس هذا من هذا الباب،إنما سُبِينَ فاشْتَرَيْنَ نعالاً للخدمة، وكذلك قوله:

أُخِذْنَ حَرِيرَاتٍ وأَبْدَيْنَ مِجْلَدًا ودَارَتْ [2] عليهنَّ المُقَشَّةُ الصُّفْرُ [3]

يعني القِدَاحَ ، يقول : سُبِينَ واقْتُسِمْنَ بالقِدَاحِ .

وإنما قالت الخنساءُ هذا الشعرَ في معاوية أخيها قبل أن يُصابَ صَخْرٌ أخوها، فلمَّا أُصيبَ صخرٌ نَسِيت به من كان قبله . وكان معاوية فارسًا شجاعًا ، فأغار في جمعٍ من بني سُلَيْمٍ على غطفان ، وكان صميمَ خيلهم ، فنذرَ به القومُ فاحْتَربوا ، فلم يزل يَطْعَنُ فيهم ويضرب ، فلما رأوا ذلك تَهَيَّأَ له ابنا حَرْمَلَة : دريْدٌ ، وهاشمٌ ، فاستطردَ له أحدُهما، فحمل عليه معاوية فطعَنَه ، وخرج عليه الآخر وهو لا يَشْعُرُ فقتله ، فتنادى القومُ : قُتل

---

(١) (فهن عطل)" بضم فسكون" جمع عاطل بدون هاء كما قالوا بازل وبزل وشارف وشرف والقياس عواطل وعطل " بتشديد الطاء" وهن اللواتي لم يكن عليهن حَلى وحلت أجيادهن من القلائد(المقابلة) يريد النعال التى جعل لها قبالان أو أن تُثنى ذؤابة الشراك إلى العقدة .

(٢) الخبر والأبيات في التعازي والمراثي ١٠٩ - ١١١، والأغاني ٨٧/١٥ ـ ١٠٢ ، والزاهر ٣٤٧/٢ - ٣٥٠، ونهاية الأرب ٣٦٥/١٥ ـ ٣٦٨ ، والعقد ١٦٣/٥ ـ ١٦٦ ، وانظر ما سلف ١١٥٠ .

(٣) البيت من الطويل ،وهو للفرزدق فى ديوانه ٢٥٤/١،ولسان العرب ١٧٩/٤(حرز)، والتنبيه والإيضاح ١٠٦/٢،وتاج العروس ٥٨٥/١٠(حرر) ،وتهذيب اللغة ٤٢٩/٣، وبلا نسبة فى لسان العرب ٤٧٤/١٢(قرم)، ومقاييس اللغة ٤٧١/١،٢/٧، ومجمل اللغة ٤٥٠/١ ٢/٨، وتاج العروس (قرم) . وله رواية :-

خرجن حريرات وأبدين مجلداً ودارت عليهن المقشة الصفرُ .

معاوية ، فقال خُفافُ بن نُدْبَةَ : قتلني الله إن رِمْتُ حتى أثأرَ به ، فحمل على مالك بن حِمَار ، وهو سيِّد بني شَمْخِ بن فَزَارَةَ فطعنه فقتله ، وقال :

فإنْ تَكُ خَيْلِي قد أُصِيبَ صَمِيمُها ... فَعَمْدًا على عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مالِكَا

وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خَامَ صُحْبَتِي ... لأَبْنِيَ مَجْدًا أو لأَثْأَرَ هالِكَا

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ[1] مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافًا إنَّنِي أنا ذلِكَا[2]

فلمَّا دخلت الأشهرُ الحُرمُ ورد عليهم صخرٌ ، فقال : أيُّكم قاتلُ أخي ؟ فقال أحدُ ابني حَرْمَلَةَ للآخر : خبِّرْهُ ، فقال : استَطْرَدْتُ له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله ، فأيُّنا قتلت فهو ثأرك ، أمَا إنا لم نَسْلُبْ أخاكَ . قال : فما فعلتْ فرسُهُ السُّمَّى[3] ؟ قال : ها هي تلك فَخُذْهَا، فانصرف بها ، فقيل لِصَخْر : ألا تهجوهم ؟ ! فقال : ما بيني وبينهم أَقْذَعُ من الهجاء ، ولو لم أُمْسِكْ عن سَبِّهِم إلاَّ صيانَةً لِلِسَانِي عن الخَنَا لفعلتُ ، ثم خاف أن يُظَنَّ به عِيٌّ فقال :

وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنِي ... ألاَ لاَ تَلُومِينِي كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا

تقولُ ألاَ تَهْجُو فَوَارِسَ هاشِمٍ ... ومَالِيَ إذْ أهْجُوهُمُ ثم مَالِيَا

أَبَى الشَّتْمَ أنِّي قد أصابُوا كَرِيمَتِي ... وأنْ ليس إهْداءُ الخَنَا مِنْ شِمَالِيَا

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " ابن شاذان قال أبو زيد : أطرْتُ القوس آطرُها أطراً : إذا حنْيتها وأطرتُ السهم أطْرًا إذا لفَفْتُ على مجمع الفُوق عقبةً واسمها الأُطْرة ، وأطرْتُ العُودَ : إذا عطفته َ. قال الخليل : تقول أطرتُ الشيء آطرُهُ آطْراً : إذا عطفته ، والأطْرُ تعْويجك الشيء تقْبضُ على أحد طرفيه ، ثم تأطرُه فينأطرُ ، قال العجاج :

يَضْرِبُ بالسَّيْفِ إذا الرُّمْحُ انْأطَرْ

قال أبو يعقوب: رأيت في الرواية : يأطرُ متنهُ ، بضم النون ، مُصَحَّح عليه من أبي الحسين المهلبيّ".

(٢) البيت الأول من الطويل ،وهو لخفاف بن ندبة السلمى فى ديوانه ٦٦، ولسان العرب ٣٠٢/٣(عمد)، ٣٤٧/١٢(صمم)،٣٠٧/١٣ (عين)،وتاج العروس ٤١٧/٨(عمد) /،(صمم)، ٣٠٧/١٣(عين)،وتاج العروس ٤١٧/٨(عمد) ،(صمم) ،(عين) ،والتنبيه والإيضاح ٤٠/٢،وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٣١/١.

(٣) قال محقق س: وكذا في الزاهر :"وفي بعض النسخ "السماء" وكذا في اللسان والتاج (سمو).وفي باقي المصادر والحلبة في أسماء الخيل ٢٣٨ " الشَّمَّاء " ، وفي الحلبة أيضاً " الشيماء " ؟ . ولم أجدها في كتب الخيل .

إذا ما امْـرُؤٌ أهْـدى لِمَيْـتٍ تَحِيَّـةً   فَحَيَّـاكَ ربُّ العـرش عنّـي مُعاويـا
وهَـوَّنَ وَجْـدِي أنَّنِـي لم أقُـلْ لَـهُ   كَذَبْـتَ ولم أبْخَـلْ عليـه بماليَـا

قال أبو عبيدة [1]: فلما أصاب دُرَيْدًا زاد فيها :

وذِي إخـوَةٍ قَطَّعْـتُ أرحـامَ بَيْنِهـمْ   كمـا تَرَكُونِـي وَاحـدًا لا أخَالِيَـا [2]

[قال أبو الحسن : وزادني الأحْوَلُ :

لَنِعْـمَ الفَتَـى أدَّى ابـنُ صِرْمَـةَ بَـزَّهُ   إذا راح فَحْلُ الشَّوْل أحْدَبَ عَارِيَـا]

فلما انقضت الأشهرُ الحرمُ جمعَ لهم ليُغير عليهم ، فنظرت غطفان إلى خيله بموضعها ، فقال بعضهم لبعض: هذا صخر بن الشَّريد على فرسه السُّمَى ، فقيل: كَلاَّ السُّمَّى غَرَّاءُ وهذه بَهِيمٌ، وكان قد حَمَّمَ غُرَّتَها ، فأصاب فيهم ، وقتل دُريد بن حَرْمَلَـة . وأما هاشمٌ فإن قيس بن الأُسْوارالجُشميَّ ، من بني جُشَمَ بن بكر [3] بن هوازن بن منصور - والخنساء من بني سُلَيْمٍ بن منصور - لقيهم منصرفين كلُّ واحدٍ منهم من وجهِهِ ، فرآهُ وقد انفرد لحاجته ، فقال : لا أطْلُبُ بمعاويةَ بعد اليوم فأرسل عليه سهمًا ففلق قُحْقُحَهُ فقتله ، فقالت الخنساء [4] :

فِـديً للفـارس الجُشَـمِيِّ نفسِـي   وأفْدِيـهِ بمَـنْ لِـي مـن حَمِيـم
فـدَاكَ الحَـيُّ حَـيُّ بـني سُـلَيْم   بظَـاعِنِهمْ وبـالأنَس المقيـم
كَمَـا مِـنْ هاشـم أقْـرَرْتَ عَيْنِـي   وكـانتْ لا تَنَـام ولا تُنِيـم [5]

---

(١) انظر الأغاني ١٥/١٠٠ .
(٢) البيت لأبي عبيدة في الأغاني ١٥/٩٧.
(٣) قال محقق س: وكذا وقع ، والصواب : " من جُشم بن معاوية بن بكر " انظر جمهرة أنساب العرب ٢٧٠ ، ورغبة الآمل ١٨/٢٠١ . وفي بعض النسخ : من خشم .
(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : القحْقح : عظم العُصْعُص الذي يسمى عَجْبَ الذنب . قال المهلبيُّ : القَحْقح : العظم الناتئ من الظهر بين الأليتين " .
وبهامش نسخة ما نصه : " قاتلُ معاوية هذا دريدُ بن حرملة بن الأشعر بن إياس بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، كذا نسبه أبو عبيد [٥] . وقال الأثرم : دريد بن حرملة بن الأشعر بن إياس بن مريطة بن صرمة " .
وفي الأغاني ١٥/٨٧ عن ابن الكلبي : " حرملة بن الأسعر بن إياس بن مريطة بن ضمرة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان " .
(٥) الأبيات من الوافر في ديوانها صـ٩٠ .

فأما صخرٌ فسنذكر مَقْتَلَه مع انقضاء ما نذكر من مراثي الخنساء إياه. قالت الخنساءُ :

أَلاَ يا صخرُ إنْ أبكيتَ عيني ... لقدْ أضحَكْتَنِي دهرًا طويلاَ

بكيتُكَ في نِساء مُعْولاتٍ ... وكنتُ أحقَّ مَنْ أَبْدَى العَويلاَ

دَفَعْتُ بك الجَليلَ وأنتَ حَيٌّ ... فمن ذَا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجليلاَ

إذا قَبُحَ البكاءُ على قَتيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاَ[1]

وقالت أيضًا[2]:

تَعَرَّقَنِي[3] الدهرُ نَهْسًا وحَزًّا ... وأَوْجَعَنِي الدهرُ قَرْعًا وغَمْزَا[4]

وأفْنَى رجالي فبادُوا مَعًا ... فأصبحَ قلبي بهمْ مُسْتَفَزًّا[5]

كَأَنْ لم يَكُونُوا حِمىً يُتَّقَى ... إذِ الناسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزًّا[6]

وكانُوا سَراةَ بني مالكٍ ... وفَخْرَ العشيرةِ مَجْدًا وعِزًّا

وهُمْ في القديمِ سَراةُ الأدِيـ ... ـمِ والكائِنُونَ مِنَ الخَوْفِ حِرْزَا

وهُمْ مَنَعُوا جارَهُمْ والنِّسا ... ءُ يُحْفِزُ أَحْشَاءَها الخوفُ حَفْزَا[7]

غَداةَ لَقُوهُمْ بِمَلْمُومَةٍ ... رَدَاحٍ تُغادِرُ للأرض رِكْزَا[8]

---

(١) الأبيات من الوافر في ديوانها صـ ٨٢.

(٢) ديوانها ص ٨١ - ٨٢ .

(٣) قال محقق س: كذا في نسخة وحده وهو الصواب ، وهو من تعرق العظم : إذا أخذ ما عليه من اللحم . وفي سائر النسخ : تعرفني ، وهو تصحيف .

(٤) وبهامش بعض النسخ ما نصه:" ابنُ شاذان : النَّهْسُ : أَخْذُك الشيء بمقدم فيك ، نهسته الحيةُ تنهسه نهساً . والحزّ : القَطع في اللحم غير بائن . والفَرْضُ ، العود [؟] والعظم حزرته حزًّا واحتززته احتزازًا " .

(٥) كذا في بعض النسخ . وفي سائر النسخ :

فأصبحت من بينهم مستقرًّا

(٦) (إذ الناس إذ ذاك من عزبزّا) إذ الأولى معمول ما قبلها وإذ الثانية معمول بزَّ . ومن هنا اسم موصول لا شرط كما هى فى المثل (من عزبز) وذلك أن ما فى حيز الشرط لا يعمل فيما قبله وجملة بز خبر مَنْ والجملة خبر الناس والعائد محذوف تريد من عز منهم غلب .

(٧) أصلُ الحَفْز حثُّك الشيء من خلفه وغير سَوْق ، والرجل يَحْتفزُ في جلوسه يريد القيام والبطش بشيء " .

(٨)كتيبة رَدَاحٌ : كثيرة الفرسان . وملمومُة وململمة : مجتمعة " .

وخَيْـــل تكَــدَّسَ بالدّارعِيــــــــ ـنَ تحتَ العَجاجَةِ يَجْمُزْنَ جَمْزَا [1]

بِبِيض الصِّفاحِ وسُمْرِ الرِّماح فبالبيض ضَرْبًا وبالسُّمْر وَخْزَا [2]

جَزَزْنَـا نَوَاصِـيَ فُرْسـانِها وكـانُوا يَظُنُّـونَ ألاَّ تُجَـزَّا

ومَـنْ ظَـنَّ ممَّـن يُلاَقِـي الحروبَ بـألاَّ يُصـابَ فقـد ظَـنَّ عَجْـزَا

نَعِـفُّ ونَعْـرِفُ حـقَّ القِـرى ونَتَّخِـذُ الحمـدَ ذُخْـرًا وكَـنْزَا [3]

وكان سببُ [4] قتل صخرِ بن عمرِو بن الشَّرِيدِ أنه جَمَعَ جمعًا وأغار على بني أسد ابن خُزيمة ، فنذروا به ، فالتقوْا فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فارْفَضَّ أصحابُ صَخْـرٍ عنه ، وطُعِنَ طعنةً في جنبه فاسْتَقَلَّ بها ، فلمّا [5] صـار إلى أهله تَعالَج منها ، فَنَتأ من الجُرْحِ كمثل اليَدِ ، فأَضْنَاه ذلك حَوْلاً ، فَسَمِعَ سائلاً يسأل امرأته وهو يقول : كيف صَخْرٌ اليومَ ؟ فقالت : لا مَيِّتٌ فَيُنْعى ، ولا صحيحٌ فَيُرْجى ، فَعَلِمَ أنها قد بَرِمَتْ به ، ورأى تَحَرُّقَ أمِّه عليه فقال:

أَرَى أمَّ صخـر مـا تَجـفُّ دُموعُهـا ومَلَّتْ سُـلَيْمَى مَضْجَعِي ومكـانِي

---

(١) الجَمْزُ : ضربٌ من سير الإبل أشدُّ من العنقَ ".

(٢) الوَخْزُ : الطعن وَخزَه يَخزُه وَخزاً : إذا طَعَنَه بالرمح : والرِّكز : الحِس والصوت .

(٣) قال محقق س : زاد في نسخة وبعض النسخ:

ونلبـس طـوراً ثيـاب الوغـي وطـوراً بياضـاً وعَصْبـاً وخَـزّا

وزاد بعده في نسخة " قوله : [كذا] ملمومة مجتمعة يعني الكتيبة . ورداح ثقيلة بكثرة حديدها ، وامرأة رداح ثقيلة العجز . وقولها : وخيل تكدسوا [كذا] إذا كانت تجيء جماعة بعد جماعة ومنه سمى السنبل كدساً وجمعه أكداس " . وأغلب الظن أن البَيت وما يليه من التفسير في نسخة حاشية أدخلت في المتن " .

وبهامش نسخة ما نصه : " الذي وقع في شعرها :

ونلبـس للحـرب نسـج الحديـد ونلبـس في الأمـن خـزًا وقـزّا "

الأبيات من المتقارب فى ديوانها صـ٥٩..

(٤) الخبر والأبيات في التعازي والمراثي ٩٠ - ٩٢ والأغـاني ١٥/٧٨ - ٧٩ ،والزاهـر ٢/٣٤٩ -٣٥٠ .

(٥) قال محقق س: في نسخة : " وطعن طعنة في جنبه فاستقل بها طعنه أبـو ثور فلما " .وأغلب الظن أن قوله " طعنه أبو ثور " تعليق أدخل في متن الكتاب ، ويكون ما في نسخة تغييراً أيضاً . والمبرد لم يسمّ الطاعن في التعازي أيضاً.

وماكنتُ أَخْشَى أَنْ أكونَ جنازَةً عليكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ
أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُه وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوَانِ
لَعَمْري لقد أَنْبَهْتِ مَنْ كان نائمًا وأسمعتِ مَنْ كانتْ له أُذُنانِ
فأيُّ امْرِئٍ ساوَى بِأُمٍّ حَلِيلَةً فلا عاشَ إلاَّ في شَقىً وهَوانِ [1]

ثم عزم على قطع ذلك الموضع ، فلمّا قطَعَه يَئِسَ من نفسه ، فبكاها فقال :

أَيَا جَارَتَا إنَّ الخُطوبَ قَرِيبُ منَ الناس ، كلَّ المُخْطِئِينَ تُصِيبُ
أَيَا جَارَتَا إنَّا غَرِيبانِ ههنَا وكلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ [2]
كأَنِّي وقد أَدْنَوْا إليَّ شِفارَهُمْ من الأُدْمِ مَصْقُولُ السَّرَاةِ نَكِيبُ [3]

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ المَرَاثِي وحَسَنِ التَّأْبِينِ شِعْرُ ابن مُنَاذِر ، فإنَّه كان رجلاً عالمًا مُقَدَّمًا ، وشاعرًا مُفْلِقًا ، وخطيبًا مِصْقَعًا ، وفي دهرٍ قريبٍ ، فله في شعره شِدَّةُ كلامِ العرب بروايته وأدبه ، وحَلاوةُ كلام المُحْدَثِينَ بعَصْره ومشاهدتِه ، ولا يزالُ قد رَمَى في شعره بالمَثَلِ السائر ، والمعنى اللطيف ، واللفظ الفَخْم الجليلِ ، والقولِ المُتَّسِقِ النَّبيلِ . وقصيدته لها امتدادٌ وطولٌ ، وإنما نُمْلِي منها ما اخْتَرْنَا مِنْ نحوِ ما وصفنا .

قال يرثي عبدَ المجيد بنَ عبد الوهاب الثقفي ، وكان به صَبًّا ، واعْتُبِطَ عبدُ المجيدِ لعشرين سنةً من غير ما عِلَّةٍ ، وكان من أجمل الفتيان ، وآدبِهِمْ وأظرفهم ، فذلك حيث يقولُ ابن مُناذِرٍ [4] :

حِينَ تَمَّتْ آدابُه وتَرَدَّى بِرِداءٍ مِنَ الشَّبابِ جَديدِ

---

(١) الأبيات من الطويل لصخر بن عمرو بن شريد فى الأغانى ١٥/٧٥،٧٦.

(٢) قال محقق س : كذا وقع هذا البيت هنا ، وهو غلط من الرواة أو وهم من المبرد ، فهذا البيت لامرئ القيس ، ديوانه ص ٣٥٧ ، وقد روى المبرد هذه الأبيات فى التعازي ٩٢ ، ولم يرو هذا البيت وروى مكانه ـ وهو ثالث الأبيات :

أجارتنا لا تسأليني فإنني مقيم لعمري ما أقام عسيب

ثم قال : ": قال أبو عبيدة : عسيب جبل معروف ....". وهو بأرض بني سليم إلى جانب المدينة. انظر الأغاني ١٥/٧٩ ، ورغبة الآمل ٨/٢٠٥ ، والزاهر ٢/٣٥٠

(٣) الأبيات من الطويل لصخر بن عمرو شريد فى الأغانى ١٥ /٧٦ .

(٤) انظر التعازي والمراثي ٣٠٧ - ٣٠٩ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٢٢ - ١٢٤ .

وسـقاهُ مـاءُ الشَّـبيبةِ فـاهتَز	زَ اهـتِزَازَ الغُصْـنِ النَّـدِي الأمْلـودِ
وسَـمَتْ نَحْـوَهُ العيـونُ ومـا كـا	نَ عليـه لزائـدٍ مِـنْ مَزيـدِ
وكَـأنّي أدعـوهُ وهـو قَريـبٌ	حِـين أدْعُـوهُ مِـنْ مكـان بعيـدِ
فَلِئـنْ صـار لا يُجيـبُ لقـد كـا	نَ سَـمِيعًا هَشًّـا إذا هُـوَ نُـودِي
يـا فتًـى كـان لِلْمُقَامَـاتِ زَيْنًـا	لا أراه في المَحْفِـل المَشْـهُودِ
لَهْفَ نفسِـي أمَـا أراكَ ، ومـا عنـ	ـدَكَ لِـي إن دَعَـوْتَ مِـنْ مَـرْدُودِ
كـان عبـدُ المجيـدِ سَـمَّ الأعـادِي	مِلْءَ عَيْـنِ الصَّدِيـق رَغْـمَ الحَسودِ
عـادَ عبـدُ المجيـدِ رُزْءًا وقـد كـا	نَ رَجـاءً لرَيْـبِ دَهْـر كَنُـودِ (1)
خُنْتُـكَ الـوُدَّ لم أمُـتْ كَمَـدًا بَعْـ	ـدَكَ إنِّـى عليـكَ حَـقُ جَليـدِ
لـو فَـدَى الحـيُّ مَيِّتًـا لَفَـدَتْ نَفْـ	ـسَـكَ نَفْسِـي بطـارِفِي وتَليـدِي
ولَئِـنْ كُنْـتُ لم أمُتْ من جَوَى الحُزْ	ن عليـه لأَبْلُغَـنْ مَجْهُـودِي
لأقِمـنَّ مأتَمًـا كنُجُـوم الـ	لَيْـل زُهْـرًا يَلْطِمْـنَ حُـرَّ الخُـدودِ
مُوجَعـاتٍ يَبْكِيـن لِلْكَبِـدِ الحَـر	رَى عليـه ولِلْفُـؤادِ العَمِيـدِ
ولعَيْـن مَطْرُوفـةٍ أبـدًا قـا	لَ لهـا الدَّهـرُ : لا تَقَرِّي وجُـودِي (2)
كُلَّمَـا عَـزَّكِ البكـاءُ فـأنْفَدْ	تِ لعَبْـدِ المَجيـدِ سَـجْلاً فَعُـودِي
لِفَتًـى يَحْسُـنُ البكـاءُ عليـه	وفَتـىً كـان لامْتِـداح القَصِيـدِ

وأولُ هذا الشعر :

كـلُّ حَـيٍّ لاقِـي الحِمَام فَمُـودِي	مـا لِحـيٍّ مُؤَمِّـل مـن خُلُـودِ

(1) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابن شاذان : الكُنُود [في الأصل : الكَنَد ، وهو خطأ] من قولهم : كند فلان نعمة الله ، أي : كفرها وفلان كنود لنعمة الله عنده ، ومنه اسم كِندة أبي قبيلة من العرب" .

(2) بهامش بعض النسخ ما نصه :" ابنُ شاذان.يقال قَررْتُ بهذا الشيء عيناً فأنا أقَرُّ به،[والاسم القُرَّة، ويقال: قَرَّتْ عيني به قُرَّةً . ويقال : قَرَتُ في منزلى فأنا أقرُّ فيه قراراً وقُرُ [وراً].ابن شاذان : تقول : طَرَفْتُ عينه: إذا ضربتها بيدكْ أو بشيء حتى تدمع ، والاسم الطَّرْفَة " .

لا تَهَـابُ المَنُـونُ شـيئًا ولا تُـرْ ... عِـي علـى والـدٍ ولا مَوْلُـودِ

يَقْدَحُ الدهـرُ في شَـمَاريخ رَضْـوَى ... ويَحُـطُّ الصُّخُـورَ مِـنْ هَبُّـودِ[1]

ولقـد تَـتْرُكُ الحـوادثُ والـ ... أيَّامُ وَهْيًا في الصَّخْرَةِ الصَّيْخُـودِ[2]

وفي هذا الشعر مما استحسنته:

أَيْـنَ رَبُّ الحِصْـنِ الحَصِيـنِ بسُـورَا ... ءَ وربُّ[3] القَصْـرِ المُنِيـفِ المَشِيـدِ

شَـادَ أركانَـهُ وبَوَّبَـهُ بَـا ... بَـيْ حديـدٍ وحَفَّـهُ بجُنُـودِ

كـان يُجْبَـى إليـه مـا بـين صَنْعـا ... ءَ فَمِصْـرٍ إلى قُـرَى بَـيْرُودِ[4]

وتَـرَى خَلْفَـه زَرافـاتِ خَيْـلٍ ... جـافلاتٍ تَعْـدُو بمِثْـلِ الأُسُـودِ[5]

فَرَمَـى شَـخْصَهُ فـأَقْصَدَهُ الدَّهْـ ... ـرُ بسَـهْمٍ مِـنَ المنايـا سَـديدِ

ثـم لم يُنجِـهِ مِـن المَـوْتِ حِصْـنٌ ... دونَـه خَنْـدقٌ وبَابَـا حَديـدِ

ومُلُـوكٌ مـن قبلِـه عَمَـرُوا الأرْ ... ضَ أُعِينُـوا بـالنَّصْرِ والتَّـأْيِيدِ

---

(١) قال محقق س : بهامش نسخة : " عبُّود " وعليه "ع" يعني رواية أبي علي .
وبهامش نسخة ما نصه :"هبُّود : جبُل . ويروى : من عبُّود ، وهو جبل أيضاً ".
وقال المبرد في التعازي ٣٠٧ : " يزعمون أنه غلط في هذا ، وأنَّ هبّود حفيرة وليس كما قالوا ، إنما الحفيرة هبوب . والذي قال هو : هبود ، وذكروا أنها أكمة " . وانظر معجم البلدان ٤/٨٠ و ٥/٣٩١ ، والأغاني ١٨/١٨١ . ورضوى جبل بالمدينة ، وانظر معجم البلدان ٣/٥١.
(٢)بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال ابنُ شاذن : حدثني أبو عُمَر عن ثعلب عن عَمْرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه أبي عمرو قال : يقال : يوم صيخود وصَيْخَدُ وصَيْهَدُ وصَـ[هْدان] : إذا كان شديد الحرّ . المهلبيُّ : صخرة صيخودٌ : صمَّاء صلبة ".
(٣) (بسوراء)"بضم السين ممدود" وضبطها ابن الجواليقى" بفتح السين"فما جاء مفتوحا والعامة تضمه وقد ذكر يقرت انها موضع جنب بغداد أو هى بغداد نفسها . رغبة الآمل (٨/٢٢٨) .
(٤) قال محقق س في نسخة : " بيرود " بتقديم الياء على الباء ، وكذا وقع في التعازي والمراثي وطبقات الشعراء ؟ وبيرود بليدة بين حمص وبعلبك . انظر معجم البلدان ٥/٤٢٧ .
قال الشيخ المرصفي : " لعلها بيروذ ، بالذال المعجمة ، فأهملها وهي التى ذكرها ياقوت في معجمة قال : هي ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب وذكر عن أبي عبد الله اليساري [كذا ، وفي البلدان : البشاري] أنها كبيرة بها نخل كثير حتى إنهم يسمونها بالبصرة الصغرى ". رغبة الآمل ٨/٢٠٨ ، ومعجم البلدان ١/٥٢٦ .
(٥) (زرافات) جماعات واحدتها زرافة وعن ابن برى " بتشديد" الفاء قال كذا ذكره ابن فارس وحكاه أبو عبيد فى باب ما جاء على فعالة" بتشديد اللام" وذكره القزاز فى كتابه الجامع" بتشديد الفاء" وجافلات مسرعات من جفل الظليم يجفل" بالضم" جفولا ذهب وأسرع .

فَلَــوَ أنَّ الأيــامَ أَخْلَــدْنَ حَيّــًا   لِعَــلاءِ أَخْلَــدْنَ عبــدَ المجيــدِ

مــا دَرَى نَعْشُــه ولا حــامِلُوهُ   ما على النَّعْشِ مِنْ عَفـافٍ وجُـودِ

وَيْـحَ أَيْـدٍ حَثَـتْ عليـه وأَيْـدٍ   دَفَنَتــهُ ، مــا غَيَّبَـتْ في الصَّعيــدِ

إِنَّ عبـدَ المجيــد يــومَ تَوَلَّــى   هَــدَّ رُكْنَــا مــا كــانَ بــالمَهْدودِ

هَـدَّ رُكْنِـي عبـدُ المجيـد وقـد كُنْـ   ـتُ بِرُكْـنٍ أَبُـوءُ منـهُ شَـدِيدِ

وفي هذا الشعر :

فَــبِرَغْمِي كُنْــتَ المُقَــدَّم قَبْلِــي   وبكُرْهِــي دُلِّيــتَ في مَلْحــودِ

كنـتَ لي عِصْمَــةً وكُنْــتَ سَـماءً   بك تَحْيَا أرضِـي ويَخْضَـرُ عُـودِي

قال أبو العباس : وكانت العربُ تُقدِّم مراثي وتُفضلها ، وتـرى قائلَهـا بهـا فـوق كلِّ مُؤبِّنٍ ، وكأنَّهم يَرَوْنَ ما بعدَها من المراثـي منهـا أُخِـذَتْ ، وفي كنفِهـا تَصْلُـحُ فمنهـا قصيدة أعشى باهلة - ويُكْنى أبا قُحافة - التي يرثي بها المُنتشر بن وهْـبٍ البـاهلي ، وكـان أحدَ رِجْلِيِّي العربِ . [قال الأخفش : هو منسوبٌ إلى الرِّجْلِ [1]] وهم السُّعَاةُ السـابقون في سعيهم .

وكان من خبره أنَّه أَسَرَ صَلاءَةَ بن العنبرِ الحارثي ، فقال : افْتَدِ نفسك ، فـأبى ، فقال: لأُقطِّعَنَّك أُنْمُلَةً أنملة [2]، وعُضْوًا عُضوًا ما لم تفتدِ نفسَك ؛ فجعـل يفعـلُ ذلـك بـه حتى قتله، ثم حج المنتشر ذا الخُلُصَةِ ، وهو بيت كانت خثعم تَحُجُّه ، زعم أبو عبيـدة أنـه بالعَبَلاَتِ ، وأنَّه مسجدُ جامِعِها ، فدلَّت عليه بنو نُفَيل بن عمـرو بـن كـلاب الحـارثيِّين ؛ فقبضوا عليه ، فقالوا : لنفعلنَّ بك ما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به ، فلقي راكبٌ أعشى باهلة ، فقال له أعشى باهلة : هل من جَائِبَةِ خَبَرٍ[3] ؟ قال : نعـم ، أَسَرَتْ بنو الحارث

---

(١) قال محقق س : هوعند الأزهري " رُجْلِيٌّ "منسوب إلى " الرُّجْلة "، وفي القـاموس أنـه "رَجَلي" بالتحريك .

وبهامش بعض النسخ ما نصه :" الرِّجْلِيُّ : الشديدُ العدو والقـويّ عليـه وهـم الذيـن يغزون رجَّالـة والجمع رِجْليون " كذا وقع ولا يخفى اضطرابه " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال الأصمعي : يقال أُنْمُلة وأُنمَلَـةُ والجميع الأنـاملُ ، وهـي منتهى المفاصل الأوائل من كلّ إصبع من اليدين والرجلين .

(٣) بهاميش بعض النسخ ما نصه :" قال ابـن شـاذان : قـال أبو عُمَـر : الجوائـبُ والجائبـات مـن الأخبار ، الواحدة جائبةٌ ، تقول : عندك جائبةٌ أي ما يأتي من الأخبار .

المنتشرَ ، وكانت بنو الحارث تُسمِّي المنتشرَ مُجَدِّعًا ، فلما صار في أيديهم قالوا: لَنُقَطِّعَنَّكَ كما فعلت بصلاءةَ ، فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر[1] :

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بها   مِنْ عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

فَبِتُّ مُرْتَفِقًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ   حَيْرَانَ ذَا حَذَرٍ لو يَنْفَعُ الحَذَرُ

وجاشَتِ النفسُ لَمَّا جاء جَمْعُهُمُ   وراكبٌ جاء مِنْ تثليثَ مُعْتَمِرُ

يأتي على الناسِ لا يَلْوِي على أحد   حتى التَقَيْنَا وكانَتْ دُونَنا مُضَرُ

بِنَعْيِ مَنْ لا تُغِبُّ الحيَّ جَفْنَتُهُ   إذَا الكواكبُ أخْطَا نَوْءَها المَطَرُ [2]

مَنْ ليس في خيرِهِ شَرٌّ يُكَدِّرُهُ   على الصَّدِيقِ ولا في صَفْوِهِ كَدَرُ

طَاوِي المَصِير على العَزَّاءِ مُنْصَلِتٌ   بالقَوْمِ ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

لا تُنْكِرُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَهُ   بالمَشْرَفِيِّ إذَا ما اجْلَوَّذَ السَّفَرُ

وتَفْزَعُ الشَّوْلُ منه حينَ تُبْصِرُهُ   حتى تَقَطَّعَ في أعناقِها الجِرَرُ

لا يُصْعِبُ الأمرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ   وكلَّ أمرٍ سِوَى الفحشاءِ يَأْتَمِرُ

تكفيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ أَلَمَّ بها   مِنَ الشِّواءِ ويكفي شُرْبَهُ الغُمَرُ [3]

لا يَتَأَرَّى لِمَا في القِدْرِ يَرْقُبُهُ   ولا تَرَاهُ أَمَامَ القومِ يَقْتَفِرُ

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولا وَصَبٍ   ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ   عنه القَمِيصُ لِسَيْرِ الليلِ مُحْتَقِرُ

قال أبو زبيد :   وقد ثابَتْ إليكم جوائب الأخبار ؟ " .

(١) الكلمة أصمعية ، انظر الأصمعيات ق ٢٤ ص ٨٧ - ٩٢ ، وانظر تخريجها ثمة .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه :"عند ابن شاذان : لا تأمن البازلُ . وعنده : إذا ما اخروط السفر. أي امتد. وقال ابن شاذان : يقال اجلوذَ الليل واخروّط السفر ".

(٣)بهامش بعض النسخ ما نصه :" عند ابن شاذان : تكفيه حزّة لحم . وعنده : يروى "شربه الغمر". وسلف البيت ٤٥٩ .

قال محقق س : بعده في زيادات

فإن جزعنا فقد هدت مصيبتنا   وإن صبرنا فإنا معشر صبرُ

إني أشد حزيمي ثم يدركني   منك البلاء ومن آلائك الذكرُ

عِشْنَا بذلـك دَهْـرًا ثـم فَارَقَنَـا ... كذلـك الرُّمْـحُ ذُو النَّصْلَيْـن يَنْكَسِـرُ

لا يَـأْمَنُ النـاسُ مُمْسَـاهُ ومُصْبَحَـهُ ... مِـنْ كـلِّ أَوْبٍ وإنْ لَـمْ يَـأْتِ يُنْتَظَـرُ

إمَّـا يُصِبْـكَ عَـدُوٌّ في مُبَـاوَأَةٍ ... يومًـا فقـد كنـتَ تَسْـتَعْلِي وتَنْتَصِـرُ[1]

لـو لم تَخُنْـهُ نُفَيْـلٌ وهْـيَ خائِنَـةٌ ... أَلَـمَّ بـالقَوْمِ وِرْدٌ منـه أَوْ صَـدَرُ

ورَّادُ حَـرْبٍ شِـهابٌ يُسْتَضاءُ بـهِ ... كمـا يُضِيءُ سَـوادَ الطُّخْيَـةِ القَمَـرُ

إمَّا سلكتَ سَـبيلاً كنـتَ سَالِكَها ... فـاذْهَبْ فـلا يُبْعِدَنْـكَ ا للهُ مُنْتَشِـرُ

مَـنْ ليـس فيـه إذا قاوَلْتَـهُ رَهَـقٌ ... وليـس فيـه إذا عاسَـرْتَهُ عَسَـرُ[2]

قوله : "إنِّي أَتَتْنِي لسانٌ " يقال : هو اللسانُ وهي اللسـانُ ، فمـن ذَكَّـرَ فجمعهُ " أَلْسِنَةٌ " ، ونظيره " حِمَارٌ وأَحْمِرَةٌ " ، و " فِرَاشٌ وأَفْرِشَةٌ " و " إزارٌ وآزِرَةٌ " ، ومـن أَنَّثَ قال : " لسانٌ وأَلْسُنٌ " كمـا تقـولُ " ذِراعٌ وأَذْرُعٌ " و " كُراعٌ وأَكْرُعٌ " لا تُبالِي أَمَضْمُومَ الأوَّلِ كان أم مفتوحًا أم مكسورًا إذا كان مؤنثًا ، ألا تَرَى أنَّـك تقـول " شِمالٌ وأَشْمُلٌ " قال أبو النَّجْمِ :

يَـأْتِي لَهَـا مِـنْ أَيْمُـنٍ وأَشْـمُلِ

وقال آخرُ ، أنشدنيه المازنيُّ :

فَظَلَّـتْ تَكُـوسُ علـى أَكْـرُعٍ[3] ... ثـلاثٍ وكـانَ لهـا أَرْبَـعُ[4]

---

(١)بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" ابن شاذان وإن يُصِبْك عدوٌّ في مناوأةٍ : ناوأت الرجلَ مناوأة : إذا عاديته " .

(٢)بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" في رواية ابن شاذان : إذا ياسَرْتَه عَسَرُ " . وكذا وقع في نسخة : ياسرته .

البيت من البسيط ،وهو لأعشى باهلة فى إصلاح المنطق ٢٦، والأصمعيات ٨٨، وأمالى المرتضى ٢/٢٠، وجمهرة اللغة ٩٥٠،١٣٠٩، وخزانة الأدب ٦/٥١١، وسمط اللآلى ٧٥، وشرح المفصل ٤/٩٠ ،ولسان العرب ٤/٣٥٢(سخر)،١٣/٣٨٥،٣٨٦(لسن) ، والمؤتلف والمختلف ١٤، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ١/١٩١،٤/١٥٦، ولسان العرب ١٥/٨٣(علا).

(٣)بهامش بعض النسخ ما نصّه : " ابنُ شاذان : يقال : كاس البعيرُ يكوسُ كَوْساً : إذا قطعت إحدى قوائمه فخبا على ثلاث " رغبة الآمل ٨/٢١٣ .

(٤)البيت من المتقارب ، وهو للخنساء فى ديوانها ٣٥٠ ،وتاج العروس٢/١١٨(كرع)،وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٨٥٧ وأساس البلاغة (كرع).

وأراد باللسان ههنا : الرسالةَ ، وقوله : " مِنْ عَلُ " يقول : مِنْ فَوْقُ ، فإذا كان معرفةً مفردًا بُنِيَ على الضَّمِّ ، كقبلُ وبعدُ ، وإذا جعلتَه نكرة نَوَّنْته وصَرَفْتَهُ ،كما قال جرير:

إنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّماءِ عليكُمُ حتى اخْتَطَفْتُك يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ[1]

والقوافي مجرورة ، وإن شئت رددتَ ما ذهبَ منه ، وهي أَلِفٌ منقلبةُ من واو؛لأنَّ بناءه" فَعَلٌ " من " عَلاَ " يا فتى ، قال الراجز[2]:

وهي تَنوشُ الحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلاَ نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ[3] الفَلاَ[4]

وقوله : " فَبِتُّ مُرْتَفِقًا " وهو المُتَّكِيءُ على مِرْفَقِه ،وإنما أراد السَّهَرَ ، كما قال أبو ذُؤَيْبٍ:

إنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ الليلَ مُرْتَفِقًا كأَنَّ عَيْنِيَ فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ[5]

---

(1) البيت من الكامل ،وهو لجرير في ديوانه ٩٤٠،ولسان العرب ٤٦٩/١٤(صما)، وديوان الأدب ١٢٧/٤، وأساس البلاغة (علو)، وكتاب العين ١٧٤/٧، والكتاب ٢٢٩/٤ ، وتاج العروس (صمى)

وله رواية :

إنى انصميت من السماء عليكم حتى اختطفتك يا فرزدق من عَلِ

(٢) هو غيلان بن حريث كما في اللسان " نوش " وانظر أدب الكاتب ٥٠٣ .

(٣) (الأجواز) : الاوساط واحدها جوز يريد لا تحتاج بعد ذلك النوش فى قطعها المفاوز إلى الماء رغبة الآمل ٢١٤/٨ .

(٤) الرجز لأبى النجم العجلى فى لسان العرب ٨٤/١٥(علا)، ولغيلان بن حريث فى خزانة الأدب ٤٣٧/٩، ٤٣٨،ولسان العرب ٣٦٢/٦(نوش) ، وديوان الأدب ٢٢/٤، والتنبيه والإيضاح ٣٢٧/٢ ، وتاج العروس ٤٣١/١٧ (نوس) وبلا نسبة فى أدب الكاتب ٥٠٣،وأسرار العربية ١٠٣،والأشباه والنظائر ١٢٤/٨، وإصلاح المنطق ٤٣٢، وخزانة الأدب ١٦٥/١٠، ورصف المبانى ٣٧١ وشرح المفصل ٧٣/٤، ٨٩، والكتاب ٤٥٣/٣، ومجالس ثعلب ٦٥٦/٢، والمنصف ١٢٤/١، وتهذيب اللغة ٤١٧/١١وأساس البلاغة (جوز)، ومقاييس اللغة ١١٧/٤ ، والمخصص ٦٣/١٤، وتاج العروس (علا)،(فلا) .

وله رواية :

بات تنوش الحوض نوشا من علا نوشابه تقطع أجواز الفلا

(٥) روى صدره :-

نام الخلى وبت الليل مشتجراً

البيت من البسيط، وهو لأبى ذؤيب الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ١٢٠، ولسان العرب ٥٣٧/١(صوب)، ٣٩٧/٤(شجر)٤٥/٩(حرف) والتنبيه والإيضاح ١٠٦/١،وتاج العروس ١٤٢/١٢١(شجر) ،ومجمل اللغة ٢٥٤/٣، وتهذيب اللغة ٤٧١/٤،٤٧٤، وأساس البلاغة (ذبح) ،

وقوله:" جاشَتِ النّفْسُ " يقولُ : خبُثَتْ ،يكونُ ذلك من تذكُّرِهـا للتّهَـوُّعِ ومـن جزَعِهَا منه. ويُرْوَى عن معاويةَ أنه قال : اجعَلُوا الشِّعْرَ أكْبَرَ همِّكُمْ وأكثرَ آدابكـم ؛ فـإنَّ فيه مآثِرَ أسْلافكم ومواضعَ إرشادكم ، فلقد رأيتُنِي يوم الهَرِير[1] ؛ وقد عَزَمْتُ على الفِرار ، فما يَرُدُّنِي إلاَّ قولُ ابنِ الإطنابةِ الأنصاريِّ :

أَبَـتْ لي عِفَّتِـي وأَبَـى بَلائِـي وأَخْـذِي الحَمْـدَ بـالثَّمَنِ الرَّبِيـحِ

وإجْشَـامِي علـى المَكْـرُوهِ نَفْسِـي وَضَرْبِـي هامـةَ البَطَـلِ المُشِـيحِ[2]

وقَوْلِـي كُلَّمَـا جَشَـأَتْ وجاشَـتْ مكـانَكِ تُحْمَـدِي أو تَسْـتَرِيحِي[3]

يقال : " جَشَأَتْ " مهموزٌ ، و " جاشَتْ " غيرُ مهمـوز . و " تَثْلِيـثُ " موضعٌ بعينه[4] .

وقوله : " لا يَلْوِي على أحدٍ " يقال : استقام فلانٌ فما لَوَى على أحدٍ ، ويقال : ألْوَى بالشيء : إذا ذَهَبَ به .

وقوله :

إذَا الكواكِـبُ أَخْطَـا نَوْءَهـا المَطَـرُ

فالنَّوْءُ عندهم طلوعُ نجمٍ وسقوطُ آخرَ ، وليس كلُّ كوكبٍ له نوءٌ ، وإنما كـانوا يتقوَّلون هذا في أشياء بعينها ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : " إذا ذُكِرَتِ النُّجُومُ

والهذلي في تاج العروس ٢١٦/٣(صوب) ، وبلا نسبة في لسان العرب ٤٤٠/٢(ذبح) ،ومقاييس اللغة ٢٤٧/٣،٣٢٧ وديوان الأدب ٤٠٢/٢،وتاج العروس ٣٦٧/٦(ذبح) .

(١) قال الشيخ المرصفي : الصواب أن يقول : فلقد رأيتني ليلة الهرير . وذلك ما ذكـر الطبري عـن أبي مخنف في حرب عليّ ومعاوية أن هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس عند المساء : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإليّ فأقبل إليه ناس كثير فشدّ بهم على أهل الشام ، ثم قال : فاقتتل الناس تلـك الليلة كلها حتى الصباح وهي ليلة الهرير حتى تقصفت الرمـاح ...فأمـا يـوم الهرير فيـوم كـان في الجاهلية بين بكر بن وائل وبني تميم قتل فيه الحرث بن بَيْبَة سيد تميم "رغبة الآمـل ٢١٥/٨ وانظـر تاريخ الطبري ٤٢/٥ - ٤٧ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" ابنُ شاذان أشَاح الرجلُ إشَاحَةً فهو مُشيحٌ : حَاذَرَ مـن الأمـر، وأشَاحَ : جَدَّ ، وهو من الأضداد . وشايَحَ فهو مُشَايِحٌ ، وشاحَ فهو شائحٌ وشيحٌ "

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" ابنُ شاذان : قوله : جَشَـأَتْ وجَاشَتْ [نهضت] نفسـه إليه ، ومنه اشتقاقُ تَجَشَّأْتُ والاسم الجُشَأةُ وهو تَنَفُّسُ المعدة عند الأ[كْل] . ويقال جَشَـأَت الغَنَمُ. وهو صوتٌ يَخْـرُجُ من الحلق ، قال امرؤ القيس :

إذا جَشَأَتْ سَمِعْتَ لها ...ـ".

(٤) وهو موضع بالحجاز قرب مكة . معجم البلدان ١٥/٢ .

فأمْسِكُوا " [1] يعني أمْرَ الأنْوَاءِ ، لم يختلفْ في ذلك المفسرون ، وعنه عليه السلام في غِبِّ سماء : " أتَدْرُونَ ما قال ربُّكم ؟ قال : أَصْبَحَ من عبادِي مُؤْمِنٌ بي وكافِرٌ بالكواكب ، وكافِرٌ بي ومؤمن بالكواكب؛ فأما المؤمنُ بي الكافرُ بالكواكب فهو الذي يقول : مُطِرْنا بنَوْءِ الرَّحْمَةِ ، والمؤمنُ بالكواكبِ الكافرُ بي الذي يقول مُطِرنَا بنَوْءِ كذا"[2] . و " النَّوْءُ " مهموزٌ ، وهو من قولك " ناء بِحِمْلِهِ " أي اسْتَقَلَّ به في ثقلٍ ، فالنوءُ مهموزٌ ، وهو على الحقيقة الطالعُ من الكوكبين لا الغَائِرُ [3]. وكان الأصمعي لا يُفَسِّرُ من الشِّعْر ما فيه ذكرُ الأنْوَاءِ ، بل كان لا يسمعُ ما كان فيه هِجاءٌ أو كان فيه ذِكْرُ النُّجُومِ ، ولا يفسرُ ما وافق تفسيرُه بعض ما في القرآن إلاَّ ساهِيًا ، فيما ذكر أصحابه ، ويُرْوى أنه سُئل عن غير شيءٍ من ذلك فأباه وزَجَرَ السائلَ .

وقوله " طَاوِي المَصِيرِ " يقال لواحد المُصْرَانِ " مَصِيرٌ " ، وتقديره " قَضِيبٌ وقُضْبانٌ ، و " كَثِيبٌ وكُثْبانٌ " .

و " العَزَّاءُ " : الأمرُ الشديدُ ، يقال : فلانٌ صابرٌ على العَزَّاءِ ، وكذلك اللأْوَاءُ ، وكذلك الجُلَّى مقصورٌ ؛ فأمَّا العزَّاء ، واللأْوَاءُ فممدودان .

وقوله " مُنْصَلِتٌ " يقال : سيفٌ مُنْصَلِتٌ وصَلْتٌ : إذا جُرِّدَ من غِمْدِهِ .

وقوله " ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ " يريد : القَفْرَ ، ووقتَ الصُّعوبة .

وقوله[4] :

---

(١) الحديث "صحيح"، وأوله"إذا ذكر أصحابى فأمسكوا.." أورده الحافظ الهيثمى فى"المجمع"(٧/٢٠٢) من رواية ثوبان وقال : رواه الطبرانى وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف -ثم ذكر الحديث مرة أخرى لكن من طريق عبد الله بن مسعود ،وقال : رواه الطبرانى وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح. والحديث أورده الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (ح٥٤٥)، وراجع الصحيحة (ح٣٤).

(٢) الحديث بنحوه فى الصحيحين ،أخرجه البخاري فى" الأذان"،باب : يستقبل الإمام الناس إذا سلم ،(٢/٣٨٨)،(ح٨٤٦) ،وفى "الاستسقاء" (٢/٦٠٦) ، (ح١٠٣٨) ، ومسلم فى الاستسقاء "الإيمان"، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء،(ح٧١) .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" قال الخليلُ : الثِّقَلُ : مصدر الشيء الثقيل : ثَقُل الشيءُ يَثقُل ثِقْلاً فهو ثقيل: والثقْلُ : رُجْحان الثقيل ".

(٤) البيت من البسيط ،وهو للمنتشر بن وهب الباهلى فى تاج العروس ٩/٣٩٠ (حلذ)

لا تنكر البازل الكوماء ضربته ... بالمشرفى إذا ما احلوذ السفر

لا تُنْكِـرُ البـازلُ الكومـاءُ ضَرْبَتَـه   بالمَشْـــرَفِيِّ . . . .

يقـول : قـد عَـوَّدَ الإبـلَ أنْ يَنْحَرَهَـا ، ومِـنْ شَـأْنِهم أن يُعَرْقِبُوهـا قبـل النَّحـر، والمَشْرَفِيُّ: السيفُ ، وهو منسوبٌ إلى المشارِفِ .

وقوله "اجْلَوَّذَ" امْتَدَّ ، وأنشدني الزِّيادِيُّ لرجلٍ من أهل الحجاز ، أَحْسِبُهُ ابنَ أبـي رَبيعةَ[1]:

ألاَ حَبَّـــذَا حبـــذَا حبـــذَا   حَبيـــبٌ تَحَمَّلْـــتُ منـــه الأَذَى

ويـــا حبـــذَا بَـــرْدُ أَنْيَابـــه   إذا أَظْلَـــمَ الليـــلُ واجْلَـــوَّذَا

وقوله :   **حتى تقطع في أعناقها الجِرَرُ**

يقول : قد اعْتَادتْ أن يَنْحَرَها ، فهي تَفْزَعُ منه حتى تَقَطَّعَ جِرَّتُها ، ومثلُ هـذا قولُ الخِنَّوْتِ[2] :

سـأَبكِي خَلِيلِي عَنْبرًا [3]بعد هَجْعَـةٍ   وسَـــيْفِيَ مِرْداسًـــا قَتيـــلَ قَنَـــان

قَتيـلان لا تبكـي اللِّقَـــاحُ عليهمـــا   إذا شَـبعَتْ مِـــن قَرْمَـــل وأَفَـــان[4]

يقول : كانا يَنْحَرانِ الإِبلَ ، فهي لا تجزعُ لفَقْدِهما ، وقَرْمَلٌ وأَفَانٌ : ضربانِ مِـن النَّبْتِ [5]. وشبيهٌ بهذا قولُه :

---

(1) البيت من المتقارب ،وهو لعمر بن أبـى ربيعـة فـى ملحـق ديوانـه ٤٩٢، ولإبراهيـم بـن سـفيان الزيـادى فـى معجـم الأدبـاء ١٦١/١وبـلا نسبة فـى لسـان العرب ٤٨٢/٣(جلـذ) ،وتـاج العـروس ٣٩٠/٩(جلذ)، والدرر ٢٢٥/٥، والمنصف ٧٢/١.

(2) البيتان في رسالة الغفران ٥٧٩ ، وسمط اللآلي ٦٦٠ .

(3) قال محقق س في نسخة : عنترًا ؟ . وفي أصلي سمط اللآلي " عنبراً " ، ورواية المعري .

لتبـك النســاء المعــولات لطـــارق   ويبكـــين مرداســـا قتيـــل قنـــان

وطارق ومرداس أخواه . وقنان جبل بأعلى نجد ، معجم البلدان ٤٠١/٤ .

(4) (قنان)"بالفتح" جبل لبنى أسد وعن الأزهرى جبـل بـأعلى نجـد(وقرمـل وأفـان) : عـن أبـى حنيفة الدينورى القرمل كجعفر واحدته قرملة وهي شـجرة ترتفـع علـى سُويقة لا تسـتر ولهـا زهـرة صغيرة شديدة الصفرة والأفانى واحدته أفانية كثمانية وهى من العشب غبراء لهـا زهـرة حمـراء ويقـال هى عنب الثعلب .

(5) بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" قال أبو زياد الكلابيُّ:الأفاني من العُشْب ، وهي غبراء لها زهـرةٌ حمراءُ ، وهي طيبِّةٌ ، الواحدة أفانِيَةٌ . وقال أبو عمرو :الأفاني من أحرار البقل ، ولهـا زهـرةٌ صغيرة، وقال لي بعض الأعراب : الأفانيةُ بقلةٌ ثم تصير كالشجرة خضراء غـبراء . وقـال الأصمعيُّ : يتسبهُ فَرْخ القطاةِ المشوَّك ، وقال: من الأفاني أحمر وأصفر . قـال أبـو زيـاد الكلابـيُّ : القَرْمَـل والواحـدة قرملة ، وهي شجرة من الحَمْضِ تنبت في السباخ على ساق واحدة ، [لا] ورق لها وقال ..." .

فلو كان سَيْفِي باليمينِ تَباشَرَتْ ضِبابُ المَلاَ مِنْ جَمْعِهِم بقَتِيلِ

يقول : هؤلاء قومٌ كانوا يحترشون الضِّبابَ ، فكلّما قُتِلَ منهم واحدٌ سُرَّتْ بذلك الضِّبابُ واستبشرتْ .

وقوله : لا يَتَأَرَّى لِمَا في القِدْرِ يَرْقُبُه

يقول : لا يَتَحَبَّسُ له ، ومن ذا سُمِّيَ الآرِيُّ ؛ لأنه مَحْبِسُ الدابة .

وقوله : ولا تَراه أَمامَ القوم يَقْتَفِرُ[1]

يقول : لا يسبقهم إلى شيء من الزادِ .

وقوله : ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

الشَّراسِيفُ : أطرافُ الضُّلُوع ، والصَّفَرُ ههنا : حَيَّةُ البطنِ ، وله مواضع .

وقوله : " مُهَفْهَفٌ " يعني ضامِرًا ، و " أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ " توكيدٌ له .

وقوله : إمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ في مُباوَأَةٍ

يقول:في وِتْرٍ ، يقال : باءَ فلان بكذا ، كما قال مُهَلْهِلٌ : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ: أي هو ثائرٌ بالشِّسْعِ[2] .

و " الطَّخْيَةُ ، والطُّخْيَةُ ، والطِّخْيَةُ " ثلاثُ لغاتٍ : شِدَّةُ الظُّلْمَةِ . وكان الذي أصابَهُ هِنْدُ بنُ أسماءَ الحارثيُّ ، ففي ذلك يقولُ :

أَصَبْتَ في حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ هندَ بن أسماءَ لا يَهْنِئ لَكَ الظَّفَرُ[3]

يقال : " هَنَأَهُ ذلك وهَنَأَ له " كما تقولُ " هَنِيئًا له " قال الأخطلُ[4] :

إلى إمامٍ تُغَادِينا فَواضِلُهُ أَظْفَرَهُ ا للهُ فَلْيَهْنِئ لَه الظَّفَرُ[5]

---

(١) البيت صدره*لا يغمز الساق من أين ومن وصب *
والبيت من البسيط ،وهو لأعشى باهلة في لسان العرب ١١١/٥(قفز)، والتنبيه والإيضاح ١٩٢/٢،وتاج العروس ٣٣٠/١٢(صفر) ،٤٦/١٣ (قفز)، وديوان الأدب ٤٠٤/٢، وأساس البلاغة (قفز)،وتهذيب اللغة ١٢١/٩، والأصمعيات ٩٠ .
والعجز له رواية *لا يزال أمام القوم يفتقر* .

(٢) الشسع : أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لأعشى باهلة في لسان العرب ١٨٥/١ هنأ، وتاح العروس ٥١٥/١(هنأ) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٦٨٨.

(٤) ديوانه ق ١٨/١٩ جـ ١٩٦/١ .

(٥) البيت من البسيط ، وهو للأخطل في ديوانه ١٦٧، وشرح أبيات سيبويه ١٧٢/١، وشرح المفصل ١٢٣/١، والكتاب ٣١٧/١، ولسان العرب ١٨٥/١(هنأ) .

وقوله : وليسَ فيه إذا عَاسَرْتَهُ عَسَرُ

مَدْحٌ شريفٌ ، مثلُ قولهم [١]: " إذا عَزَّ أخوكَ فَهُنْ " وإنّما هذا فيمنْ لا يُخَافُ استِذْلالُه ، وأنْ يَخْرُجَ صاحبُه عند مُسَاهَلَتِهِ إلى باب الذُّلِّ [٢] ، فأما مَنْ كان كذلك فمُعاسرَتُهُ أَحْمَدُ ، ومُدَافَعَتُهُ أَمْدَحُ ، كما قال جريرٌ :

بِشْرٌ أبو مَرْوَانَ إنْ عاسَرْتَهُ ... عَسِرٌ وعندَ يَسَاره مَيْسُورُ

قال أبو العباس : ومن أشعار العرب المشهورة المُتَخَيَّرَةِ في المراثي قصيدةُ مُتَمِّم [٣] بن نُوَيْرَةَ في أخيه مالك ، وسنذكر منها أبياتًا نختارُها . من ذلك قولُه [٤] :

أَقُولُ وقد طارَ السَّنَا في رَبَابِهِ ... وغَيْثٌ يَسُحُّ الماءَ حتى تَرَيَّعا

سَقَى اللهُ أَرضًا حلّها قبرُ مالكٍ ... ذِهَابَ الغَوادِي المُدْجِناتِ فَأَمْرَعَا

وآثَرَ سَيْلَ الوَادِيَيْن بديمَةٍ ... تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا منَ النَّبْتِ خِرْوَعَا

تَحِيَّتُهُ مِنّي وإنْ كان نائِيًا ... وأَضْحَى تُرابًا فَوْقَهُ الأرضُ بَلْقَعا

فما وَجْدُ أَظْآرٍ ثلاثٍ رَوَائِمٍ ... رَأَيْنَ مَجَرًّا مِنْ حُوارٍ ومَصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذَا البَثِّ الحزينَ بِبَثِّهِ ... إذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعَا

بأَوْجَعَ منِّي يومَ فارَقْتُ مالكًا ... ونادَى به الناعِي الرفيعُ فَأَسْمَعَا

وفي هذه القصيدة :

وكُنّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حتّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

وعِشْنَا بخَيْرٍ في الحياةِ وقَبْلَنا ... أصابَ المَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا

فلما تَفَرَّقْنا كَأَنِّي ومالكًا ... لطول اجْتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

فإنْ تَكُنِ الأيّامُ فَرَّقْنَ بيننا ... فقد بانَ محمودًا أخِي يومَ وَدَّعَا

تقول ابنةُ العَمْرِيِّ : مالَكَ بَعدَما ... أراكَ حَديثًا ناعمَ البالِ أَفْرَعَا

---

(١) في المثل . انظر أمثال الضبي ١٣٧ ، والفاخر ٦٤ ،وأمثال أبي عبيدة ١٥٥ ، وفصل المقال ٢٣٥ ، وجمهرة الأمثال ٦٥/١ ، ومجمع الأمثال ٢٣/١ ، والمستقصى ١٢٥/١ .

(٢) وروى " إذا عزّ أخوك فِهن " بكسر الهاء من هان يهين مثل لان يلين ، قال أبو إسحاق : معناه إذا اشتدَّ عليك فهن له وداره ، وخطأ ضمّ الهاء . انظر اللسان " عزز " .

(٣) المفضليات ق ٦٧ ص ٢٦٥ - ٢٧٠ ، وتخريجها ثمة .

(٤) المفضليات ، والتعازي والمراثي ١٣ ، ١٥ - ١٧ .

فقلتُ لها : طولُ الأَسَى إذْ سَأَلْتِنِي ... ولَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الوَجْهَ أَسْفَعَا

وفَقْدُ بَنِي أُمٍّ تفَانَوْا فلم أَكُنْ ... خِلافَهُمُ انْ أَسْتَكِينَ وأَضْرَعَا

ولستُ إِذَا ما الدَّهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً ... ورُزْءًا بِزَوَّارِ القَرَائِبِ أَخْضَعَا

ولا فَرِحٍ إنْ كُنْتُ يومًا بِغِبْطَةٍ ... ولا جَزِعٍ إن نابَ دَهْرٌ فَأَوْجَعَا

ولكِنَّنِي أَمْضِي على ذاكِ مُقْدِمًا ... إذا بعضُ مَنْ لاقَى الخُطوبَ تَكَعْكَعَا

فَعَمْرَكِ[1] الاَّ تُسْمِعِيني مَلامةً ... ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفُؤادِ فَيِيجَعَا

وقَصْرَكِ إنِّي قد شَهِدْتُ فلم أَجِدْ ... بِكَفِّيَّ عنه للمنيَّةِ مَدْفَعَا

فلو أنَّ ما أَلْقَى أصاب مُتالِعًا ... أَوِ الرُّكْنَ من سَلْمى إذًا لَتَضَعْضَعَا

وفي هذه القصيدة :

لقد كَفَّنَ المِنْهالُ تحتَ رِدائِهِ ... فَتًى غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّات أَرْوَعَا

ولا بَرَمٍ[2] تُهْدِي النساءُ لِعِرْسِهِ ... إذَا الفشْعُ من بَرْدِ الشِّتاءِ تَقَعْقَعَا

لَبِيبًا أعانَ اللُّبَّ منه سماحةٌ ... خَصِيبًا إذَا ما رائدُ الجَدْبِ أَوْضَعَا

تَرَاهُ كَنَصْلِ[3] السيف يَهْتَزُّ للنَّدَى ... إذَا لم تَجِدْ عنَ امْرِيءِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

إذَا ابْتَدَرَ القومُ القِدَاحَ وأُوقِدَتْ ... لهمْ نارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا

بِمَثْنَى الأَيادِي ثُمَّ لم تُلْفِ مالِكًا ... على الفَرْثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أن يُتَمَزَّعَا[4]

قوله " وقد طارَ السَّنا في رَبابِهِ " ، " السَّنَا " : الضوءُ ، وهو مقصور ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ ﴾[5]، و"السَّنَاء" من الحسب ممدودٌ ، و"الرَّبابُ":سحابٌ دُونَ السحابِ كالمتعلِّقِ بما فوقَه ، قال المازنيُّ[6]:

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصه : " عند ابن شاذان : قعيدك ألا تسمعيني ملامةً " . وقد سلف البيت فيما علقه أبو الحسن .

(٢) انظر شرح المفضليات ٥٢٨ .

(٣) انظر شرح المفضليات ٥٢٩ .

(٤) الأبيات من الطويل لمتمم بن نويرة فى الأغانى ١٥/٢٩٣،٢٩٨،٢٩٩.

(٥) سورة النور : ٤٣ .

(٦) هو زهير بن عروة بن حلهمة الملقب بالسَّكْب .

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السحابِ نَعامٌ يُعَلَّقُ بالأَرْجُلِ

وقوله "يَسُحُّ"معناه يَصُبُّ، فإذا قلتَ "يَسْحُو"أو"يَسْحَى" فمعناه يَقْشِرُ،ومن ذا سُميت" سِحَاءَةُ "القِرْطاسِ و"سِحايَتُهُ"،ومنه قيل للحديدة التي يُقشَر بها وجه الأرض"مِسْحَاةٌ" قال عنترة:

سَحًّا وسَاحِيةً [1]فكلُّ قَرارَةٍ يَجْرِي عليها الماءُ لم يَتَصَرَّم [2]

وقوله " تَرَيَّعَ " يقول كَثُر حتى جاءَ وذهبَ ، يقال رَاعَ يَرِيعُ : إذا رجعَ ، ومنه سُمِّيَ رَيْعُ الطعام ؛ لأنه يرجع بفَضْلٍ ، قال مُزَرِّدٌ:

خَلَطْتُ بِصَاعَيْ عَجْوةٍ صاعَ حِنْطَةٍ إلى صَاعِ سَمْنٍ فوقَه يَتَرَيَّعُ[3]

و " الذِّهابُ "[4] : الأمطار اللينة . و " المُدْجنَاتُ " من السحاب : السُّودُ ، وهو مأخوذ من الدَّجْنِ والدُّجْنَةِ ، ومعناه إِلْبَاس الغيم وظلمتُه ، قال طرفة :

وتَقْصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ببَهْكَنَةٍ تحتَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ[5]

وقوله " فأمرعا " يقال " أَمْرَعَ الوادِي " : إذا أخصبَ نبتًا ، من ذلك قول مولاة ابن الأَجْيَدِ عن أَوْفَى بن دَلْهَمٍ ، قال أبو العباس : حدثني به ابنُ المهدي أحمد بن محمد

---

(١) (سحا وساحية) رواية ديوانه سحا وتسكابا والساحية المطرة الشديدة الوقع تقشر وجه الأرض سيل ساحية يقشر كل شيء ويجرفه والهاء للمبالغة .

(٢) البيت لعنترة بن شداد فى المعلقات السبع (للزوزنى) صـ١١٢ ديوانه ق ٢٢/١ ص ١٩٧. وله رواية :

سحا وتسكابا فكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم

(٣) البيت من الطويل ، وهو لمزرد بن ضرار فى ملحق ديوانه ٨٠ ، ولسان العرب ١٣٨/٨(ربع) ، ٤١٥/١٢(عكم)،وتاج العروس ١٤١/٢١(ربع)،(دبل) ،(عكم) . وعيون الأخبار ٢٠٤/٣ ، ورغبة الآمل ٢٢٥/٨ .

وله رواية: خلطت بصاع الأقطر صاعين عجوةً إلى صاع سمن وسطه يتربعُ

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" قال أبو زيد : الذِّهاب اسم للمطر كله ، ضعيفه وشديده ، وقال الخليل : الذَّهْبَةَ المَطْرَةُ الجَوْدُ ، والجميع الذهاب ، والذِّهْبَةَ المرة الواحدة من الذِّهاب . وقال ابن الأعرابي : الذِّهاب الأمطار ".

(٥) البيت من الطويل ،وهو لطرفة بن العبد فى ديوانه ٣٣، ولسان العرب ٢٣٣/٤(خدر) ، ومقاييس اللغة ٣٠٤/١، ٤٠٩/٤ وجمهرة اللغة ٧٥٤، والمخصص ٢٠٠/١٣، وتهذيب اللغة ١٢٤/٨،٥٠٥/١٥ ،وتاج العروس ١٩١/١٣(غير) ، ٨٢/٢٤(طرف)

وله رواية :

وتقصير يوم الدجن والدجن مخدر ببهكنةٍ تحت الخباء الممددِ

النحوي ، قال حدثنيه الأصمعي عن أبيه ، عن مولاة ابن الأجيد عن أوفى بن دلهم، قال: النساء أربعٌ ، فمنهنَّ الصَّدَعُ ، تُفرِّقُ ولا تَجْمعُ ، ومنهنَّ مَعْمَعٌ لها[1] شَيْئُها أَجْمَعُ، ومنهنَّ غَيْثٌ وقعَ ببلدٍ فأَمْرَعَ ، ومنهن التَّبعُ ، تَرَى ولا تَسْمَعُ ، قال : فذكرت ذلك لرجل فقال: ومنهنَّ القرْثَعُ ، قلتُ : وماهي ؟ قال التي تَكْحُلُ عينًا وتَدَعُ الأخرى ، وتلبسُ ثوبها مقلوبًا . [قال الأخفش : حدثني بذلك أبو العَيْناءِ عن الأصمعي ، وذكر نحو ذلك] .

وقوله : وآثرَ سَيْلَ الوادِيَيْنِ بديمَةٍ

زعم الأصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة : المطر الدائم أيامًا برفقٍ .

وقوله " تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا " أي تُهيِّئُه لذلك ، يقال فلان يُرَشَّحُ للخلافة و"الوِسْميُّ": أوَّلُ مطرٍ يَسِمُ الأرض .

و " الوَلِيُّ " كُلُّ مَطْرَةٍ بعدَ مطرةٍ ، فالثانية وَلِيٌّ للأخرى ؛ لأنها تليها .

و" الخِرْوَعُ " : كلُّ عُودٍ ضعيفٍ .

وقوله : فَمَا وَجْدُ أظْآرٍ ثلاث روائم

"أظْآرٌ":جمعُ ظِئْرٍ،وهي النُّوقُ تَعْطِفُ على الحُوَارِ فَتَأْلَفُه ،و"رَوَائِمُ" واحدها رءُومٌ، ومعنى تَرْأَمُهُ تشمَّهُ ،والحُوَارُ وَلَدُ الناقةِ ، ويقال له حيثُ يَسْقطُ من أُمِّه " سَلِيلٌ " قبلَ أن تَقَعَ عليه الأسْماءُ، فإن كان ذكرًا فهو " سَقْبٌ " ، وإن كان أُنْثى فهيَ " حَائِلٌ " وهو في ذلك كله "حُوَارٌ " سَنَةً .

وقوله " نَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ "يعني جَذِيمَةَ الأَبْرَشَ الأزْدِيَّ ،وكان مَلِكًا ، وهو الذي قتلته الزَّبَّاءُ، وهو أول من أوقدَ بالشَّمَعِ [2] ونصب المجانيق للحرب ، وله قصصٌ تطولُ ، وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيار ، ونَدْمَاناهُ يقال لهما مالكٌ ، وعقيل ، ففي ذلك يقولُ أبو خراش الهُذلي [3]:

---

(١) قال محقق س : كذا في نسخة ، وفي الأصل : ومنهن معمع من لها . وفي سائر النسخ : ومنهن من لها . والصواب ماأثبت . انظر ذيل الأمالي والنوادر ١٢٦ ، وعيون الأخبار ٣/٤ ، والزاهر ٥٣٣/١ ، والنهاية ١٧/٣ و ٣٤٣/٤ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال الخليل : الشَّمَعُ مُومُ العَسَل ، والقطعة شَمَعَةَ . وقال ابن دريد : الشَّمَع الذي يُسمَّى المَومَ بالفارسية . وقال ابن قتيبة : يقال : شَمْع وشَمَع . وحكى عن الفراء ، قال : الشَّمَع بتحريك الميم . والمولدون يقولون : شَمْع " . أهـ .

وانظر أدب الكاتب ٥٢٧ ، والجمهرة ٦١/٣ .

(٣) ديوان الهذليين ١١٦/٢ .

أَلَمْ تَعْلَمي أنْ قد تفرَّقَ قبلنا خليلا صَفَاء : مالِكٌ وعَقِيلُ

والمثل يُضْرَبُ بهما لِطول ما نادماه ، كما يُضرب باجتماع الفرقَدَيْنِ ، قال عمرو بن معدي كرب:

وكلُّ أخٍ مُفارِقُه أخوه لَعَمْرُ أبيكَ إلاَّ الفَرْقَدان [1]

قال هذا من قبلِ أن يُسْلِمَ ، وقال إسماعيلُ بن القاسم [2]:

ولم أرَ ما يَدُومُ له اجتماعٌ سَيَفْتَرِقُ اجتماعُ الفَرْقَدَيْن

وقوله : أراك حديثًا ناعمَ البالِ أفْرَعَا

" الأَفْرَعُ " : التامُّ شَعْرِ الرأس ، وقيل لعمرَ بن الخطاب ﷺ : الفُرْعانُ خيرٌ : أمِ الصُّلْعانُ ؟ فقال : بل الفُرْعانُ ، وكان أبو بكرٍ أَفْرَعَ ، وكان عمرُ أَصْلَعَ ، فَوَقَعَ في نفسِه أنه يُسْأَلُ عنه وعن أبي بكر .

و " الأَسْفَعُ " : الأسودُ ، يقال " سَفَعَتْهُ النارُ " أي غَيَّرَتْ وجهَه إلى السَّوادِ .

وقوله " فَعَمْرَكِ " يُقْسِمُ عليها ، ويقال " عَمْرَكَ الله " أيْ أُذَكِّرُكَ الله [3]، قال :

عَمَّرْتُكِ الله إلاَّ ما ذَكَرْتِ لَنا هل كُنْتِ جارتَنا أيَّامَ ذي سَلَم [4]

---

(١) البيت من الوافر وهو لعمرو بن معد يكرب فى ديوانه ١٧٨، والكتاب ٣٣٤/٢، ولسان العرب ٤٣٢/١٥(ألا)،والممتع فى التصريف ٥١/١، ولحضرمى بن عامر فى تذكرة النحاة ص ٩٠ وحماسة البحترى ١٥١، والحماسة البصرية ٤١٨/٢، وشرح أبيات سيبويه ٤٦/٢ ، والمؤتلف والمختلف ٨٥، ولعمرو أو لحضرمى فى خزانة الأدب ٤٢١/٣، والدرر ١٧٠/٣ ، وشرح شواهد المغنى ٢١٦/١، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر ١٨٠/٨، وأمالى المرتضى ٨٨/٢،والإنصاف ٢٦٨/١ ، والجنى الدانى ٥١٩، وخزانة الأدب ٣٢١/٩،٣٢٢، ورصف المبانى ٩٢،وشرح الأشمونى ٢٣٤/١، وشرح المفصل ٨٩/٢، والعقد الفريد ١٠٧/٣،١٣٣ وفصل المقال ٢٥٧، ومغنى اللبيب ١/ ٧٢ ، والمقتضب ٤٠٩/٤ وهمع الهوامع ٢٢٩/١ .

(٢) هو أبو العتاهية . تكملة ديوانه ص ٦٥٩ .

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصُّه :" قال المهلبيُّ : عَمْرَكَ الله ، أي سألتُ الله تعميركَ ، وهو معنى قول العامة بالذى يُعمرك :وقال ابن الأعرابي : عَمْرُكَ الله بالرفع ، والنصبُ الوجهُ ، وعليه رواه أهل العربية . وقال آخرون : عَمْرَ الله "

(٤) البيت من البسيط ، وهو للأحوص فى ديوانه ١٩٩، وخزانة الأدب ١٣/٢،١٤، وشرح أبيات سيبويه ٢٧٥/١، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ٤٣٤/١،٢٥٠/٤، والكتاب ٣٢٣/١ ولسان العرب ٦٠٢/٤(عمر) ، والمقتضب ٣٢٩/٢ ، وهمع الهوامع ٤٥/٢.

وقوله " غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ " ، يقول : كان لا يأكلُ في آخر نهارِهِ انْتظَارًا للضيفِ . ويروى أن عمر بن الخطاب ﷺ سأله : أكذبتَ في شيءٍ مما قلته في أخيكَ ؟ فقال : نعم ، في قولي " غيرَ مِبْطَانِ " ، وكان ذَا بَطْنٍ ، ويقال في غير هذا الحديث : إنَّ مِنْ سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرشٌ ! وقال رجلٌ لفتًى : وا لله ما أنت بعظيم الرأس فتكونَ سيدًا ، ولا بأرْسَحَ فتكون فارسًا . وقال رجلٌ لرجلٍ : وا للهِ ما فُتِقْتَ فَتْقَ السَّادَةِ ، ولا مُطِلْتَ مَطل الفُرْسَانِ .

و" الأَرْوَعُ " : ذو الرَّوْعَةِ والهَيْئَةِ .

و"البَرَمُ" :الذي لا يَنْزِلُ مع الناسِ ولا يأخذُ في الْمَيْسِرِ ، ولا يَنْزِعُ إلاَّ نكدًا ، قال النابغة[1]:

هلاَّ سَأَلْتِ بني ذُبْيَانَ ما حَسَبِي　　　إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَمَا[2]

وقوله : " إذا القَشْعِ " وهو[3] الجلد اليابس ، ويقال لكُنَاسةِ الحمَّام " القِشْعُ " قال أبو هريرة : وكُذِّبْتُ حتى رُميتُ بالقِشْعِ .

وحدثني [4] العباسُ بن الفرج الرياشي عن محمد بن عبد ا لله الأنصاري القاضي في إسناد ذكره ، قال : صلَّى مُتَمِّمٌ مع أبي بكر الصديق الفجْرَ في عَقِب قتل أخيه ـ وكان أخوه خرج مع خالدٍ مَرْجعَهُ من اليَمَامَةِ ، يظْهرُ الإسلامَ ، فظَنَّ به خالدٌ غيرَ ذلك ، فأمر ضِرَارَ بنَ الأَزْوَرِ الأَسَدِيَّ فقتلَهُ ، وكان مالكٌ من أَرْدَافِ الملوكِ ، ومن مُتَقَدِّمِي فُرْسانِ بني يَرْبوعٍ ـ قال : فلمَّا صلَّى أبو بكرٍ قامَ مُتَمِّمٌ بحِذَائِه ، فاتَّكأَ على سِيَةِ قَوْسِهِ ، ثم قال:

نِعْمَ القَتيلُ إذا الرِّيَاحُ تَنَاوحَتْ　　　خَلْفَ البُيُوتِ قَتَلْتَ يا بْنَ الأَزْوَرِ

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ كنتَ وحاسِرًا　　　ولَنِعْمَ مأْوَى الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ

أَدَعَوْتَهُ بِا لله ثم غَدَرْتَهُ　　　لَو هُوْ دَعَاكَ بذِمَّةٍ لم يَغْدِرِ

---

(١) ديوانه ق ١٣/٨ ص ١٠٦ .

(٢) (تغشى) تلبس(والأشمط) الذى خالطه الشيب يريد أنه يستدفئ من شدة البرد وانتقده الأصمعى قال لو جعله شابا لكان أجود فى الشعر وذلك أن الشاب لا يجزع من البرد وأحرى أن لا يفعل ذلك إلا من برد شديد قال وإنما وصف النابغة ما رآه وذلك كناية عن القحط فى صبارة الشتاء .

(٣) قول أبي هريرة في النهاية ٦٥/٤ باختلاف عما هنا .

(٤) الخبر والأبيات في التعازي والمراثي ١٩ - ٢١ . انظر الفاضل ٦٣ .

وأومأ إلى أبي بكر ﷺ، فقال : والله ما دَعَوْتُه ولا غَدَرْتُه ، ثم أَتَمَّ شِعْرَه،فقال:

لا يُمْسِكُ الفحشاءَ تحتَ ثيابِه ... حُلْوٌ شمائِلُهُ عَفيفُ المِئْزَرِ[1]

ثم بكى وانْحَطَّ على سِيَةِ قوسِه ، وكان أعورَ دَمِيمًا ، فما زال يَبْكِي حتى دَمَعتْ عينُه العَوْرَاءُ ، فقام إليه عمر بن الخطاب ﷺ فقال : لَوَدِدْتُ أنَّك رَثَيْتَ زيدًا أخي بمثلِ ما رَثَيْتَ به مالكًا أخاكَ ، فقال له : يا أَبَا حَفْصٍ ، والله لو علمتُ أنَّ أخِي صارَ بحيثُ صارَ أخوكَ ما رَثَيْتُهُ ، فقال عمر : ما عَزَّاني أحدٌ عن أخي بمثلِ تَعْزِيَتِهِ . وكان زيدُ بنُ الخطاب قُتِلَ شهيدًا يومَ اليمامةِ ، وكان عمرُ يقول: إنِّي لأَهَشُّ للصَّبَا ؛ لأنها تأتِينا من ناحيةِ زيد . ويُروى عن عمرَ أنَّه قال : لو كنتُ أقولُ الشِّعْرَ كما تقولُ لَرَثَيْتُ أخِي كما رثيتَ أخاك . ويُروى أنَّ مُتَمِّمًا رَثَى زيْدًا فلم يُجِدْ ، فقال له عمر : لم تَرْثِ زيدًا كما رثيت مالكًا ! فقال : إنَّه والله يُحَرِّكُنِي لمالِكٍ ما لا يُحَرِّكُني لزيدٍ .

ومن طريفِ شعره في أخيه قولُه [2]:

لَعَمْرِي وما دَهْرِي [3] بتأبِينِ هَالكٍ ... ولا جَزَعٍ والموتُ يَذْهَبُ بالفتَى

لَئِنْ مَالكٌ خَلَّى عليَّ مكانَهُ ... لفي إُسْوةٍ إنْ كُنْتِ باغيةَ الإِسَا

كُهولٌ ومُرْدٌ من بني عَمِّ مالكٍ ... وأَيْفاعُ صِدْقٍ قد تَمَلَّيْتُهُمْ رِضَا [4]

سُقُوا بالعُقَارِ الصِّرْفِ [5] حتى تَتَابَعُوا ... كَدَأْبِ ثَمُودٍ إذْ رَغَا سَقْبُهم ضُحَى

وفي هذا الشعر :

إذَا القَوْمُ قَالوا : مَنْ فَتًى لِمُلِمَّةٍ ... فمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى ، ولكِنَّهُ الفتَى

---

(١) البيت من الكامل،وهو لمتمم بن نويرة فى ديوانه ٩٢ ، ولسان العرب ٩/٣٣٧ (نطف)، وتهذيب اللغة ١٤/٣٨٩ . وله رواية

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه ... حلوًا شمائله عفيف المئزر

(٢) انظر التعازي والمراثي ١٧ .

(٣) (وما دهرى إلخ) يريد ما همى وإرادتى كذا وما دهرى يقال ما دهرى بكذا يراد ماهمى وغايتي وماذاك بدهرى تريد عادتى (رغبة الآمل ٨/٢٣٢).

(٤) (وأيفاع) جمع يفع كسبب وأسباب وهو الشاب الذى شارف الاحتلام كاليافع واحد اليفعة " بالتحريك "ويقال أيضا غلام يفعة لا يثنى ولا يجمع وقد أيفع الغلام فهو يافع على القياس ونظيره أورق النبت فهو وارق وأورس فهو وارس وأبقل الموضع فهو باقل وأقرب الرحل فهو قارب إذا قربت إبله من الماء (تمليتهم) عشت معهم وتمتعت بهم ملاوة من الدهر والملاوة "مثلثة الميم " المدة .

(٥) (بالعقار) "بضم العين " الخمر سميت بذلك لمعاقرتها البدن وهى ملازمته أو لمعاقرة شاربيها أى ملازمتهم لها (والصرف) الخالص لم يمزج يريد به كأس المنون.

ومثلُ هذا قولُ النّهْشَلِيّ :

لو كـانَ في الالـفِ مِنّـا واحـدٌ فَدَعَـوْا ... مَـنْ فـارسٌ ؟ خـالَهُمْ إيّـاهُ يَعْنُونَـا !

وأوّلُ هذا المعنى لِطَرَفَةَ :

إذَا القومُ قالوا : مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أنّنِـي ... عُنِيـتُ فلـم أكْسَـلْ ولم أتَبَلّـدِ

وقال متممٌ أيضًا في كلمةٍ له يرثي بها مالكًا [١]:

جَميـلُ المُحَيَّـا ضـاحِكٌ عنـد ضَيْفِـهِ ... أَغَـرُّ جَميـعُ الـرَّأْيِ مُشْـتَرَكُ الرَّحْـلِ

وَقُـورٌ إذَا القـومُ الكِـرامُ تَقَـاوَلُوا ... فَحُلّتْ حُباهُم [٢]واسْتُطِيرُوا مِـنَ الجَهْلِ

وكُنْـتَ إلى نفسِـي أشَـدَّ حـلاوةً ... مِنَ المـاءِ بالمَـاذِيِّ مـن عَسَـلِ النَّحْـلِ

وكـلُّ فَتًـى في النـاس بعـدَ ابـنِ أُمِّـهِ ... كسـاقِطَةٍ إحْـدَى يَدَيْـهِ مـن الخَبْـلِ

وبَعْـضُ الرجالِ نَخْلَـةٌ لا جَنَـى لهـا ... ولا ظِـلَّ إلاّ أنْ تُعَـدَّ مـن النَّخْـلِ

وقال له عمرُ بن الخطاب ﷺ : إنّك لَجزْلٌ فأينَ كان أخُوك منك ؟ فقال : كان والله أخي في الليلـةِ ذاتِ الأزِيـزِ والصُّـرّادِ [٣]، يركـبُ الجمـلَ الثّفـالَ ، ويَجنُـبُ الفَـرَسَ الجَرُورَ ، وفي يَدِهِ الرُّمْح الثّقيلُ ، وعليه الشَّمْلةُ الفَلُوتُ ، وهو بَيْنَ المَزادَتَيْنِ حتى يُصْبحَ ، فَيُصْبحُ مُبْتَسِمًا [٤]!

" الجملُ الثّفَالُ " : البَطِيءُ الذي لا يكاد يَنْبَعِثُ .

و " الفرسُ الجَرُورُ " : الذي لا يكادُ يَنْقادُ مع مَنْ يَجنبُه ، إنما يُجَرُّ بالحَبْلِ .

و " الشَّمْلَةُ الفَلُوتَ " : التي لنا تكادُ تَثْبُتُ على لابِسَها . وذُكِرَ لا أنَّ مالكًا كان من أرْدَافِ الملوك ، وفي تَصْدَاقِ ذلك يقول جريرٌ يَفْخَرُ ببني يربوعٍ :

---

(١)البيتان الرابع وا لخامس في التعازي والمراثي ١٧- ١٨ .

(٢) (حباهم) جمع حبوة كسدرة وسدر أو غرفة وغرف ويروى بيت الفرزدق

وما حُلّ من جهل حبى حلماتنا ... ولا قائل المعروف فينا يعنف

بالوجهين وقد سلف أن الحبوة الثوب الذى يجتبى بـه الرحـل يجمع به ظهره وساقيه (بالمـاذى) هـو العسل الأبيض رغبة الآمل ٢٣٣/٨ .

(٣) الأزيز : البرد وخصه بعضهم ببرد الغداة ، والصُرّاد : سحاب بارد نديّ ليس فيه ماء . عن رغبة الأمل ٢٣٤/٨.

(٤) قال محقق س في نسخة : " فيُصبّح أهلَه متبسماً " ؟ وأظنه من تصرف الرواة أو النساخ .

مِنْهُمْ عُتَيْبَةُ والمُحِلُّ وقَعْنَبٌ   والحَنْتَفانِ ومِنْهُمُ الرِّدْفانِ[1]

فأحَدُ الرِّدْفِينِ مالكُ بن نُوَيْرَةَ اليربوعي ، والرِّدْفُ الآخر من بني رياحِ بن يربوع [2]. وللرِّدَافَةِ موضعان : أحدهما أن يُرْدِفَهُ الملكُ على دابَّته في صَيْدٍ أو تَرَيُّفٍ أو ما أشبه ذلك من مواضعِ الأُنْسِ ، والوجه الآخرُ أنْبَلُ،وهو أن يَخْلُفَ المَلِكَ إذا قامَ عن مجلسِ الحُكْمِ فَيَنْظُرَ بَيْنَ الناسِ بَعْدَهُ .

* * *

---

(١) البيت من الكامل ، وهو لجرير في ديوانه ١٠١٢ ، ولسان العرب ٩/١١٧ (ردف) ،وتاج العروس ٢٣/١٦٧ (حنتف) ٢٣/ ٣٢٩ (ردف)

وله رواية :-

منا عتيبة والمحل ومعبد   والحنتفان ومنهم الردفان

(٢) قال الشيخ المرصفي : " هو كما ذكر ياقوت في مقتضبه عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قال : وهو ردف النعمان والمنذر أبيه " رغبة الآمل ٨/٢٣٥ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٢٧.

وقيل الردفان قيس وعوف ابنا عتاب وقيل عتاب وابناه وقيل عتاب وعوف ، انظر النقائض ٦٦ ، ٨٠٩ ، ٨٩٨ ، وانظر التنبيهات ١٧٢ وتعليق الشيخ الميمني عليه .

باب

قال أبو العباس : لَمّا احْتُضِرَ إبراهيمُ النَّخَعِيُّ رحمه الله جَزِعَ جَزَعًا شديدًا ، فقيلَ له في ذلك ، فقال :وأيُّ خَطَرٍ أعظمُ[1] ؟ إنّمَا أَتَوَقَّعُ رسولاً يَرِدُ عليَّ من ربِّي ، إما بالجنةِ وإما بالنارِ .

ولما احتُضِرَ ابنُ سيرينَ جعلَ يقولُ : نفسِي وا الله أَعَزُّ الأَنْفُسِ عليَّ .

ولما احتُضِرَ حُجْرُ بنُ عدِيٍّ لِيُقْتَلَ سأَلَ أن يُمْهَلَ حتى يصلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ، وظهرَ منه جَزَعٌ شديدٌ ، فقال له قائلٌ : أَتجْزِعُ ؟! فقال : وكيف لا أَجْزَعُ ؟ سيفٌ مشهورٌ ، وكفنٌ منشورٌ ، وقبرٌ محفورٌ ، ولستُ أدرِي أيؤدِّيني إلى جنةٍ ، أم إلى نارٍ . [قال أبو الحسن : ما يقومُ بقتلِ حُجْرِ بن عدِيّ شيءٌ ، وإني لأَعْجَبُ من قوله هذا : " ولستُ أدري أيُدْنِينِي إلى جنةٍ أو إلى نار " وهو شهيدُ الشهداءِ ! رحمه الله] وقد ذكرنا موتَ عَمْرِو بنِ العاصِي وكلامَه عند الموت .

* * *

وممن ظهرت منه عند الموت قَسْوةُ : حَلْحَلَةُ الفَزَارِيُّ ، وسعيد بن أبان بن عُيَيْنَةَ بن حصن الفزاري ؛ فإن عبد الملك لما أحضرهما لِيُقِيدَ منهما قال لحلحلة : صَبْرًا حَلْحَلِ ! فقال إي وا الله.

أَصْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ[2] عَرَكْرَكِ   أَلْقَى بَوَانِي زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ

ثم قال لابن الأسود[3] الكلبي : أَجِدِ الضَّرْبَةَ ، فإني وا الله ضَرَبْتُ أباكَ ضربةً أَسْلَحَتْهُ فعددتُ النُّجوم في سَلْحَتِه ! ثم قال عبدُ الملك لسعيد بن أبانَ : صبرًا سعيدُ ! فقال :

---

(١) والخبر في التعازي والمراثي ١٣٢ وفيه : " أعظم مما أنا فيه " .

(٢) (أصبر من ذى ضاغط) يريد من بعير ذى ضاغط والضاغط أن يتحرك مرفق البعير حتى يقع فى جنبه فيخرقه وعن أبى عبيد هو انفتاق من الإبط و(عركرك) به أثر من العَرك وهو أن يعرك البعير جنبه بمرفقه فيؤثر فيه و(بوانى زوره) أضلاعه الواحدة بانية وزوره صدره .

ويواني زوره : أضلاعه الواحدة بانية ، وزوره صدره " . رغبة الآمل ٢٣٧/٨ .

وقال محقق س : وقوله : " أصبر من ذي ضاغط " ذهب مثلاً ، انظر أمثال أبي عبيد ٣٦٩ ، وفصل المقال ٤٩٨-٤٩٩ ، والدرة الفاخرة ٢٦٩/١ ، وجمهرة الأمثال ٥٨٧/١ ، ومجمع الأمثال ٤٠٩/١ ، والمستقصى ٢٠٢/١ .

(٣) قال المرصفي : " صوابه لابن سويد ، قال بعض بني عبد ودّ " .

أَصْبَرُ مِن عَوْدٍ [1] بجنبَيْهِ الجُلَبْ قد أثَّرَ البطَانُ فيه والحَقَبْ [2]

ومنهم وكيعُ بنُ أبي سُودٍ [3]، أحدُ بني غُدانةَ بن يربوع ، فإنه لما يَئِسَ منه خرج الطبيبُ من عنده ، فقال له محمدٌ ابنُه : ما تقولُ ؟ قال : لا يُصَلِّى الظُّهْرَ ، وكان محمدٌ ناسكًا ، فدخل على أبيه ، فقال له وكيع : ما قال لك المَعْلُوجُ [4] ؟ قال : وعد أنك تَبْرَأُ ، قال أسألك بحقّي عليك ؟ قال : ذكر أنك لا تصلي الظهر ، قال : ويْلِي على ابن الخَبيثَة ! وا لله لو كانت في شِدْقِي لَلُكْتُها إلى العصرِ !!

ويُروى أن إبراهيم النخعي قال في الحديث الذي ذكرناه : وا لله لوَدِدْتُ أنها تَلَجْلَجُ في حَلْقِي إلى يوم القيامة ! وفي وكيع بن أبي سُودٍ يقولُ الفرزدقُ [5]:

لقد رُزِئَتْ بأسًا وحَزْمًا وسُودَدًا تَميمُ بنُ مُرٍّ يومَ ماتَ وَكِيعُ

وما كان وقَّافًا وَكِيعٌ إذا دَنَتْ سَحَائِبُ مَوْتٍ وَبْلُهُنَّ نَجيعُ

إذَا الْتَقَتِ الأبطالُ أَبْصَرْتَ لَوْنَهُ مُضِيئًا وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ

فصبرًا تَمِيمٌ إنَّما الموتُ مَنْهَلٌ يَصِيرُ إليه صابرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضًا [6]:

لِتَبْكِ وَكِيعًا خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرةٌ تَسَاقَى المَنَايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

نحن قتلنا سيديهم بشيخنا سويد فما كانا وفاء به دما "

رغبة الآمل ٢٣٧/٨ ، وانظر الأغاني ٢٠٤/١٩ ـ ٢٠٦ ، وفصل المقال .

(١) (عود) "بفتح فسكون" هو الجمل المسن وفيه بقيته والجمع عودة كعنبة و(الجلب) جمع جلبة كغرفة وغرف وهى القرحة تعلوها قشرة البُرء وقد سلف أن البطان حزام الرحل الذى يلى البطن (والحقب)"بالتحريك" الحزام الذى يلى حقو البعير .

(٢) الرجز لحلحلة بن قيس بن أشيم الفزارى فى المستقصى ٢٠٣/١ والدرة الفاخرة ٢٧٠/١، ومجمع الأمثال ٤٠٩/١ ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٦٦٧ .

(٣) قال الشيخ المرصفي : " هو كما ذكره ابن حزم في كتابه جمهرة النسب [ص : ٢٢٦] وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سُود بن كلب بن غدانة بن يربوع قاتل قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان " رغبة الآمل ٢٣٧/٨ .

(٤) قال محقق س يريد العِلْجَ . ولا أعرف أحداً ذكر المعلوج . ولعله لما رآهم يقولون "المعلوجاء" لجماعة العلوج ظن أن الواحد " معلوج " وليس كذلك ، قال سيبويه : " واعلم أن العرب يقولون : قوم مَعْلوجاءُ وقوم مشيخة ومشيوخاء ، يجعلونه صفة بمنزلة شيوخ وعلوج" .الكتاب ٢٣٤/١ . وانظر اللسان (علج) .

(٥) ديوانه ٤٠٩/١.

(٦) ديوانه ٢٠٢/١ .

لَقُوا مِثْلَهُم فاسْتَهْزَمُوهم بدَعْوَةٍ دَعَوْها وكيعًا والجِيادُ بهم تجْرِي

* * *

ومن الجُفاةِ عند الموتِ هُدْبَةُ بنُ خَشْرَمٍ العُذْرِيُّ ، وكان قتل زِيَادَةَ بن زيدٍ العُذْرِيَّ ، فلما حُمِلَ إلى معاوية تقدَّم معه عبدُ الرحمن أخُو زيادةَ ، فادَّعى عليه ، فقال له معاويةُ:ما تقولُ ؟ قال: أتحبُّ أن يكونَ الجوابُ شعرًا أم نثرًا ؟ قال : بل شعرًا فإنَّه أَمْتَعُ، فقال هُدْبَةُ (١):

فلمَّا رأيتُ أنَّما هِيَ ضَرْبَةٌ مِنَ السيفِ أو إغْضاءُ عَيْنٍ على وِتْرِ

عَمَدْتُ لأمْرٍ لا يُعَيِّرُ والدِي خَزَايَتُهُ ولا يُسَبُّ به قبرِي(٢)

رُمِينَا فَرَامَيْنَا فصادَفَ سَهْمُنا مَنِّيةَ نَفْسٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ

وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنَا وراءَكَ من مَعْدَى ولا عنك مِنْ قَصْرِ

فإن تَكُ في أَمْوالِنا لا نَضِقْ بها ذِراعًا ، وإن صَبْرٌ فَنَصْبِرُ للصَّبْرِ(٣)

فقال له معاويةُ : أَرَاكَ قد أقررتَ يا هدبةُ ! قال : هو ذاكِ ، فقال عبدُ الرحمن: أَقِدْنِي، فَكَرِهَ ذاكَ معاويةُ وضَنَّ بهُدْبَةَ عن القَتْلِ ، وكان ابنُ زيادةَ صغيرًا ، فقال له معاوية: وما عليكَ أنْ تَشْفِيَ صَدْرَكَ وتَحْرِمَ غيرَك ! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال : يُحْبَسُ إلى أن يَبْلُغ ابنُ زيادةَ ! فبلغ وكان والي المدينة سعيدَ بنَ العاصِي ، فممَّا وُقِفَ عليه من قَسْوتِهِ قولُه (٤):

---

(١) شعره ق ٢١/٩- ١٣ ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصه :" قال ثعلب. عَمَدْتُ الشيء أعْمِدُ : إذا قَصَدْتَ إليه . الخَزايةُ : الاستحياءُ، وقال الخليلُ : الخَزاية : شدّةُ الاستحياء .

يقول : لا يأنف منه و لايخزى . وقال ابن دريد : خزي الرجلُ يخزى خزَايةُ : إذا استحيا ، فهو خزيان " اهـ . وانظر الجمهرة ٢١٩/٢ .

(٣) هذا البيت من شواهد الكتاب ١٣١/١ وأنشده عن يونس بالرفع ثم قال عقبة :" والنصب فيه جيد بالغ ".

(٤)شعره ق ١/٢٢ ـ ٢ ص ٩٩ .

ولَمّا دخلتُ السِّجنَ يا أمَّ مالكٍ ذكرتُكِ والأطرافُ في حَلَقٍ سُمْر

وعندَ سعيدٍ غيرَ أنْ لم أبُحْ بِه ذكرتُكِ إنَّ الأمرَ يَعْرِضُ لِلأَمْر

فسُئِلَ عن هذا القول ، فقال:لَمّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ ـ وكان سعيد حسنَ الثغرِ جدًّا ـ ذَكَرْتُ به ثَغْرَها ! ويقال إنه عُرِضَ على ابن زيادةَ عَشْرُ دِياتٍ فأبَى إلاَّ القَوَدَ ، وكان مِمَّن عرض الديات عليه ممن ذُكر لنا : الحسينُ بنُ عليّ بن أبي طالبٍ ، وعبدُ الله بنُ جعفرٍ ، عليهما السلام ، وسعيدُ بنُ العاصي، ومروانُ بن الحكم ، وسائرُ القوم من قريش والأنصار ، فلما خُرِجَ به لِيُقادَ بالحَرَّةِ جعَلَ يُنْشِدُ الأشعارَ ، فقالتْ له حُبَّى المَدَنِيَّةُ : ما رأيتُ أقْسَى قلبًا منك ، أتُنْشِدُ الأشْعارَ وأنتَ يُمْضى بك لتُقْتَلَ ، وهذه خَلْفَكَ كأنها ظَبْيٌ عَطْشانُ تُوَلْوِلُ ؟! تَعْنِي امرأتَه ، فوقَفَ ووقفَ الناسُ معه ، فأقبلَ على حُبَّى فقال:

ما وَجَدَتْ وَجْدِي بها أمٌّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابن أمِّ كِلاَبِ

رأتْهُ طويلَ السَّاعِدَيْن شَمَرْدَلاً[1] كما انْعَتَتْ من قُوَّةٍ وشَبَابِ[2]

فأغلقتْ حُبَّى البابَ في وجهه وسَبَّتْهُ ، وعرَضَ له عبدُ الرحمن بن حَسَّانَ ، فقال له : أَنْشِدْني ، فقال له : أعَلَى هذه الحال ؟ ! قال : نعم ، فأنشدَه [3]:

ولَسْتُ بمِفْرَاحٍ إذَا الدهرُ سَرَّنِي ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ

ولا أَتَبَغَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكِي ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَبِ

وحَرَّبَنِي مولايَ حتَّى غَشِيتُهُ متى ما يُحَرِّبْكِ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ

فلما قُدِّمَ نَظَرَ إلى امرأتِه ، فدخلتْه غَيْرةٌ ، وقد كان جُدِعَ في حَرْبِهِمْ ، فقال [4]:

---

(١) (شمردلا) هو الفتى . القوى الجلد ويروى عنطنطا وهو الطويل العنق الحسن القوام ومصدره العنط" بالتحريك" فزادوه حرفين (كما انتعت) وصفت ومصدره الانتعات وهو الوصف كالنعت.

(٢) البيت من الطويل ، وهو لهدبة بن خشرم فى ديوانه ٧٣ ، ولسان العرب ٢٩٦/١(حبب) ، والدرة الفاخرة ٢٥٧/١، والمستقصى ١٨٦/١، والميدانى ٣٨٧/١، وتاج العروس ٢٣٣/٢(حبب) وهو لابن هرمة فى جمهرة الأمثال ٥٦٣/١، وليس فى ديوانه.

(٣) شعره ق ٣/٤-٥ص٦٩-٧٠ .

(٤) البيت الثاني في شعره ق ٦/٢٩ ص ١٠٥ ، والأول فيه ق ١/٣٢ ص ١١٠ .

فإنْ يَكُ أنفِي بانَ منه جَمَالُهُ فما حَسَبِي في الصالحينَ بأَجْدَعَا
فلا تَنْكِحِي إنْ فَرّقَ الدهرُ بيننا أَغَمَّ القَفَا والوَجْهِ ليس بأَنْزَعَا

فقالت : قِفُوا عنه ساعةً : ثم مَضَتْ ورَجَعَتْ وقد اصْطَلَمَتْ أنفَها ! فقالت: أهذَا فِعْلُ مَنْ له في الرجالِ حاجةٌ ! فقال:الآنَ طابَ الموتُ ، ثم أقبل على أبَوَيْهِ فقال[1]:

أَبْلِيَانِي اليومَ صَبْرًا منكما إنَّ حُزْنًا منكما اليومَ لَشَرْ
ما أظنُّ الموتَ إلاَّ هَيِّنًا إنَّ بعدَ الموتِ دارَ المُسْتَقَرْ

ثم قال [2]:

أَذَا العَرْشِ إنِّي عائِذٌ بكَ مُؤمِنٌ مُقِرٌّ بزَلاَّتِى إليكَ فَقِيرُ
وإنِّي وإنْ قالوا أَمِيرٌ مُسَلَّطٌ وحُجَّابُ أبوابٍ لَهُنَّ صَرِيرُ
لأَعْلَمُ أنَّ الأمرَ أمْرُكَ إن تَدِنْ فَرَبٌّ وإنْ تَغْفِرْ فأنتَ غَفُورُ

ثم أقبل على ابن زيادة فقال : أَثْبِتْ قَدَمَيْكَ،وأَجِدِ الضَّرْبَةَ ، فإنِّى أَيْتَمتُكَ صغيرًا، وأَرْمَلْتُ أمَّكَ شابَّةً !! ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبار أنه قال : ما أَجْزَعُ من الموتِ ، وآية ذلك أنِّي أَضْرِبُ برجلي اليُسْرَى بعدَ القتل ثلاثًا ، وهو باطلٌ موضوعٌ ، ولكنْ سَأَل فَكَّ قيودِه، فَفُكَّتْ ، فذلك حيث يقولُ [3]:

فإن تَقْتُلونِي في الحَدِيدِ فإنني قتلتُ أخاكم مطلقًا لم يقيدِ

وقال أبو العباس : ووقَفَ جَبَّارُ [4] بنُ سَلْمَى على قبر عامرِ بنِ الطُّفَيْل ، ولم يكن حَضَرَهُ ، فقال : أَنْعِمْ صباحاً أبَا عليّ! فوا لله لقد كنتَ سريعاً إلى المولَى بوعْدِكَ، بَطِيئاً عنه بإبعادكَ ، ولقد كنتَ أهْدَى من النَّجْمِ، وأجْرَى [5] من السَّيْلِ . ثم التفت إليهم فقال : كان ينبغي أن تَجْعَلُوا قبر أبي عليٍّ ميلاً في ميلٍ .

---

(١) شعره ق ٢٣/١ - ٢ ص ١٠٠ .
(٢) شعره ق ١٥/١ ، ٣ ، ٤ ص ٨٥ .
(٣) شعره ق ١٤ وحده ص ٨٤ .
(٤) قال محقق س : جبار : بفتح الجيم والباء المشددة المعجمة بواحدة بعدها ألف فراء مهملة ، انظر الإكمال ٣٧/٢ . وهو جبّار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو ابن عم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر إلخ .
ووقع مصحفاً في جميع نسخ الكتاب : ففي الأصل وبعض النسخ: " حبّان " وفي بعض النسخ: "حيّان" وفي نسخة :"حبّار" .
(٥) في الأصل وبعض النسخ " وأجرأ " . وكلاهما يقال ، انظر الدرة الفاخرة ١١٦/١ .

وذَكَرَ الجِرْمازِيُّ أنَّ الأحْنَفَ بنَ قَيْسٍ لما مات ، وكان موتُه بالكوفة مَشَى مُصْعَبُ بنُ الزُّبير في جنازته بغير رداءٍ وقال : اليوم ماتَ سيدُ العربِ ، فلمَّا دُفِنَ قامتِ امرأةٌ على قبره ، أَحْسِبُها من بني مِنقَرٍ ، فقالت : لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ في جَنَنٍ[1]، ومُدْرَجٍ في كَفَنٍ ، فنسألُ الذي فَجَعَنا بموتكَ ، وابتلاَنا بفَقْدكَ ، أنْ يَجْعلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ ، ودَليلَ الخيرِ دليلَكَ ، وأن يُوَسِّعَ لك في قبركَ ، ويغفرَ لك يومَ حَشْرِكَ، فوا لله لقد كنتَ في المحافِلِ شريفاً ، وعلى الأراملِ عطُوفاً ، ولقد كنتَ في الحيِّ مُسَوَّداً ، وإلى الخليفةِ مُوَفَّدًا ، ولقد كانوا لقولكَ مستمعينَ ، ولرأيك مُتَّبعينَ ، قال: فقال الناسُ : ما سَمِعْنا كلامَ امرأةٍ أبْلغَ ولا أصْدَقَ .

* * *

ووقفَ رجلٌ على قبر النَّجاشيِّ [قال أبو الحسن : هو النَّجاشِيُّ الشّاعرُ] فتَرَحَّمَ وقال لولا أنَّ القولَ لا يُحيطُ بما فيكَ والوصْفَ يَقْصُرُ دونكَ ، لأَطْنَبْتُ ، بل لأَسْهَبْتُ، ثم عَقَرَ ناقتَه على قبره ، وقال :

عقرتُ على قبرِ النَّجاشيِّ ناقتي ... بأَبْيَضَ عَضْبٍ أخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ
على قَبْرِ مَنْ لو أنَّني مُتُّ قَبْلَهُ ... لهانَتْ عليه عندَ قبري رَوَاحِلُهْ

* * *

ورَوى ابنُ دَأْبٍ أنَّ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ اجتازَ بقبرِ رَبيعَةَ بنِ مُكَدَّمٍ فأنشدَ [2]:

لا يَبْعَدَنَّ رَبيعةُ بنُ مُكدَّمٍ ... وسَقَى الغَوادي قَبْرَهُ بذَنُوبِ
نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجارة حَرَّةٍ ... نُصبَتْ على طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصّه:"ابن شاذان : يقال : جَنَّ الشيءَ وأجنَّه :إذا ستره،وبه سُمّي الجنين ؛ لأنَّ البطن جَنَّهُ،وبه سُمِّي القبرُ الجَنَنَ،وبه سمي القلب الجَنَانَ وبه سُمّي جنُّ الأرض ".

(٢) ديوانه ق ٢٥٣ /٣ ، ١ ، ٢ ، ٤ ص ٣٦٤ وليس فيه البيت الخامس . وسيأتي الأول.
قال محقق س : وهذه الأبيات متنازعة ، فتروى لحسان ، وتروى لحفص بن الأخْيَف الفهري الكناني ولابنه مكْرز ، وتروى لضرار بن الخطاب الفهري ، وعن ابن سلام الصحيح أنها لعمرو بن شقيق الفهري ؛ انظر الأغاني ٥٥/١٦ ، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٩٠٥ ، والحماسة البصرية ٢٣١/١ ، والدرة الفاخرة ١٦٧/١ -١٦٨ ، وجمهرة الأمثال ٤٠٩/١ ـ ٤١٠ ، ومجمع الأمثال ٢٢١/١ ، ومعجم الشعراء ٣٦ ، ٤٣٨ .

لا تَنفِري يا ناقُ منه فإنّه   شرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لحُروبِ [1]

لولا السِّفَارُ وطولُ قَفْرٍ مَهْمَهٍ[2]   لتركتُها تحْبُو على العُرْقُوبِ

نِعْمَ الفَتَى أدَّى نُبَيْشةُ بزَّهُ   يومَ الكَدِيدِ نُبَيْشةُ بنُ حبيبِ

و"رَبيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ" رجلٌ من بني كِنَانَة ، وكان قَتَلَه أُهْبَانُ بن غَاديةَ الخُزَاعيُّ، وقَيْسُ تقول : قَتَله نُبَيْشَةُ بنُ حَبيبٍ السُّلميُّ ، وكان أُهبانُ أخا نُبَيْشَةَ لأُمّه ، وكان أتاه زائرًا ،وأغارَ [3] ربيعةُ بنُ مُكَدَّم على بني سُلَيم ، فخرج أُهبانُ مع أخيه ، فَحَمَلَ عليه فقتَله ، وحملَ أخو رَبيعة على أُهبانَ ففاتَه ، فَلأنَّهُ في بني سُلَيْمٍ قال حسان :

نَفَرَتْ قَلُوصِي من حجَارة حَرَّةٍ

لأنَّ الحرةَ هناكَ لبني سُلَيْمٍ ، وفي تَصْداقِ ما تدَّعيهِ يقولُ أُهبانُ [4] :

ولقد طَعَنْتُ رَبيعةَ بنَ مُكَدَّمٍ   يومَ الكَديدِ فَخرَّ غيرَ مُوَسَّدِ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" ابنُ شاذان : يقال : رجل مِسْعَرُ حَرْب من قوم مَسَاعيرَ : إذا كان يَسْعَرُها ويَشُبُّها " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصّه : " ابنُ شاذان : المَهْمَهُ : القَفْرُ من الأرض ، والجمع مَهامِهُ".

(٣) قال الشيخ المرصفي : " الذي رواه الأصبهاني في أغانيه [٥٦/١٦ - ٥٨] عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أنَّ نبيشة بن حبيب خرج في ركب من قومه غازياً يريد بني فراس رهط ربيعة، وكان نفر منهم قتلوا رجلين من بني سليم ،فلقي ظعنًا بالكديد معهم ربيعة وأخوه الحرث، فقال الحرث : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم فذهب ربيعة إليهم ليعلم خبرهم ، فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له ثم عطف عليه فقتله ، وتبعه نبيشة فطعنه فلحق بالظعن وهو يستدمي، فشدت أمه عليه عصابة ثم كرّ راجعاً يشتد على القوم وينزفه الدم ، وكان قد قال للظعن: أوضعن ركابكن حتى تنتهين إلى أدنى البيوت من الحي فإني سأعتمد على رمحي فلا يقدمون عليكن لمكاني ، ففعل حتى بلغن مأمنهن ، فقال نبيشة : إنه لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات، - - فأمر رجلاً من خزاعة أن يرمي فرسه فرماها فقمصت فخر ميتاً . قال أبو عمرو : ولا نعلم قتيلاً أو ميتاً حمى الأظعان غيره ، وإنه يومئذٍ لغلام له ذؤابة ،فانصرف القوم عنه وقد ألقوا عليه الأحجار. قال أبو عبيدة :وقتل يؤمئذٍ الحرث بن مكدم.

والكديد:ذكر ياقوت في معجمه أنه موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة "رغبة الآمل ٢٤٥/٨" .

(٤) البيتان الأول والثاني في الأغاني ٧٧/١٦ ، والأول والثاني في جمهرة الأمثال ٤١٠/١ .

في عــارض شَــرق بَنَــاتُ فُــؤادِهِ ... منــه بـأحْمَرَ كـالنَّقيع المجْسَـدِ [1]

ولقــد وَهَبْــتُ ســلاحَهُ وجَــوادَهُ ... لأخِي نُبَيْشَــةَ قبـلَ لَـوْم الحُسَّـدِ

وقال أخُو ربيعةَ يجيبهُ :

فــات ابـن غادِيــةَ المَنِيَّــةَ بعــدَ مـا ... رَفَّعْـتُ أسـفل ذَيْلـهِ بـالمِطْرَدِ [2]

قُــلْ لابْــن غَادِيَــةَ المُتَــاح لقَتْلِنَــا ... مـا كـان يَقْتُلُنـا الوَحِيـدُ المُفْـرَدُ

يريدُ أنَّ أهْبَانَ مُفْرَدُ من قومه في أخوالهِ ، وقال أيضاً :

فـإنْ تَذْهَـبْ سُـلَيْمُ بوتْـر قَوْمِـي ... فَأسْــلَمُ مِــنْ مَنَازلنــا قَريــبُ

وقالت لَيْلَي الأخْيَلِيَّةُ:

آلَيْــتُ أبكــى بعــدَ تَوْبــةَ هالكــاً ... وأحْفِلُ مَنْ دارَتْ عليه الدَّوَائــرُ

لَعَمْرُكَ مـا بـالموت عـارٌ عَلَـى الفَتَـى ... إذا لم تُصِبْــهُ في الحيــاةِ المعَــايرُ

فـلا يُبْعدَنْـكَ اللهُ يـا تَـوْبَ إنَّمــا ... لقـاءُ المَنَايَا دَارعـاً مثـلُ حَاسـر [3]

ويرُوى :

فـلا يُبْعِدَنْـكَ اللهُ يـا تَـوْبَ هالكـاً ... أخَا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَّوائـرُ [4]

---

(١) الرواية في الأغاني :

في نــاقع شــرقت بمــا في جوفــه ... منــه بــأحمر كــالعقيق المجســد

وقال الشيخ المرصفي : " في عارض: هذا تحريف من الناسخ ، صوابه : في عاندٍ ، يريد : طعنته في عرق : عاند ، وهو الذي لا يرقأ دمه " رغبة الآمل ٢٤٦/٨" .

قال محقق س قلت:قوله:"في عارض"كذا هو في النسخ جميعاً،ورواية الأغاني "في ناقع"، و لم يذكر الشيخ المرصفي لما ذهب إليه مصدراً وإن كان صحيحاً ، ورواية " في عارض " ليست بتلك.

(٢) (المطرد) : كمنبر رمح قصير يطارد به الفارس وكنى بقوله بعد ما رفعت إلخ أنه كاد يطعنه فى استه وقد أقوى فى قوله .

(٣) الأبيات من الطويل لليلى الأخيلية فى الأغانى ١١/ ٢٣٥، ٢٣٦ .

(٤) قال محقق س : كذا وقع ، وهو وهمٌ . فقولها فلا يبعدنك حاسر من كلمتها نظرتُ وركن من بوانة دوننا ناظر السلف بعضها ١٤٠٧، وانظر الأغاني ٢٢٦/١١ ، ورغية الآمل ٢٢٠/٥ ، وإنما وقع الأختلاف في رواية صدر البيت فقد رواه صاحب الأغاني ٢٣٤/١١ :

فــلا يعدنــك الله حيًّــا وميتــاً ... أخــا الحــرب إن دارت عليــك الدوائــرُ

ثم قال : ويروى :

فـلا يبعدنــك الله يــا تــوب هالكــاً ... .

فكُــلُّ جَديــدٍ أو شَــبابٍ إلى بِلَــى   وكـلُّ امْــرىءٍ يومــاً إلى ا لله صــائرُ [1]

* * *

وذَكَرَ المدائنيُّ أنَّ رجلا عَزَّى رجلاً أَفْرَطَ عليه الجَزَعُ على ابنه فقال : يا هذا سُـرِرْتَ به وهو حُزْنٌ وفِتْنَةٌ ، وجزعْتَ عليه وهو صَلاَةٌ ورحمةٌ ، فَسُرِّي عنه " .

ويُرْوَى أنَّ رسولَ ا للهِ ﷺ قال : " تَعَزَّوْا عن مصائبكم بي " [2] .

وقال رجلٌ لابن عمرَ : أَعْظَمَ ا للهُ أجْرَكَ ، فقال : نَسْأَلُ ا للهَ العافيةَ ! معناه أنـه لما قال له : " أعظم ا للهُ أجركَ " إنما دَعَا بأن يَكْثُرَ ما يُؤْجَرُ عليه ، ودلَّ علـى أنَّـه مـن بـاب المصائب تَعْزِيَتُهُ إيَّاه ! .

* * *

وانظر رغبة الآمل ٢٤٧/٨ .

(١) البيت من الطويل لليلى الأخيلية فى الأغانى ١١/ ٢٣٦ .

(٢) الحديث أخرجه مالك فى "الموطا" (٢٣٥/١) بنحو من هذا اللفظ وعنه ابـن سـعد وابـن المبـارك فى " الزهد" وهو مرسل صحيح . وفى الباب أخرجه ابن ماجه بلفظ :" يأيها الناس : أيما أحـد مـن الناس ، أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بى ، عن المصيبة التى تصيبيه بغيرى ،فإن أحدًا من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى ، أشد عليـه مـن مصيبتى " . أخرجه ابـن ماجـه (ح ١٥٩٩) وانظـر صحيح سننه (ح ١٣٠٠) ، وراجع الصحيحة (ح ١١٠٦) .

وهذا بابٌ طَرِيفٌ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحْدَثِينَ

قال مُطيعُ بنُ إيَاسٍ اللَّيْثيُّ يَرْثي يحيى بن زيادٍ الحارثيَّ ، وكان صديقَهُ ،وكانا مَرمِيَّيْنِ جميعاً بالخروج عن المِلَّة :

يــا أَهْــلِ بَكُّــوا لقَلْــبي القَــرِحِ ... ولِلدُّمُــوعِ الهَوامِــلِ السُّــفُحِ [1]

رَاحُــوا بيَحْيَــى إلى مُغيَّبَــةٍ ... في القبرِ بينَ التُّراب [2]والصُّفُحِ [3]

رَاحُـوا بيحيـى ولـو تُطـاوعُني الْـ ... أَقـدارُ لم يَبْتَكِـرْ ولم يَـرُحِ

يـا خيرَ مَنْ يَحْسُنُ البُكَـاءَ لـه الْـ ... ـيَـوْمَ ومَـنْ كـانَ للْمِـدَحِ [4]

وفي يحيي يقولُ مطيعُ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما :

كنــتُ ويَحْيَــى كيَــدَيْ واحِــدٍ ... نرْمِـي جميعـاً ونُرَامِـي مَعَـا [5]

إنْ سَــرَّهُ الدَّهْرُفقــد سَــرَّني ... أو حــادِثٌ نــابَ فقــد أَقْطَعَــا

أو نــامَ نــامتْ أعْيُــنٌ أَرْبَــعٌ ... مِنّــا وإن هَــبَّ فَلَــنْ أَهْجَعَــا

حتـى إذا مــا الشَّـيْبُ في عــارِضِي ... لاح وفي مفرِقِــهِ أَسْــرَعَا

سَــعَى وُشَــاةٌ طُبَّــنٌ [6] بيْنَنَــا ... فكــادَ حَبْـلُ الوَصْـلِ أن يُقْطَعَــا

فلــم أَلُــمْ يَحْيَــى علــى حــادثٍ ... ولم أَقُــلْ جَــارَ ولا ضَيَّعَــا

---

(١) الأبيات في أمالي المرتضي ١/١٤٣ - ١٤٤ ، وهي غير الثاني في الأغاني ١٣/٢٨٩ .

(٢) (يا أهل بكوا) يروى يا أهلي ابكوا(الهوامل) يروى الذوارف أو السواكب (والسفح) جمع سفوح كصبور وصبرو.

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصّه :"ابنُ شاذان :الصُّفُح جمع صفيحة ، وهي القطعةُ العريضة من الصخر ، والجمع أيضاً صفائح . وكانوا يجعلون ذلك في القبور واللُّحُود مكان اللبن " .

(٤) قال محقق س : زاد في الأصل :

قــد ظفِــر الحــزن بالســرور وقــد ... أُدِيــل مكروهُنــا مــن الفــرحِ

(٥) الأبيات في الأغاني ١٣/٣٠٨ ،وطبقات الشعراء لابن المعتز ٩٥ ، وشرح أبيات المغني ٦/١١، وهي غير الثالث باختلاف في الرواية لرجل مخزومي اسمه محمد له صاحب جمحي اسمه يحيى، انظر ذيل الأمالي ١٤-١٥ ، وذيل السمط ٩.

(٦) (طبن) جمع طابن كراكع وركع وهو الفطن وقد طبن للشيء كفرح وضرب طبنا وطبانة فهو طبن وطابن فطن له رغبة الآمل ٨/٢٤٩ .

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبيُّ يَرْثي عليَّ بنَ سَهْلِ بنِ الصَّبَّاحِ ، وكان له صديقاً :

يــا خَــيْرَ إخوانِــهِ وأعطَفَهُــمْ ... عليهــمُ راضيــاً وغَضْبانَــا
أمْسَــيْتَ حُزْناًوصــار قُرْبُــكَ لي ... بُعْــداً وصــارَ اللّقــاءُ هِجْرانَــا
إنّــا إلى ا لله راجعُــون لَقَــد ... أصْبَــحَ حُزْنــي عليــكَ أَلْوَانَــا
حُــزْنُ اشــتياق وحــزنُ مرْزئَــةٍ ... إذا انْقضَــى عــادَ كــالذي كَانَــا

قوله : " يا خَيْرَ إخوانه "محالٌ وباطلٌ ، وذلك أنه لا يضاف " أفْعَلُ " إلى شيءٍ إلا وهو جزءٌ منه .

وقال أيضاً :

دَعَوْتُــكَ يــا أُخَــيٌّ تُجبْــني ... فــرَدَّتْ دَعْوَتــي حُزْنــاً عَلَيّــا
بمَوْتِــكَ مــاَتتِ اللّــذّاتُ منّــي ... وكــانتْ حَيَّــةً إذْ كُنْــتَ حَيّــا
فيَـا أسَـفَي عليـك وطـولَ شَـوْقِي ... إليــكَ لَــو أنَّ ذاكَ يَــرُدُّ شَــيَّا

* * *

وحدثني رجلٌ من أصحابنا قال : شهدتُ رجلاً في طريق مكة مُعْتكفاً على قبر ، وهو يُرَدِّدُ شيئاً ، ودموعُهُ تَكِفُ من لحيته ، فدَنَوْتُ إليه لأسمع ما يقولُ ، فجعلت العَبْرَةُ تحُولُ بينَه وبينَ الإبانةِ ، فقلتُ له: يا هذا ، فرفَع إليّ ، وكأنما هَبَّ من رَقْدةٍ ، فقال : ما تشاءُ ! فقلت له : أعلى أبيك تبكي ؟، قال : لا ، قلتُ : فعلَى ابنك ؟ قال : لا ، ولا على نَسيبٍ ولا صَديقٍ ،ولكنْ على مَنْ هو أخَصُّ منهما ، قال : أوَ يكونُ أحدٌ أخَصَّ ممن ذَكَرْتَ؟ قال : نعم ، مَنْ أخبِرُكَ عنه ، إنَّ هذا المدْفونَ كان عدوًّا لي من كل بابٍ ، يَسْعَى عليَّ في نفسي وفي مالي وفي ولدي ، فخرجَ إلى الصَّيْدِ أيْأسَ ما كنتُ من عَطَبه ، وأكْمَلَ ما كان من صحَّتِهِ ، فرمَى ظَبْياً فأقْصَدَهُ ، فَذَهَبَ ليأخُذَه ، فإذا هو قد أنفَذَه حتى نَجَمَ سهْمه من صَفْحة الظَّبْي ، فَعَثَرَ فَتَلَقّى بفؤاده ظُبَةَ السَّهْم ، فَلَحِقَهُ أولياؤُه فانتزَعُوا السهم وهو والظّبْيُ ميتان ، فَنَمى إليَّ خبرُه ، فأسرعت إلى قبره مُغْتبطاً بفقده ، فإني لَضَاحكُ السِّنِّ إذْ وقعتْ عيني على صخرةٍ ،فرأيتُ عليها كتاباً ، فَهَلُمَّ فاقرأْهُ ، وأوْمَأ إلى الصخرة، فإذا عليها :

ومــا نَحْــنُ إلاّ مِثْلُهُــمْ غــيرَ أنّنــا ... أَقَمْنَــا قليــلاً بعدَهــم وتَقَدَّمُــوا

قلتُ أَشْهَدُ أنك تبكي على مَنْ بُكاؤُكَ عليه أحقُّ من النَّسِيبِ .

* * *

ومما استَطْرَفْنا من شعر المُحْدَثِينَ قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبيع في جاريةٍ طَالَبها سبعَ سنين يَبْذُلُ فيها جاهَه ومالَه وإخوانه حتى مَلَكَها ، فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتَتْ ، فقال فيها أشعاراً كثيرةً ، اخترنا منها بعضَها ، من ذلك قولُه :

لله آنِسَةٌ فُجِعْتُ بها ... ما كان أبْعَدها من الدَّنَسِ
أتَتِ البشارةُ والنَّعِيُّ مَعاً ... يا قُرْبَ مأتمِهَا من العُرُسِ
يا مُلْكُ نالَ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ ... فرَمَى فُؤاداً غيرَ مُحْتَرِسِ
كم مِنْ دُموعٍ لا تَجِفُّ ومِن ... نَفَسٍ عليكِ طويلةِ النَّفَسِ
أبْكيكِ ما ناحتْ مُطَوَّقَةٌ ... تحتَ الظَّلام تَنُوحُ في الغَلَسِ
يامُلْكُ فِيَّ وفيكِ مُعْتَبَرٌ ... ومواعِظُ يُوحِشْنَ ذا الأُنُسِ
ما بعدَ فُرْقَةِ بَيْنِنَا أبدًا ... في لَذَّةٍ دَرَكٌ لُمُلْتَمِسِ

وأخَذَ ما في صدرِ هذا الكلام من قول القائل [(١)]:

رُبَّ مَغْروس يُعاشُ بِهِ ... فَقَدَتْهُ كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكذاكَ الدَّهْرُ مَأتَمُهُ ... أقْرَبُ الأشياء مِنْ عُرُسِهْ

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرْثِي زوجَها ، ولم يكن دَخَلَ بها [(٢)] :

أبْكيكَ لا للنَّعيم والأُنُسِ ... بل للمَعالي والرُّمْح والفَرَسِ
أبْكي على فارس فُجِعْتُ به ... أرْمَلَني قبلَ ليلةِ العُرُسِ
يا فارساً بالعَراء مُطَّرحاً ... خانتْهُ قُوَّادُهُ مع الحَرَسِ
مَنْ لليتامَى إذا هُمُ سَغِبُوا ... وكُلِّ عانٍ وكُلِّ مُحْتَبَسِ
أمْ مَنْ لِبِرٍّ أمْ مَنْ لفائدةٍ ... أمْ مَنْ لذكْر الإله في الغَلَسِ

---

(١) هو سليمان بن الوليد الأعمي كما في البيان والتبيين ٣/٢٠٣ ، والحيوان ٤/١٩٦ ، وعيون الأخبار ٣/٦١ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصُّه : " قال ابنُ شاذان : هذا الشعر لِلُبانةُ بنتِ موسي الهادي في محمد الأمين ، وهي بنت عمّه " وكانت تحت الأمين وقُتل و لم يدخل بها فقالت ترثيه : أبكيك لا للنعيم ....الأبيات " .

قال محقق س قلت:كذا وقع :وهي لبانة بنت علي بن المهدي كما في تاريخ الطبري ٨/٥٠١، والعقد ٣/٢٧٧ ، ووقع في مروج الذهب ٣/٤٢٣،ونزهة الجلساء ٦٧ "لبابة" وانظر الأبيات فيها.

ومما أستطرفهُ من شعر يعقوبَ قولُه :

ليتَ شعْري بأيِّ ذنب لمُلْك … كان هَجْري لقبرِها واجْتنابي

ألِذَنْبٍ حَقَدْتُهُ كانَ منها … أمْ لعلْمي بشُغْلها عن عتابي

أمْ لأمْني لسُخْطها ورضاها … مُنْذُ واريتُ وجْهَها في التراب

ما وَفَى في العباد حَيٌّ لَمَيْتٍ … بعد يأسٍ منه له في الإيابِ

وفي هذا الشعر :

إنما حَسْرتي إذا ما تذَكَّرْ … تُ عَنَائي بها وطولَ طلابي

لم أزلْ في الطِّلاب سَبْع سنين … أتأتَّى لذاكَ مِنْ كُلِّ باب

فاجْتَمَعْنا على اتِّفاق وقَدْرٍ … وغنينا عن فُرْقةٍ باصْطِحابِ

أشْهُراً ستَّةً صَحْبتُكِ فيها … كُنَّ كالحُلْمِ أو كَلَمْعِ السَّرَابِ

وأتاني النَّعيُّ منكِ مع البُشْـ … ـرى فيا قُرْبَ أوْبةٍ من ذهابِ

ومن مَليح شعره قولُه يرثيها :

حتى إذا فَتَرَ اللسانُ وأصبَحَتْ … للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَّرْجسِ

وتَسَهَّلَتْ منها مَحاسنُ وجهها … وعَلا الأنينُ تحُثُّهُ بتَنفُّسِ

رَجَعَ اليقينُ مَطامعي يَأساً كما … رَجَعَ اليقينُ مَطامعَ المُتلمِّسِ

ومن مليح شعره أيضاً قولُه :

فُجِعْتُ بمُلْكٍ وقد أيْنَعَتْ … وتَمَّتْ فأعْظِمْ بها مِنْ مُصيبهْ

فأصْبَحْتُ مُغْترِباً بعدهَا … وأمْسَتْ بحُلْوان مُلْكُ غريبهْ

أراني غَرِيباً وإنْ أصبَحَتْ … مَنازلُ أهْلِيَ مِنِّي قريبهْ

خَلَفْتُ على أختِهابعْدَها … فصادفْتُها ذاتَ عَقْلٍ أديبَهْ

فأقْبَلْتُ أبْكي وتبْكي مَعي … بُكاءَ كئيبٍ بحُزْن كَئيبهْ

وقلتُ لها مَرْحَباً مَرْحباً … بوجهِ الحَبيبة أُخْتِ الحَبيبَهْ

سأُصْفِيكِ وُدِّي حفاظاً لها … فَذاكِ الوَفاءُ بظَهْرِ المَغيبَهْ

أرَاكِ كَمُلْكٍ وإنْ لم تكنْ … لِمُلْك من الناس عندي ضَريبهْ

ومما اخترنا من مَرْثية يزيدَ المُهَلَّبيِّ لأمير المؤمنين المُتوكِّلِ على الله قولُه :

لا حُزْنَ إلا أرَاهُ دُونَ ما أجِدُ … وهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عيناي مُفْتَقَدُ

لا يَبْعَدَنْ هالكٌ كانَتْ مَنِيَّتُهُ ... كما هَوَى عن غطاءِ الزُّبْيَةِ الأسدُ

لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيْماً بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إذ لا تُمَدُّ إلى الجاني عليكَ يَدُ

لَوْ أنَّ سيفي وعَقْلي حاضرانِ لهُ ... أبْلَيْتُهُ الجُهْدَ إذْ لم يُبْلِهِ أحَدُ

جاءتْ مَنِيَّتُهُ والعيْنُ هاجعةٌ ... هلاَّ أتَتْهُ المَنايا والقَنا قِصَدُ

هَلاَّ أتَتْهُ أعاديهِ مُجاهِرَةً ... والحَرْبُ تُسْعَرُ والأبْطالُ تَجْتَلِدُ

فَخَرَّ فوقَ سريرِ المُلْكِ مُنْجدِلاً ... لم يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمّا انْقضَى الأمَدُ

قد كان أنصارُه يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ ... وللرَّدى دونَ أرْصاد الفَتَى رَصَدُ[1]

وأصبحَ الناسُ فَوْضَى يَعْجَبونَ لهُ ... لَيْثاً صَريعاً تنَزَّى[2] حوْلَهُ النَّقَدُ[3]

عَلَتكَ أسْيافُ مَنْ لاَ دُونَه أحَدٌ ... وليسَ فوقكَ إلاَّ الواحدُ الصَّمَدُ

جاءُوا عظيماً لدُنْيا يَسْعَدُون بها ... فقد شَقُوا بالذي جاءُوا وما سَعدُوا

ضَجَّتْ نساؤُكَ بعدَ العِزِّ حينَ رَأتْ ... خَدًّا كريماً عليه قارتٌ جَسِدُ[4]

أضحى شهيدُ بني العباسِ موعظةً ... لكلِّ ذي عِزَّةٍ في رأسِهِ صَيَدُ[5]

---

(١) بهامش بِعض النسخ ما نصّه :" المهلبيُّ : الرَّصَدُ : القوم الراصدون ، كما قالوا طَلَبٌ للقوم الطالبين ، وجَلَبٌ للقوم الجالبين " .

(٢) (تنزى) تثب والنقد "بالتحريك" فى الأصل جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه يكون بالبحرين واحدتها نقدة يضرب بها المثل يقال هو أذل من نقد . يريد تثب عليه سفلة الناس رغبة الآمل (٢٥٤/٨).

(٣) بهامش بعض النسخ ما نصّه : " ابنُ شاذان : النَّقَدُ من الشاء : الصغارُ الأحْرام " .

(٤) قال محقق س : بهامش الأصل ما نصّه :" في حاشية كتاب ف [يعني نسخة ابن الإفليلي] : يقال : قَرَتَ الدمُ قُرُونًا ودمٌ قارتٌ : يابس

بين جلد ولحم ، ومسكٌ قارتٌ وهو أجفه وأجوده ، قال :

يُعَلّ بقَرَّاتٍ من المِسْكِ قاتن

وقَرَّاتُ فَعّالٌ ، وقاتن : مسْكٌ قاتنٌ : قد قتن قتوناً : يابسٌ لا نُدُوَّةَ فيه " اهـ . وستأتي هذه الحاشية على أنها من كلام أبي الحسن .

وقوله :"يعل بقرّات ..." أنشده صاحب اللسان [قرت] وفيه"من المسك فاتق " وفسّره بأنه ذوفتق، وهو تحريف ، والصواب ما هنا .

وبهامش بعضِ النسخ ما نصّه :" [قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ] قُروتًا : قال أبوعمر : قَرَتَ الدمُ يقرتُ ويقرت وقرت يَقْرَتَ قَرْتاً وقروتًا والدمُ قارتٌ ، وقرتَ الجلدُ : إذا ضُربَ فاخضرَّ أو اسودَّ ، وقرتَ الرجلُ : إذا تغيَّر وجههُ من حزن أو غيظ.ابن شاذان : يقال [دمٌ] جَسدُ وجاسدٌ [إذا] جَفَّ " .

(٥) بهامش بعضِ النسخ ما نصّه :" ابنُ شاذان : الصَّيَدُ : داءٌ يصيبُ الإبلَ" تلتوي منه أعناقُها ، فلذلك سميّ المتكبرّ أصيْدَ : إذا لوى عنقه " .

خَليفَـــةٌ لم يَنَـــلْ مــا نَالَـــهُ أحـــدٌ ولم يُضَـــعْ مثلَـــه رُوحٌ ولا جَسَــــدُ

كــم في أديمِـكَ مِــنْ فَوْهـــاءَ هـــادِرةٍ من الجَوَائِـفِ يَغْلـي فوقَها الزَّبَـدُ [1]

إذا بُكيـــتَ فــإنَّ الدمــــعَ مُنْهمِـــلٌ وإنْ رُثِيـــتَ فــإنَّ القَــوْلَ مُطَّــرِدُ

قـد كنتُ أَسْرِف في مـالي وتُخْلـفُ لي فَعَلَّمَتْــني اللّيــالي كيــفَ اقْتَصــدُ

لّمـا اعْتَقَدْتُــمْ أناســاً لا حُلُــومَ لهــمْ ضِعْتُــمْ وضَيَّعْتُــمُ مَــنْ كــان يُعْتَقَـدُ

ولـو جَعَلْتُمْ علـى الأحْـرارِ نَعْمَتَكُــمْ حَمتْكُـمُ الســادةُ المَذْكُـورَةُ الحُشُـدُ

قـومٌ هـمُ الجِـذْمُ[2] والأنسـابُ تجمعُهم والمَجْـدُ والدِّيـنُ والأرْحـامُ والبَلَــدُ

إذا قُرَيْـــشٌ أرَادُوا شَـــدَّ مُلْكِهِـــمُ بغَــيرِ قَحْطَـــانَ لم يَـــبْرَحْ بــــه أَوَدُ

قـد وُتـرَ النـاسُ طُرّاً ثُـمَّ قــد صَمَتُــوا حتـى كَـأَنَّ الـذي نِيلُـوا بِــهِ رَشَـدُ

مِنَ الأُلَى وَهَبُوا للمجْـدِ أنفسَـهم فمـا يُبـالونَ مـا نـالُوا إذا حُمِـدُوا

[قال أبو الحسن : قولُه " قارتٌ " يقال:" قَرَتَ الدَّمُ يَقْـرُتُ قُرُوتـاً ، ودَمٌ قـارِتٌ": قد يَبِسَ بين الجِلْدِ واللحم ، ومِسْكٌ " قارتٌ"وهو أجفُّهُ وأجْوَدُهُ ، قال:

يُعَلُّ بقَرَّاتٍ من المِسْكِ قاتِنِ

و"قَرَّاتٌ" "فَعَّالٌ"و"قاتِنٌ" مسكٌ قاتِنٌ : قد قَتَنَ قُتوناً ، أي يابسٌ لا نُدوَّةَ فيه] .

* * *

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" قال ابن شاذان : ويقال طعنةٌ جائفةٌ والجمع جوائف : إذا بلغتِ الجوف ، وهذه الياء أصلها الواو . وطعنة فَوْهاءُ أي واسعةٌ " .

(٢) (هم الجذم) "بكسر الجيم وتفتح " وهو الأصل من كل شيء ومنه جذم الشجرة والجمع أجذام وجذوم .

بابُ ذكرِ الأَذْواءِ مِنَ اليَمَنِ في الإِسلامِ

فأمَّا في الجاهلية فيكثُرُونَ ، نحو " ذِي يَزَنٍ "و" ذي كَلاَعٍ " و " ذي نُوَاسٍ "و" ذي رُعَيْنٍ" و " ذي أَصْبَحَ " و " ذي المَنارِ " و " وذي القَرْنَيْنِ ".

فأمَّا في الإِسلام فمنهم خُزَيْمة بنُ ثابتٍ ذو الشهادتين ، سَمَّاهُ رسولُ ا لله ﷺ ، وهو أنصاريٌّ .

ومنهم قَتادةُ بنُ النُّعمان الأنصاريُّ ذو العَيْنِ ، وكانت عَيْنُه أُصيبتْ فَردَّها رسولُ ا لله ﷺ فكانت أحسنَ عينيه ، وكانت تَعْتَلُّ عينهُ الصحيحةُ ولا تَعْتَلُّ المَرْدُودَةُ معها .

ومنهم أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ الأنصاريُّ ذو السَّيفين : كان يَتَقَلَّدُ سيفين في الحرب.

ومنهم حُبَابُ بنُ المُنْذر بنِ الجَمُوحِ ذو الرأْي ، وهو صاحب المَشُورةِ يوم بدر، أَخَذ برأيه رسولُ ا لله ﷺ ، وكانتْ له آراءُ في الجاهلية مشهورةٌ .

ومنهم سَعْدُ بنُ صُفَيْحٍ ذو السِّبَالِ.

ومنهم ذو المُشهَّرَةِ ، وهو أبو دُجَانةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ ، وكانت له مُشَهَّرَة إذا لبسها وخرجَ يختالُ بين الصَّفَّيْنِ لم يُبْقِ و لم يَذَرْ .

وكلُّ هؤلاء من الأنصار (١) .

ومن اليمن من غيرهم عبدُ ا لله بن الطُّفَيْلَ (٢) الأزديُّ ثم الدَّوْسيُّ ذو النُّور ، أعطاه رسول ا لله ﷺ نوراً في جبينهِ ليَدْعُوَ به قومهَ ، فقال : يا رسول ا لله هذه مُثْلَةٌ (٣)، فجعله رسولُ ا لله ﷺ في سَوْطِه (٤) ، فلما وَرَدَ على قومه بالسَّراةِ جَعَلوا يقولون، إنَّ الجبلَ ليَلْتَهِبُ . وكان أبو هريرة ممن اهتَدى بتلك العلامة ، في بعض الحديث .

---

(١) زاد في بعض النسخ : " ومنهم عبد ا لله بن أنس ذو المخصرة أعطاه النبي ﷺ مخصرة وقال : تلقاني بها في الجنة " .

(٢) قال الشيخ المرصفي :" هذا سهو من أبي العباس ، وإنما هو على ما رواه سائر المحدثين : الطفيل ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الأزدي " رغبة الآمل ٨/٢٥٩ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١/٣٤٤

(٣)بهامش بعض النسخ ما نصّه:"ابن شاذان:يقال:مَثْلَةٌ ومُثْلَةٌ ،وهو التنكيل والجمع مُثُلات".

(٤) قال الشيخ المرصفي : " هذا لفظ أبي العباس . والمرويُّ عن ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة ـ واللفظ للأخير ـ أنه لما أسلم قال : يا رسول الله ، إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً فيما أدعوهم إليه ، فقال :

ومنهم ، ثُمَّ من خُزاعةَ ، ذو اليَدَيْن ، سمّاه رسولُ الله ﷺ ذا اليدين ، وكان قبلُ يُدْعَى ذا الشمالين[1] ، وكان رسول الله ﷺ صلّى بهم الظُّهْرَ فسلَّم في الركعة الثانية، فقال ذُو اليدين : يارسولَ الله أَقَصُرَتِ الصلاةُ أم نَسيتَ ؟ فقال : ما كان ذاك ، فقال: بَلى يا رسول الله ، فالْتَفَتَ إلى أصحابه فقال : ما يقولُ ذو اليدين ؟ فقالوا : صَدَقَ يا رَسولَ الله ، فنهض فَأتَمَّ ، ثم قال : " إنِّي لأَنْسَى أو أُنَسَّى لأَسُنْ " [2] .

* * *

اللهم اجعل له آية ، قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل الصباح فقلت: اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنوها مثلةً لفراقي دينهم، فتحولت في رأس سوطي فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور وأنا أهبط إليهم من الثنية ".انظر سير أعلام النبلاء ١/٣٤٤ ـ ٣٤٧ ،ودلائل النبوة للحافظ البيهقي (٥/٣٥٩ - ٣٦٤)،وذكر قدوم الطفيل علي رسول الله ﷺ عند البخاري في"المغازي"(ح ٣٩٢).ومسلم في"الفضائل"(ح ٢٥٢٤).

(١) قال الشيخ المرصفي : " نقل عن الحافظ في الفتح أنه قد اتفق معظم أهل الحديث على أنّ ذا الشمالين غير ذي اليدين ، قال : ونصّ على ذلك الشافعي في اختلاف الحديث ، وقال النووي: إنه قول الحفاظ وأنَّ ذا الشمالين اسمه عمير أو الحارث بن عبد عمرو بن نضلة من ولد أفصى بن حارثة عمّ خزاعة ، فأما ذو اليدين فاسمه الخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة آخره قاف" من بني سليم بن منصور بن هوازن .

وممن فرق بينهما من أهل اللغة صاحب القاموس قال :وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو صحابي وكان يعمل بيديه ، ثم قال : وذو اليدين خرباق السلمي الصحابي ...." رغبة الآمل ٨/٢٦٠ . وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١/١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصّه:" ابنُ شاذان : يقال :استنّ يَسْتَنُّ أي يذهب في أي سننٍ شاء لا يمنعه أحد ولا يرده عن وجهه ، والسَّنَنُ : المذهب . وفي المثل : استنّتِ الفصال حتى القَرْعى".

حديث ذى اليدين أصله فى الصحيحين ، أخرجه البخارى فى " الأذان" ،باب: هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس (٢/٢٤٠)،ح٧١٤، وفى السهو ، وفى الآحاد ، ومسلم فى " المساجد"، باب: السهو فى الصلاة ،والسجود له.(ح٥٧٣)، ولفظه:" إنى لأنسى أو أنسى لأسنّ". أخرجه مالك فى" الموطأ"(١/١٢١)تنوير الحوالك قال السيوطى :قال ابن عبد البر:" لا أعلم هذا الحديث روى عن النبى ﷺ مسنداً ولا مقطوعاً من غير هذا الوجه وهو أحد الأحاديث الأربعة التى فى الموطأ التى لا توجد فى غيره مسندة ولا مرسلة ومعناه صحيح .

وهذه تسميةُ من كانَ بينهَ وبين الملائكةِ سَبَبٌ من اليَمَانِيَةِ

منهم سعدُ بنُ معُاذِ الأنصاريُّ ، وهبط لموته سبعون ألفَ مَلَكٍ لم يهبطوا إلى الأرض قبلها ، وقَبَضَ رسولُ الله ﷺ من رِجْلَيْه في المَشْي لئلاَّ يَطَأَ على جَنَاحِ مَلَكٍ، واهْتزَّ لموته عرْشُ الله جل وعز ، وفي ذلك يقولُ حسان بن ثابت [1]:

وما اهْتَزَّ عَرْشُ الله مِنْ مَوْتِ هالكٍ ... سَمِعْنَا بهِ إلاَّ لسَعْدِ أبي عَمْرِو

وكبَّرَ عليه رسول الله ﷺ تِسْعاً كما كبَّر على حمزةَ بن عبد المطَّلب ، وشُمَّ من تُرابِ قَبْرِه رائحةُ المِسْكِ [2] .

ومنهم حسانُ بن ثابتٍ الأنصاريُّ ، قال له رسول الله ﷺ : " اهْجُهُمْ ورُوحُ القُدُسِ معك " [3] ، وقال في حديث آخر : إنَّ الله مُؤَيِّدٌ حَسَّانًا بروح القُدُسِ ما نافح عن نَبِيِّه " [4]. وقالت عائشةُ[5] : كان يوضَع لحسان مِنْبَرٌ في مُؤَخَّرِ المسجد يقوم فيُنافحُ عن رسول الله ﷺ .

ومنهم حَنْظَلَةُ بنُ أبي عامر الأنصاريُّ ، غَسَّلَتْه الملائكةُ ، وذاك أنَّه خرج يوم أُحُدٍ فأصيبَ ، فقال رسول الله ﷺ :" صاحبُكم هذا قد غَسَّلَتْهُ الملائكةُ "[6] : فسُئل عن ذلك ، فقالت امرأتُه : كان معي على ما يكون الرجلُ مع امرأته ، فأعْجَلَتْهُ حَطْمَةٌ [7]

---

(١) لم أجد البيت في ديوانه . وهو لرجل من الأنصار في سيرة ابن هشام ٢٦٣/٣ . " حسان من غير " بن ثابت " .

(٢) انظر ما أورده من فضائل سعد في سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١ - ١٩٧ .

(٣) الحديث بنحوه أخرجه البخارى فى "بدء الخلق" ، باب: ذكر الملائكة ، (٣٥١/٦)،ح٣٢١٣وفى المغازى (ح٤١٢٣،٤١٢٤) ، ومسلم فى "الفضائل" باب : فضائل حسان ابن ثابت ـ رضى الله عنه ـ (ح ٢٤٨٥)،(ح٢٤٨٦) .

(٤) الحديث بنحوه أخرجه مسلم فى " الفضائل"، (ح٢٤٩٠)، وبهذا اللفظ أخرجه أبو داود فى "الأدب" وكذا الترمذى ، وانظر صحيح أبى داود (ح٤١٩٣).

(٥) انظر صحيح الترمذى (ح٢٢٨٢)، والصحيحة (١٦٥٤).

(٦) انظر سيرة ابن هشام ٧٩/٣ ، ومغازي الواقدي ٢٧٤/١ .

(٧) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" ابنُ شاذان : الحَطْمةُ : الكسْرَةُ:حَطَمْتُ الشيء أحْطِمُه حطماً: إذا كسرته ، وكل منكسر حُطام " .

بَلَغَتْهُ في المسلمين ، فخرج فأُصيب ، ففي ذلك يقولُ الأحْوصُ بنُ محمدِ ابنِ عاصمِ ابنِ ثابتِ بن أبي الأقْلَح[1] حَمِيُّ الدَّبْر[2] وكان خالَ أبيه :

غَسَلَتْ خَالِيَ الملائكةُ الأبْـــــــرارُ ميْتاً أكرِمْ بهِ مِنْ صَرِيعِ[3]

وأنا ابنُ الذي حَمَتْ ظهرَه الدَّبْـــــــرُ قتيلِ اللِّحْيَانِ يومَ الرَّجِيعِ

ومنهم حارثةُ بنُ النُّعمان،رأى جبريلَ عليه السلام مرتين ، وأقرأه جبريلُ السلامَ[4].

ومنهم ، ثمَّ من خُزاعةَ ، عِمْرانُ بنُ حُصَيْنٍ ، كانت تُصَافحُهُ الملائكةُ تَعُودُهُ ، ثم افْتَقَدها ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنَّ رجالاً كانُوا يأتونني لم أرَ أحْسَنَ منهم وُجوهاً ولا أطيبَ أرواحًا ثم قد انقطعوا عني ، فقال رسول الله ﷺ : أصابك جُرْحٌ فكنتَ تكْتُمه ؟ فقال: أجَلْ ، قال : ثم أظهرتَهُ ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : أمَا لو أقَمْتَ على كِتْمانِهِ لزارتْكَ الملائكةُ إلى أن تموتَ[5] .

ومنهم جريرُ بنُ عبد الله البَجَليُّ ، قال رسول الله ﷺ : " يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذي يَمَنٍ ، عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ "[6].

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" ابن شاذان : القَلَحُ : صفرة الأسنان من ترك السّواك ، قَلِحَ الرجلُ يقلَح قَلَحًا ، والرجل أقلحُ والمرأة قلحاءُ ، وقوم قُلْحٌ وقُلْحانٌ ، وقال النبي ﷺ: " مالكم تدخلون عليَّ قُلحاً " فأما القَلْخ بالخاء معجمة فيقال منه قَلخَ البعيرُ يَقْلخُ قَلْخاَ : إذا هَدَرَ فردَّد هديرة في غَلْصمته ، والغَلْصَمَةُ العُجْرةُ التى على ملتقى اللَّهاة إذا ازدرد الأكل اللقمةَ فزلَّتْ عن الحلق دخلت في فم الغلصمة " .

(٢) بهامش بعض النسخ ما نصّه " ابن شاذان : الدَّبْر النحل ، الوحدة دَبْرَةٌ " .

(٣) البيتان في شعر الأحوص ق ١٠٤/٢ ، ٣ ص ١٥٧ .

(٤) أخرج أحمد والطبرانى عن حارثة بن النعمان ،قال :مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل جالس فى "المقاعد" فسلمت عليه ثم أجزت فلما رجعت وانصرف النبى ﷺ قال :هل رأيت الذى كان معى ، قلت نعم ، قال : إنه جبريل وقد رد عليك السلام ".

وذكر الهيثمى فى"المجمع" (٣١٣/٩) ،وقال : رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٥) الحديث بنحوه أخرجه مسلم فى"الحج"،باب:جواز التمتع،(٣٦٤/٣)ط. الشعب..ولفظه:".. إن رسول الله (ﷺ) جمع بين حجة وعمرة لم ينه عنه حتى مات ، ولم ينزل فيه قرآن يحرمه، وقد كان يُسلِّمُ عليَّ حتى اكتويتُ فتركت ثم تركت الكى فعاد ".

(٦) أخرجه الحميدى فى مسنده"، وبنحوه أحمد فى "المسند"(٣٦٤/٤)، وأخرجه من طريق أخرى (٤/ ٣٥٩) ، والطبرانى . وإسناده قوى .

ومنهم دِحْيَةُ بنُ خَلِيفةَ الكَلْبِيُّ ، كان جبريلُ عليه السلام يَهْبِطُ في صورته،فمن ذلك يومُ بني قُرَيْظَةَ لَمَّا انصرفَ رسولُ الله ﷺ من الخَنْدَقِ وهَبَطَ عليه جبريل عليه السلام،فقال: يا محمد أقد وضَعْتُمْ سِلاحَكم ؟ ما وَضَعَتِ الملائكةُ أسلحتَها بَعْدُ، إنَّ الله يأمُرك أن تَسِيرَ إلى بني قُرَيْظَةَ وها أنا ذا سائِرٌ إليهم فَمُزَلْزِلٌ بهم ، فأمَرَ رسول الله ﷺ الناسَ ألاَّ يُصلّوا العصرَ إلاَّ في بني قُريظَةَ ، فجعل يَمُرُّ بالناسِ فيقول : أَمَرَّ بكم أحَدٌ ؟ فيقولون مَرَّ بنا دِحْيَةُ بنُ خليفةَ على بغلةٍ عليها قطيفةُ خزّ نحو بني قُريظةَ ، فيقول : ذاكَ جبريلُ ثم مَرَّ دِحْيَةُ [1] بعدَ ذلك [2] . وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزلُ في صورته ، كما ظَهَرَ إبليسُ في صورة الشيخ النَّجْدِيِّ [3].

* * *

(١) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" يقال دَحَا الله الأرض وطحاها ، أي بَسَطَها ، ويقال دَحَا يدْحا دَحْواً ، والدحو : البَسْطُ " والمِدْحاةُ خشبةٌ يَدْحَاها الصبيُّ فتمرُّ على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا احْتَحَفَتْهُ " .

(٢) الخبر بنحوه أخرجه الحاكم (٣٤/٣،٣٥)، وقال "صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبى ولم يخرجاه وأورده الحافظ البيهقى فى "دلائل النبوة"، (٩/٤) وبنحوه أورده الحافظ الهيثمى فى "المجمع" ، (١٤١/٦) وقال : قلت : هو فى الصحيح باختصار -رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات. ونقله الحافظ ابن كثير فى " البداية" (١١٨/٤) وقال :" لهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها ".

(٣) في بعض النسخ : " في غير هذا اليوم ينزل في صورة سُراقة بن جعشم الكناني وفي صورة الشيخ النجدي يوم دار الندوة حيث أشار بأن تجتمع قريش فتضرب رسول الله ﷺ بسيف واحد ".

وهذا بابٌ قد تَقَدَّم ذِكْرُنا إيَّاه ووَعَدْنَا اسْتِقْصَاءَه

اِعْلَمْ أنَّ كلَّ شيءٍ من الحيوانِ كان مِمَّا يُخْبِرُ الناسُ عنه كما يُخبرون عن أنفسهم ومِمَّا يَقْتَنُونَه ويتَّخذونه فَبِهِمْ حاجةٌ إلى الفَصْلِ بين معرفتِه ونكرته ومُذَكَّرِه ومُؤنثه . تقول :" جاءني رجلٌ " إذا لم تَدْرِ مَنْ هو بعينه ، دَرَيْتَ فلم تُرِدْ أن تُبَيِّنَ ، ثم تُعَرِّفُهُ لصاحبك إذا أردت ذلك إمَّا بألفٍ ولامٍ ، وإمَّا باسمٍ معروفٍ أو إضافةٍ أو غير ذلك.

وكذلك يَفْصِلُ الناسُ بين الخيل بأسماءٍ أو نعوتٍ يَعْرِفُون بها بعضها من بعضٍ، وكذلك الشَّاءُ والكلاَبُ والإبلُ ،ولولا تَمْييزُ بعضها من بعضٍ لم يَسْتَقِم الإخبارُ عنها والاختصاصُ بما أُريدَ منها . وإذا كان الشيءُ ليس مما يتّخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضه وبعض ، يقولُ الرجلُ : " رأيتُ الأسدَ " فليس يَعْني أَسَداً بعينه ؛ ولكن يريدُ الواحدَ من الجنس الذي قد عَرَفْتَ ، وكذلك الذئْبُ والعقربُ والحيةُ وما أشبه ذلك ، ألا ترى أنَّ ابنَ عرْسٍ وسامَّ أَبْرَصَ وأُمَّ حُبَيْنٍ وأبا الحارث وأبا الحُصَيْنِ معارفُ لاعَلَى أن تُمَيَّزَ بعضَها من بعضٍ ولكن تعريف الجنسِ؟! وقولك:" ابنُ مَخاضٍ "و" ابنُ لَبونٍ "و ابنُ ماءٍ " [1] نَكِرَاتٌ ؛ لأنَّ هذا مما يتخذُه الناسُ وابنُ ماءٍ " إنما هو مضاف إلى المَاء الذي يُعرَفُ ، فإذا أردتَ التعريفَ لهذه النكراتِ أدخلتَ فيما أُضيفَتْ إليه الألفَ واللامَ ، أو لَقَّبْتَها ألقاباً تُعْرَفُ بها ، كزيدٍ وعمرو .

واعلمْ أنَّ كلَّ جَمْعٍ مؤنثٌ ؛ لأنك تُريدُ معنى جماعةٍ ، ولا يُذَكَّرُ من ذلك إلاّ ما كان فِعلُه يجْري بالواو والنون في الجمع ، وذلك كلُّ ما يَعْقل تقول :"مسلمٌ ومسلمون " كما تقول : " قومٌ يُسْلمونَ "وتقولُ للجمَال:"هي تَسيرُ وهُنَّ يسِرْنَ " كما تقول للمؤنّثُ ، لأن أفعالَها على ذلك ، وكذلك المَوَاتُ ، قال الله عز وجل في الأصنام: **﴿ربِّ إنهُنَّ أَضْلَلْنَ كثيرًا من الناس﴾**[2]، والواحدُ مذكرٌ وقال المفسرون في قوله: **﴿إنْ يَدْعُونَ من دُونِه إلاّ إناثًا﴾**[3] قالوا : المَواتُ، فكلُّ ما خَرَجَ عمَّا يَعْقِلُ فَجَمْعُه بالتأنيث وفِعْلُهُ عليه،لا يكونُ إلاّ ذلك ، إلاّ ما كان من باب المنقوص،نحو" سِنين! وعزِينَ "وليس هذا موضعهَ ، وجملتهُ أنه لا يكونُ إلاّ مؤنثًا ، فلهذا كان يَقَعُ على بعضِ هذا الضرب الاسمُ المؤنّثُ ، فَيَجْمَعُ الذَّكَرَ والأُنْثى،من ذلك قولهم:" عَقْرَبٌ " فهو اسمٌ مُؤنّث،إلاّ

---

(١) بهامش بعض النسخ ما نصّه :" ابنُ شاذان : ابنُ ماء : طائر الماء ".

(٢) سورة إبراهيم : ٣٦ .

(٣) سورة النساء : ١١٧ . وانظر تفسير ابن كثير ٣٦٧/٢ .

أنك إن عَرَّفْتَ الذَّكرَ قلتَ :" هذا عقربٌ " ، وكذلك الحيةُ تقولُ للأنثى "هذه حيةٌ "وللذَّكر" هذا حَيَّةٌ " قال جرير [1] :

إنَّ الحَفَافِيثَ منكم يا بَنِي لَجَأٍ يُطْرِقْنَ حيثُ يَصُولُ الحيةُ الذَّكَرُ[2]

[قال الأخفش [3]: " الحفافيثُ " ضربٌ من الحيَّاتِ يكونُ صغيرَ الجِرْمِ يَنْتَفِخُ ويَعْظُمُ ويَنْفُخُ نفخًا شديدًا لا غائلةَ له] وتقول " هذا بَطَّةٌ " للذكر ، و " هذه بَطَّةٌ " للأنثى ، و " هذا دَجاجةٌ " ، و " هذه دَجاجةٌ " قال جرير [4] :

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أَرَّقَنِي صوتُ الدَّجَاجِ وقَرْعٌ بالنَّواقيسِ

يريد زُقاءَ الدُّيوكِ ، والاسم [5] الذي يجمعها " دَجاجة " للذكر والأنثى ، ثم يُخَصُّ الذَّكر بأن يقالَ [6] " ديكٌ " وكذلك تقول " هذا [7] بقرةٌ " لهما جميعًا ، و " هذا حُبَارَى " ، ثم تَخُصُّ [8] الذَّكر فتقول " ثَوْرٌ " وتقولُ للذَّكر من الحُبَارى " خَرَبٌ " ، فعلى هذا يجري هذا الباب ، وكلُّ ما لم نذكره فهذا سبيله .

* * *

(١) ديوانه ٢١٤/١ .

(٢) في نسخة وبعض النسخ : " الحفافيث فيكم " . وبهامش الأصل كما في المتن .وفي نسخة وهامش الأصل : " حين " وعليه بهامش الأصل " ع " يعني رواية أبي علي . ورواية الديوان : إن الحفافيث جقاً ....حين يسور ....وبهامش نسخة ما نصه : " ابن شاذان قال محمد [في نسخة: عمر ، خطأ] بن حبيب : الحُفَّاث : واحدُ [الحفافيث ، وهو شبيه بالحية يكون باليمامة] كالسِّنَّوْر فإذا غضب انتفخ و لم يضرَّ ، ثم يسكن فيذهب انتفاخهُ عنه،[يزعمون أنه] يصيد الفأر".

(٣) قول الأخفش من هامش نسخة .

(٤) سلف البيت .

(٥) في بعض النسخ : فالاسم .

(٦) زاد في بعض النسخ : له .

(٧) في الأصل ونسخة : هذه .

(٨) في بعض النسخ : يخصّ .

باب

قال أبو العباس [١]: وقد كُنّا أَرْجَأْنا أشياءَ ذكرنا أنّا سَنَذْكُرها في آخرِ هذا الكتاب ، من [٢] خُطَبٍ ومواعظَ ورسائل ،ونحن ذاكرون ما تَهَيَّأَ من ذلك إن شاء الله .

قال الأصمعي [٣] فيما بلغني : خَطَبنا أعرابيٌّ بالبادية ؛ فحَمِدَ الله واسْتَغْفَرَه ووَحَّدَهُ وصلّى على نَبِيِّه ، فَبَلَغَ في إيجاز ، ثم قال : أيُّها الناسُ [٤] ، إنَّ الدنيا دارُ بَلاَغٍ ، والآخرةَ [٥] دارُ قَرَارٍ ، فخُذُوا لِمَقَرِّكم من مَمَرِّكم [٦]، ولا تَهْتِكُوا أستارَكم عندَ مَنْ لا تَخْفَى عليه أسرارُكم ، في الدنيا كُنْتُمْ ، ولغَيرِهَا خُلِقْتُمْ ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله ، والمُصَلَّى عليه رسولُ الله ، والمَدْعُوُّ له الخليفةُ ، والأميرُ جعفرُ بن سُلَيْمَانَ .

وحُدِّثْتُ في بعض الأسانيد أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز قال في خطبة له: أيُّها الناسُ، إنَّما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وأَجَلٌ مُنْتَقَصٌ ، وبَلاَغٌ إلى دارٍ غيرِها ، وسَيْرٌ إلى الموتِ ليس فيه تَعْرِيجٌ ، فرَحِمَ الله امْرَأً فكَّرَ في أمرِه ، ونَصَحَ لنفسِه ، وراقَبَ ربَّه ، واسْتَقالَ ذَنْبَه . أيها الناسُ ، قد علمتم أنَّ أباكُم أُخْرِجَ من الجنة بذنب واحدٍ ، وأنَّ ربَّكم وَعَدَ على التوبة ، فَلْيَكُنْ أحدُكم مِنْ ذَنْبِهِ على وَجَلٍ ، ومن رَبِّهِ على أَمَلٍ .

ويُرْوَى أنَّ رجلاً معروفًا ، ذهب اسمه عَنِّي [٧]، قال : أتيتُ ابنَ عُمَرَ فقلتُ : أَتَجِبُ الجنةُ لعاملٍ بكل الخيراتِ وهو مُشْرِكٌ ؟ فقال : لا ، فقلتُ له : أَتَجِبُ النارُ لعاملٍ

---

(١) قال أبو العباس " من الأصل وبعض النسخ .

(٢) فى بعض النسخ: منها .

(٣) انظر أمالي القالي ٢٥٣/١ . والخطبة ثمة أتم مما هنا .

(٤) فى بعض النسخ يأيها.

(٥) في نسخة وبعض النسخ: وإنَّ الآخرة.

(٦) فى بعض النسخ وهامش نسخة :" من مهربكم " وفي بعض النسخ وهامش نسخة :"من مفركم " . وفي بعض النسخ: من مهربكم".
وفي نسخة:" من مفركم لمقركم " .

(٧) فى بعض النسخ : عن أبي العباس : كذا : وطأنها عبارة لأحد تلاميذ المبرد؟.

بمثل جوابه سَواءً ، وقال : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ[1] . قال : حدثني بهذا الحديث القاضي [قال أبو الحسن : هو إسماعيل بن إسحاق] .

وذكر العُتْبيُّ ، أَحْسِبُه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القَصْرِ قال : خَطَبَ الناسَ بالمَوْسِمِ عُتْبَةُ[2] في سنة إحدى وأربعين ، وعَهْدُ الناسِ حديثٌ بالفتنة ، فاسْتَفْتَحَ ثم قال : أيُّها الناسُ ، إنَّا قد وَلِينَا هذا الموضعَ الذي يُضاعِفُ الله للمحسنِ فيه الأَجْرَ وعلى المُسيءِ الوِزْرَ ، فلا تَمُدُّوا الأَعْناقَ إلى غيرنا ، فإنَّها تَنْقَطِعُ دوننا ، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفُهُ في أُمْنِيَّتِه ، فاقْبَلُوا العافيةَ ما قَبِلْناها منك وفيكم ، وإياكم ولَوًّا ، فقد أَتْعَبَتْ مَنْ كان قبلَكم ، ولن تُريحَ مَنْ بعدَكم ، فأَسْأَلُ الله أن يُعِينَ كُلاًّ على كُلٍّ . فَنَعَقَ به أعرابيٌّ من مُؤَخَّرِ المسجد فقال : أيّها الخليفةُ ، فقال : لَسْتُ به ولم تُبْعِدْ ، قال : فَيَا أخاه ، قال : قد أسمعتَ فقلْ ، قال : والله لأَنْ تُحْسِنُوا وقد أسأْنَا خيرٌ لكم من أن تُسِيئُوا وقد أَحْسَنَّا ، فإن كانَ الإحسانُ لكم فما أَحَقَّكم باسْتِتْمامِهِ ، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمكافأتنا ، رجلٌ من بني عامر يَمُت إليكم بالعُمومة ، ويَخْتَصُّ إليكم بالخُئولَة ، وقد وَطِئَه زمانٌ وكثرةُ عيال ، وفيه أجْرٌ ، وعنده شُكْرٌ ، فقال عُتْبَةُ:أَسْتَعِيذُ بالله منكَ ، وأستعينه عليك، قد أَمَرْتُ لك بغِنَاكَ ، فليتَ إسراعَنَا إليك يقومُ بإبطائِنَا عنكَ .

وذكر العُتْبيُّ أن عُتْبَةَ خطب[3] الناسَ بمصر عن مَوْجِدَةٍ فقال : يا حامِلِي الأَمِ آنُفٍ رُكِّبَتْ بين أَعْيُن ، إني إنما قَلَّمْتُ أظفاري عنكم لِيَلِينَ مَسِّي لكم ، وسألتكم صَلاَحَكم إذْ كان فسادُكم باقيًا عليكم ، فأمَّا إذْ أَبَيْتُمْ إلاّ الطَّعْنَ على السُّلْطان والتَنَقُّصَ للسَّلَفِ ، فوالله لأُقَطِّعَنَّ بطونَ السِّياطِ على ظُهُوركم ، فإنْ حَسَمَتْ[4] أدواءَكم ، وإلاّ فإنَّ السيفَ مِن ورائكم ، فكم من حِكْمَةٍ مِنَّا لم تَعِهَا قلوبُكم ، ومن مَوْعِظَةٍ صَمَّتْ عنها

---

(١) زاد في بعض النسخ: وهذا مثلٌ من أمثال العرب إذا مرت بمرعي تقول : عشٍّ ولا تغتر ، أي لا تتركه إلى آخر تظن أن به مرعى فلا تجد فيه شيئاً " قال أبو العباس : وذكر العتبيُّ قال " . وانظر أمثال أبي عبيد ٢١٢ .

(٢) هو عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية . وروى القالي في أماليه ٢٣٦/١ هذه الخطبة

(٣) روى القالي في أماليه ٢٤١/١ هذه الخطبة .

(٤) بهامش بعض النسخ ما نصه : " قال ابنُ شاذان : أخبرني أبو عُمَر عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال : الحَسْمُ : استئصالكُ الشيء قطْعاً ، ثم كثُر ذلك حتى قالوا : حَسَمْتُ الداء : إذا كَوَيْتَه واستأصلته " .

آذانكم ، ولستُ أبخلُ عليكم بالعقوبة إذْ جُدْتُم بالمعصية ، ولا أُويِسُكُمْ من مراجعةِ الحُسْنَى إن صِرْتُم إلى التي هي أَبَرُّ وأَتْقَى . ثم نزل .

وذكر العتبي أو غيره أن داود بن علي بن عبد الله بن العباس خطب الناس في أول موسم ملَكَهُ بنو العباس بمكة ، فقال : شُكْرًا شُكْرًا ، إنّا والله ما خرجنا لِنَحْفِرَ فيكم نَهَرًا ، ولا لِنَبْنِيَ فيكم قَصْرًا ، أَظَنَّ عدوُّ الله أَنْ لن يُقْدَرَ عليه إن رُوخِيَ له من خِطامِهِ، حتى عَثَرَ في فَضْلِ زِمامِهِ ؟ فالآنَ حيثُ أخذ القوسَ باريها ، وعادتِ النَّبْلُ إلى النَّزَعَةِ[1]، ورجَعَ المُلْكُ في نِصَابه في أهل بيت النبوة والرحمةِ ، والله لقد كُنّا نتوجَّعُ لكم ونحن في فُرُشِنا ، أَمِنَ الأَسْوَدُ والأحمرُ ، لكم ذِمَّةُ الله ، ولكم ذمةُ رسول الله ﷺ ، ولكم[2] ذِمَّةُ العباس ، لا وَربِّ هذه البَنِيَّةِ ، وأومأ بيده إلى الكعبة ، لا نَهيجُ منكم أحدًا .

قال : وخطبَ الناسَ معاويةُ ، فحَمِدَ الله وصلَّى على نبيه ثم قال : أَيُّها النَّاسُ ، إنِّي مِنْ زَرْعٍ قد استَحْصَدَ ، ولن يأتِيَكم بَعْدِي إلاَّ مَنْ أنا خيرٌ منه ، كما لم يكن قبلي إلاَّ مَنْ هو خيرٌ مِنِّي .

---

(١) النزعة جمع نازع وهم الرماة من نزع في القوس : جذب الوتر بالسهم .

(٢) قال الشيخ المرصفي : الذي ذكره المؤرخون أن مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية لما طلب الإمام إبراهيم بن محمد ليغتاله ، وكان هو وأخوه عبد الله بن محمد السفاح وأهل بيته بالحميمة وهي بلدة من أعمال عمان في أطراف الشام وكانت نُزل بني العباس أمر أخاه أن يسير بمن معه إلى الكوفة وجعله الخليفة بعده ، فسار حتى نزلها ، فلما توثق لأمره خرج يوم الجمعة إلى المسجد وكان موعوكًا فصعد المنبر إلى أعلاه وصعد داود بن علي فقام دونه فخطب الناس حتى اشتد به الوعك فجلس ، فقام داود بن علي فقال: الحمد لله : شكراً شكراً ، الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ ، أيها الناس الآن أقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السهم إلى منزعه ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم . إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكثر لُجينا ولا عقيانا و لا نحفر نهراً ولا نبنى قصراً ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزاز حقوقنا والغصب لبني عمنا ، وما كرثنا من أموركم وبهظنا من شئونكم ، ولقد كانت أموركم تُرمضنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم وخُرقهم بكم واستذلالهم لكم واستئثارهم بفيئكم لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ إلخ خطبته وهي طويلة ذكرها الطبري في تاريخه ونقلها ابن الأثير ، وبهذا قد استبان كل ما صنع أبو العباس رحمه الله ، رغبة الآمل ٢٧٣/٨ ـ ٢٧٤ ، وانظر تاريخ الطبري ٤٢٦/٧ ـ ٤٢٨ ، والكامل في التاريخ ٤١٣/٥ ـ ٤١٦ .

وفي غير هذا الخبر [1] أنه قال لبناتِه عند وفاتِه : قَلِّبْنَنِي ، فَفَعَلْنَ ، فقال : إنّكُنَّ لَتُقَلِّبْنَهُ حُوَّلاً قُلَّبًا إنْ وُقِيَ كَبَّةَ النار ، ثم قال متمثلاً :

لاَ يَبْعَدَنَّ رَبيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ ... وسَقَى الغَوادِي قَبْرَهُ بذَنُوبِ

وقال لابنةِ قَرَظَةَ [2]: ابكِينِي ، فقالت :

أَلاَ ابْكِيهِ أَلاَ ابْكِيهِ ... أَلاَ كُلُّ الفتى فِيهِ

فلما مات دخل الناسُ على يزيدَ يُعَزُّونَه بأبيه ويُهَنِّئونَه بالخلافة،فجعلوا يقولون، حتى دخل عليه رجل من ثقيفٍ فقال : السلام عليك أميرَ المؤمنين ورحمة الله ، إنّك قد فُجعْتَ بخيرِ الآباء ، وأُعْطِيتَ أَفْضَلَ الأشياء ، فاصْبِرْ على الرَّزِيَّة ، واحْمَدِ الله على حُسْنِ العَطِيَّةِ ، فلاَ أحدٌ أُعْطِي كما أُعْطِيتَ ، ولا رُزِيءَ كما رُزِيتَ ، فقام ابنُ هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ فأنشده شعرًا كأنما فاوَضَهُ الثّقفيُّ فقال :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فارَقْتَ ذا ثِقَةٍ ... واشْكُرْ بَلاَءَ الذي بالمُلْكِ أَصْفَاكَا

أصبحتَ تملكُ هذا الخلقَ كلَّهُمُ ... فأنت تَرْعَاهُمُ والله يَرْعَاكَا

ما إنْ رُزِي أحدٌ في الناس نَعْلَمُهُ ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْبَاكَا

وفي معاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ ... إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكَا

" الحُوَّلُ " : معناه ذو الحيلة[3] . و" القُلَّبُ " : الذي يُقَلِّبُ الأُمورَ ظهرًا لبطن .

وقوله : " إنْ وُقِيّ كَبَّةَ النارِ " فكَبَّةُ النار : مُعْظَمُها ، وكذلك كَبَّةُ الحرب، ويقال: لقيتُه في كَبَّة القوم . ويُرْوَى عن بعضِ الفرسان أنه طعن رجلاً في حرب فقال: طعنتهُ في الكَبَّةِ فوضعتُ رمحي في اللَّبَّةِ وأخرجتُهُ من السَّبَّةِ . و " السَّبَّةُ " : الدُّبُرُ .

ويروى أنَّ خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المُهَلَّبِ وهو يتغدَّى ، فقال: ادْنُ فكُلْ يا أبا صفوان ، فقال : أصلح الله الأمير ، لقد أكلتُ أكلةً لستُ ناسِيَها، قال : وما أكلت ؟ قال : أَتَيتُ ضَيْعَتِي لإِبَّانِ الغِرَاسِ وأَوانِ العِمارة ، فَجُلْتُ فيها جَوْلَةً ، حتى إذا صَخَدَتِ الشمسُ وأَزْمَعتُ بالرُّكودِ مِلْتُ إلى غُرْفَةٍ لي هَفَّافةٍ ، في حديقة قد فُتِحَتْ أبوابُها،ونُضِحَ بالماء جوانبُها ، وفُرِشَتْ أرضها بألوان الرَّياحِين ، من بين ضَيْمُرانٍ نافحٍ، وسُمْسُقٍ فائحٍ ، وأُقْحُوانٍ زاهرٍ ، ووَرْدٍ ناضرٍ ؛ ثم أتيت بخُبْزِ أُرْزٍّ كأنه قِطَعُ العَقيقِ،

---

(1) انظر التعازي والمراثي ١٣٠ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(2) هي فاخته بنت قرظة إحدي زوجاته .

(3) في بعض النسخ : قوله حوّلاً قلباً فالحول ذو الحَوْل ومعناه الحيلة .

وسَمَكٍ بُنَانِيٍّ بيضِ البُطُونِ ، زُرقِ العيون ، سودِ المُتُون ، عراض السُّرَرِ ، غلاظ القَصَر، ودُقَّةٍ وخُلُولٍ ، ومُرِّيٍّ وبقولٍ ، ثم أُتيتُ برطبٍ أصفرَ ، صافٍ غيرِ أكْدَرَ ، لم تَبْتَذِلْه الأيدي ، ولم يَهْشِمْهُ كَيْلُ المكاييلِ ، فأكلتُ هذا ثم هذا[1]. فقال يزيدُ : يا أبا صفوانَ: لَجَرِيبٌ من كلامِكَ مَزْروعٌ خيرٌ من ألفِ جَرِيبٍ (٢) مَذْرُوعٍ (٣).

---

(١) قوله لإبان الغراس أى وقته وحينه ، والعمارة:ما يعمر به المكان ، وصخدت الشمس:اشتد حرها،وهفافة مظلة باردة تهف فيها الريح،والضميران من رياحين البر أو هو الريحان الفارسي، والسمسق:الياسمين،والبناني:منسوب إلى بنانة وهي محلة قديمة من محال البصرة،والقَصَر جمع قصرة وهي أصل العنق،والدُّقة:الملح المخلوط بالأبزار أو الملح المدقوق وحده،وتقال لتوابل القدر مثل الكزبرة والكمون ، والمرّي : شيء يؤتدم به : كأنه منسوب إلى المرارة ،عن رغبة الآمل ٢٧٦/٨ - ٢٧٧ .
قال محقق س : " المري " ضبط في بعض النسخ : : مُرْي " بإسكان الراء ، وضبط في نسخة:"مُرّيّ" والصواب : مُرِّيّ كدُرِّيّ . انظر اللسان والتاج (مرر) .
(٢) الجريب هو المزرعة أو مقدار معلوم الذراع والمساحة ، ومذروع مقيسٌ .
(٣) قال محقق س : زاد بعد هذا في نسخة نصا طويلاً رأيت إثباته، وهو :
"وتحدَّثَ العتبيُّ قال:حدثني أبي عن أبي خالد عن أبيه قال:وجدتُ في كُتب سفيان بن عمرو بن عُتْبة كتاباً إلىعمرو وعبد الله ابْنَيْ عتبة ، وكانا قدما على زياد في خمسةٍ من أولاد أبي سفيان، فإذا الكتابُ : سلامٌ : أما بعد ، فالزما ما أنتما عليه ، فقد بلغني عنكما فَضْل ، واعلما أنَّ لكل شيء زينةً ، وزينةُ الشرف العفافُ ، وقد كُفيتُما ما قَبلَكُما فأثّل لكما ،ووليتما أمر أَنْفُسكما فقوما بما لديكما ولا تقعُدا به ، فإنه من لم يصلْ شرف أبيه كان اللسان إليه أسرعَ ، واتزرا بالعفاف ، وتردَّيَا بالحلم ، وأنفيا عنكما الألسُن ، ولا تستعْظما عظيماً فإنكما أعظمُ منه ، وعولا على عمكما فإنه أبوكما ، واستزيداني بالطاعة أزدْكُما ، فإنَّ أحبَّكما إليَّ من اتّبع أمري وحفظ نفسه وكتب عمرو بن يزيد في سنة أربع وخمسين .
العُتبيُّ قال : حدثني أبي عن خالد عن أبيه قال : قال سفيانُ بنُ عُتبة : لَما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال أبي : قد أنقطعتْ عنك شرائعُ الصِّبا ، فاختلط بالخير تكُنْ من أهله ، ولا تُزَايلْهُ فتبين منه كلّه ، ولا يَغرنك من اغترَّ فيك فمدحك بخلاف ما تَعرفُ من نفسك ، فإنه ليس أحدٌ يقول في أحد من الخير ما لا يعلم إذا رضي ، إلا قال فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط ، فاستأنر الوحْدة من جلساء السُّوء ، و لا تَنْقلْ حُسْنَ ظنيَّ بك إلى غيره . قال سفيانُ : فوا لله ما زال كلامُ أبي لي قِبْلَةً انتقلُ معها ولا أنتقلُ عنها .
العتبيُّ قال : حدثني أبو أحمد المرادني [كذا] عن رجل من بني ليث قال : كتب معاوية إلى عتبة في عقوبة أقوام يأمرُه أن لا يراجعه في ذلك ، فكتب إليه عتبة : با لله علي أداء حقّكَ أستعين، وعليه في جميع أموري أتوكّلُ ، أنا مُقتدٍ بكتابك ، ومُنتهٍ إلى أمرك ، ومُتخذةٌ إماماً ما أم الحزم، فإذا خالفه فعندها لم يغبْ أميرُ المؤمنين عمَّا شهدت ، ولم يَرْجعْ إليه ضررُ ما فعلتُ ، وقد علم من قبلُ أن ناري ذكيَّةُ الشَّعلِ لمن عاداك ، وجنابي أحْلى من العسل لمن والاك ، فثقْ بذلك مني لهم وعليهم، واستكف الله لكَ كفاني بك .

باب

قال أبو العباس : ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور ، وبين مُحمد بن عبد الله بن حسنٍ العلوي، كما وعدنا في أول الكتاب ، ونختصرُ ما يجوز ذكره منه ، ونُمْسِكُ عن الباقي ، فقد قيل : الرواية أحدُ الشّاتمين .

قال : لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب إليه المنصورُ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدِ الله عبدِ الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله ، أمَّا بعدُ ؛ فـ ﴿ **إنَّما جَزاءُ الذينَ يُحاربُونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فَسادًا أنْ يُقتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيديهِمْ وأَرْجُلُهم مِنْ خِلافٍ أو يُنْفَوْا من الأرضِ ذلكَ لهم خِزيٌ في الدُّنيا ولهم في الآخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ * إلاّ الذين تَابُوا مِنْ قَبْلِ أن تَقْدرُوا عليهم فاعْلَمُوا أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾[1] ولك عَهْدُ الله وذِمَّتُهُ وميثاقُهُ وحقُّ نبيِّه محمدٍ ﷺ إنْ تُبْتَ من قَبْلِ أَنْ أَقْدِرَ عليك أن أُؤَمِّنَكَ على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك ، وأن أُعْطِيَكَ ألفَ ألفِ درهمٍ ، وأُنْزِلَكَ من البلاد حيثُ شئتَ وأَقْضِي لك ما شئت من الحاجات ، وأن أُطْلِقَ مَنْ في سجني من أهل بيتكَ وشيعتِكَ وأنصارِكَ ، ثم لا أَتَتَبَّعَ أحدًا منكم بمكروهٍ ، فإنْ شئتَ أن تَتَوَثَّقَ لنفسِكَ ، فوَجِّهْ إليَّ منْ يأخذُ لك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببت ، والسلامُ .

فكتب إليه محمدٌ :

العتبيُّ قال:حدثني أبي عن هشام بن صالح عن أبيه عن سعد القصْر ، وهو مولى عتبة بن أبي سفيان، قال :ولاّني عتبة أمواله بالحجاز ، فلما ودَّعته قال : يا سعد ـ تعَهَّدْ صغيرَ مالي يكبُرْ ، ولا تجفُ كبيره فيصغُرَ ، فإنه ليس يمنعنى كبيرُ ما عندي عن إصلاح قليل مالي ، ولا يمنعني قليلُ ما في يدي عن الصبر على كبير ما ينوبني ، قال سعد : فقدمتُ المدينة فحدثتُ بهذا الحديث رجالات قريش فمزَّقُوا بها الكُتُبَ إلى الوكلاء .

العتبيُّ قال : حدثني أبي عن أبي خالد عن أبيه قال : لَمّا استعمل يزيدُ بن معاويةَ سَلْمَ بن زياد وأراد التسليم عليه قال له يزيدُ : إن أباكَ كَفَى أخاه عظيماً ، وقد استكفيْتُكَ صغيراً فلا تَتَّكلَنَّ على عُذْرٍ مني ، فقد اتكلتُ على كفاية منك ، وإياك مني أن أقول أتاني منك ، فلا تُرِحْ نفسك ، وادْأبْ في أدنى حظِّك تَبْلُغْ أقصاه ، واذكرْ في يومك أحاديثَ غدك .

العتبيّ قال : خطب داود بنُ علي بن العباس قال : غدراً غدراً يا أهل الكفر والتبديل ! أَلَمْ يَزَعْكُم الفتح المبينُ عن القول في أمير المؤمنين ! الآن يا منابت الدِّمن إذْا أصبح كثيرُ فيكم نطيحاً ، ونابُه مفلولا ، مَشَيْتُمُ الضَّراء ودبيتم الخَمَرَ ، أمَا ورُوحَيْ محمد والعباس لئنَ عدتم لِسَخطاتِ القول لأحْصدَنَّكُمْ بظُبَةِ الهِنْديّ ، وما ذلك على الله بعزيز اهـ .

(1) سورة المائدة : ٣٣-٣٤ .

بسم ا لله الرحمن الرحيم ، من عبدِ ا لله محمدٍ المهديِّ أميرِ المؤمنين إلى عبد ا لله بن محمدٍ ، أما بعدُ ، ﴿ **طسم ۞ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ ، نَتْلُو عليكَ مِنْ نَبإِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بالحقِّ لِقَوْمٍ يؤمنونَ ۞ إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ في الأرضِ وجَعَلَ أهلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً منهم يُذَبِّحُ أبناءَهم ويَسْتَحْيِي نِساءَهم إنَّه كانَ مِنَ المُفْسِدينَ ۞ ونُريدُ أَنْ نَمُنَّ على الذينَ اسْتُضْعِفُوا في الأرض ونَجعلَهم أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُم الوارثين ۞ ونُمَكِّنَ لهم في الأرضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودَهما منهم ما كانوا يَحْذَرُونَ** ﴾[1]، وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني ، وقد تَعْلم أن الحقَّ حقُّنا ، وأنَّكم إنما طلبتموه بنا، ونهضتم فيه بشيعتنا ، وخَبَطْتُمُوه بفضلنا،وأنَّ أبانا عليًّا عليه السلام كان الوصيَّ والإمام، فكيفَ ورِثْتُمُوهُ دُونَنَا ونحنُ أحْياءٌ ؟! وقد علمتَ أنَّه ليس أحدٌ من بني هاشم يَمُتُّ بمثلِ فضلِنَا ، ولا يَفْخَرُ بمثل قديمِنَا وحديثنا ونَسَبِنَا وسَبَبِنَا ، وأنَّا بَنُو أُمِّ رسول ا لله ﷺ فاطمة بنتَ عمرو في الجاهلية دونَكم ، وبنو ابنته فاطمةَ في الإسلام مِنْ بينكم ، فأنا أَوْسَطُ بني هاشمٍ نسبًا وخيرُهم أُمًّا وأبًا ، لم تَلِدْنِي العَجَمُ ، ولم تُعْرِقْ فيَّ أُمَّهاتُ الأولادِ ، وأنَّ ا لله تباركَ وتعالى لم يَزَلْ يَختارُ لَنا ، فوَلَدَني مِنَ النَّبِيِّينَ أفضلُهم محمدٌ ﷺ ، ومن أصحابه أقْدَمُهم إسلامًا ، وأوسعُهم علمًا ، وأكثرُهم جهادًا ، عليُّ بن أبي طالبٍ ، ومن نسائِه أفضلُهنَّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، أوَّلُ مَنْ آمنَ با لله وصلَّى القبلة ، ومن بناته وسيدةُ نساءِ أهل الجنَّةِ ، ومن المولودِينَ في الإسلام الحسنُ والحسينُ سَيِّدَا شَبَابِ أهل الجنة ، ثم قد عَلِمْتَ أنَّ هاشمًا وَلَدَ عليًّا مرَّتَيْن ، وأنَّ عبدَ المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين ، وأنَّ رسول ا لله ﷺ ولدني مرتين ، من قِبَلِ جَدَّيَّ الحسَنِ والحسين ، فما زال ا لله يختار لي حتى اختارَ لي في النار، فوَلَدَني أَرْفَعُ الناس درجةً في الجنة وأهوَنُ أهل النارِ عذابًا ، فأنا ابنُ خيرِ الأخيار وابنُ خيرِ الأشرار ، وابنُ خير أهل الجنة وابنُ خير أهل النار ، ولك عهدُ ا لله إنْ دخلتَ في بَيْعَتِي أَنْ أُؤَمِّنَكَ على نفسِكَ وولدِكَ وكلِّ ما أصبتَهُ ، إلاَّ حَدًّا من حدودِ ا لله ، أو حقًّا لمسلمٍ أو مُعَاهِدٍ ، فقد علمتَ ما يَلْزَمُكَ في ذلك ، فأنا أَوْفَى بالعهد منكَ ،و أَحْرَى لِقَبُولِ الأمانِ ، فأمَّا أمَانُك الذي عَرَضْتَهُ عليَّ فأيُّ الأماناتِ هو ؟ أأَمان ابنِ هُبَيْرَةَ ، أم أمانُ عَمِّكَ عبدِ ا لله بن عليّ ،أم أمانُ أبي مُسْلِمٍ[2]؟! والسلامُ .

---

(١) سورة القصص : ١-٦ .

(٢) قال الشيخ المرصفي:"يعرِّض بما كان من المنصور الغدر والإيقاع بهؤلاء بعد بذل الأمان لهم.." رغبة الآمل ٨/٢٨١-٢٨٢ .

فكتب إليه المنصور :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله .

أما بعد : فقد أتاني كتابُك ، وبلغني كلامُك ، فإذا جُلُّ فَخْرِكَ بالنساء ، لِتُضِلَّ به الجُفَاةَ والغَوغاءَ ، ولم يَجْعَلِ اللهُ النساءَ كالعُمومةِ ، ولا الآباءَ كالعَصَبَةِ والأولياء، ولقد جعل العَمَّ أبًا ، وبدأ به على الوالدِ الأَدْنَى ، فقال جلَّ ثناؤه عن نبيِّه عليه السلام: ﴿ أَمْ كُنْتُم شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قال لِبَنِيه ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وإلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَقَ ﴾ [1]، ولقد علمتَ أنَّ الله تبارك وتعالى بعثَ محمدًا ﷺ وعُمومتُهُ أربعة ، فأجابه اثنان أحدُهما أبي ، وكَفَرَ به اثنان أحدُهما أبوك .

فأما ما ذكرتَ من النِّساء وقَراباتِهنَّ فلو أُعْطِينَ على قُرْبِ الأنساب وحقِّ الأحْساب لكان الخيرُ كُلُّه لآمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ ، ولكنَّ الله يختارُ لدينه منْ يشاءُ مِنْ خَلْقِهِ .

وأما ما ذكرتَ من فاطمة أُمِّ أبي طالب فإنَّ الله لم يَهْدِ أحدًا من ولدها للإسلام، ولو فعَلَ لكان عبدُ الله بنُ عبد المطَّلِبِ أَوْلاَهُمْ بكلِّ خير في الآخرة والأولى ، وأَسْعَدَهُم بدخول الجنة غدًا ، ولكنَّ الله أَبَى ذلك فقال : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ﴾[2] .

وأمَّا ما ذكرتَ من فاطمةَ بنت أَسَدٍ أمِّ عليٍّ بن أبي طالب وفاطمةَ أُمِّ الحسنِ والحُسَيْن ، وأنَّ هاشمًا وَلَدَ عليًّا مرتين ، وأنَّ عبدَ المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين؛ فخيرُ الأوَّلين والآخِرينَ رسولُ الله ﷺ لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مَرَّةً واحدةً ، ولم يَلِدْه عبدُ المطلب إلاَّ مرةً واحدةً .

وأمَّا ما ذكرتَ من أنَّك ابنُ رسولِ الله فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أَبَى ذلك فقال : ﴿ما كانَ محمدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِجَالِكُم ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[3] ولكنكم بنو ابْنتِهِ، وإنها لقرابةٌ قريبةٌ ، غير أنها امرأةٌ لا تُحوزُ الميراث ، ولا يجوزُ أن تَؤُمَّ ، فكيف تُورَثُ

---

(١) سورة البقرة : ١٣٣. وكذا وقع في الأصل وحده ، ووقع في بعض النسخ : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ﴾ [سورة يوسف : ٣٨] كذا وقع في سائر النسخ إلا أنها زادت "إسماعيل" بعد " إبراهيم " ، وهو مخالف للتلاوة .

(٢) سورة القصص : ٥٦ .

(٣) سورة الأحزاب : ٤٠ .

الإمامةُ من قِبَلِها ؟ ولقد طَلَبَ بها أبوك بكل وجهٍ ، فأخرجها تُخاصِمُ ، ومَرَّضَهـا سِرًّا ، ودفنها ليلاً ، فأبى الناسُ إلا تقديم الشَّيخين ، ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله ﷺ فأمر بالصلاة غيرهُ ، ثم أخذَ الناسُ رجلاً رجلاً ، فلم يأخذوا أباكَ فيهم ، ثم كان في أصحاب الشُّورى فكل دفعَه عنها ، بايَعَ عبدُ الرحمنِ عثمانَ وقَبلَها عثمانُ ، وحارب أباك طلحةُ والزبيرُ ، ودعا سعدًا إلى بَيْعَتِه فأَغْلَق بابه دونَه ، ثم بايع معاوية بعدَه ، وأَفْضَى أمرُ جَدِّكَ إلى أبيكَ الحسن ، فَسَلَّمه إلى معاويةَ بخِرَق ودراهم ، وأسلم في يديه شيعته، وخرج إلى المدينة ، فدفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالاً من غير حله ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه .

فأما قولك : إن الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهونَ أهل النار عذابًا فليس في الشر خيارٌ ، ولا في عذاب الله هَيِّنٌ ، ولا ينبغي لمسلم يؤمنُ بالله واليوم الآخر أن يَفْخر بالنار ، وستردُ فتعلَمُ ، ﴿ **وسيعلمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ [1].

وأما قولُكَ : إنَّكَ لم تَلِدْكَ العجمُ ولم تُعْرِقْ فيك أُمَّهاتُ الأولادِ وإنَّك أَوسَطُ بني هاشم نسبًا وخيرهُم أُمًّا وأبًا، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طُرًّا ، وقدَّمْتَ نفسك على مَنْ هو خيرٌ منك أوَّلاً وآخِرًا ، وأصلاً وفصلاً ؛ فخرْتَ على إبراهيم بن رسولِ الله ﷺ وعلى والدِ وَلَدِه ، فانظرْ ويْحَكَ أين تكونُ من اللهِ غدًا ، وما وُلِدَ فيكم مولودٌ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ أفضلُ من عليِّ بنِ الحُسَيْنِ ، وهو لأمِّ وَلَدٍ ، ولقد كان خيرًا من جَدِّكَ حسن بن حسن ، ثم ابنُهُ محمدُ بنُ عليٍّ خيرٌ من أبيك ، وجَدَّتُهُ أُمُّ ولدٍ ، ثم ابنُهُ جعفرٌ ، وهو خيرٌ منكَ ، ولقد علمتَ أن جدَّكَ عليًّا حَكَّمَ حَكَمَيْنِ وأعطاهما عهده وميثاقَه على الرِّضا بما حَكَمَا به ، فاجْتَمَعَا على خَلْعِهِ ، ثم خرج عَمُّك الحسينُ بنُ عليٍّ على ابنِ مَرْجَانَةَ [2] ، فكان الناسُ الذين معه عليه حتى قتلوه ، ثم أَتَوا بكم على الأقْتابِ بغيرِ أَوْطِيةٍ ، كالسَّبْيِ المجلوبِ إلى الشأم ، ثم خرج منكم غيرُ واحد فقتلتكم بنو أمية ، وحرَّقوكم بالنار ، وصلَّبوكم على جُذُوع النخل ، حتى خرجنا عليهم ، فأدركنا بثأرِكم إذْ لم تُدْرِكوه ، ورفعنا أقدراكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، بعد أن كانوا يلعنون أباكَ في أدبارِ الصلاة المكتوبة كما تُلْعَنُ الكفرةُ ، فعنَّفْناهم وكفَّرْناهم،وبَيَّنا فضله،

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) هو عبيد الله بن زياد .

وأشدنا بذكره ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنّا لِمَا ذكرنا من فضلِ عليٍّ أنّا قدمناه على حمزةَ والعباسِ وجعفرٍ ، كل أولئك مَضَوا سالمينَ مُسلَّمًا منهم ، وابْتُلِيَ أبوكَ بالدماء ، ولقد علمتَ أن مآثِرَنا في الجاهلية سقايةُ الحجيج الأعظم ، وولايةُ زمزمَ، وكانتْ للعباس دون أخوته ، فنازعنَا فيها أبوك إلى عمر ، فقضى لنا عمرُ عليه ، وتُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وليس من عمومتِهِ أحدٌ حيًّا إلاّ العباسُ ، فكان وارثَه دونَ بني عبد المُطَّلِبِ، وطلبَ الخلافة غيرُ واحد من بني هاشم ، فلم يَنَلْها إلاّ ولدُهُ ، فاجتمعَ للعباس أنّه أبو رسولِ الله ﷺ خاتم الأنبياء ، وبنُوهُ القادَةُ الخُلفاءُ ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا أنَّ العباس أُخْرِجَ إلى بدرٍ كَرْهًا لَمَاتَ عَمَّاكَ طالبٌ وعَقيلٌ جُوعًا أو يَلْحَسَا جِفَانَ عتبة وشيبة ، فأذهب عنهما العارَ والشَّنار ، ولقد جاء الإسلامُ والعباسُ يَمُونُ أبا طالبٍ للأَزْمَةِ التي أصابتْهم ، ثم فَدَى عقِيلاً يومَ بدرٍ ، فقد مُنَّاكُمْ في الكفرِ ، وفَدَيْنَاكم في الإسلام من الأسْرِ ، وورِثْنا دونَكُمْ خاتم الأنبياء ، وحُزنَا شَرَفَ الآباء ، وأدْرَكنا من ثأركم ما عَجَزْتم عنه ، ووضعناكم بحيثُ لم تضعُوا أنفسكم ، والسلامُ [1].

* * *

قال أبو العباس : وقد ذكرنا [2] رسالة هشامٍ إلى خالد بن عبد الله ، وأنّا سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرَها أوّلاً فيه ، وكان سببُ هذه

---

(١) قال محقق س: زاد بعد هذا في نسخة :

قال أبو العباس : وقد كان المشركون أخرجوا عقيلاً وطالبًا ابنْ أبي طالب كرهًا حين أخرج العباس للمحاربة مع المشركين ، فأما طالبٌ فأظهر الكراهية للخروج لمحاربة ابن عمه ، ففى ذلك يقول:

يا ربَّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طالبْ ... في مِقْنَبٍ من هذه المَقانبْ

فَلْيَكُن المغلوبَ غيرَ الغالبْ ... ولْيَكُن المسلوبَ غيرَ السالِبْ

قال : ففقد طالب وأسرَ العباسُ وعقيلُ ، فقال النبيُّ ﷺ للعباسِ : افْدِ نفسَك وابنَ أخيكَ ، فقال : إنِّي أخْرِجْتُ كَرْهاً ، فقال النبيُّ ﷺ : أمَّا ظاهر أمركَ فأنتَ علينا ، فقال : ما عندي فداءٌ ، فقال النبي ﷺ : ما فعلتِ الأربعةُ آلاف درهم التي دَفَعْتَها عند خروجكَ إلى أهلك ؟ فقال : أشْهدُ أنك رسولُ الله .

(٢) لم يذكرها بل أشار إليها بقوله : " وسنذكرها في موضعها إن شاء الله " .

الرسالة إفراطَ خالدٍ في الدالّة على هشامٍ ، وأنّه أخذَ ابنَ حَسَّان النَّبَطيَّ فضربَـه بالسِّياط ، وكان يقال له سُهَيْلٌ ، قال : فبعثَ بقَميصـهِ إلى أبيه وفيه آثـارُ الـدم ، فأدْخَلَه أبُوه إلى هشام ، مع ما قد أَوْغَرَ صدرَ هشامٍ عليه من إفراط الدالّة ، واحتجانِ الأموال ، وكُفْـرِ مـا أَسْداهُ إليه مِنْ تَوْلِيَتِهِ إياه العِراقَ ، فكتب هشامٌ إلى خالدٍ :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أمَّا بعدُ ؛ فقد بلغ أميرَ المؤمنين عنك أمْرٌ لم يَحْتَمِلْهُ لكَ ، إلاَّ لِمَـا أَحَبَّ مـن رَبِّ الصَّنِيعَةِ قِبَلَك ، واسْتِتْمامِ مَعْرُوفِهِ عندَكَ ، وكان أميرُ المؤمنين أَحقَّ مَنِ اسْـتَصْلَحَ مـا فَسَـدَ عليه منك ، فإن تَعُدْ لمثلِ مَقالَتِك وما بلغَ أميرَ المؤمنـين عنـكَ رأى في مُعـاجَلَتِك بالعقوبـة رأْيه .

إنَّ النعمةَ إذا طالتْ بالعبد مُمْتَدَّةً أَبْطَرَتْهُ ، فأساء حَمْلَ الكرامة ، واسْتَقَلَّ العافيةَ ، ونَسَـبَ ما في يديه إلى حيلتِه وحَسَبِه وبيتِه ورَهْطِه وعشيرته ، فإذا نزلَتْ به القِيَرُ ، وانكَشَطَتْ عنه عَمَايَةُ الغَيِّ والسلطانِ ، ذَلَّ مُنْقَادًا ، ونَدِمَ حَسيرًا ، وتَمَكَّنَ منه عدوّه قادرًا عليه قاهرًا له، ولو أراد أمير المؤمنين إفسادَكَ لجَمَع بينك وبين من شهد فَلَتاتِ حَظِّكَ ، وعظيـمَ زَلَلِـكَ ، حيثُ تقولُ لجلسائك : " والله ما زادتني ولايـةُ العـراق شَـرَفًا ، ولا ولاَّنـي أمـيرُ المؤمنين شيئًا لم يكنْ مَنْ قَبْلِي ممن هو دُوني يَلِي مثله " ! ولَعَمْرِي لو ابْتُلِيتَ ببعض مَقَاوِمِ الحَجَّـاج في أهلِ العراق،في تلك المضايق التي لَقِي لَعلمْتَ أنَّك رجلٌ من بَجيلَةَ ، فقـد خـرج عليـك أربعون رجلاً فغلبوك على بيتِ مالكَ وخزائنكَ ، حتى قلتَ : " أطعمُوني ماءً " !! دَهَشًا وبَعَلاً [قال أبو الحسن : هـو شِـدَّةُ الضَّجَـرِ مـن الفَـزَعِ . والبَعْـلُ : الأرض الـتي تَسْـقِيها السماءُ] وجُبْنًا ، فما اسْتَطَعْتَهم إلا بأمانٍ ، ثم أَخفَرْتَ ذِمَّتَكَ ، منهم رَزِينٌ وأصحابُهُ .

ولَعَمْرِي أنْ لو حاول أميرُ المؤمنـين مكافـأتكَ بخَطَلِـكَ في مجلسـك ، وجحـودِكَ فَضْلَهُ إليه ، وتصغير ما أَنْعَمَ به عليك ، فَحَلَّ العُقْدَةَ ، ونقـض الصَّنيعـة ، ورَدَّكَ إلى منزلـةٍ أنتَ أهلُها ، كنتَ لذلك مستحقًّا ؛ فهذا جَدُّكَ يزيدُ بنُ أسدٍ قد حَشد مع معاويـةَ في يـوم صفين ، وعرَّضَ له دينَه ودمَه ، فمـا اصطَنَـعَ إلاّ عنـدَه ، ولا ولاّهُ مـا اصطنـعَ إليـك أمـيرُ المؤمنين ووَلاَّكَ ، وقِبَلَهُ من أهل اليمن وبيوتاتهم مَنْ قَبِيلَتُه أكـرمُ مـن قبيلتـك ، مـن كِنْـدَةَ وغَسَّانَ وآلِ ذي يَزَن وذي كَلاَعٍ وذي رُعَيْنٍ ، في نُظَرَائِهِمْ من بُيوتـاتِ قومِهـم ، كلُّهـم أكرمُ أوَّليةً ، وأشرفُ أسلافًا من آل عبد الله بن يزيد .

ثم آثرك أميرُ المؤمنين بولاية العراق ، بلا بيتٍ رَفيعٍ ، ولا شرفٍ قديم ، وهذه البُيوتاتُ تعْلوكَ وتغمُرُك وتُسكِتُكَ ، وتتقدَّمُكَ في المحافل والمجامع عند بَدْأةِ الأمور وأبواب الخلفاء ، ولولا ما أحبَّ أميرُ المؤمنين مِنْ رَدِّ غَرْبكَ لعَاجَلَكَ بالتي كنتَ أهلها ، وإنَّها منك لقريبٌ مأخذُها ، سريعٌ مكروهُها ، فيها - إن أبْقَى ا لله أميرَ المؤمنين - زوالُ نِعَمِهِ عنكَ ، وحلولُ نقمه بك ، فيما صنعتَ وارْتكبتَ بالعراق ، من اسْتعانَتِكَ بالمَجُوس والنَّصارى ، وتوليتهم رقابَ المسلمين وجِبْوَةِ خراجهم ، وتَسَلُّطِهِمْ عليهم ، نَزَعَ بك إلى ذلك عِرْقُ سَوْءٍ فيهم ، من التي قامتْ عنك ، فبئس الجَنِينُ أنتَ يا عُدَيَّ نفسِهِ !

وإن ا للهَ عزَّ وجلَّ لَمَّا رأى إحسانَ أمير المؤمنين إليك ، وسوءَ قيامك بشكره. قلبَ قلبه فأسخطه عليك ، حتى قَبُحَتْ أمورُكَ عنده وآيسهُ من شُكْرِك ما ظهر من كُفرِكَ النِعمةَ عندك ، فأصبحت تنتظرُ سُقوط النعمة ، وزوال الكرامة ، وحلول الخزي ، فتأهَّبْ لنوازل عقوبة ا لله بك ، فإن ا لله عليك أوْجَدُ ، ولما عملتَ أكْرَهُ ، فقد أصبحت وذُنوبُك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يُبَكِّتَكَ بها إلاَّ راتبًا بين يديه وعنده من يُقَرِّرُكَ بها ذنبًا ذنبًا ويُبَكِّتك بما أتيتَ منها أمْرًا أمْرًا ، فقد نَسِيتَه وأحصاه ا لله عليك ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عَرَفَكَ به من التَّسَرُّعِ إلى حَماقتك في غيرِ واحدةٍ .

منها القُرَشِيُّ الذي تناولته بالحجاز ظالمًا له ، فضربك ا لله بالسَّوْطِ الذي ضربته به مُفْتَضِحًا على رُءُوس رَعِيَّتِكَ ، ولعلَّ أمير المؤمنين يعودُ لكَ بمثل ذلك . فإنْ يفعل فأهْلُهُ أنت ، وإنْ يَصْفَحْ فأهلُه هُو .

ومن ذلك ذِكْرُكَ زَمْزَمَ ، وهي سُقْيا ا لله وكرامتُه لعبدِ المطلبِ وهذا الحيِّ من قريشٍ تُسَمِّيهَا " أُمَّ جعَارٍ " فلا سَقَاكَ ا لله من حوضِ رسوله ، وجعلَ شَرَّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِداءَ ، ووا لله أن لو لم يَسْتَدْلِلْ أميرُ المؤمنين على ضَعْفِ نَحائِزِكَ وسُوء تدبيرك إلاَّ بفَسَالَةِ دُخَلائِكَ وبطانَتِك وعُمَّالك ، والغالبةِ عليك جاريتِك الرَّائِقَةِ ، بائعةِ العُهُودِ ومُسْتَعْمِلةِ الرجالِ ، مع ما أتلفتَ من مالِ ا لله في المُبارَكِ [1]، فإنَّك ادَّعَيْتَ أنَّك أنفقتَ عليه اثني عشرَ ألف درهمٍ ، وا لله لو كنتَ من ولد عبد الملك بن مروان ما احْتَمَلَ لك أميرُ المؤمنين ما أفسدت من مال ا لله ، وضَيَّعْتَ من أمور المسلمين ، وسلَّطْتَ من وُلاة السَّوْءِ على جميع أهل كُوَرِ عَمَلِك ، تجْمَعُ إليك الدَّهَاقِينُ هَدايا النَّيْرُوز والمِهْرَجان، حابسًا لأكْثَرِهِ، رافعًا لأقَلِّهِ ،مع مخابثِ مَساويكَ التي قد أخَّرَ أميرُ المؤمنين تَقْرِيرَكَ بها، ومُناصَبَتِك أمير

(١) المبارك نهر بالبصرة احتفره خالد القسري . معجم البلدان ٥/٥٠ .

المؤمنينَ في مولاهُ حسَّان ووكيله في ضياعه وأحْوازِه في العراق، وإقدامِكَ على ابْنِه بما أقْدَمْتَ به،وسيكونُ لأمير المؤمنين في ذلك نبأ إنْ لم يَعْفُ عنك، ولكنه يَظُنُّ أنَّ ا لله طالِبُكَ بأُمورٍ أتيتَها غير تَارِكٍ لِتَكْشِيفِكَ عنها وحَمْلِكَ الأموال ناقصةً عن وظائفها التي جباها عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ ، وتوجيهك أخاكَ أسدًا إلى خُراسان ، مُظهراً العصبيَّة بها ، مُتحاملاً على هذا الحيِّ من حُضَرَ ، فقد أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم، واحتقاره لهم وركوبه إيَّاهم الثقاتُ ، ناسيًا لحديث زَرْنَبٍ وقِصَصِ الهَجَرِيِّينَ كيفَ كانتْ في أَسَد بن كُرْزٍ (١) .

فإذا خلوتَ أو توسّطت مَلأً فاعْرِفْ نفسك ، وخِفْ رَوَاجِعَ البَغْيِ عليك ، وعاجلاتِ النِّقَمِ فيك ، واعلم أنَّ ما بعدَ كتاب أمير المؤمنين هذا أَشدُّ عليك ، وأفْسَدُ لك ، وقِبَلَ أميرِ المؤمنين خَلَفٌ منك كثيرٌ ، في أَحْسابِهم وبُيوتاتِهم وأَدْيانهم ، وفيهم عِوَضٌ منك ، وا لله من وراء ذلك ، وكَتَبَ

عبدُ ا لله بن سالم سنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ ومِائَةٍ (٢).

---

(١) قال الشيخ المرصفي:" روى [صاحب] الأغاني عن أبي عبيدة أن كرز بن عامر جد خالد كان آبقاً من مواليه عبد القيس من هجر ، فظفرت به عبد شمس بن جورين بن شق بن صعب الكاهن ثم وهبوه لقوم من طهية ثم هرب فأخذته بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم وتزوج مولاة لهم تدعى زرنب يقال إنها كانت بغيًا فولدت له أسداً سماه باسم أسد بن خزيمة ، ثم إن قسراً مروا به فعرفوه فأخذوه إلى مواليه فلم يزل فيهم حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فرأى دار بجيلة فأعجبته فاشترى نفسه وابنه ، فأقام في بجيلة وادعى إليهم إلى أن مات " رغبة الآمل ٨/٢٩٣-٢٩٤ . وانظر الأغاني ٢٢/١٠-١١ .

(٢) زاد في بعض النسخ بعد هذا نصاً طويلاً رأيت إثباته (عن محقق س) وهو:
" قال أبو العباس:قوله"القُرشيُّ الذي تناولته بالحجاز ظالمًا فضربك ا لله بالسوط الذي ضربته مفتضحًا على رءُوس رعيتك " فهذا رجل من بني عبد الدار بن قُصَيّ ، من ولد شَيْبَةَ ، وكان خبرُ الشَّيبي أن خالداً كان عاملاً لسليمان بن عبد الملك على مكة ، فوفد هذا الشَّيبي على سليمان ، فسأله عن خالد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مرْجعي إليه وهو عليَّ عاملٌ ، فقال : لا سلطان له عليك ، فذكره بشرّ ، فكتب إلى خالد إنه لا سبيل لك على فلان ولا على أحد من أسبابه ، فأخذ خالدٌ ابْنًا له مولًى فضربهما بالسياط ضرباً مُبرحاً ، فوجَّها بقميصيْهما إلى الشيبي وفيهما الدماءُ ، فدفعهما إلى سليمان ، فأمر سليمان رجلاً من كَلْب أن يسير إلى خالد فيقطعَ يده ، فقال له يزيدُ بن المهَلَّبِ

وكان غالباً عليه : يا أمير المؤمنين ، أشير برأي؟ قال : قُلْ ، قال : إن كان ضربَهُمَا بعد قراءة الكتاب قطعتَ يده ، وإن كان ضرَبَهما قبل أن يقرأه أُقيد ، فأمر سليمان بذلك ، فشهد عند الكلبيِّ رجلان أحدهما داودُ بن عليّ بن عبد الله بن عباسٍ أنه ضربهُما قبل أن يقرأ الكتاب ، ففي ذلك يقولُ الفَرَزْدَقُ :

فَلَوْلا يزيدُ بنُ المهَلَّبِ حَلَّقَتْ — بكَفِّكَ فَتْخَاءُ الجَنَاحَيْنِ طائرُ

يعني بقوله " فتخاء الجناحين "العُقابَ ،والفتخُ لينٌ في جناحها واسترخاءٌ من أجله تكْسيرُ إذا حلَّقَتْ . فضُربَ خالدٌ كما ضَرَبَهما ، وأمرَ سليمانُ أن يُشَهَّرَ ويُلْبَسَ مِدْرعَةً ويمشي إلى الشام .

قال : فيقال إن الفرزدق مَرَّ به وهو يُضْربُ وهو ضام يديه ، فصاح به : انشُرْ جناحَيْكَ يابنَ النصرانية ! فبهذا السبب نال خالدُ من الفرزدق المكروه حيثُ ولي العراقَ ، حتى تَخلَّصهُ أسدُ بن عبد الله وشَفَعَ فيه مراراً ، وفي ضرب خالد يقول الفرزدق :

لَعَمْري لقد صُبَّتْ على ظَهْرِ خالد — شَآبيْبُ ما اسْتهْلَلْنَ مِنْ سَبَلِ المَطْرِ
لَعمري لقد سَارَ ابنُ شَيْبَة سَيْرَةً — أرَتْكَ نُجُومَ الليلِ مُظْهِرَةً تَجْرِي
فما أفْلَحَتْ رُوميَّةٌ أنتَ نَسْلُهَا — غَذَتْكَ بألْبان الخَنازيرِ والخَمْرِ

" الشُؤْبُوبُ " الدَّفْعَةُ من المطر ، وجمعها " شآبيب" و " سَبَل المطر " ما نزل منه .

وقوله " سار ابنُ شيبةَ سَيْرَةَ " مثل خَرَجَ خَرْجَةَ ، يعني حين وقَعَ بخالد عند سليمانَ به عبد الملك .

وقوله " ومُنَاصَبتكَ أميرَ المؤمنين في مولاه حسان ووكيله في ضياعه وأحْوازه بالعراق وإقدامك على ابنه بما أقدمت عليه في أمر خالدٍ واحتجانه الأموال وذكره هشاماً بالتقصير " وقوله : " وما ولاني إلاَّ ما كان يتولاه مَنْ هو دُوني " شكا ذلك هشام إلى رجل من أصحابه ، غاب اسْمُه عن أبي العباس ، وكان ذا أدب وذا عقْلٍ وفهْم ، فدَعَا به يوماً وهو يسيرُ، فذكر ذلك له ، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين ، ما أعْلَمُ أحدًا يَصْدُقَكَ عنه إلا حسان ، فإنه نبطيُّ الخوف نبطيُّ الرجاء ، فامْلأْ قلْبه خوفاً وَوجِّهه إليَّ ، فتقدَّم هشام إلى الرَّجُلِ بما يَذْعر به حسَّان ، قال ذلك الرجلُ : فانصرفتُ عن مُسايرة هشام إلى حسان وهو يراني ، ثم دعوتُ حسان ، فقلت له وقد أظهرتُ حُزْناً : ويْحك يا حسانُ ! اعْهدْ إليّ في أهلك وولدك ، فكاد يخفُّ على سرْجه ، قال : وما ذاك جعلني الله فداك ؟ قلتُ : أما رأيت ترْدَادَ الكلام بيني وبين أمير المؤمنين ؟ قال : قد رأيتُ ، قلتُ : فما إخالُكَ ناجياً مما كُنَّا فيه ولا مُفْلتًا من الموت ، قال : جعلني الله فداك وما عسيْتُ أن أقول في الأهل والولد ؟ إذا ذهبتُ فعليهم العفاءُ ! قلتُ : ويحك يا حسَّانُ ، إني ما أرجو لك النجاةَ إلا بواحدةٍ ، إن سألَكَ أميرُ المؤمنين فاصْدُقْهُ وما أراكَ إلاَّ بعيداً ، ثم فارقتهُ وقد كادتْ نفسه تَزْهَقُ ، فلم يَنْشبَ أنْ دعاه هشامٌ، فَترجَّل وجعل يَسْعى ، فقال له : اركبْ لا أمَّ لك! فزجرهَ،ثم أسَرَّ إليه ما أحَبَّ، وتقدم إليه أن

يُحْصيَ على خالدٍ أنفاسهَ فضلاً عن غيرها،وكتب إلى خالد يخبره أنه قد وَجَّهَ حسَّان لعمارة ضياعه، فاستهان به خالدٌ وأقصاهُ وثَقُلَ عليه مكانه، فأقام عنده أشْهُراً ، ثم كتب إليه هشام يأمرهُ أن يستخلفَ ابنه ويشْخص إليه ، قال حسان : فدخلتُ وعنده رجل من قريشٍ يشكو خالداً ، فقال له هشام : أما سمعتَ قول القائل :" اسجُد للقرْدِ في زمانه ! ثم خرج القرشيُّ وسألني عن خالد، فقلت: إنه لا فضْلَ فيه يا أمير المؤمنين ، إنَّه دمن النقرس ، فقال هشام: لودَّ أميرُ المؤمنين أنَّ خالداً بقربه؛ حتى يتولَّى علاجه بيده ، قال حسَّان : فعلمتُ أن الشكوي لا تنفعُ ، قال : فأثْنَيْت ! قال : فأقام ابني معه فأنْكر منه شيئًا ، فضربه بالسياط ضرباً مُبَرحاً ، فوجَّه إليَّ بقميصه ، فاحْتلْتُ له حتى دُخِلَ به على هشام ، فوقر ذاك في قلبه ، وجعلتُ لأحد الخدم مالاً عظيماً على أن يَضربَ أحد صبيان هشام علىَ أول ذَنْبَ بحيثُ يَسْمَع هشام ويقولُ له في عقب ذلك الضرب : وا لله أنْ لو كنت ابن خالد بن عبد ا لله القَسْري الذي يستغل في كل سنة بضْعةَ عشرَ ألف ألف درهمٍ ما عَدَا ، ففعل الخادم ، فعلمت أني قد أوْقَعْتُ في قلبه ما يكْرَهُ ، فعند ذلك كتب هشام الكتاب الذي ذكرناه ، فلما ورد على خالد هذا الكتاب تسامعَ به عُمَّاله ، فكُلُّهُم استأذن في أن يصير إليه فيُحْدث به عَهْدًا، فاجتمعوا عنده ، فكان مُتَكَلِّمَهُمْ بَلالُ بن أبي بُرْدَةَ ، فقال : أصلح ا لله الأمير،إنَّ مِنْ أياديك عندنا، وفضْلك علينا ما لا نستْكثر معه كثيراً في صلاح أمركَ ، وإنك تعْلمُ مُنَافسةَ هذا الحي من قريش في المال ، وهذا الرجل خاصةً ، وهو أعْذَرُ منك ، يقول وَلَّيْتُكَ فاتَّخَذْتَ الضَّياع لنفسكَ ، فاكتب إليه فاعْرض عليه هذه الضياع أن يأخُذ منها ما أحبَّ ، فإنه لا يفعل ، وإن فعَل استدركتَ بحُسْن رأيه أكثر ، فقال خالد : إذًا وا لله لا أفعل ولا أعطي شيئاً أبداً ، وا لله لَهُوَ أحْوجُ إلىَّ منِّي إليه! فقال له بلالٌ : أيقْدرُ أن يُرْسل فيأخذها منك ؟ قال : نعم ، قال فوا لله لأنْ تَدْفَعَها إليه فيأخُذَها أو بعضها أو يَصْفحَ عن الجميع أحْظى وأحْسن بك،قال: إني وا لله لا أفْعلُ ، قال بلالٌ : فإني أقولُ عن نفسي وعن أصحابي فإنَّا نُعْطيك مِمَّا كَسَبْناهُ بك ما يفي بأكثر من هذه الضِّياع فتوجه به إليه مالاً وتعرضُ عليه مالاً ، فإنك تعتاضهُ ، وإنا سَنكْسبُ إنْ بقينا !! قال : إذًا وا لله لا أفعل وألحوا عليه ، فقال خالد: أنْظُرُ ، وارْجعوا أنتم إلى أعمالكم، فرجع القومُ وبعضُهم يقولُ لبعضٍ : استْعدُّوا للعزْل !!".
اهـ .

والذي يظهر لي أنَّ هذه الزيادة تفسير من المبرد لبعض ما جاء في كتابه " الكامل " علقه عنه أحد تلامذته وقت القراءة عليه ، يشهد لهذا قولُ من علّق هذا الكلام عن المبرد : " شكا ذلك هشام إلى رجل من أصحابه غاب اسمه عن أبي العباس " ، وقولُ المبرد نفسه : " فعند ذلك كتب هشام الكتاب الذي ذكرناه " . وا لله أعلم .

وفي هذه النسخة زيادات انفردت بها ولست على يقين منها أنها من أصل " الكامل " فأثبتها في الهامش .

وهذا بابٌ

من مُتنَخَّلِ طَرِيفِ الشِّعْرِ وذِكْرِ آياتٍ مِنَ القُرْآن رُبَّما غَلِطَ في مَجَازِها النَّحْوِيُّون.

قال أبو العباس:هذا الكتابُ قدْ وَفَّيْناه جَميعَ حُقُوقِهِ ، ووفينا بجميع شروطه ، إلاَّ ما أَذْهَل عنه النسيانُ ، فإنه قلَّما يُخلَى من ذلك ، ونحنُ خاتِمُوهُ بأشعارِ طريفةٍ ، وآخرُ ذلك الذي نَخْتِمُ به آياتٌ من كتابِ الله عزَّ وجلَّ ، بالتوقيفِ على معانِيها إن شاء الله.

قال الشاعرُ :

أُذْكُرْ مَجَالِسَ مِنْ بني أَسَدٍ ... بَعُدُوا وحَنَّ إليهمُ القَلْبُ

الشَّرْقُ منزلُنا ، ومنزلُهُمْ ... غَرْبٌ ، وأَنَّى الشَّرْقُ والغَرْبُ

مِنْ كلِّ أَبْيَضَ جُلُّ زِينَتِهِ ... مِسْكٌ أَحَمُّ وصارِمٌ عَضْبُ(١)

وقال آخرُ :

حياةُ أبي العَوَّام زَيْنٌ لقومِه ... لكلِّ امْرِيءٍ قاس الأُمورَ وجَرَّبَا

ونَعْتِبُ أَحْيانًا عليه ولو مَضَى ... لَكُنَّا على الباقي مِنَ النَّاسِ أَعْتَبَا

وقال مُسْلِمٌ (٢):

حَيَاتُكَ يا ابْنَ سَعْدَانَ بنِ يحيى ... حياةٌ لِلمَكَارِمِ والمَعَالِي

جَلَبْتُ لكَ الثناءَ فجاء عَفْوًا ... ونَفْسُ الشُّكْرِ مُطْلَقَةُ العِقَالِ

وتَرْجِعُني إليك ، وإن نَأَتْ بي ... دِيَاري عنكَ ، تَجْرِبةُ الرِّجالِ

وقيلَ في المثلِ : المبالغةُ في النَّصِيحَة تَقَعُ بكَ علىَ عظيمِ الظِّنَّة .

وأنشدني العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ :

كم سُقْتُ في آثارِكم مِنْ نَصِيحَةٍ ... وقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ

وأنشدني الرياشيُّ :

ذَا الأَمْرُ أَغْنَى عنكَ حِنْوَيْه فاجْتَنِبْ ... مَعَرَّةَ أَمْرٍ أنتَ عنه بِمَعْزِلِ

وقال العَتَّابيُّ :

---

(١) زاد في بعض النسخ :

ومدجَّج يسعى بشِكَّتِه ... وعَقِيرَةٍ بفنائه تحبو

(٢) ديوانه ص ٣٣٦ .

تَـــرْجُ رَجْعَـــةَ مُذْنِـــبٍ خَلَـــطَ احْتِجاجًـــا بـــاعْتذَارْ

وقال أيضًا :

فَيْـتُ كـلَّ خليـلٍ وَدِّنِـي ثَمَنًـا إلاَّ المُؤَمِّـلَ دُوْلاَتِـي وأَيَّـامِي

وقيل للعتَّابيِّ : ما أقْرَبُ البلاغةِ ؟ قال : ألاَّ يُؤْتَى السامعُ من سُوء إفهـامِ القـائلِ، ولا يُؤْتَى القائِلُ من سوء فَهْمِ السَّامِعِ .

وقال ابنُ يَسير :

قَدِرْ لِرِجْلِكَ قبلَ الخَطْوِ مَنْزِلَها فمَنْ عَلاَ زَلَقًا عَـنْ غِـرَّةٍ زَلِقَـا[1]

وكان يقالُ : اصْمُتْ لِتفْهَمَ ، واذْكُرْ لِتَعْلَمَ ، وقُلْ لَتَذْلَقَ [2] .

ونَذْكُرُ آياتٍ من القرآن ربَّما غَلِطَ في مجازِها النحويُّون .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّما ذلكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلياءَهُ ﴾ [3] مجازُ الآية : أنَّ المفعولَ الأول محذوفٌ ، ومعناه : يُخَوِّفُكم مِنْ أوليائِه .

وفي القرآن : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [4] والشَّهْرُ لا يَغِيبُ عنه أحدٌ ، ومجازُ الآية : فمن كان منكم شاهدًا بَلَدَهُ في الشهر فَلْيَصُمْهُ ، والتقديرُ " فمن شهد منكم " أي : فمن كان شاهدًا في شهر رمضانَ فَلْيَصُمْهُ ، نَصْبَ الظُّروفِ لا نَصْبَ المفعولِ به .

---

(١) زاد في بعض النسخ : " وكان العتابيُّ يقول : إذا تُرِك تقليبُ اللسان جفا وتبدّلت النفس وملّتِ الخواطرُ وكان يقال . ..." .

(٢) زاد بعد هذا في بعض النسخ :

"وروى العتبيُّ عن عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : مَنْ كانت للناس عنده ثلاثٌ كانتْ لـه عليهم أربع : من إذا حدَّثهم صدَقَهَم ، وإذا وَعَدَهمَ و [في لهم وإذ] ا ائتمنوه لم يَخُنْهُم . فـإذا كـان كذلك وَجَبَ عليهم له أن يكون ظاهر المَعْدَلَةَ كاملَ المروءة وأن تحبّه قلوبهم وتنطق بثنائه ألسنتهم".

وقال عليٌّ عليه السلام : تَـوَقَّ من ....من إذا حدّثـك كذَبَـك ، وإن حدثته كذَّبَـك وإن ائتمنته خانك وإن ائتمنك اتّهمك . قال أبو العباس ونذكر ...." .

(٣) سورة آل عمران : ١٧٥ .

(٤) سورة البقرة : ١٨٥ .

وفي القرآن في مخاطبة فرعون : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ [١] فليس معنى " نُنَجِّيكَ " نُخَلِّصُك ، ولكن نُلْقِيكَ على نَجْوَةٍ من الأرضِ " بِبَدَنِكَ " [٢] : بِدِرْعِكَ ، يَدُلُّ على ذلك ﴿ لتكونَ لمن خَلْفَكَ آيةً ﴾ .

وفي القرآن: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإيَّاكم أَنْ تُؤْمِنُوا با لله رَبِّكم ﴾ [٣] فالوقفُ [٤] ﴿ يخرجون الرسولَ وإيَّاكم ﴾ أيْ ويُخْرِجُونَكم ؛ لأن تُؤْمِنُوا با لله رَبِّكُمْ [٥] .

* * *

وصلى ا لله على مُحَمَّدٍ خاتَم النَّبِيِّينَ ، ونَسْتَغْفِرُ ا لله مِمَّا قلناه من عَمْدٍ وقَصْدٍ وزَلَلٍ وخَلَلٍ .

[تَمَّ بِحَمْدِ ا للهِ]

* * *

---

(١) سورة يونس : ٩٢ .

(٢) زاد في بعض النسخ :" أي بدرعك ، وكل ما يُلْبَس من السلاح يدعى الأبدان ، قال الشاعر:
كأني وأبدان السلاح عشيَّة

(٣) سورة الممتحنة : ١ .

(٤) قال الشيخ المرصفي : ليس في الآية وقف يتمّ الكلام به ،وإنما يريد أبو العباس فصلَ قوله تعالى: ﴿ وإياكم ﴾ عما بعده ، وليس عاملاً فيه لفساد المعنى ، وإنما هو معطوف على"الرسول" و" أن تومنوا با لله ربكم " تعليل لذلك ، والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من أرضكم ودياركم ؛ لأن آمنتم با لله ربكم " رغبة الآمل ٢٩٧/٨ .

(٥) زاد في بعض النسخ " وقوله تعالى:﴿ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [سورة محمد : ٣١] ومثله : ﴿ وليعلم ا لله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ [سورة الحديد : ٢٥] قال : ا لله عالم الغيب والشهادة يعلم الأشياء قبل أن تكون وإذا كانت وبعد أن تكون ، فهو تعالى قد علم في سابق علمه مَن المجاهدون والصابرون وعلم من ينصره ورسله بالغيب ولكن قال : ﴿ولنبلونكم ﴾ حتى نعلم ثانياً في وقت وقوعه من المجاهدون والصابرون ، فعلمه بالأشياء قبل أن تكون وفي وقت وقوعها وبعد أن تنقضي وتنسى ، فعلمه بها محيط ولا ينبغي ذلك لأحد سواه " .
وكذلك ﴿ يعلم السرّ وأخفى ﴾ [سورة طه : ٧] أي : أخفى منه مما لم تحدّث به نفسك ، وكذا قوله : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه ﴾ [سورة الأنعام : ٢٨] فأخبر عما لم يكن كيف كان يكون لو كان " .

فهرس محتويات

الجزء الثالث

من

الكامل في اللغة والأدب



٤٩ - باب

٥٠ - باب من أخبار الخوارج

٥١ - باب

٥٢ - باب

٥٣ - باب

٥٤ ـ باب

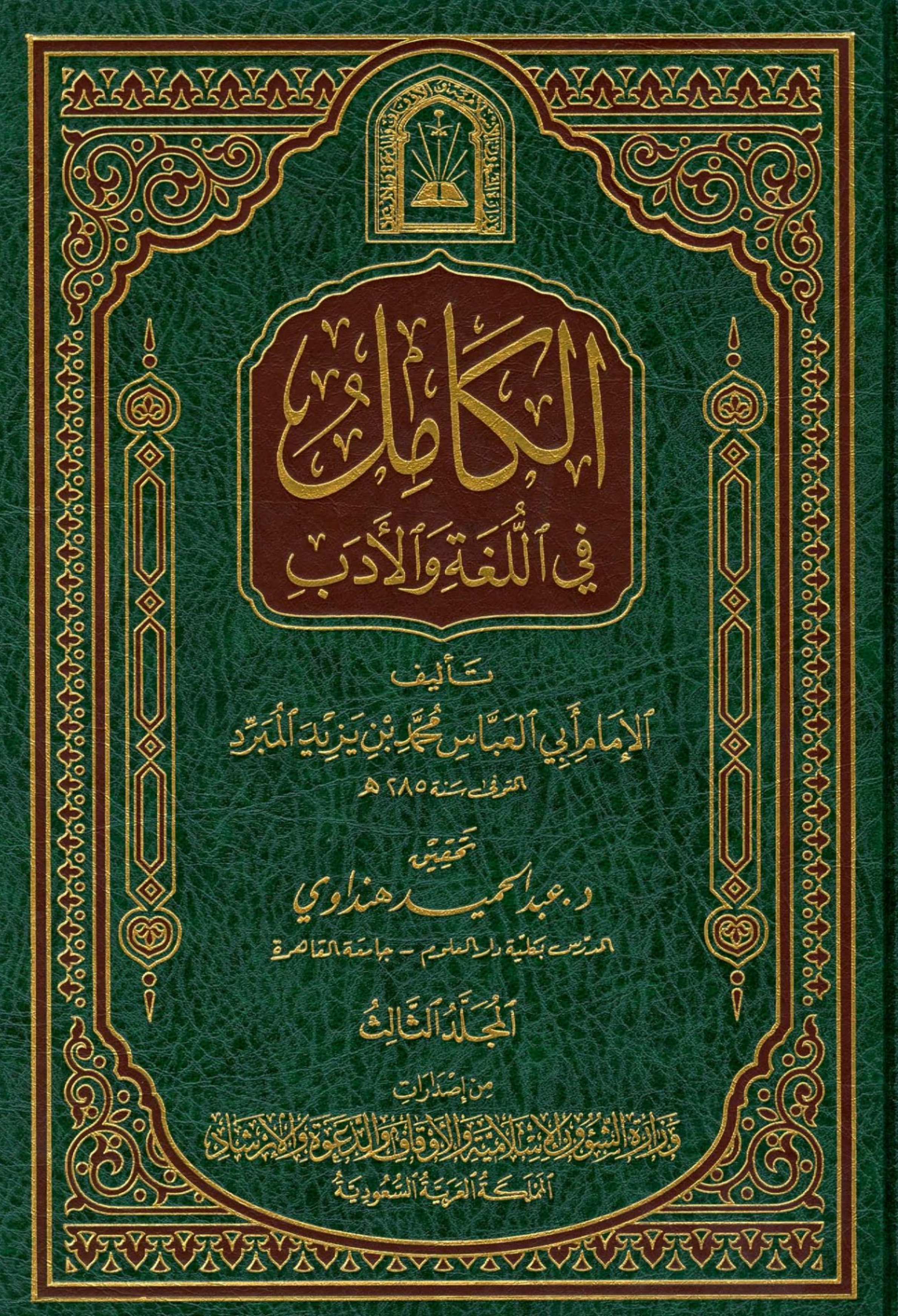
٥٥ ـ باب

٥٦ ـ باب

٥٧ ـ باب

٥٨ ـ باب

٥٩ ـ باب


الكامل
في اللغة والأدب
تأليف
الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد
المتوفى سنة ٢٨٥ هـ
تحقيق
د. عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
المجلد الثالث
من إصدارات
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية